



إدارة الدعوة والتعليم
سلسلة دعوة الحق
كتاب شهري محكم

الخُرافَةُ الإسلاميَّةُ

Islam Phobia

بين الحقيقة والتَّضليل

إعداد:

عطيَّة فتحى الويشي

السنة الثالثة والعشرون العدد: (٢١٩) العام ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

الخُوفُ الإِسْلامِيُّ

Islam Phobia

بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالتَّضَلِيلِ

عَطِيَّةُ فَتْحِي الْوَيْشِيِّ

أبيض

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أبيض

مُقَدِّمَةٌ

غَيْرُ خَافٍ عَلَى كُلِّ مُتَحَسِّسٍ أحوالِ الْمُجْتَمَعَاتِ العَرَبِيَّةِ وَمُسَبِّحِ صَيُورَتِهَا التَّارِيخِيَّةِ، وَعَارِفِ بِنَزْعَتِهَا الدَّارِويْنِيَّةِ وَنَقَافَتِهَا الصَّرَاعِيَّةِ : أَنَّ الْمُجْتَمَعَاتِ الاِسْتِعْمَارِيَّةَ مِنْهَا بِصِفَةٍ خَاصَّةٍ : لَيْسَتْ بَعِيدَةً فِي تَرْكِيبِهَا النَّفْسِيِّ عَنِ حَالَةِ ذَلِكَ اللَّصِّ الَّذِي يَشْعُرُ دَائِمًا أَنَّ هُوَ اجْسَ الاِثَامِ تُلَاحِظُهُ، وَأَنَّهُ مُرَاقِبٌ، وَأَنَّهُ مَطْلُوبٌ لِلثَّأْرِ مِنْهُ!.. وَأَنَّ الرَّفَاهِيَّةَ وَحَيَاةَ « النِّعِيمِ » الَّتِي يَتَقَلَّبُ فِيهَا تُوشِكُ أَنْ تَتَبَدَّلَ وَتُزُولَ وَتَتَبَدَّلَ...؟! وَقَدْ أَدَّى ذَلِكَ بِدَوْرِهِ إِلَى التَّمَسُّقِ كُلِّ سَبَبٍ وَتَوَسُّلِ آيَةٍ وَسَبِيلَةٍ يُمَكِّنُ أَنْ يَتَلَاشَى بِهَا هَذَا الشُّعُورِ، الَّذِي أَحَدًا يَتَنَامَى وَتَتَصَاعَدُ وَتَبَرُّهُ فِي سِيَاقِ التَّدَاعِيَاتِ الهَائِلَةِ لِنَهَايَةِ مَا يُعْرَفُ بِـ« الحَرْبِ البَارِدَةِ » مَطْلَعِ تَسْعِينِيَّاتِ القَرْنِ العِشْرِينَ، حَيْثُ نَشَأَتْ حَالَةٌ مِنَ الفَرَاغِ الاِسْتِرَاطِيغِيِّ العَرَبِيِّ الَّذِي جَلَبَ مَعَهُ مَزِيدًا مِنَ القَلَقِ الوُجُودِيِّ وَالتَّوَجُّسِ وَالخَوْفِ وَالتَّرَقُّبِ إِزَاءَ مَجْهُولٍ مَا؟.. يُمَكِّنُ أَنْ يَأْتِيَ عَلَى حِينِ غِرَّةٍ فَيَذْهَبُ بِأَمَلِهِ فِي الحَيَاةِ الهَائِلَةِ المُسْتَقَرَّةِ أَذْرَاجِ الرِّيَاحِ!... مَا أَدَّى بِدَوْرِهِ إِلَى تَضَخُّمِ الهَاجِسِ الأُمْنِيِّ العَرَبِيِّ بِصُورَةٍ فِيهَا مُبَالِغَةٌ شَدِيدَةٌ!...

فَالعَرَبُ لَمْ يَأْلَفْ قَطُّ أَنْ عَاشَ بِهَذِهِ الطَّفَرَةِ الأُمْنِيَّةِ المُتَفَرِّدَةِ، تِلْكَ الطَّفَرَةُ الَّتِي مِثْلَمَا كَانَتْ مَبْعَثَ إِحْسَاسٍ طَاطِغٍ بِالقُوَّةِ المَادِّيَّةِ الجَدِيدَةِ بِتَتَوِيحِ إِمْبِرَاطُورِيٍّ عَالَمِيٍّ مَهِيْبٍ وَعَظِيمٍ... كَانَتْ مَبْعَثَ تَوَجُّسٍ عَرَبِيٍّ مِنْ شَيْءٍ مَا كَامِنٍ فِي مَطَاوِيِ الأَقْدَارِ قَدْ يَقْطَعُ مِنْ لَدَةِ تَحَلِّيَّاتِ هَذَا الحُلْمِ الوَاقِعِيِّ الفَرِيدِ فِي حَظَّتِهِ مَا...؟!..!!

وَلَعَلَّنَا نُلَاحِظُ أَنَّهُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي بَشَّرَ فِيهِ « فَرَانْسِيسُ فُوكُوِيَامَا » بِفَجْرِ الْقُوَّةِ الْكُونِيَّةِ الْجَدِيدَةِ... سَادِلًا السُّتَارَ التَّارِيخِيَّ عَلَى الْفَارِسِ الْغَرْبِيِّ وَهُوَ مُتَشَحِّحٌ لَأَمَّةِ اللَّيْبَرِيَّةِ الْحُرَّةِ، وَمَسْكُونٌ بِنَشْوَةِ الْإِنْتِصَارِ وَبِحُلْمِ السِّيَادَةِ الَّذِي بَدَأَ وَكَأَنَّهُ حَقِيقَةٌ لَا مِرَاءَ فِيهَا...! نَجِدُ أَنَّ « هِنْتِينْجَتُونَ » يُقَرِّرُ بِأَنَّ هَذِهِ النَّظَرِيَّةَ مَحْضُ أَوْهَامٍ وَأَضْغَاثُ أَحْلَامٍ!.. فَمَا زَالَتْ هُنَاكَ تَيَّارَاتُ حَضَارِيَّةٍ تُغَدِّيهَا الْعَقِيدَةُ وَيُحَرِّكُهَا التَّارِيخُ... تَتَدَافَعُ خَلْفَ سِتَارِ الْأَحْدَاثِ لِتَقْطَعَ عَلَى الْفَارِسِ الْغَرْبِيِّ نَشْوَةَ الْإِنْتِصَارِ.. مُشِيرَةً إِلَيْهِ بِأَنَّ مَعْرَكَةَ « مَهَايَةَ التَّارِيخِ » لَمْ تُحْسَمِ بَعْدُ، بَلْ لَمْ تَزَلْ فِي مُتَوَالِيَةِ « الصَّرَاعِ الْحَضَارِيِّ » جَوْلَاتٍ أُخْرَى!... الْأَمْرُ الَّذِي كَرَّسَ مِنْ حَالَةِ الْخَوْفِ هَاتِهِ، لِتَتَخَلَّقَ وَتَتَطَوَّرَ فِي الْوَعْيِ الْغَرْبِيِّ مِنْ جَدِيدٍ بِصُورَةٍ حَثِيثَةٍ وَحَيِيَّةٍ، حَيْثُ بَدَأَ ذَلِكَ الْخَوْفُ مَوْهُومًا وَمُفْتَعَلًا أَكْثَرَ مِنْهُ حَقِيقَةً وَوَاقِعًا.. بَلْ أَضْحَى لِإِزْمَةٍ وَضُرُورَةٍ مِنْ ضُرُورَاتِ الْحَيَاةِ فِي الْمُجْتَمَعَاتِ الْغَرْبِيَّةِ!

وَلَقَدْ كَانَ عَجِيبًا أَنْ يَتَحَبَّبَ الْغَرْبِيُّونَ إِلَى هَذَا الْخَوْفِ بِاعْتِبَارِهِ أَحَدَ الرَّوَافِدِ الْإِيجَابِيَّةِ لِتَحْقِيقِ حَيَاةٍ آمِنَةٍ، فَهُوَ الْبَاعِثُ عَلَى التَّسَلُّحِ وَالتَّأَهُبِ وَالْمُرَابَطَةِ الدَّائِمَةِ فِي مُوَاجَهَةِ الْأَعْدَاءِ الْقَائِمِينَ أَوْ الْمُحْتَمَلِينَ... وَهُوَ الدَّافِعُ إِلَى خَلْقِ الْمَزِيدِ مِنْ فُرْصِ التَّنْمِيَةِ الْمُرْتَكِزَةِ عَلَى السَّطْوِ وَالسَّلْبِ وَالنَّهْبِ وَاللُّصُوصِيَّةِ الْحَضَارِيَّةِ لِلْإِسْتِزَادَةِ مِنْ فَائِضِ الْقِيَمَةِ الرَّأْسِمَالِيَّةِ، الَّذِي يُؤْمِنُ فُرْصًا أَفْضَلَ لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ!... وَبِدُونِ هَذَا الْخَوْفِ : يَخْلُدُونَ إِلَى الدَّعَةِ وَالرَّاحَةِ وَالطَّمَأْنِينَةِ الْجَالِبَةِ لِمَزِيدٍ مِنَ الْأَخْطَارِ... وَالْمُؤْذَنَةِ بِدُخُولِ الْغَرْبِ فِي دَوْرَةٍ جَدِيدَةٍ مِنَ الْمَشْكَلاتِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْاِقْتِصَادِيَّةِ وَالْحَضَارِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ وَغَيْرِهَا!...

فَمِنَ الْمَسَلَمَاتِ الْيَقِينِيَّةِ، أَنَّ الْحَيَاةَ فِي الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ: « لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَحْيَاهَا
 الْبَشَرُ وَتَسْتَمِرَّ إِلَّا عَلَى حِسَابِ حَيَاةِ بَشَرٍ آخَرِينَ! ». ذَلِكَ، بِأَنَّ الْحَيَاةَ كَمَا يَرَاهَا
 « فِرْدِيرِيك نَيْتَشَه » مَثَلًا، هِيَ: النَّمُوُّ؛ وَهِيَ: الرَّعْبَةُ فِي الْاِقْتِنَاءِ؛ وَهِيَ: إِرَادَةُ
 السَّيْطَرَةِ عَلَى الْآخَرِينَ!؛ وَإِنَّ الطَّابِعَ الْمُمَيِّزَ لِهَذِهِ الْحَيَاةِ هُوَ: سَهُولَةُ هَضْمِ مَا
 لِلْآخَرِينَ مِنْ حُقُوقٍ...! وَإِيذَاءُ مَشَاعِرِهِمْ وَتَشْوِيهِ عَقَائِدِهِمْ وَهَدْمُ آمَالِهِمْ
 وَتَعَمِيقُ أَلَامِهِمْ وَتَحْطِيمُ أَحْلَامِهِمْ وَإِفْنَاءُ وُجُودِهِمْ وَإِذْهَابُ أَثَرِهِمْ...! وَلَا
 يُمَكِّنُ أَنْ تُفْهَمَ الْحَيَاةَ عَلَى غَيْرِ هَذَا النَّحْوِ الْعُدُوِّيِّ؛! ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْعُدُوَانَ
 سَيَجِدُ مَقَاوِمَةً مِنْ أَوْلَثِكَ الْآخَرِينَ بِطَبِيعَةِ الْحَالِ، وَحَيْثُ يَصْطَلِدُ هَؤُلَاءِ
 بِأَوْلَثِكَ... تَزِيدُ الْمَقَاوِمَةَ وَتَسْتَدُّ الْخُصُومَةَ وَتَتَصَاعَدُ وَتِيرَةُ الْعُنْفِ وَالصَّرَاعِ..
 كُلَّمَا زَادَ الْإِحْسَاسُ الْحَقِيقِيُّ بِقِيَمَةِ الْحَيَاةِ؛! وَمَا كَانَ فِي الْمَقَاوِمَةِ أَخْطَارًا.. فَإِنَّ
 الْحَيَاةَ تَنْشُدُ الْأَخْطَارَ؛ فَكَأَنَّ إِرَادَةَ الْحَيَاةِ لَدَى « نَيْتَشَه »، هِيَ فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ:
 إِرَادَةُ الْخَطَرِ؛ وَلِذَا نَرَاهُ يَقُولُ: « لِكَيْ نَحْيِي مِنَ الْوُجُودِ أَسْمَى مَا فِيهِ: عِشْ
 فِي خَطَرٍ ». وَلَقَدْ كَانَ الْإِيْعَازُ بِالِاسْتِخْدَامِ الْفَاحِشِ لِلْقُوَّةِ شَيْئًا بَدِيهِيًّا فِي سِيَاقِ
 مُوَاجَهَةِ أَيِّ خَطَرٍ أَوْ تَهْدِيدٍ يُمَكِّنُ أَنْ يَعْرِضَ لِلْمُجْتَمَعَاتِ الْعَرَبِيَّةِ بَيْنَ يَدَيْ آيَةِ
 تَغْيِرَاتٍ مُحْتَمَلَةٍ فِي مَوَازِينِ الْقُوَى الدَّوْلِيَّةِ!...

وَفِي مُحَاوَلَةٍ لِإِعَادَةِ إِنتَاجِ الْخَوْفِ مِنَ الْآخَرِ فِي اللَّاَوَعِي الْعَرَبِيِّ، انْبَرَتْ
 جَمُوعَةٌ مِنْ مُنْظَرِي الـ « سِي آي إِيه » فِي التَّحْضِيرِ لِحَوْلَاتٍ قَادِمَةٍ مِنَ الصَّرَاعِ
 الَّذِي تَرْتَبَتْ عَلَيْهِ النَّفْسِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ مُنْذُ قَدِيمٍ!... وَلَقَدْ كَانَ مِنَ الْمَوْسِفِ أَنْ
 تُوَضَعَ الْحَضَارَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي مُقَابِلِ مُتَوَالِيَةِ هُجُومِيَّةٍ عَرَبِيَّةٍ مُحْتَمَلَةٍ... تُعِيدُ

إنتاج القوالب التاريخية والصورة الذهنية المغلوطة والمزيفة عن الإسلام
 والمسلمين!... وترى في الإسلام العدو التقليدي، وتنتظر إلى عقيدة التوحيد
 وإلى القيم الإسلامية على أنها بمثابة جبهة تمثل الموقف الإيماني الرافض - بكل
 ثقة واقتدار - لجميع البدائل العالمية المطروحة مع موجة المد العولمي الغربي
 التي تجتاح العالم المعاصر!...

ومن ثم، فإن هذه الدراسة تنطلق من الاعتقاد الإيجابي الصارم بأننا
 على قدر الذي نبذو به رافضين لكل ظلم يمكن أن يقع علينا أو على غيرنا،
 فإننا من خلال هذه السطور: نحاول إزالة الألغام الأيديولوجية من طريق
 كل سالك درب الحقيقة وكل ملتمس سبل الهداية إلى صراط الله المستقيم
 ليحیی من حی عن بینة!... وفي هذا تأكيد لحقنا في تفنيد الشبه ورد المفتریات
 وترشيد كل اجترأ يطال كل غاية من أجل بلوغها خلقنا الله ﷻ في هذا
 الوجود- والتي من أهمها: تحري التعرف إلى الدين الحق ومنطق الفطرة
 والميزان الذي تنتصب في ضوئه علاقات الناس مع بعضهم البعض وتؤكد
 أواصرهم ومساعدتهم الاستخلافية التي تثرى وجه الحياة... ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ
 إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ
 اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ الحجرات/ ١٣. بل انتدب الإنسانية المؤمنة
 برسالة التوحيد لتأكيد هذه الغايات المحققة رضاء الله وسعادة الإنسان في
 الدنيا والآخرة!... ﴿ مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ
 حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ النحل/ ٩٧.

وَلَمَّا كَانَ التَّخْوِيفُ العَرَبِيَّ مِنَ الإِسْلَامِ دَاخِلًا فِي إِطَارِ الدَّجَلِ وَالِافْتِنَاتِ بِإِصْدَارِ الأَحْكَامِ المُسَبَّغَةِ وَتَسْوِيقِ المُغَالَطَاتِ وَخَارِقًا لِلسَّنَنِ وَقَوَائِنِ التَّعَارُفِ بَيْنَ البَشَرِ وَقَاطِعًا طَرِيقَ الحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ وَالسَّعَادَةِ عَلَيْهِمُ... فَإِنَّ مِنَ الضَّرُورَةِ بِمَكَانٍ : اسْتِدْعَاءُ الجُهُودِ المُخْلِصَةِ المُعْنِيَةِ بِتَجَلِيَةِ المَعَالِمِ الحَضَارِيَةِ للإِسْلَامِ.. وَالمُنُوطُ بِهَا الكَشْفُ المُنْهَجِيُّ الأَمِينُ عَنِ مَوَاطِنِ العِظَمَةِ وَالعَبَقْرِيَّةِ الإِجَابِيَّةِ الفَاعِلَةِ فِي مَشْرُوعِنَا الحَضَارِيِّ الإِسْلَامِيِّ... تَحَرِّيًّا لِمَا يُمَكِّنُ أَنْ تَفِيدَهُ البَسْرِيَّةُ مِنْ رِسَالَةِ الإِسْلَامِ بِصُورَةٍ عَمَلِيَّةٍ وَمُتَكَامِلَةٍ... تَقَطُّعُ الطَّرِيقِ عَلَى كُلِّ ذِي غَايَةٍ رَخِيسَةٍ وَمَقْصِدٍ شَرِّيرٍ غَيْرِ شَرِيفٍ... يُجَاوِلُ النَّيْلَ مِنَ الإِسْلَامِ وَرَسُولِهِ ﷺ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ التَّخْوِيفِيَّةِ الحَبِيثَةِ!...

إِنَّ هَذِهِ الدَّرَاسَةَ مُحَاوَلَةٌ لِتَأْكِيدِ وَتَكْرِيسِ - بَلْ وَتَكْثِيفِ الثِّقَةِ المُطْلَقَةِ بِصَلَاحِيَّاتِ المَنْهَجِ الإِسْلَامِيِّ لِأَنْتِظَامِ حَاضِرِ الإِنْسَانِيَةِ وَمُسْتَقْبَلِهَا بِلا تَعَسُفٍ وَلا ابْتِسَارٍ وَلا مُزَايَدَةٍ... وَبِهَا لا يَدَعُ مَجَالًا لِشَكِّ الشَّاكِّينَ أَوْ لِأَبَاطِيلِ المُزْجِفِينَ أَوْ لِتَرَدُّدِ المُتَرَدِّدِينَ أَوْ لِعَفْلَةِ الغَافِلِينَ!...

إِنَّ هَذِهِ الدَّرَاسَةَ تَضَعُ فَرَضِيَّةَ « الإِسْلَامِ فَوِيًّا » فِي مُحْتَبَرِ عِلْمِيٍّ نَزِيهِ مَعْنِيٍّ بِالحَقِيقَةِ المُجَرَّدَةِ فَحَسْبُ، تَعْتَمِدُ مُنْهَجِيَّةً وَسَطِيَّةً، وَتُنِيحُ لِلْمَعْنِيَّينَ رُؤْيَةً دَقِيقَةً مُتَوَازِنَةً لِحَقَائِقِ الأَشْيَاءِ وَطَبَائِعِ الظَّوَاهِرِ المَآتِلَةِ فِي ذَلِكَ الوَاقِعِ الإِنْسَانِيِّ السَاحِنِ!... فَكَّرْتُهَا كَانَ ثَمَّةَ تَوَرُّعٍ عَن هَذِهِ الحِمْلَةِ الظَّالِمَةِ عَلَى الإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ! لَعَلِّي أَكُونُ قَدْ وُفِّقْتُ إِلَى ذَلِكَ!

وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ!..

عطية فتحي الويشي

قرية دفرية - مركز كفر الشيخ من أعمال الدلتا المصرية - رمضان ١٤٢٦ هـ.

أبيض

الفصل الأول

الخوف الغربي من الآخر

أمراض تاريخية.. وأوهام لا تزول

غَيْرُ خَافٍ عَلَى كُلِّ مُلِمٍّ بِطَبِيعَةِ النَّطُورِ التَّارِيخِيِّ لِلْمُجْتَمَعَاتِ الْعَرَبِيَّةِ،
أَنَّ إِلْفَ هَذِهِ الْمُجْتَمَعَاتِ : دَائِرٌ دَائِمًا عَلَى الْأَلَّا تَنْفَعِلُ حَرَكَتُهُ حَيَاتِهَا إِلَّا إِذَا
انْتَصَبَ الْخَوْفُ مِنَ الْآخَرِ فِي لَوَاعِيهَا!... مُنْذَرًا بِخَطَرٍ مَا يَتَهَدَّدُهَا!.. وَهَذِهِ
الْقَضِيَّةُ هِيَ : بِمِثَابَةِ طَقْسِ تَقْلِيدِيٍّ تَارِيخِيٍّ مَأخُوذٍ بِجِدِّيَّةٍ وَدَأْبٍ وَقُوَّةٍ،
وَلَيْسَتْ مُجَرَّدَ مَشَاعِرٍ فُلْسُفِيَّةٍ وَلَا خَيَالٍ أَدَبِيٍّ عَارِضٍ!.. إِنَّ « إِيْمَانُوِيلَ كَانِطَ »
يَرَى : أَنَّ « النَّاسَ فِي حَالِ الْفِطْرَةِ يَشْعُرُونَ بِأَنَّ مُجَرَّدَ حُضُورِ الْآخَرِ، سِوَاءَ كَانَ
فَرْدًا أَوْ شَعْبًا : يَتَضَمَّنُ فِي حَدِّ ذَاتِهِ تَهْدِيدًا »^(١)!. وَلَقَدْ كَانَ ذَلِكَ كَفَيْلًا بِجَعْلِ
آلَةِ الْحَرْبِ فِي حَالَةِ تَحْفُزٍ وَاسْتِنْفَارٍ دَائِمِينَ؛ بِاعْتِبَارِ الْحَرْبِ وَالْقِتَالِ : عِمَادِي
النُّهْضَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَمَوْرِدِهَا الْأَسَاسِ!.. وَلَعَلَّ هَذَا مَا يَدْعُونَا إِلَى أَنْ نَكُونَ أَكْثَرَ
وَعْيٍ وَيَفْظَةٍ وَفِطْنَةٍ لِمَعْرِى ذَلِكَ الرَّخِمِ التَّنْمُوِيِّ الْهَائِلِ الَّذِي يَتَأَسَّسُ عَلَى
أَسْلَابِ الْحُرُوبِ، وَيَتَعَدَّى عَلَى غَارَاتِ الْكَابُوبِيِّ الْأَمْرِيكِيِّ فِي مَشَارِقِ
الْأَرْضِ وَمَعَارِبِهَا!.. إِنَّهُ اقْتِصَادٌ يَنْهَضُ وَيَنْمُو وَيَتَعَشُّ عَلَى صِنَاعَةِ الْخَوْفِ
الْإِيْجَابِيِّ الْجَالِبِ لِلْسُّلْطَةِ وَالثَّرْوَةِ فِي آنٍ وَاحِدٍ!..!!

(١) إيمانويل كانط - مشروع السلام الدائم - ترجمة: عثمان أمين - مكتبة الأنجلو

المصرية - القاهرة - ١٩٧٦ - ط ٢: - ٣٠.

وَالْمَلَاخِطُ، أَنْ تَمَّةَ قَوَى ذَاتِ قُدْرَاتٍ تَأْثِيرِيَّةٍ هَائِلَةٍ - وَعَلَى قَدْرِ كَبِيرٍ مِنَ
 الْوَعْيِ بِتَطَوُّرَاتِ الصِّيرُورَةِ التَّارِيخِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ... وَبِمَدَى تَدَاعِيَاتِهَا فِي الْمَحِيطِ
 الْاجْتِمَاعِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ وَالْاِقْتِصَادِيِّ الْعَرَبِيِّ الْمَعَاصِرِ... هَذِهِ الْقَوَى : تَسْعَى إِلَى
 تَضَخِيمِ حَجْمِ الْمَخَاطِرِ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ تُحْدَقَ بِالْمُجْتَمَعِ الْعَرَبِيِّ مِنْ قَبْلِ الْآخِرِ
 الْحَضَارِيِّ بِطَرِيقَةٍ إِسْتِرَاطِيَّةٍ تَحْدُمُ الْأَهْدَافَ الْعَامَّةَ لِحَيَاةِ الْمُجْتَمَعَاتِ الْعَرَبِيَّةِ
 فِي هَذَا الْعَالَمِ عَلَى نَحْوِ لَائِقٍ بِمَا تَدَّعِيهِ مِنْ أَهْمَا : الْمُجْتَمَعَاتِ صَاحِبَةُ الْحَقِّ
 الدُّسْتُورِيِّ فِي مَنَاحِ هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ دُونِ النَّاسِ !.

فَالْوَاقِعُ يَقُولُ : بِأَنَّ النُّخْبَةَ فِي الْوِلَايَاتِ، وَمَعَهَا قَاعِدَةٌ سَعْيِيَّةٌ
 عَرِيضَةٌ، شَبَهُهُ مُسْتَقَرَّةٌ عَلَى لُزُومِ الْقُوَّةِ وَوُجُوبِ الْحَرْبِ تَحْتَ أَيَّةِ ظُرُوفٍ،
 فَهِيَ تَجْسِيدُ لِحِضَارَةِ « لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَعِيشَ بِدُونِ عَدُوٍّ، يَضْمَنُ تَمَاسِكَهَا،
 وَاسْتِمْرَارَهَا، فَإِنَّ لَمْ يَكُنْ لَهَا عَدُوٌّ، فَلَتَصْنَعْ عَدُوًّا، وَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ صِنَاعَةَ
 الْأَعْدَاءِ، لِاسْتِمْرَارِ التَّعَبُّةِ وَالْمُوَاجَهَةِ، تَرُدُّ سَهَامُهَا إِلَى ذَاتِهَا، فَتَتَاكَلُ مِنْ
 دَاخِلِهَا! أَوْ يَتَحَوَّلُ عَدُوُّهَا إِلَى الدَّاخِلِ»^(٢). وَيَقُولُ الْمَفْكَرُ الْأَمْرِيكِيُّ
 الْمُحَافِظُ «كْرِيسْتُول» : إِنَّ « الْقُوَّةَ وَحْدَهَا هِيَ الَّتِي تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقْفَ فِي وَجْهِ
 الْخُصُومِ؛ وَإِنَّ الطَّرِيقَةَ الْوَحِيدَةَ لِبَقَاءِ الدِّيْمُقْرَاطِيَّةِ اللَّيْبَرَالِيَّةِ قَوِيَّةً : هِيَ فِي
 دَوَامِ وُجُودِ عَدُوٍّ خَارِجِيٍّ لَهَا»^(٣).

(٢) عمر عبيد حسنة- من مقدمته لكتاب: أحمد القديدي- الإسلام وصراع الحضارات-
 سلسلة كتاب الأمة- الدوحة - ١٩٩٦م- ص ٢٧.

3) www.w3.org/tr/rec-html40

وَيَأْتِي كُلُّ ذَلِكَ فِي سِيَاقِ التَّوَهُّمِ الْعَرَبِيِّ إِزَاءَ مَا يَعُدُّونَهُ الْعَقَبَةَ الْوَحِيدَةَ
 الْبَاقِيَةَ أَمَامَ الْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ وَالصَّهْيُونِيَّةِ اللَّتَيْنِ تَسْعِيَانِ مَعًا لِلْهَيْمَنَةِ عَلَى
 الْعَالَمِ سِيَاسِيًّا وَاِقْتِصَادِيًّا وَثَقَافِيًّا، وَقَدْ اتَّضَحَ ذَلِكَ بِشَكْلِ حَادِّ وَمُتَّصَعِدٍ بَعْدَ
 انْهِيَارِ الْاِتِّحَادِ السُّوفِيَّتِيِّ فِي أَوَاخِرِ الثَّمَانِينِيَّاتِ...! وَقَدْ أَتَمَّ « روبرت نيومان »^(٤)
 إِسْرَائِيلَ وَأَصْدِقَاءَهَا بِقِيَادَةِ حَرَكَةِ الْعَدَاءِ الْعَرَبِيِّ وَالْأَمْرِيكِيِّ غَيْرِ الْمُبَّرِّ
 لِلْإِسْلَامِ؛ وَتَهْدَفُ إِسْرَائِيلُ مِنْ خِلَالِ نَشْرِ الرَّعْبِ مِنَ الْإِسْلَامِ بِاعْتِبَارِهِ خَطْرًا
 عَلَى الْعَالَمِ، أَنْ تُحَقِّقَ التِّفَافَ الْعَالَمِ حَوْلَهَا وَدَعْمَهَا مَادِّيًّا وَعَسْكَرِيًّا وَسِيَاسِيًّا
 دَعْمًا غَيْرَ مَشْرُوطٍ!

وَعَلَى هَذِهِ الْوَتِيرَةِ قُدِّرَ لِلْإِسْلَامِ أَنْ يَكُونَ مَادَّةَ التَّحَدِّيِّ لِمُتَوَالِيَةِ الصَّرَاحِ
 فِي الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ الْمُعَاصِرِ - عَلَى اعْتِبَارِ أَنْ هَذَا الْإِسْلَامَ هُوَ: تَعْبِيرٌ عَنْ « كُلِّ مَا
 لَا يَرُوقُ لِلْغَرَبِيِّينَ مِنْ أَنْهَاطِ دِينِيَّةٍ وَحَضَارِيَّةٍ وَسِيَاسِيَّةٍ وَاجْتِمَاعِيَّةٍ وَاِقْتِصَادِيَّةٍ
 جَدِيدَةٍ فِي هَذَا الْعَالَمِ ». وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْعُقَلَاءِ قَدْ يَتَسَاءَلُونَ بِكُلِّ عَفْوِيَّةٍ:
 كَيْفَ يَهَذَا الْأَسِيرِ الْعَانِي الَّذِي يَرْسُفُ فِي الْقِيُودِ الَّتِي أَحْكَمَتْهَا الْحُكُومَاتُ
 الْعَالَمَانِيَّةُ حَوْلَ خِنَافِهِ.. وَأَقْسَمْتُ عَلَى مُنَابَذَتِهِ بِقَطِيعَةٍ لَا يَبْدُ مِنْهَا أَثْمًا سَتَحَنَّتْ
 فِيهَا؟! كَيْفَ يَهَذَا الْأَسِيرِ الْعَانِي أَنْ يَحْتَلَّ مَوَاقِعَ التَّحَدِّيِّ فِي مَوَاجَهَةِ غَرْبٍ فِي
 أَوْجِ قُوَّتِهِ؟ كَيْفَ يَخَافُ الْعَرَبُ مِنْهُ؟! إِنَّهُ لِأَمْرٍ عَجَابٍ!..

(❖) مُفَكَّرٌ وَدِبْلُومَاسِيٌّ أَمْرِيكِيٌّ سَابِقٌ، مِنْ مُحَاضِرَةٍ لَهُ بَواشِنْطُن - نَقْلًا عَنْ مَجَلَّةِ الْمُجْتَمَعِ

الْكُوَيْتِيَّةِ - الْعَدَدُ: ١٢٤٣ - ١٩٩٧/٣/٢٥م - ص ٣٤.

وَهُنَا يُؤَكِّدُ « إدوارد سَعِيد » عَلَى صَرُورَةِ قِرَاءَةِ الْوَضْعِ السِّيَاسِيِّ وَالْاِقْتِصَادِيِّ وَالْفِكْرِيِّ لِلْغَرْبِ فِي نَظَرِيهِ لِلْإِسْلَامِ؛ فَجَدُّهُ يَرْكُزُ عَلَى أَنَّ الْغَرْبَ - مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِهِ، لَا النَّصْرَانِيَّةَ، هُوَ الَّذِي بَقِيَ دَائِمًا فِي مَوْضِعِ التَّنَافُسِ وَالْعِدَاءِ مَعَ الْإِسْلَامِ؛ فَالْغَرْبُ ظَلَّ يَرْفُضُ بِاسْتِمْرَارٍ قُوَّةَ الْإِسْلَامِ الْمُؤَهَّلَةَ لِإِزْعَاجِهِ الْمَرَّةَ تِلْوَ الْمَرَّةِ، وَلَمْ تَتِمَّ أَبَدًا تَهْدِئَةُ الْإِسْلَامِ أَوْ هَزِيمَتُهُ.. فَهَلْ يُمَكِّنُ الْقَوْلُ بِأَنَّ الْإِسْلَامَ صَدَّ الْغَرْبَ؟! ^(٤). أَمْ أَنَّ الْغَرْبَ بِنَصْرَانِيَّتِهِ الْجَوْفَاءِ هُوَ الَّذِي صَدَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ بِمَا أَذْنَى مُبَرَّرٍ مَعْقُولٍ!

وَمِنَ الْمُهْمِّ هُنَا، أَنْ نَنْطَلِقَ مِنْ عِدَّةِ افْتِرَاضَاتٍ أَسَاسِيَّةٍ :

الأول : أَنْ تَعْبِيرَ « الْعَرَبِ » مُرَادِفٌ فِي الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ لِـ « الْمُسْلِمِينَ ». كَمَا أَنَّنَا سَنَعْتَمِدُ عَلَى تَعْرِيفِ « الْإِسْلَامِ فُؤِيًّا » عَلَى مَا وَرَدَ بِمَعْجَمِ « الْاِحْتِرَامِ الْمُتَبَادَلِ » بِأَنَّهُ عِبَارَةٌ عَنْ « كَرَاهِيَّةٍ وَرَفْضٍ لِنَوْعٍ مُعَيَّنٍ مِنَ الْإِسْلَامِ يَتِمُّ تَقْلِيصُهُ فِي مَا هِيَ الشَّرُّ.. إِنَّ الْإِسْلَامَ حَدَثَ اجْتِمَاعِيٌّ وَجُغْرَافِيٌّ وَثَقَافِيٌّ، وَإِنَّ هَذِهِ الْكَرَاهِيَّةَ تَتَغَدَّى بِتَصَوُّرَاتٍ سَلْبِيَّةٍ وَجَامِدَةٍ تَحْلُطُ بَيْنَ مَفَاهِيمِ الْإِسْلَامِ وَالْإِرْهَابِ وَالتَّطَرُّفِ، كَمَا تَحْلُطُ بَيْنَ الدِّينِ وَالثَّقَافَةِ » ^(٥).

الافتراض الثاني : أَنَّهُ لَيْسَ ثَمَّةَ « آخِرٍ » صَامِدٍ فِي مَرْكَزِيَّةِ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ التَّقْلِيدِيِّ سِوَى الْإِسْلَامِ؛! حَيْثُ قَدْ تَمَّ تَسْوِيهِ صُورَتِنَا وَالتَّشْهِيرُ بِهَا مُنْذُ أَمَدٍ

(٤) نقلًا عن: زكي الميلاد، تركي الربيعو- الإسلام والغرب، الحاضر والمستقبل - دار

الفكر - دمشق - ١٩٩٨م - ص ١٠٨.

(٥) معجم الاحترام المتبادل - مِنْ مَنَشُورَاتِ مَرْكَزِ التَّسَاوِي فِي الْحُظُوظِ - بَلْجِيكَا - نَقْلًا

عَنْ : <http://www.almotamar.com/2002/32/663.html>

بَعِيدٍ.. « وَيَعُودُ الْعَامِلُ الْأَسَاسِي فِي وُجُودِ هَذَا التَّشْوِيهِ إِلَى : الْمَفَاهِيمِ
الْأَمْرِيكِيَّةِ الْخَاطِئَةِ عَنْ عَرَبِ مَنْطِقَةِ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ، تِلْكَ الْمَفَاهِيمُ وَالصُّورُ
الَّتِي عَانَتْ الْكَثِيرَ مِنَ التَّحْزِينِ عَلَى مَدَارِ تَارِيخِ الثَّقَافَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي تَعَامَلَتْ مَعَ
مُؤَاطِنِ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ عَلَى أَنَّهُ ذَلِكَ الشَّخْصُ « الْآخِرُ »^(٦). وَالْحَقِيقَةُ، أَنَّ أَيَّ
نَسَقٍ حَضَارِيٍّ يُجَاوِلُ أَنْ يَكُونَ « الْآخِرَ » عَلَى خَرِيطَةِ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ : فَمَصِيرُهُ -
حَسَبَ الشُّوَاهِدِ التَّارِيخِيَّةِ : كَانَ مَعْرُوفًا،! فَمِنْ خِلَالِ وَسَائِلِ عَدِيدَةٍ... قَدْ
أَمَكْنَ احْتِوَاءَ هَذَا الْآخِرِ - إِمَّا بِإِغْرَائِهِ وَتَحْيِيدِهِ.. وَإِمَّا بِتَهْمِيصِهِ أَوْ تَفْيِهِ
وَإِقْصَائِهِ وَإِمَّا الْإِيْقَاعَ بِهِ وَالْقَضَاءَ عَلَيْهِ وَالتَّخَلُّصَ مِنْهُ بِصُورَةٍ أَوْ بِأُخْرَى...! «
أَمَّا الْاِفْتِرَاضُ الثَّلَاثُ، فَهُوَ : أَنَّ غَايَةَ قَضِيَّةِ « الْإِسْلَامُ فُؤْيَا » : إِمَّا
تَخْوِيفُ الْمُسْلِمِينَ، وَإِمَّا التَّخْوِيفُ مِنْهُمْ وَمِنَ الْإِسْلَامِ بِالْجُمْلَةِ. وَأَنَّ الْمُحْصَلَةَ
النِّهَائِيَّةَ، هِيَ : حَسْمُ الصَّرَاعِ مَعَ الْآخِرِ الْإِسْلَامِيِّ بِأَقْلٍ جَهْدٍ وَأَدْنَى تَكَالُيفٍ؛
فَإِذَا انْحَسَمَ هَذَا الصَّرَاعُ بِالتَّخْوِيفِ وَالتَّهْدِيدِ بِاسْتِعْرَاضِ الْعَصَلَاتِ التَّقْلِيدِيَّةِ
وَعَيْرِ التَّقْلِيدِيَّةِ.. فَلَيْسَ ثَمَّةَ دَاعٍ - عَلَى الْأَقْلِ فِي الْأَجْلِ الْقَصِيرِ لِاسْتِخْدَامِ
الْقُوَّةِ؛ وَقَدْ يَنْحَسِمُ بِالزَّاجِرِ وَالتَّأْدِيبِ بِالْعُقُوبَاتِ..! أَوْ مِنْ خِلَالِ الرَّدْعِ

(٦) العِبَارَةُ لِعَابِدِينَ جَابِرٍ، رَئِيسِ اللُّجْنَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ لِمُعَادَاةِ التَّمْيِيزِ عَامَ ١٩٨٩م - نَضْلًا
عَنْ : أَحْمَدِ رَأْفَتِ بَهْجَتِ - الشَّخْصِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ فِي السَّنِينِمَا الْعَالِيَّةِ - الْهَيْئَةُ الْعَامَّةُ لِقِصُورِ
الثَّقَافَةِ - الْقَاهِرَةِ - ٢٠٠٢م - ص ٨ - بِتَصْرُفٍ.

(*) لَدَيْنَا عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ : « الصِّينِ » كَنَمُودَجٍ لِلِاحْتِوَاءِ الْغَرِبِيِّ. وَ « رُوسِيَا » كَنَمُودَجٍ
لِلتَّحْيِيدِ. وَ « كُورِيَا الشَّمَالِيَّةِ » وَ « إِيْرَانِ » وَ « فَنْرُويَا » كَنَمُودَجٍ لِلتَّهْمِيشِ وَالتَّفْيِ وَفَرَضِ
الْعَزْلَةِ عَلَيْهَا. وَ « أَفْغَانِسْتَانِ » وَ « الْعِرَاقِ » كَنَمُودَجٍ لِلْمَوْقُوعِ بِهِمُ الْمَذْبُوحِينَ. « الْهِنْدُ الْحُمْرِي »
وَ « الْأَزْتِيكِ » كَنَمُودَجٍ لِلِاسْتِصْغَالِ وَالْإِفْنَاءِ...!

النَّاعِمِ الَّذِي يُبَارِسُهُ الْعَرَبُ ثُجَاهَ الشُّعُوبِ النَّامِيَةِ الَّتِي تَعِيشُ تَحْتَ عَرْشِ
 الْوِصَايَةِ الْعَرَبِيَّةِ...! وَقَدْ تَنَحَّسِمُ الْمُشْكِلَاتُ بِالتَّبَعِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْإِذْلَالِ
 وَالْقَهْرِ الْاِقْتِصَادِيِّ وَالذَّلِيلِيَّةِ الْحَضَارِيَّةِ...! إِذِ الْعِبْرَةُ هُنَا بِتَحَقُّقِ الْمَصْلَحَةِ الَّتِي
 يُجَدِّدُهَا غَالِيًا الطَّرْفُ الْأَقْوَى وَالْأَقْدَرُ عَلَى بَثِّ دَعَائِيَّتِهِ وَمُمَارَسَةِ سُلْطَانِهِ
 السِّيَاسِيِّ وَالْاِقْتِصَادِيِّ وَالْعَسْكَرِيِّ بِطَرِيقَةٍ تُمْكِّنُهُ مِنْ إِنْجَازِ قَضَايَاهُ الْمَعْلَقَةِ
 وَفُقِّ قَوَاعِدُ اللَّعْبَةِ الَّتِي يَبْتَدِعُهَا هُوَ...!

لَمَحَاتُ تَارِيخِيَّةٌ عَنِ «الْإِسْلَامِ فُؤِيًّا»:

تَسْتَبْدُ ظَاهِرُهُ «الْإِسْلَامُ فُؤِيًّا» إِلَى خَلْفِيَّةِ تَارِيخِيَّةٍ مُتَمَثِّلَةٍ فِي ذَلِكَ الرُّكَّامِ
 الْهَائِلِ مِنَ الْأَنْطِبَاعَاتِ الْخَاطِئَةِ وَالتَّصَوُّرَاتِ الْمُسَوَّهِةِ وَالرُّؤْيَى الْمُسَوَّسَةِ حَوْلَ
 وَاحِدَةٍ- هِيَ رَائِدَةُ رِسَالَاتِ اللَّهِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ عَبْرَ تَارِيخِهِمُ الطَّوِيلِ...
 وَهِيَ أَكْمَلُهَا وَأَشْمَلُهَا وَأَمْتَمَّهَا وَأَعَمَّمَهَا، وَوَارِثَتُهَا وَالْمُهَيِّمَةُ عَلَيْهَا، وَالنَّاسِخَةُ
 لَهَا، وَالْبَاقِيَةُ دَوْمًا بِلا تَزْيِيفٍ وَلَا تَحْرِيفٍ وَلَا زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ، وَالْمَوْكُؤُ
 حِفْظُهَا إِلَى اللَّهِ ﷻ، الَّذِي أَرْسَلَ بِهَا النَّبِيَّ مُحَمَّدًا هِدَايَةً لِلنَّاسِ جَمِيعًا... وَحِمَايَةً
 وَأَمْنًا فِيهَا يَتَعَلَّقُ بِمَعَاشِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ... يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا
 أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ / ١١٧. بَلْ جَاءَ هَذَا النَّبِيُّ لِيُؤَكِّدَ
 عَلَى الْقِيَمِ وَالْمَثَلِ الْعُلْيَا النَّبِيلَةِ الَّتِي تَوَاتَرَتْ بِهَا رِسَالَاتُ اللَّهِ ﷻ إِلَى مَنْ خَلَوْا
 مِنَ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ... ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي
 أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا

تَنَفَّرُوا فِيهِ كَبْرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي
إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿سُورَةُ الشُّورَى / ١٣ .

وَعَلَى الصَّعِيدِ التَّارِيخِيِّ، قَدْ أَدَّى امْتِدَادُ نَشَاطِ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ إِلَى
أَطْرَافِ غَرْبِ أُرُوبَا، وَشَمَالِ الْبَحْرِ الْمُتَوَسِّطِ، وَإِلَى أُفْرِيْقِيَا وَالْأَنْدَلُسِ غَرْبًا،
وَإِلَى مُعْظَمِ قِطَاعَاتِ أُرُوبَا الشَّرْقِيَّةِ وَأَسْيَا الْوُسْطَى شَرْقًا، أَدَّى إِلَى مِيلَادِ
أَفْكَارٍ مُشَوَّهَةٍ وَأَنْفَعَالِيَّةٍ عَنِ الْإِسْلَامِ لَدَى بَعْضِ مَنْ أَوْلَتْكَ الَّذِينَ اسْتَعَصَوْا
عَلَى التَّجَاوُبِ مَعَ حَرَكَةِ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ، فَنَظَرُوا إِلَيْهَا بِشَيْءٍ مِنَ الرِّيْبَةِ
وَالْتَوَجُّسِ وَسُوءِ الظَّنِّ، وَتَمَثَّلُوا فِي وَعْيِهِمُ الْمَوْهُومِ : حَظْرًا مُخِيفًا...! بِمَا خَلَقَ
جَوًّا مُلْبَدًّا بِالْحَسَاسِيَّةِ وَالْعِدَاءِ، وَلَا سِيَّاهُنَالِكَ عِنْدَ الْحُدُودِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي
أَمْسَتْ مَثَارًا لِلِاحْتِكَالِ وَالتَّصَادُمِ وَسَفْكَ الدِّمَاءِ!

وَلَكِنَّ ظَلَّ الْغَرْبُ جَاهِلًا بِالْإِسْلَامِ جَهْلًا حَمَلَهُ عَلَى الْخَوْفِ غَيْرِ الْمُبَرِّ
وَالْعِدَاءِ « فَلَانَ الْغَرْبِ ذَاتَهُ كَانَ إِذْ ذَاكَ جَاهِلًا مُتَخَلِّفًا كَمَجْتَمَعٍ وَحَضَارَةٍ^(٧)؛
تلك الحالة التي ولدت اتجاهًا سلبيًا نحو الإسلام قد أعاق الفهم الحقيقي لما
كان يرمي إليه الإسلام من خيرٍ للبشريَّة... وَكَانَ مِنَ الْمُحْتَمِّ أَنْ تُخْتَلَقَ مُجْمُوعَةٌ
مِنَ الْأَخْطَاءِ وَالتَّشْوِيهَاتِ وَالصُّوَرِ الْقَائِمَةِ عَلَى قَوَالِبِ ذَهْنِيَّةٍ ثَابِتَةٍ يَسْهُلُ
الرُّجُوعُ إِلَيْهَا^(٨) .

٧ (هشام جعيط - أوروبا والإسلام - نقلًا عن : أبو بكر باقادر - الإسلام والغرب - مجلة

مستقبل العالم الإسلامي - مالطا - العدد الرابع - خريف ١٩٩١م - ص ١٢٨ .

٨ (جلمبي خضنر ساري - صورة الغرب في الصحافة البريطانية - ت : عطا عبد الوهاب -

مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - ١٩٨٨م - ص ٥٩ .

وَلَقَدْ اسْتُعْلِلَ ذَلِكَ الْجَهْلُ مِنْ جَانِبِ سَدَنَةِ الْكَنِيسَةِ الْغَرِيبَةِ أَبْسَعَ
 اسْتِعْغَالًا! فَكَانَ مِنَ الْفُرْصِ الذَّهَبِيَّةِ الَّتِي أَسْهَمَتْ فِي تَهْيِيجِ هَوَاجِسِ الْخَوْفِ
 وَتَأْجِيجِ نَارِ الْغَضَبِ الْأَحْمَقِ وَالْحَقْدِ الْأَسْوَدِ نُجْمَةَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَنُجْمَةَ
 الرَّسُولِ الْكَرِيمِ مُحَمَّدٍ ﷺ، أَنْ عَمَدَ « بَطْرُسُ النَّاسِكُ » إِلَى رَسْمِ صُورٍ مُشِينَةٍ
 عَنِ الْمَسِيحِ وَرَوَّجَهَا عَلَى أَوْسَعِ نِطَاقٍ أَوْرُوبِيٍّ، مُدْعِيًا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ هُمْ الَّذِينَ
 رَسَمُوهَا عَلَى قَبْرِ الْمَسِيحِ^(٩)! هَذِهِ الرَّسُومُ الْمَكْذُوبَةُ الْمَفْتَرَاةُ : كَانَتْ أَحَدَ أَوْرَاقِ
 اللَّعْبِ الْكَنَسِيِّ بِعَوَاطِفِ الْأُورِيبِيِّينَ الْمَائِجَةِ الَّتِي تَحَرَّكَتْ صَوْبَ الشَّرْقِ
 الْإِسْلَامِيِّ أَرْبَعَ عَشْرَةَ حَمَلَةَ صَلِيبِيَّةٍ أُرِيقَتْ فِيهَا أَرْوَاحُ الْمَلَائِكِينَ مِنَ الْبَشَرِ .

ذَلِكَ وَلَمْ يَكُنْ عَصْرُ الْإِصْلَاحِ الدِّينِيِّ بِأَقْلٍ مِنْ سَابِقِهِ فِي نَظَرْتِهِ الْمَرَضِيَّةِ
 إِلَى الْإِسْلَامِ... لِدَرَجَةِ أَنْ الرَّائِدَ الْبُرُوتَسْتَانِيَّ « مَارْتِنُ لُوتِر » كَانَ يَنْظُرُ إِلَى
 الْإِسْلَامِ بِاعْتِبَارِهِ « حَرَكَةٌ عَنِيفَةٌ تَخْدُمُ أَعْدَاءَ الْمَسِيحِ لَا يُمَكِّنُ جَلْبَهَا لِلْمَسِيحِيَّةِ
 لِأَنَّهَا مُغْلَقَةٌ أَمَامَ الْمَنْطِقِ، وَلَكِنْ يُمَكِّنُ فَقَطُ مُقَاوَمَتِهَا بِالسَّيْفِ »^(١٠).

وَعَلَى الرَّغْمِ مِمَّا يُزَعَمُ مِنْ تَحَرُّرِ عَالَمِيٍّ غَرْبِيٍّ مُبَكِّرٍ مِنْ أَفْكَارِ الْكَنِيسَةِ
 وَقِيُودِ اللَّاهُوتِ، بَيَدَ أَنْ هَذَا التَّيَّارَ الْعَالَمِيَّ قَدْ أَخْفَقَ إِخْفَاقًا فَاضِحًا فِي الْحَدِّ
 مِنْ نَوَابِتِ الْحَقْدِ وَالظُّلْمِ وَالْإِجْحَافِ الَّتِي كَانَتْ تَتَابَعُ الْغَرْبِيِّينَ نُجْمَةَ الدِّينِ
 الْحَنِيفِ، إِذْ كَانَ مُسْتَنْظَرًا مِنْ ذَلِكَ التَّيَّارِ الْغَرْبِيِّ الْمَنْسُوبِ إِلَى الْعَقْلَانِيَّةِ

(٩) فِي الْحَقِيقَةِ، لَا يُوجَدُ قَبْرٌ لِلْمَسِيحِ ﷺ، وَإِنَّمَا هُوَ مَحْضُ اعْتِقَادٍ فَاسِدٍ... وَمُجَرَّدُ خِيَالٍ

بِأَبَوِيٍّ مَرِيضٍ بِالشَّرْكِ وَالْوَتْقِيَّةِ...!

(١٠) جُونِ اسْتَبُوزِيَتُو - التَّهْلِيدِ الْإِسْلَامِيِّ.. حَقِيقَةُ أَمِ اسْطُورَةَ؟ - تَرْجَمَةُ : عَادِلُ الْمَعْلَمِ - دَارُ

الشَّرُوقِ - الْقَاهِرَةَ - ١٩٩٥م - ص ٤٣.

المَوْصُوعِيَّةُ أَنْ يُقَدَّمَ تَحْرِيرًا عِلْمِيًّا نَزِيهًا لِلْمَسْأَلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لَدَى دَوَائِرِ تَأْثِيرِهِ فِي
حَيْطِ الْمُجْتَمَعِ وَالْفِكْرِ الْعَرَبِيِّينَ، فَقَدْ كَانَ بِمَقْدُورِ ذَلِكَ التَّيَّارِ أَنْ يُقَدَّمَ إِسْهَامًا
إِجَابِيًّا يَرَى فِي الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ جُزْءًا مُتَمِّمًا وَهَامًّا مِنَ التَّارِيخِ الْإِنْسَانِيِّ... هَذَا
عَلَى أَقْلِ فُرُوضِ الْإِسْتِقَامَةِ الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي يَزْعُمُونَهَا!

وَبِالرَّغْمِ مِنْ « أَنْ الْعُثْمَانِيِّينَ كَانُوا يُسْتَقْبَلُونَ كَمُحَرَّرِينَ أَكْثَرَ مِنْ كَوْنِهِمْ
غُزَاةً غَاصِبِينَ»^(١٠)، بَيَدَ أَنْ تِلْكَ الْفُتُوحَاتِ - رَغْمَ تَسَاحُحِ الشَّدِيدِ - لَمْ يَعُدْ
يُنْظَرُ إِلَيْهَا مِنْ جَانِبِ الْعَرَبِيِّينَ، وَلَا سِيَّامَا فِي إِنْجِلْتْرَا وَفِرَنْسَا، وَحَتَّى أَسْبَانِيَا،
عَلَى أَنَّهَا طَوْقُ النَّجَاةِ! بَلْ إِنَّهُ - كَمَا يَقُولُ مُحَمَّدُ أَسَدُ -: « بِسُقُوطِ الْقُسْطِ طَبِئِيَّةً
انْفَتَحَ بَابُ أُرُوبًا عَلَى مِصْرَاعِيهِ لِلسَّبِيلِ الْإِسْلَامِيِّ؛ وَفِي الْقُرُونِ الَّتِي تَلَتْ،
وَالَّتِي ائْتَلَّتْ بِالْحُرُوبِ... لَمْ تَبْقَ عِدَاوَةٌ أُرُوبًا لِلْإِسْلَامِ ذاتَ أَهْمِيَّةٍ نَقَائِيَّةٍ
وَحَسْبُ، بَلْ ذاتَ أَهْمِيَّةٍ سِيَّاسِيَّةٍ أَيْضًا؛ وَقَدْ زَادَ مِنْ اسْتِدَادِ تِلْكَ الْعِدَاوَةِ
عِنْدَمَا كَانَتْ الْبَغْضَاءُ تَغْمُرُ الشُّعُورَ الشَّعْبِيَّ كُلَّمَا ذُكِرَتْ كَلِمَةُ «مُسْلِمٍ»^(١١).

وَلَقَدْ كَانَ لِكُتُبِ وَمَدُونَاتِ الرَّحَالَةِ الْعَرَبِيِّينَ دَوْرٌ خَطِيرٌ فِي تَكْرِيسِ
«الْإِسْلَامِ فُوبِيًا»؛ فَبَعْدَ رِحْلَاتِهِمُ الْمَشْرِقِيَّةِ الَّتِي لَاقَى فِيهَا أَوْلَيْكَ الرَّحَالَةَ
كُلَّ أَشْكَالِ الْكَرَمِ وَالضِّيَافَةِ وَالْمَعَامَلَةِ الْحَسَنَةِ... بَيَدَ أَنَّهُمْ رَجَعُوا بِقِنَاعَاتِ
عُنْصُرِيَّةٍ جَعَلَتْ بَعْضَهُمْ يَصُورُ الْعَرَبَ وَكَأَنَّهُمْ «قَوْمٌ يُمَارِسُونَ السَّلْبَ

١٠) بول كولز - العثمانيون في أوروبا - ت: عبد الرحمن عبد الله الشيخ - الهيئة

المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٣ - ص ١١٩.

١١) محمد أسد - الإسلام على مفترق الطريق - نقلًا عن: جريدة الرائد الهندية - ٦ / ١١ /

١٤١٧ هـ.

وَالنَّهَبِ، وَالْعَرَبُ «كُفَّارٌ» وَيَنْبَغِي عَدَمُ الثَّقَةِ بِهِمْ، وَهُمْ مُمْتَلِئُونَ كُرْهًا
 لِلْمَسِيحِيِّينَ»^(١٢). وَيَصِفُ أَحَدُهُمُ الْإِسْلَامَ بِأَنَّ لَهُ «تَأْثِيرًا مُعَدِّيًّا»^(١٣). يَقُولُ
 الرَّحَّالَةُ «تَشَارلز إِم. دوتي» وَاصِفًا الْمُسْلِمِينَ بِقَوْلِهِ : «أَشْرَارٌ وَعَلَى طِبَاعِ
 سَيِّئَةٍ وَيَتَعَبَّدُونَ بِدِيَانَةٍ شَائِنَةٍ»^(١٤).

وَعَلَى آيَةِ حَالٍ، فَإِنَّا نَقْرَأُ فِي صَفْحَاتِ الْمَاضِي الْقَرِيبِ : عَدَاءٌ
 وَاسْتِعْدَاءٌ لَا مِثِيلَ لَهُمَا مِنْ جَانِبِ الصَّهْيُونِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ وَالْيَهُودِيَّةِ مَعَا ضِدَّ
 الْعَرُوبَةِ وَالْإِسْلَامِ...، وَنَقْرَأُ تَأْسِيسًا لظُلْمٍ مُسْتَمِرٍّ مِنَ الْعَرَبِ الْاسْتِعْمَارِيِّ كُلِّهِ
 لِلأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَتَطْلُعَاتِهَا التَّارِيخِيَّةِ وَحُقُوقِهَا الْمَشْرُوعَةِ، وَتَوَافُقًا بَيْنَ الْمَشْرُوعِ
 الصَّهْيُونِيِّ وَالْاسْتِعْمَارِ الْحَدِيثِ. وَمِنَ الْمُؤَسَّفِ، أَنَّ يُوصَفَ الْإِسْلَامُ الْيَوْمَ مِنْ
 جَانِبِ الصَّهْيُونِيَّةِ وَالْأَمْرِيكِيِّينَ - الَّذِينَ يُشَكِّلُونَ خُلَاصَةَ الْاسْتِعْمَارِ
 وَالْاسْتِغْلَالِ الْحَدِيثَيْنِ - بِالْإِزْهَابِ!؛ وَلَقَدْ «أَتَسَمَّتِ الصُّورَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْحَدِيثَةُ
 بِالْإِزْدِرَاءِ الْوَاضِحِ لِلْمُسْلِمِينَ، بِاعْتِبَارِهِمْ شَبَكَاتٍ مِنَ التَّنْظِيمَاتِ الْخَطِرَةِ
 يُغَذِّيها حِقْدٌ عَلَى الْحَضَارَةِ»^(١٥)!

12) Sari J. Nasir, The Arabs and the English, London : Longman, 1976, p. 27.

13) Peter Malcolm holt, Studies in the History of the Near East, London :
 Frank Cass, 1973, p. 76.

14) Zahra Dickson Freeth and H. V. F Winstone, Explorers of Arabia from
 the Renaissance to the End of Victorian Era, London; Boston: Allen and
 Unwin; New York : Holmes and Meier, 1978, p.225.

١٥) محمد عمارة - شهادات غربية في الافتراء على الإسلام - مقال بمجلة الأزهر - الجزء

الرابع - السنة (٧٨) - ربيع الآخر ١٤٢٦هـ - ص: ٥٩٩. وانظر كذلك : إدوارد سعيد

- الاستشراق - نقلًا عن: www.u-of-islam.net/asdaa/08/makal5.htm

وَبِمُحَاوَلَةِ النَّظَرِ فِي أَوْراقِ أَجْهَزَةِ المَخْبَرَاتِ العَرَبِيَّةِ، وَجَدْنَا أَنَّهُ فِي عامِ ١٩٤٦م، قَدْ أُعِدَّتْ دِرَاسَةٌ سِرِّيَّةٌ مُكَوَّنَةٌ مِنْ سِتِّ وَسَبْعِينَ صَفْحَةً، قَدْ تَمَّ إلْغَاءُ تَصْنِيفِهَا كَوَثِيقَةٍ سِرِّيَّةٍ فِي عامِ ١٩٧٩م، مِنْ قِبَلِ إِدارَةِ الاسْتِخْبَارَاتِ العَسْكَرِيَّةِ التَّابِعَةِ لِوزَارَةِ حَرْبِيَّةِ الوِلايَاتِ المُتَّحِدَةِ. وَمِنَ المِثَرِ لِلاِهْتِمَامِ أَنَّ الفَضْلَ الخَاصَّ بِالعَالَمِ الإِسْلامِيِّ يَقَعُ فِي إِحْدَى عَشَرَ صَفْحَةً، حَيْثُ يَتَنَاوَلُ الإِسْلامَ بِاعْتِبَارِهِ «تَهْدِيداً لِلِاسْتِقرارِ العَالَمِيِّ» حَيْثُ يَرَى أَنَّ العَالَمَ الإِسْلامِيِّ عَلى الرِّغْمِ مِمَّا يُعَانِيهِ مِنْ مُشْكِلاتِ الفَقْرِ وَالجُهْلِ وَالرُّكُودِ!... يَبْدَأُ أَنَّهُ مَسْكُونٌ بِـ «مَشاعِرِ عَدَمِ الرِّضا وَالإِحباطِ، إِلاَّ أَنَّهُ ما زالَ حَيًّا واعيًّا بِدُونِيَّتِهِ وَعازِمًا عَلى تَحْقِيقِ نَوْعٍ ما مِنْ تَحْسِينِ أَوْضاعِهِ»^(١٦). وَيَقُولُ «بِنِ جُورْيُون»^(١٧): «إِنَّ أَحْشَى ما نَحْشَاهُ أَنْ يَظْهَرَ فِي العَالَمِ العَرَبِيِّ مُحَمَّدٌ جَدِيدٌ»^(١٨)؛ وَيُشِيرُ «هاثوتو»^(١٩) إِلى أَنَّهُ «لا يُوْجَدُ مَكانٌ عَلى سَطْحِ الأَرْضِ إِلاَّ وَاجْتازَ الإِسْلامُ حُدُودَهُ وَانْتَشَرَ فِيهِ؛ فَهُوَ الدِّينُ الوَحِيدُ الَّذِي يَمِيلُ النَّاسُ إِلى اِعْتِناقِهِ بِشِدَّةٍ تَفُوقُ أَيَّ دِينٍ آخَرَ. إِنَّ الخَطَرَ لا يَزالُ كامِنًا فِي أَفْكارِ المَفْهُورِينَ الَّذينَ اتَّعَبْتَهُمُ النِّكَباتُ الَّتِي أَنْزَلْناها بِهَيْمٍ، لَكِنَّها لَمْ تُثَبِّطْ مِنْ عَزائِمِهِمْ»^(٢٠).

16) Military Intelligence Division. war Department, D. C. Islam : Athreat to world stability. Washington, On 26 January 1946, Lt. p.24-35.

(❖) أَوَّلُ رَئِيسِ لِوزَرَةِ حُكُومَةِ الكِيانِ الصَّهْيُونِيِّ الفَاصِبِ فِي فِلسْطِينِ المُحْتَلَّةِ.

(١٧) نَقْلًا عَن: جَرِيدَةِ الكِفاحِ الإِسْلامِيِّ الفِلسْطِينِيَّةِ - فِي عَدَدِها الصَّادِرِ فِي الأَسبوعِ الثَّانِي مِنَ شَهِرِ نِيسانِ أَبريلِ ١٩٥٥م.

(❖❖) وَرِيزِ خَارجِيَّةِ فِرَنْسا الأَسْبِقِ.

(١٨) نَقْلًا عَن: مُحَمَّدِ البَهيِّ- الفِكرُ الإِسْلامِيُّ الحَدِيثُ وَصِلَتُهُ بِالاسْتِعمارِ الغَرِيبِيِّ- مَكْتَبَةُ وَهْبَةِ- القَاهِرَةِ- ١٩٨٥م- ص ص ١٨، ١٩.

وَيَقُولُ أَحَدُ الْمَسْئُولِينَ فِي وَزَارَةِ الْخَارِجِيَّةِ الْفِرَنْسِيَّةِ عَامَ ١٩٥٢ م: «إِنَّ الْخَطَرَ الْحَقِيقِيَّ الَّذِي يُهَدِّدُنَا تَهْدِيدًا مُبَاشِرًا وَعَنِيفًا هُوَ: الْخَطَرُ الْإِسْلَامِيُّ... فَلْنَعُطِ هَذَا الْعَالَمَ مَا يَشَاءُ، وَلْنَقُوْ فِي نَفْسِهِ عَدَمَ الرَّغْبَةِ فِي الْإِنْتِاجِ الصَّنَاعِيِّ وَالْفَنِّيِّ، فَإِذَا عَجَزْنَا عَنْ تَحْقِيقِ هَذِهِ الْخَطَّةِ، وَتَحَرَّرَ الْعِمْلَاقُ مِنْ عُقْدَةِ عَجْزِهِ الْفَنِّيِّ وَالصَّنَاعِيِّ : أَصْبَحَ خَطَرُ الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ وَمَا وَرَاءَهُ مِنَ الطَّاقَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ الضَّخْمَةِ : خَطَرًا دَاهِمًا يَنْتَهِي بِهِ الْعَرَبُ، وَيَنْتَهِي مَعَهُ دَوْرُهُ الْقِيَادِيَّ فِي الْعَالَمِ»^(١٩).

وَيَسْأَلُ « أَلْبِيرِ مَشَادُو »^(٢٠) : « مَنْ يَدْرِي؟ رُبَّمَا يَعُودُ الْيَوْمَ الَّذِي تُصْبِحُ فِيهِ بِلَادُ الْعَرَبِ مُهَدَّدَةً بِالْمُسْلِمِينَ.. يَهْبِطُونَ إِلَيْهَا مِنَ السَّمَاءِ لِعَزْوِ الْعَالَمِ مَرَّةً ثَانِيَةً، وَفِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ. »^(٢١). وَيَقُولُ « لُورَانْسِ » بِنِبْرَةِ تَحْرِيزِيَّةٍ حَبِيثَةٍ تُعَبِّرُ عَنْ مَدَى الْقَلَقِ تُجَاهَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ : « إِذَا اتَّحَدَ الْمُسْلِمُونَ فِي إِمْرَاطُورِيَّةٍ عَرَبِيَّةٍ : أَمْكَنَ أَنْ يُصْبِحُوا لَعْنَةً عَلَى الْعَالَمِ وَخَطَرًا أَوْ أَمْكَنَ أَنْ يُصْبِحُوا أَيْضًا نِعْمَةً لَهُ، أَمَا إِذَا بَقُوا مُتَفَرِّقِينَ، فَإِنَّهُمْ يَظْلُونَ حِينْتِذِ بِلَا وَزْنٍ وَلَا تَأْثِيرٍ مُبَاشِرٍ »^(٢٢).

(١٩) نُقْلًا عَنْ: سَعِيدِ حَوِّي - جُنْدُ اللَّهِ تَخْطِيطًا - مَكْتَبَةُ وَهْبَةِ - الْقَاهِرَةِ - ١٩٨٣ - ص ٢٢.

(٢٠) وزير المستعمرات الفرنسي عام ١٩٦٢ م.

(٢١) نُقْلًا عَنْ: <http://www.alseraj.net/ar/s/11/index>

(٢٢) نُقْلًا عَنْ: عَبْدِ اللَّهِ التَّلَّ - جَذُورُ الْبَلَاءِ - الْمَكْتَبُ الْإِسْلَامِيُّ - بَيْرُوتَ - ١٩٨٧ م -

وَمِنَ الْجَدِيدِ بِالذِّكْرِ، أَنَّهُ فِي عَامِ ١٩٦٨ م، كَتَبَ «إينوك باول»^(*) قائلاً :
«إِنَّهُ سَوْفَ يَكُونُ مِنَ الْحَبْلِ وَالْجُنُونِ أَنْ تَعْتَمِدَ بَرِيْطَانِيَا خُطَّةً لِاسْتِقْدَامِ مَحْسِنِينَ
أَلْفًا مِنَ الْعَمَالِ الْمُهَاجِرِينَ إِلَيْهَا سَنَوِيًّا» وَقَدْ جَاءَ ضَمْنًا اسْتِقْرَاءً آتِيَهُ الصَّائِبَةُ
لِنَتَائِجِ هَذِهِ الْحُطَّةِ : أَنَّهُمَا سَوْفَ تُسْفِرُ عَنْ بُلُوغِ نِسْبَةِ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ إِجْمَالِي عَدَدِ
السُّكَّانِ بَرِيْطَانِيَا بِحُلُولِ نَهَايَةِ الْقَرْنِ الْعَشْرِينَ رَقْمًا يُفَارِبُ الْعَشْرَةَ بِالمِائَةِ . وَمِنْ
وُجْهِ نَظَرٍ « باول » ، فَإِنَّ وَاقِعًا كَهَذَا : سَوْفَ يُسْفِرُ حَتْمًا عَنْ نِزَاعَاتٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ
جَامِحَةٍ تَتَعَدَّرُ إِدَارَتَهَا وَالسَّيْطَرَةَ عَلَيْهَا؛ وَسَوْفَ تَكُونُ هَذِهِ ظَاهِرَةً جَدِيدَةً وَعَيْرُ
مَسْبُوقَةٍ فِي تَارِيخِ الْمُجْتَمَعِ الْبَرِيْطَانِيِّ . وَمَا إِنْ قَرَأَ الْيَمِينُ الْبَرِيْطَانِيَّ هَذِهِ
الْأفْكَارَ ، حَتَّى اتَّخَذَ مِنْهَا ذَرِيْعَةً وَمَسْوَعًا لِلتَّرْوِيحِ لِأَيْدِيُولُوجِيَّةٍ كَرَاهِيَّةٍ
الْأَجَانِبِ^(**) ! . وَلَقَدْ تَصَادَفَ ذَلِكَ مَعَ بُرُوزِ ظَاهِرَةِ الْمَدِّ الْإِسْلَامِيِّ مَطْلَعِ
السَّبْعِيْنِيَّاتِ ، وَاهْتِمَامِ الْإِعْلَامِ وَالذَّوَائِرِ الْاسْتَرِيْجِيَّةِ الْغَرِبِيَّةِ بِهَا... ! وَنِتَائِجِ
حَرْبِ الْعَاشِرِ مِنْ رَمَضَانَ ١٣٩٣ هـ / تَشْرِينَ أَكْتُوبَرِ ١٩٧٣ م ، فَضْلًا عَمَّا
صَاحَبَ قِيَامَ الثَّوْرَةِ الْإِيرَانِيَّةِ مِنْ تَدَاعِيَاتِ إِقْلِيمِيَّةٍ ... انْتَشَرَتْ فِي عُمُومِ
الْغَرْبِ مَا سُمِّيَ آنَذَاكَ بِـ « فُوبِيَا الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ » أَوْلَيْتُكَ الَّذِيْنَ يُزَعَمُ أَنَّهُمْ
أَصْبَحُوا إِلَى جَانِبِ مَا يَمْلِكُونَ مِنَ النُّقْطِ - الَّذِي حِينَ حَظَرُوهُ تَعَرَّضَتْ حَيَاةُ

(*) سياسي وكاتب بريطاني محافظ مخضرم - تُوْفِيَ ١٩٩٨ م .

(**) نُقِلَ عَنْ : وِليَام فاف - أُوْرُوِيَا وَخَطَرُ الْحِجَابِ الْمُهَاجِرِ - نُقْلًا عَنْ : www.jeel-
libya.com/horizons/articleslist.asp - ٢٠٠٦/١٠/١٩ م . يُشَارُ هُنَا إِلَى أَنَّ النِّسْبَةَ
التَّقْرِيْبِيَّةَ الْمَعْلَنَةَ لِعَدَدِ الْمُهَاجِرِينَ الْأَجَانِبِ بَيْنَ إِجْمَالِي السُّكَّانِ الْبَرِيْطَانِيِّينَ لِعَامِ ٢٠٠١ هِيَ
١٠ بِالمِائَةِ بِالْفِعْلِ . إِلَى ذَلِكَ يُضَافُ : إِنَّ إِجْمَالِي تَعْدَادَ الْمُهَاجِرِينَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَجْتَمَعِ نَفْسِهِ ،
تَبْلُغُ نِسْبَتَهُ ٢,٨ فِي المِائَةِ .

الغربيين للخطر - فإنهم يملكون المقاتلين الشداد الذين تمكّنوا من إلحاق
هزيمة ثقيلة بدولة الاحتلال الصهيوني الغاصب في فلسطين المحتلة. ثم إن
العرب كذلك، يملكون رأس المال الذي يصفه الغربيون بأنه « هجوم عربي
على الغرب»؟!.

وفي سنة ١٩٨٣م، أكد « ج. ب. ميروتسيل هوغوز»، في كتابه «عوامة
محمد»، بنبرة محيية، أن الخلل الديمغرافي الذي يتقوى في الحوض المتوسط
لفائدة الضفة الجنوبية، يمكن أن يجعل نظرية عودة الإسلام القويّة إلى
أوروبا في القرن القادم شيئاً ممكناً»^(٣٣).

والحقيقة، أن البدايات الحقيقية لدوامه الخواف الإسلامي في واقعنا
المعاصر، كانت عندما تفرّدت الرأسمالية الغربية بمقاليده السخرة الكونية بعد
انتصار لم يكن متوقّعا بهذه « الدراماتيكية»!.. ولقد كان ذلك إيذاناً ببزوغ
فجر الليبرالية الحرة في عالم جديد خالٍ من المنافسة أو المضارعة والندية
الحقيقية؛ الأمر الذي أحدث حالة من الفراغ العارض في منظومة الأمن
الغربي بطريقة مربكة نسبياً، ولاسيما أن طبيعته النفسية الغربية تتعامل مع هذه
الحالة بمنطق يفترض أن « ما يثير الرعب : هو صخامة كل حدث جديد مع
وجود ضعف في الصدى الذي يعكسه»!؛ والحقيقة، أن العرب والصهيويّة
العالمية قد «وجدتا بُعَيْتَهُمَا في اختراع عدو جديد على حساب الإسلام

(٢٣) نقلاً عن: فانسن جيسير - الإسلاموفوبيا الجديدة- «لاديكوفيرت» - ٢٠٠٣م - ص ٤٦،

نقلاً عن: www.almostaqbal.com/Mostaqbale153/Reporter/rep2.htm

وَالْمُسْلِمِينَ، وَآتَهُ فِي عَامِ ١٩٩١ م، كَتَبَتْ صَحِيفَةُ « وَاشْنَطِن بَوسْت » أُنْبَاءً عَنِ دِرَاسَةِ مُسْتَمِرَّةٍ تُعَدُّهَا وَزَارَةُ الدَّفَاعِ الأَمْرِيكِيَّةِ وَالْمَخَابِرَاتِ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى التَّوَأْفِرِ عَلَى عَدُوٍّ جَدِيدٍ!؛ وَكَانَ الإِسْلَامُ فِيهَا يَبْدُو: هُوَ المُرْشَحُ لِذَلِكَ!. وَمِنْ ثَمَّ، كَانَتْ العَدِيدُ مِنَ النَّدَوَاتِ وَالكِتَابَاتِ تُدَوِّرُ حَوْلَ الإِسْلَامِ، وَكَيْفِيَّةِ التَّحْرِيزِ عَلَيْهِ وَالصَّاقِ التُّهْمَ بِهِ^(٥)!... وَكَقَدْ بَدَأَ العَرَبُ مِنْ خِلَالِ دِيبَاجَاتِ فِكْرِيَّةٍ وَسِيَاسِيَّةٍ: مَعْرُورًا وَمُمْتَلِنًا بِوَهْمِ التَّسَيِّدِ الكَوْنِيِّ المَطْلُوقِ - وَكَأَنَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ!...

ذَلِكَ، وَلَمْ تُرَاعَ آيَةُ أبعادِ أخْلَاقِيَّةٍ أَوْ عِبْتَارَاتِ مَنَهْجِيَّةٍ فِي تَحْلِيلِ وَتَقْيِيمِ تَجْرِبَةِ الصَّحْوَةِ الإِسْلَامِيَّةِ المُعَاصِرَةِ، فَقَدْ تَمَّ اخْتِزَالُهَا فِي قَوَالِبِ مُشَوَّهِةٍ وَنَافِجٍ مُبْتَسِرَةٍ بَعِيدَةٍ تَمَامًا عَنِ الجَوْهَرِ الإِسْلَامِيِّ الحَنِيْفِ - وَبِطَرِيقَةٍ مُعْرِفَةٍ فِي السَّطْحِيَّةِ وَالسَّلْبِيَّةِ وَسُوءِ الظَّنِّ وَخُبْثِ الطَّوِيَّةِ... ذَلِكَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ مَا يَبْرِّزُهُ سِوَى الحِقْدِ وَالكِرَاهِيَةِ وَالحَسَاسِيَّةِ المُتَزَجَّةِ

(٥) وَمِنَ الجَدِيرِ بالدُّكْرِ، أَنَّهُ مِنْ بَيْنِ مائَةِ وَتِسْعٍ وَسِتِّينَ عَمَلًا إرْهَابِيًّا أَحْصَتْهَا « F. B. I » مُنْذُ عَامِ ١٩٨٢ م وَحَتَّى الرَّبِيعِ الأَوَّلِ مِنْ عَامِ ١٩٩٥ م، ثُبُتَ ارْتِكَابُ مُتَطَرِّفِينَ يَهُودِ هُجُومًا إرْهَابِيًّا اسْتُخْدِمَتْ فِيهَا الأَسْلِحَةُ النَّارِيَّةُ وَالمُنْفِجْرَاتُ المَوْقُوتَةُ، بَيْنَمَا نَفَذَتْ عِصَابُ عَرَبِيَّةٍ وَشَرْقِيَّةٍ ثَلَاثَ هُجُومَاتٍ مُسَلَّحَةً فَقطُ، وَارْتَكَبَتْ جَمَاعَاتُ يَمِينِيَّةٍ مُتَطَرِّفَةً مائةً وَتِسْعَةً وَعِشْرِينَ عَمَلًا إرْهَابِيًّا مُقَارَنَةً بِوَاحِدٍ وَعِشْرِينَ حَادِثًا ارْتَكَبَتْهَا جَمَاعَاتُ يَسَارِيَّةٍ. وَقَدْ كَانَ انْفِجَارُ « أوكلاهوما سيتي » فِي ١٩ أبريل ١٩٩٥ م: وَاحِدًا مِنْ أَسْوَأِ الأَعْمَالِ الإرْهَابِيَّةِ الَّتِي تَعَرَّضَتْ لَهَا الِوَالِيَّاتُ المُتَّحِدَةُ - عَلَى يَدِ أَمْرِيكِيِّ - مُخْلِفًا مائةً وَسِتَّةً وَتَمَانِينَ قَتِيلًا وَارْتِعْمَاتًا جَرِيحًا. وَفِي إِحْصَائِيَّةٍ أَمْنِيَّةٍ بَلَّغَتْ قِيَمَةَ خَسَائِرِ الِوَالِيَّاتِ المُتَّحِدَةِ مِنَ العَمَلِيَّاتِ الإرْهَابِيَّةِ عَامَ ١٩٩٣ م وَحَدَّهُ خَمْسِمِائَةَ وَسِتًّا وَعِشْرِينَ مِليُونًا وَارْتِعْمَاتَةَ أَلْفِ دُولَارٍ، وَسَقَطَ فِيهَا أَلْفٌ وَارْتِعْمَاتَةَ وَخَمْسَةَ وَارْتِعُونَ بَيْنَ قَتِيلٍ وَجَرِيحٍ.

بِالْحَوْفِ الْمُرْضِيِّ مِنَ الْإِسْلَامِ!؛ وَلَقَدْ تَمَّ اخْتِصَارُ التَّجْرِبَةِ الْحَضَارِيَّةِ
الْإِسْلَامِيَّةِ الْفَرِيدَةِ فِي وَاقِعِ الْمُسْلِمِينَ الْمُتَدَاعِي، الَّذِي زَادَ مِنْ حُدَّةِ إِغْرَاءِ
الْغَرْبِ بِالْمُسْلِمِينَ بِطَرِيقَةٍ قَطَعَتْ عَلَى الْغَرْبِ مَرَّةً أُخْرَى أَيَّ أَمَلٍ فِي
الاسْتِفَادَةِ مِنَ التَّجْرِبَةِ الْحَضَارِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ!..

وَلَعَلَّ الْمُتَابِعَ لِتَطَوُّرَاتِ مَوَازِينِ الْقُوَى الْعَالَمِيَّةِ... لِيَلْمَسَ أَنَّ الْوِلَايَاتِ
الْمُتَّحِدَةَ الْأَمْرِيكِيَّةَ- لَنْ تَفَوْقَتْ عَسْكَرِيًّا وَبَدَتْ كَقُوَّةٍ صَاعِدَةً فِي الْقَرْنِ
الْعَشْرِينَ، لِكِنَّهَا وَرَثَتْ عَنِ الْغَرْبِ التَّقْلِيدِيَّ الرَّؤْيِيَّةَ الْمَشْهُوَّةَ وَالانْطِبَاعَاتِ
الْخَاطِئَةَ وَالشُّعُورَ بِالْحَدَرِ مِنَ الْإِسْلَامِ!؛

فَعَلَى الرَّعْمِ مِنْ أَنَّ الْعَالَمَ الْعَرَبِيَّ قَدْ التَّقَطَّ أَنْفَاسُهُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ مُنْذُ نَهَايَةِ
الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ وَحَتَّى تَلَاثِي الْحَرْبِ الْبَارِدَةِ بِسُقُوطِ الْمَنْظُومَةِ الْمَارْكِسِيَّةِ فِي
شَرْقِ أَوْرُوبَا وَوَسَطِ آسِيَا مَطَّلِعِ التَّسْعِينِيَّاتِ مِنَ الْقَرْنِ الْعَشْرِينَ، حَيْثُ انْتَشَى
الْقَادَةُ السِّيَاسِيُونَ وَالْخَبْرَاءُ الْإِسْتِرَاتِيجِيُونَ نَشْوَةً لَمْ يَسْبِقْ لَهَا مِثْلٌ، وَأَعْلَنَ
«جُورْجُ بُوَش «الْآب» عَنِ وِلَادَةِ النِّظَامِ الدَّوَلِيِّ الْجَدِيدِ؛ وَكَمَا انْتَشَى الْقَادَةُ
الْعَسْكَرِيُّونَ وَالسِّيَاسِيُّونَ، كَذَلِكَ « انْتَشَى الْمُفَكَّرُونَ حِينَ أَعْلَنُوا أَنَّ الْحَضَارَةَ
الْغَرْبِيَّةَ هِيَ نَهَايَةُ التَّارِيخِ؛ وَأَنَّ كُلَّ حَضَارَةٍ أُخْرَى عَلَيْهَا أَنْ تَكْتَبَ بِيَدِهَا
شَهَادَةَ وَفَاتِهَا»^(٢٤)؛ وَلَكِنَّ مَجْرَدَ هَزِيمَةِ الْمَارْكِسِيَّةِ لَدَى غِيَابِ النَّدِّ الْحَضَارِيِّ
الْمُعْتَبَرِ عَنِ دَائِرَةِ الْمُنَافَسَةِ التَّقْلِيدِيَّةِ، لَمْ يَكُنْ لِيَعْكَسَ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا نِصْفَ

(٢٤) خضير جعفر- نحن وفوكوياما ونهاية التاريخ - مجلة المجتمع الثقافي - بيروت -

عدد: ١٣١٣ - ربيع الآخر ١٤١٩ هـ - ص ٤٥.

مُعَادَلَةَ السُّقُوطِ المَارِكِسِيِّ أَوْ النُّهُوضِ الرَّأْسِيَّ اللَّيْبَرَالِيِّ... الأَمْرُ الَّذِي أَوْحَى بِبَعْضِ القَلْبِ إِزَاءَ تِلْكَ القُوَى الَّتِي تَتَدَاعَى خَلْفَ سِتَارِ الأَحْدَاثِ... مُحَاوَلَةً الإِفْصَاحِ عَنِ نَفْسِهَا، وَالإِعْلَانِ عَنِ وُجُودِهَا بِشَيْءٍ مِنَ الثَّقَةِ وَالجِدَارَةِ!... وَهُوَ جَعَلَ حَالَةَ الإِنْتِشَاءِ هَذِهِ لَمْ تَكُنْ بَاعِثًا عَلَى الإِطْمِئْنَانِ الرَّاسِخِ!، إِذْ سَرَعَانَ مَا تَبَدَّلَتْ بِنَوْعٍ مِنَ الوَحْشَةِ الإِسْتِرَاتِيجِيَّةِ، وَلا سِيَّما حِينَ بَدَتِ السَّاحَةُ الإِنْسَانِيَّةُ مُفْغِرَةً مِنَ الحِصْمِ اللَّدُودِ وَالعَدُوِّ الَّذِي يُجْرِكُ الحَوَافِ مِنْهُ وَالحَذَرُ حِيَالَهُ الإِحْسَاسَ العَرَبِيَّ الحَقِيقِيَّ بِمَعْنَى الحَيَاةِ وَبِقِيَمَةِ الوُجُودِ...!

حِينَئِذٍ، قُدِّرَ لِنِلكِ الحَالَةِ أَنْ تَحْتَلِطَ بِحَالَةٍ أُخْرَى مِنَ التَّكْرُسِ العَرَبِيِّ عَلَى امْتِدَادِ السَّاحَةِ الإِنْسَانِيَّةِ لِاضْطِيارِ ما يُشْبِعُ عَرِيزَتَهُ العُدْوَانِيَّةَ وَهَمَّهُ الشَّرَّه... ذَلِكَ الَّذِي بَاتَ - بَعْدَ انْهِيَارِ الشُّيُوعِيَّةِ - عَيْرِ ذِي طاقَةٍ بِالتَّحْكَمِ فِيهِ وَكِتْمَانِهِ أَوْ حَتَّى تَرْشِيدِهِ...! الأَمْرُ الَّذِي تَطَلَّبَ التَّرْوِيحَ وَالدَّعَايَةَ العَرَبِيَّةَ المُكثَّفَةَ لِفَلْسَفَةِ الصُّراعِ مِنْ خِلالِ الاسْتِنْفَازِ وَالإِثَارَةِ اللَّازِمَةِ لِتَهْيِيجِ الإِحْنِ العَقْدِيَّةِ وَالأَحْقَادِ الحِضَارِيَّةِ وَتَحْرِيكِ العَدَاوَاتِ بِذرائِعِ الحَوَافِ مِنَ الأَخْرِ الَّذِي قَدْ يَصْحَبُ مَعَهُ خَطَرُ المَوْتِ دائِماً، يَقُولُ المُفَكِّرُ الاسْتِرَاتِيجِيُّ « صاموئيل. ب هَنْتِينْجُتون » فِي مَقالَةٍ لَهُ : « إِنْ عَدَمَ التَّجَانُّسِ وَالاختِلافِ وَتَعَدَّدِ الثَّقافاتِ وَالاقتِسامِ إِلى أَجناسٍ وَأَعراقٍ.. قَدْ يَجْعَلُ الوِلايَاتِ المُتَّحِدَةَ تَحْتِاجَ رُبَّما أَكْثَرَ مِنْ بِلدانٍ أُخْرَى إِلى طَرَفِ آخَرَ

تُعَارِضُهُ، لِكَيْ تَحْتَفِظَ بِوَحْدَتِهَا»^(٢٥). وَلِذَلِكَ، يُوكِّدُ « هَنْتِينَجُون»،
وَبِصْرَاحَةٍ، أَنَّ الْحَاجَةَ الْآنَ: لَيْسَتْ فِي الْبَحْثِ عَنْ قُوَّةِ تَخْدُمِ الْإِعْرَاضِ الَّتِي
تَسْعَى إِلَيْهَا أَمْرِيكَا، وَلَيْسَتْ هُنَاكَ حَاجَةٌ لِلتَّوَازُنِ الْقَدِيمِ بَيْنَ الْقُدْرَاتِ
وَالْإِلْتِزَامَاتِ - كَمَا يَقُولُ « وَالتَّرْلِيَانِ»، إِنَّمَا الْحَاجَةُ الْآنَ مُحْصُورَةٌ فِي الْبَحْثِ
عَنْ مَصَارِفِ لِفَائِضِ الْقُوَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ الْمُتَوَفَّرَةِ الْآنَ لَدَى أَمْرِيكَا.

وَلَقَدْ كَانَ مِنَ الْأُمُورِ الْمَثِيرَةِ لِلتَّعَجِبِ وَالذَّهْشَةِ: أَنْ يَسْتَدْعَى
الْإِسْلَامَ قَسْرًا وَتَعَسُّفًا إِلَى سَاحَةِ الْأَحْدَاثِ، وَأَنْ تُثَارَ مِنْ حَوْلِهِ هَالَةٌ
مُتَكَاثِفَةٌ مِنَ التَّرْهِيْبِ وَالتَّخْوِيفِ وَالتَّفْزِيعِ وَالتَّرْوِيعِ!... وَذَلِكَ مِنْ
خِلَالِ اسْتِحْدَاثِ نَظَرِيَّةِ الْعَدُوِّ الْبَدِيلِ أَوْ الْخَطَرِ الْأَخْضَرِ الَّذِي حَلَّ مَحَلَّ
الشُّيُوعِيَّةِ الْحُمْرَاءِ - عَلَى حَدِّ قَوْلِ «وَيْلِ كِلَاس»^(٢٦) وَذَلِكَ قَبِيلٌ مُغَادَرَتِهِ
سَكْرَتَازِيَّةِ الْحَلْفِ بَعْدَ مَدَّةٍ خَيْرَةً تَقْلَبُ خِلَالَهَا فِي مَنَاصِبِ هَامَةٍ دَاخِلِ
الْحَلْفِ: إِنَّهُ « بِأَمْبَارِ الْإِتِّحَادِ السُّوفِيَّتِيِّ، وَأَنْحِلَالِ حَلْفِ وَارَسُو: لَمْ يَعِدْ
الشَّرْقُ مَصْدَرَ خَوْفٍ، بَلْ الْجَنُوبُ، لِأَنَّ الْإِسْلَامَ أَصْبَحَ يُمَثِّلُ الْيَوْمَ الْخَطَرَ
الرَّئِيسَ الَّذِي يُهْدِدُ الْعَرَبَ»^(٢٧).

(٢٥) نقلًا عن: عبد الكريم آل نجف - القومى والعالمى في حياة أوروبا الحديثة - مرجع

سابق - www.darislam.com/home/alfekr/data/feker8/14.htm

(*) أمين عام حلف شمال الأطلسي مطلع التسعينيات من القرن العشرين.

(٢٦) نقلًا عن: طه محمد كسبة - وهل يخاف الغرب حقاً من الإسلام؟ - مقال بجريدة

«العالم الإسلامي» السعودية - وما تحث يدي، هو قصاصة من الجريدة، وليس فيها رقم

العدد ولا التاريخ!

وَلَقَدْ كَانَتْ إِسْتِرَاطِيحِيَّةَ التَّعَامُلِ مَعَ مَا اعتَبِرَ حَظَرًا إِسْلَامِيًّا، تَتِمُّ بِصُورَةٍ نَفْعِيَّةٍ وَابْتِرَازِيَّةٍ خَبِيثَةٍ...؟! حَيْثُ تَلَحَّصَتْ فِي التَّحْرُكِ الْمَبْدِئِيِّ مِنْ خِلَالِ دَوْلِ شَمَالِ أَفْرِيقِيَا وَإِسْرَائِيلِ لِمُوَاجَهَةِ مَا يُسَمَّى بِ«تَأْثِيرِ الْأُصُولِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُسَبَّبِ لِعَدَمِ الْإِسْتِقْرَارِ». تِلْكَ الْإِسْتِرَاطِيحِيَّةُ الَّتِي تُعَدُّ جُزْءًا مِنْ إِسْتِرَاطِيحِيَّةِ شَامِلَةٍ لِمُوَاجَهَةِ الْإِسْلَامِ تَحْتَ سِتَارِ مُوَاجَهَةِ «الْإِرْهَابِ»^(*) الَّذِي اخْتَلَطَ ظَلْمًا بِمَفْهُومِ «الْأُصُولِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ»^(**). وَكَثِيرًا مَا لُوْحِظَ أَنَّ الْبَعْضَ قَدْ أَصْبَحَ يَرْبُطُ كَلِمَةَ «الْأُصُولِيَّةِ» وَيُفَسِّرُهَا عَلَى أَنَّهَا الْإِسْلَامُ، مِثْلَمَا فَعَلَ «وَيْلي كلاس»؛ وَأَنَّ الْبَعْضَ يُطْلِقُ مُسَمَّى «الْإِسْلَامِ» وَهُوَ يَقْصِدُ «الْأُصُولِيَّةَ الْمُفْتَرَنَةَ بِ«الْعُنْفِ» وَ«التَّطْرَفِ» وَ«الْإِرْهَابِ»^(***).

(❖) لَعَلَّ هَذَا مَا يُفَسِّرُ سَبَابَ تَعَكُّرِ الْأَجْوَاءِ وَبَثِّ الْفِتَنِ وَالْأَسَافِينَ بَيْنَ بَعْضِ حُكُومَاتِ بِلْدَانِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ وَمُؤَسَّسَاتِ الصَّحْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الرَّسْمِيَّةِ وَالشَّعْبِيَّةِ خِلَالِ تِلْكَ الْفِتْرَةِ بِخَاصَّةٍ...!

(❖❖) وَالْحَقِيقَةُ، أَنَّ الْأُصُولِيَّةَ وَفُقَ الْمَفْهُومِ الْغَرْبِيِّ: مُصْطَلَحٌ مِنَ الْمُصْطَلَحَاتِ الْمُعَاصِرَةِ الَّتِي شَاعَتْ فِي حَيَاتِنَا الْفِكْرِيَّةِ لِلإِشَارَةِ إِلَى أَعْيَادٍ سَلْبِيَّةٍ مِنَ الدَّلَالَةِ. وَالْمُصْطَلَحُ فِي هَذِهِ الْإِشَارَةِ السَّلْبِيَّةِ أَقْرَبُ إِلَى التَّرْجَمَةِ الَّتِي قُصِدَ بِهَا أَدَاءُ مَعْنَى الْكَلِمَةِ الْإِنْكِلِيزِيَّةِ Fundamentalism. وَهُوَ مَعْنَى لَا يَفَارِقُ دِلَالَةَ النُّعْصَبِ وَالتَّطْرَفِ وَالتَّقْلِيدِ وَالِإِتْبَاعِ وَالفَهْمِ الْجَامِدِ لِنُصُوصِ أَوْلَى... وَالنَّظْرَ إِلَى الْمَبَادِئِ الَّتِي صَاغَهَا السَّابِقُونَ بِوَضْعِهَا مَبَادِئَ مُطْلَقَةٍ، لَا يُمَكِّنُ الْخُرُوجَ عَلَيْهَا أَوْ تَعْدِيلَهَا أَوْ مُرَاجَعَتَهَا أَوْ وَضْعِهَا مَوْضِعَ الْمَسْأَلَةِ. وَمِنْ الْمُهْمِّ جِدًّا الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ هَذَا التَّعْرِيفَ مُجَافٍ تَمَامًا لِحَقِيقَةِ مَفْهُومِ الْأُصُولِيَّةِ فِي الْفِكْرِ الْإِسْلَامِيِّ.

(٢٧) فُؤَادُ عَبْدِ السَّلَامِ الْقَارِسِيِّ - الْحَقِيقَةُ وَالتَّجَنُّيُّ عَلَى الْإِسْلَامِ فِي إِعْلَانِ وَيْلي كَلَايسِ - مَقَالٌ بِجَرِيدَةِ الْحَيَاةِ اللَّتْدِيَّةِ - ١٨ / ٤ / ١٩٩٥ م. وَكَلَّغَ التَّابِعَ لِكِتَابَاتِ وَمَقُولَاتِ كُلِّ مَنْ الرِّئِيسُ الْأَمْرِيكِيُّ الْأَسْبِقُ «رِيْتَشَارْدُ نِيكْسُون»، وَرَتَّبَسَهُ وَرَأَاهُ بَرِيْطَانِيَا السَّابِقَةَ «مَارْجَرِيْتِ تَاتَشَر»، وَكَذَا «صَمُوِيلِ ب. هَنْتِنْجْتُون» أَسْتَاذُ الْعُلُومِ السِّيَاسِيَّةِ فِي جَامِعَةِ هَارْفَارْدِ وَعَبَرَهُمْ... يَلْمُسُ تِلْكَ الْمَعَالِمَاتِ الْفَاحِشَةَ...!

وَفِي إِثْرِ انْهِيَارِ الْإِتِّحَادِ السُّوفِيَّتِيِّ، أَلْحَتْ الْمَوْسَّسَاتُ الْعَرَبِيَّةُ وَالْمُنْظَمَاتُ
الْيَهُودِيَّةُ الدَّوْلِيَّةُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى مُوَاجَهَةِ خَطَرِ الْأُصُولِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، بِاعْتِبَارِهِ
الْعَدُوَّ الْفِعْلِيَّ الْمَقْبِلَ الَّذِي يُهْدِدُ حَضَارَةَ الْغَرْبِ، وَأَنَّ «إِسْرَائِيلَ هِيَ الدَّوْلَةُ
الْوَحِيدَةُ الَّتِي تَعْلَمُ عَنِ الْإِزْهَابِ الْإِسْلَامِيِّ مَا لَا يَعْلَمُهَا غَيْرُهَا، وَهِيَ الْأَقْدَرُ
عَلَى التَّعَامُلِ مَعَهُ، وَمُوَاجَهَتِهِ، وَتَأْمِينِ مَصَالِحِ امْرِيكَا فِيهِ»^(٢٨).

وَلَقَدْ بَدَأَ أَمْرُ الْمُدَاوَلَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الصَّهْبُونِيَّةِ غَامِضًا وَمُرِيبًا عِنْدَمَا تَحَوَّلَتْ
حَرَكَةُ الْعَلَاقَاتِ الدَّوْلِيَّةِ وَتَفَاعُلَاتُهَا مِنْ مُجَرَّدِ النَّظَرَةِ الْاِعْتِيَادِيَّةِ لِلْإِسْلَامِ
وَالْمُسْلِمِينَ، وَالْمَدْفُوعَةِ بِالْكَرَاهِيَّةِ وَالتَّحْقِيرِ وَالْاِزْدِرَاءِ وَالتَّعْرِيفِ وَالتَّهْوِينِ...
إِلَى حَالَةٍ خَوْفِيَّةٍ جَدِيدَةٍ نَسْبِيًّا مَمْزُوجَةٍ بِالتَّهْوِيلِ وَالتَّحْدِيرِ مِنْ وَهْمِ «الْحَطَرِ
الْإِسْلَامِيِّ...! وَذَلِكَ إِنَّمَا يَأْتِي» «اسْتِجَابَةً لِهَدَفِ اسْتِرَاتِيغِيٍّ هَامٍّ جِدًّا، هُوَ :
«إِعَادَةُ صِيَاغَةِ عِلَاقَاتِ الْهَيْمَنَةِ الدَّوْلِيَّةِ عَلَى أُسُسٍ تُعَوِّضُ ذَلِكَ الْفِرَاقَ النَّاشِئَ
عَنْ انْهِيَارِ الْإِتِّحَادِ السُّوفِيَّتِيِّ.. بِحَيْثُ تَنْشَأُ حَاجَةٌ جَدِيدَةٌ إِلَى عَدُوٍّ جَدِيدٍ يَهْرُبُ
لِلْغَرْبِ اسْتِمْرَارَ سِيَاسَاتِهِ الْعُدْوَانِيَّةِ.. وَتَبْقَى تَرْسَاتُهُ الْحَرْبِيَّةُ وَالْعَسْكَرِيَّةُ فِي
حَالَةٍ عَمَلٍ دَائِبٍ وَنَشَاطٍ وَاسْتِنْفَارٍ مُسْتَمِرٍّ»^(٢٩). وَلَقَدْ تَمَّ - وَفَقًا لِذَلِكَ : صَبُّ
الْحَالَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي قَوْلِ بَ مَشْطِطَةٍ مُخِيفَةٍ...! وَانْبَرَتْ الدَّعَايَةُ الْعَرَبِيَّةُ
تَقْصُّ عَلَى الْعَالَمِ مُغَامَرَاتِ ذَلِكَ الْعَفْرِيتِ الشَّرِّيرِ، وَأَخَذَتْ جَوْقَةَ الْحَوَاةِ

(٢٨) عاطف الغمري - أصحاب المصلحة في هذا الإرهاب - مقال بجريدة الأهرام المصرية -

٢٢/٤/١٩٩٣م - نقلًا عن: أحمد زين - هوليدو.. صهاينة يرسمون للأمريكان صورة

العرب!!- 2001/09/25 - www.islamonline.net

(٢٩) طه محمد كسبة - وهل يخاف الغرب حقًا من الإسلام ٩ - مرجع سابق - بتصرف.

الغشاشين من مُتَقَفِي الغَرَبِ وَالصَّهَابِيَّةِ فِي « العَرَفِ عَلَى وَتَرِ التَّخْوِيفِ
وَالترَّهيبِ لِخَلْقِ أَجْوَاءِ مُلَائِمَةِ لِتَبْرِيرِ أَيِّ سُلُوكٍ عُدْوَانِيٍّ يُمَكِّنُ أَنْ يُمَارِسَهُ
الغَرَبُ النَّصْرَانِيَّ الْعَالَمِيَّ! ضِدَّ الإِسْلَامِ وَشُعُوبِهِ حِينَ يَكُونُ ذَلِكَ مُنَاسِبًا
لمَصَالِحِ الغَرَبِ وَمَطْلُوبًا!«

وَلَعَلَّ مِنْ آخِرِ مَا يُرَوِّجُ لَهُ الْآنَ فِي أَلْمَانِيَا، كِتَابٌ يُبَاعُ فِي الْأَسْوَاقِ
بِسَعْرِ زَهِيدٍ، عُنْوَانُهُ «مُسَاعَدُو هِتْلَر»، حَيْثُ يَتَّهَمُ مُؤَلَّفُهُ الرَّسُولَ ﷺ
بِالْعُدَاءِ لِلْإِسْلَامِيَّةِ؛ وَيَزْعُمُ هَذَا الْمُخَرَّفُ أَنَّ «هِتْلَرَ» دَرَسَ التَّارِيخَ
الإِسْلَامِيَّ، وَاسْتَفَادَ مِنْ تَجْرِبَةِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ مَعَ الْيَهُودِ وَيَذَهَبُ الْكِتَابُ
إِلَى أَنَّ «عُلَمَاءَ مُسْلِمِينَ قَدْ سَاعَدُوا «هِتْلَرَ فِيمَا فَعَلَهُ فِي الْيَهُودِ!»، وَأَضَافَ
المُؤَلِّفُ أَنَّ «هِتْلَرَ كَانَ مُسْلِمًا»^(٣٠)!!.

وَفِي إِشَارَةٍ لِتِلْكَ النِّعْمَةِ الْأَصُولِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ، الَّتِي بَاتَتْ تَعْلُبُ عَلَى خَطَابَاتِ
السَّاسَةِ الغَرَبِيَّةِ وَالصَّهَابِيَّةِ بِشَكْلِ مُثِيرٍ... يَقُولُ «بِنْيَامِينَ نِتْنِيَاهُو»: «ظَلَّ الْعَالَمُ
الإِسْلَامِيَّ خَاصًّا تَمَامًا لِلغَرَبِ بِنُفُوذِهِ الإِسْتِعْمَارِيِّ وَالْحَضَارِيِّ.. وَالآنَ تَتَبَلَّوْرُ
صَحْوَةٌ إِسْلَامِيَّةٌ مُتَعَاظِمَةٌ لِقَلْبِ الْوَضْعِ بِاسْتِعَادَةِ تَفُوقِ الْأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ عَلَى
الغَرَبِ حَضَارِيًّا». وَيَدْعُو «نِتْنِيَاهُو» إِلَى صَرْبِ التَّنْظِيمَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي وَصَفَهَا
بِـ«الرَّادِيكَالِيَّةِ» دُونَ تَرُدُّدِ وَدُونَ رَحْمَةٍ فِي حَرْبٍ عَرَبِيَّةٍ شَامِلَةٍ طَوِيلَةَ الْمَدَى»^(٣١).

(٣٠) نَقْلًا عَنْ: صَحِيفَةَ الرَّائِدِ الْمُهَدَّبِيَّةِ - السَّنَةِ ٣٩ - الْعِدَدِ ٢٣ - ٥ صَفْرٍ ١٤١٩ هـ.

(٣١) أَحْمَدُ عَمْرَابِي - مَقَالٌ بِجَرِيدَةِ الْبَيَانِ الإِمَارَاتِيَّةِ - ٢٣/٩/٢٠٠١م - نَقْلًا عَنْ:

<http://www.aljazeera.net>

وَمِنَ الْمَهْمِ هُنَا الْقَوْلُ بِأَنَّهُ : لَمَّا كَانَتْ « الثَّقَافَةُ الصَّهْيُونِيَّةُ تَنْطَوِي عَلَى عُقْدَةِ الْقَلْبِ وَعَدَمِ الْأَمَانِ، جَرَاءِ الْإِحْسَاسِ بِالْجُورِ الَّذِي تَرْتَبُ عَلَى تَنْفِيدِ الْمَشْرُوعِ الصَّهْيُونِيِّ فِي أَرْضِ الْعَرَبِ، أَصْحَابِ الْبِلَادِ الْأَصْلِيِّينَ »^(٣١) ... فَإِنَّ وَسَائِلَ الدَّعَايَةِ وَأَدْوَاتِ التَّأْثِيرِ الصَّهْيُونِيَّةِ اسْتَطَاعَتْ - عَلَى صَعِيدِ آخَرَ : أَنْ تَزِيدَ مِنْ ضَعْفِ حَالَةِ الْخَوْفِ التَّارِيخِيِّ الْمُلَازِمَةِ لِلْمُجْتَمَعَاتِ الْغَرِيبَةِ، بَلْ وَاسْتَطَاعَتْ تَكْيِيفَهَا عَلَى النَّحْوِ الَّذِي يُحَقِّقُ أَفْصَى فَائِدَةٍ مُشْتَرَكَةٍ مِنْ هَذَا الْخَوْفِ! . وَيَخْلُصُ الْخُبْرَاءُ فِي هَذَا السِّيَاقِ إِلَى حَقِيقَةِ عَمَلِيَّةِ، تَفِيدُ بِأَنَّ «عَامِلَ التَّوَثُّرِ الْمُسْتَمَرِّ، الَّذِي يُعْطِي الْخَوْفَ مَسَاحَةً كَبِيرَةً فِي الثَّقَافَةِ الْإِسْرَائِيلِيَّةِ، هُوَ: عَامِلُ التَّوْحِيدِ الْأَسَاسِيِّ فِي هَذَا الْمُجْتَمَعِ»، ذَلِكَ بِأَنَّ الْمُجْتَمَعَ « يَبْقَى فِي حَالَةِ قَلْبٍ وَجُودِيٍّ!؛ فَالْأَيْدِيُولُوجِيَّةُ الصَّهْيُونِيَّةُ تَقُومُ عَلَى الْإِفْتِعَالِ، الَّذِي « اتَّخَذَ مِنَ الْمَقُولَاتِ الدِّيْنِيَّةِ الْمُوَدَّجَةِ قَوْمِيًّا وَسَيْلَةً لِحُذْبِ بَعْضِ الْفِئَاتِ الَّتِي تَدْعَمُ بَقَاءَ الْمُجْتَمَعَ الصَّهْيُونِيِّ مُتَمَيِّزًا؛ وَلَقَدْ تَحَوَّلَ ذَلِكَ الْإِفْتِعَالُ إِلَى « ثَقَافَةٍ دَاخِلِ الْمُجْتَمَعَ الصَّهْيُونِيِّ لَا يَبْرَأُ مِنْهَا أَيُّ طَرْفٍ!... ثَقَافَةٍ تَحْفِزُ بِاسْتِمْرَارٍ لِلْبَحْثِ عَنْ حَالَةِ اسْتِنْفَازِ، تَلِيهَا حَالَةُ اسْتِنْفَارِ عُدْوَانِيَّةِ، تَدَّعِي الدَّفَاعِ عَنِ النَّفْسِ »^(٣٢).

(٣٢) وليد أبو بكر في مُقَدِّمَتِهِ لِتَرْجَمَةِ كِتَابِ مِنْ إَعْدَادِ مَجْمُوعَةٍ مِنْ خُبْرَاءِ الصَّهْيَانِيَّةِ بِعُنْوَانِ : العُودَةُ إِلَى الصَّحْرَاءِ - تَرْجَمَةُ : مُحَمَّدُ حَمَزَةُ غَنَایِمِ - مَرْكَزُ أَوْغَارِيْتِ لِلنَّشْرِ وَالتَّرْجَمَةِ - الْقُدْسِ - ٢٠٠٤ - ص ٧.

(٣٣) وليد أبو بكر في مُقَدِّمَتِهِ لِتَرْجَمَةِ كِتَابِ مِنْ إَعْدَادِ مَجْمُوعَةٍ مِنْ خُبْرَاءِ الصَّهْيَانِيَّةِ بِعُنْوَانِ : العُودَةُ إِلَى الصَّحْرَاءِ - نُقْلًا عَنْ : الْمَرْجِعِ السَّابِقِ - ص ٧.

وَبَعْدَ مَسْرَحِيَّةِ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ أَيْلُول^(٥)، تُجْرِي الإِدَارَةُ الأَمْرِيكِيَّةُ الصَّهْيُونِيَّةُ - بِدَعْمِ غَالِبِيَّةِ مَجْلِسِي النُّوَابِ وَالشُّيُوخِ وَمُعْظَمِ المؤَسَّسَاتِ فِي حُدُودِ العَالَمِ العَرَبِيِّ تَقْرِيْبًا بِدَرَجَاتٍ مُتَفَاوِتَةٍ - حَمَلَاتٍ لِلتَّنْقِيْفِ السِّيَاسِيِّ المَوْجِهَ حَوْلَ فِلْسَفَةِ الحَرْبِ عَلى الإِرْهَابِ مِنْ خِلَالِ تَصْوِيرِ الإِسْلَامِ ذَاتِهِ كَدِيَانَةٍ وَثِقَافَةٍ وَحَضَارَةٍ مُصَدِّرُهَا مُشْتَمِلًا عَلى العُنْفِ وَالإِرْهَابِ وَشَعَائِرِ الكِرَاهِيَةِ...؟! فَبِمُنَاسَبَةِ الذِّكْرَى الأُولَى لِتَفْجِيرَاتِ سِبْتَمْبَرِ ٢٠٠١م، أْبَدَتِ الحُكُومَةُ الأَمْرِيكِيَّةُ حِرْصًا مِنْ خِلَالِ قَنَوَاتِهَا عَلى بَثِّ لَقَطَاتٍ تَشْهِيْرِيَّةٍ تُفِيدُ بِأَنَّ «حُرِيَّةَ المَسِيحِيِّينَ مُهَدَدَةٌ حَتَّى فِي أَمْرِيكَا ذَاتِهَا مِنْ قَبْلِ مُتَطَرِّفِيْنَ مُسْلِمِيْنَ»!.

(♦) لِتِلْكَ المَسْرَحِيَّةِ قِصَّةٌ طَوِيلَةٌ لَآ مَجَالٌ هُنَا لِذِكْرِهَا، وَلَكِنُّ النَاقِدَ البَصِيرَ يُدْرِكُ الخَدِيْعَةَ كَمَا وَنوعًا بِالنَّظَرِ إِلَى تَأثيرِ الإِرْهَابِ الإِعْلَامِي الوَاسِعِ وَالنَاشِطِ بِاسْمِ مُحَارَبَةِ الإِرْهَابِ، وَالَّذِي يَهْدَفُ إِلَى تَعطِيلِ أَوْ التَأثيرِ عَلى . تَعقِلِ الأُمُورَ، وَمِنْ ثَم: الاندِفَاعُ خَلْفَ عَاطِفَةِ غُوغَائِيَّةٍ غَيْرِ مُتَزَنَةٍ وَقَائِمَةٍ عَلى حِجَابِ الحَقَائِقِ لِتَصَبِّ فِي تَحْقِيقِ أَهْدَافِ مَعْدَةِ سَلْفًا... وَنَحْنُ حِينَ نَقُومُ بِذَلِكَ، لَا نَقُومُ بِهِ مِنْ مُنْطَلَقِ عَاطِفَةِ الدِفَاعِ عَنِ إِسْلَامِيِّينَ بِحَقِّ أَوْ بِبَاطِلٍ بِقَدْرِ مَا نَقُومُ بِهِ بِحُتًا عَنِ حَقِيقَةِ قَدْ تَغْيِبِ وَسَطِ التِرَاشِقِ الإِعْلَامِي وَالأَعْيَابِ السِّيَاسِيَّةِ. فَإِنَّ أَيْ مُنْصِفٍ وَمُتَابِعٍ لِالأَحْدَاثِ وَتَسْرِيْبَاتِ وَسَائِلِ الإِعْلَامِ الَّتِي جَاءَتْ عَلى شَكْلِ سَيْلِ مِنَ الأَخْبَارِ وَالمَعْلُومَاتِ: يُدْرِكُ أَنَّ الغُمُوضَ يَكْتَتِفُ كَثِيرًا مِنْ جَوَانِبِ هَذِهِ الحَوَادِثِ، وَيُدْرِكُ أَيْضًا أَنَّ لَانْحَةَ الأَشْتِبَاهِ وَالأَدْلَةَ الَّتِي قُدِّمَتْ عَلى تَوَرُّطِ الجِهَةِ الَّتِي حَدَدَتْهَا السُّلْطَاطُ الأَمْرِيكِيَّةِ.. إِنَّمَا هِيَ أَدْلَةٌ . مِنَ النَاحِيَةِ القَضَائِيَّةِ العَدْلِيَّةِ . مِنَ الدَّرَجَةِ الثَالِثَةِ يَسْتَطِيعُ أَيُّ مُحَامٍ تَحْتَ التَدْرِيبِ أَنْ يَفْهَمَهَا بِسَهولَةٍ؛ فَهِيَ فِي حَقِيقَتِهَا لَيْسَتْ أَدْلَةٌ لِلإِبْثَاتِ بِقَدْرِ مَا هِيَ أَدْلَةٌ لِلإِقْتِنَاعِ.. إِقْنَاعِ الرَّأْيِ العَامِ الأَمْرِيكِي أَوَّلًا، وَالعَالَمِي ثَانِيًا.. بِخَطَرِ الإِسْلَامِ (الأَصُولِي) عَلى المَدِينَةِ وَالحَضَارَةِ (لِمَزِيْرٍ مِنَ المَعْلُومَاتِ.) حَوْلَ قِصَّةِ الحَادِي عَشَرَ مِنْ سِبْتَمْبَرِ - رَاجِعْ عَلى سَبِيْلِ المِثَالِ : خَالِدٌ مُحَمَّدٌ حَامِدٌ - الإِسْلَامُ فُوبِيَا وَالعَدَالَةُ الأَمْرِيكِيَّةُ -

http://islamselect.com/conts/new1/6_1425/21_30/3506.htm

عِنْدَ هَذِهِ الصُّورَةِ الخُوفِيَّةِ الاخْتِرَالِيَّةِ المَغْلُوطَةِ، أُخِذَتِ التَّدَابِيرُ المَلَائِمَةُ لِاسْتِيْلَادِ ذَلِكَ الخَطَرِ الجَدِيدِ القَدِيمِ، وَبِمُرُورِ الوَقْتِ أَصْبَحَ الخُوفُ مِنَ الإِسْلَامِ لَازِمَةً يَوْمِيَّةً، وَفَرْضِيَّةً مَقْبُولَةً فِي الأَوْسَاطِ العَرَبِيَّةِ، بَيِّنَةٌ أَنَّ فِكْرَةَ الخُوفِ هَذِهِ لَمْ تُوَلَدْ مِنْ عَدَمٍ، وَلَمْ تَأْتِ مِنْ فِرَاقٍ؛ فَقدَ بَدَأَ التَّحذِيرُ بِصُورَةٍ مُنْتَزِمَةٍ فِي الأَوْسَاطِ السِّيَاسِيَّةِ وَالإِعْلَامِيَّةِ العَرَبِيَّةِ... مُنْذُ بَدَتْ مُخْلَقٌ فِي آفَاقِ هَذَا الكَوْنِ بِشَائِرِ تَيَّارَاتِ الصَّحْوَةِ الإِسْلَامِيَّةِ مُنْذُ مَطَّلَعَ السَّبْعِينِيَّاتِ مِنَ القَرْنِ العَشرِينَ، وَأَصْبَحَتْ مَحَلَّ دِرَاسَةٍ مُؤَسَّسَاتٍ وَمَرَاكِرَ بَحْثِيَّةٍ وَمَرَايِدَ عَالِمِيَّةٍ وَإِقْلِيمِيَّةٍ... بَلْ أَصْبَحَتْ وَجِبَةً شَهِيَّةً عَلَى مَائِدَةِ العَلَاقَاتِ الدَّوْلِيَّةِ!

عَوْدٌ عَلَى بَدءِ :

إِنَّ « العَرَبَ مَهْمَا بَلَغَ مِنَ القُوَّةِ وَالجَبْرُوتِ، سَتَبَقِيَ عَقْدَةُ الخُوفِ مُسَيِّطِرَةً عَلَيْهِ لِتَبْرِيرِ سُلُوكِيَّاتِ التَّوَتُّرِ وَالعُنْفِ وَالخُرُوبِ بِذَرِيْعَةٍ مُلَاحِقَةٍ الأَعْدَاءِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ...! وَمَهْمَا فَعَلَ العَرَبُ وَتَجَبَّرَ وَاحْتَكَرَ مَصَادِرَ رِزْقِ الشُّعُوبِ، فَإِنَّهُ سَيَبْقَى كَيَانًا خَائِفًا وَمُخِيفًا...! خَائِفًا لِأَنَّ عَقْدَةَ الذَّنْبِ » حَتَّى لَوْ لَمْ يَعْتَرِفْ بِوُجُودِهَا، فَإِنَّهَا تُلَاحِقُهُ وَتُسَيِّطِرُ عَلَيْهِ وَتَسُدُّ أَمَامَهُ طُرُقَ الانْفِتَاحِ وَالتَّفَاهُمِ وَالتَّعَاطِي مَعَ الآخِرِ وَكَسْبِ ثِقَتِهِ...! أَمَّا فَالآخِرُ فَقدَ يَخَافُ العَرَبَ، بَيِّنَةٌ أَنَّهُ لَا يَخْتَرِمُهُ مَهْمَا تَشَدَّقَ بِالدِّيْمُوقْرَاطِيَّةِ وَحُقُوقِ الإِنْسَانِ وَنَشَرَ مَبَادِيءَ العَدَالَةِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنْ سَخْفٍ وَهَرَاءٍ وَافْتِرَاءٍ»^(٣٤).

(٣٤) وليد نويهض- تبديل الأفتعة- مقال بمجلة الوسط اللندنية - ٢٠٠٤/٦/٣٠م - بتصرف.

وفي الواقع، أننا إذا نظرنا إلى المُجْتَمَعِ العَرَبِيِّ، وَجَدناه يَنْقَسِمُ نَحْوَ قَصِيَّةِ «الإِسْلَامِ فُؤُبِيًّا» إلى فَرِيقَيْنِ، الأوَّلُ: مُؤَسَّساتُ اسْتِراتِيجِيَّةِ تَحْصُرِ لـ «الإِسْلَامِ فُؤُبِيًّا» وَتَنْتِجُهْهُ وَتُسَوِّقُهْ...! وَالفَرِيقُ الثَّانِي: يَسْتَهْلِكُ «الإِسْلَامَ فُؤُبِيًّا» فَيَسْتَهْلِكُهْ «الإِسْلَامَ فُؤُبِيًّا»...! بِحَيْثُ تَحْصُلُ حَالَةٌ مِنَ التَّكْيِيفِ وَالتَّعَايُشِ مَعَ هَذَا المَرَضِ الحَبِيثِ وَهَكَذَا يَبْدُو لَنَا أَنَّ العَرَبَ أُمَّةٌ تَعْرِفُ كَيْفَ تَعِيشُ رُعبًا مَنَهْجِيًّا مُنْتَظَمًا يَمْنَحُهَا الأَمْنَ وَالسُّلْطَةَ وَالسِّيَادَةَ وَالثَّرَوَةَ...!

وَهَكَذَا، فَإِنَّ الخَوْفَ مِنَ الإِسْلَامِ لَيْسَ تَرْتِيبًا عَرَبِيًّا مُبْنِيًّا عَلَى فُرُوضِ تَارِيخِيَّةٍ وَهَمِيَّةٍ فَحَسْبُ، وَلَيْسَ حَتَّى «تَكْنِيكًا» مَرَحَلِيًّا كَرَدِّ فِعْلٍ لِأَزْمَةٍ سِياسِيَّةٍ أَوْ اِفْتِصَادِيَّةٍ أَوْ اجْتِمَاعِيَّةٍ أَوْ أُيْذِيُولُوجِيَّةٍ سِوَاءَ مَعَ العَالَمِ الإِسْلَامِيِّ أَوْ غَيْرِهِ أَوْ حَتَّى دَاخِلِ المُجْتَمَعِ العَرَبِيِّ ذَاتِهِ... بِقَدْرِ مَا هُوَ عَرَضٌ مَرَضِيٌّ حَبِيثٌ.. قَدْ شَاءَ اللهُ ﷻ أَنْ يَطْفَحَ بِهَذِهِ الصُّورَةِ الصَّارِخَةِ فِي سِيَاقِ إِزْهَاصَاتِ التَّدَاعِيِ الحَضَارِيِّ العَرَبِيِّ وَالإِسْلَامِيِّ المُعَاصِرِ...! فَكَانَ الجُؤُ مُنَاسِبًا لِذَلِكَ سَحْنَةً هَذَا الشُّعُورِ الخَوَافِيِّ نَحْوَ الإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ بِكُلِّ قُوَّةٍ!... وَلَكِنَّ هَذِهِ الحَقَائِقَ لَمْ تَمْنَعْ مِنْ تَوَافُرِ جُمْلَةٍ مِنَ الأَسْبَابِ المُؤْصِغَةِ الَّتِي كَرَّسَتْ مِنْ تِلْكَ الحَالَةِ المَرَضِيَّةِ العَرَبِيَّةِ...! نَذَكُرُهَا تَالِيًا بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى!.

* * *

أبيض

الفصل الثَّاني

التَّخْوِيفُ الْغَرْبِيُّ مِنَ الْإِسْلَامِ

مَحَاوِر... وَتَرْتِيبَات

فِي الْغَرْبِ الْقَدِيمِ كَانَ كَافِيًا أَنْ يُخْتَلِطَ بِالْخَوْفِ وَالتَّوَجُّسِ قَلِيلٌ مِنَ الْغَيْرَةِ وَالْحَقْدِ وَالْحَسَدِ... لِتَخْلِيقِ مُعْطَبَاتِ الصَّرَاعِ مَعَ الْآخِرِ الْمُخِيفِ دَفْعًا لِيَصْرَرَ وَاقِعٌ أَوْ دَرْءًا لِحِطْرٍ مُتَوَقَّعٍ!... فِي الْفِكْرِ الْغَرْبِيِّ يُمَثَّلُ « الْخَوْفُ الْمُتَبَادُلُ - الَّذِي هُوَ السَّمَّةُ الْمُمَيَّزَةُ لِحَالَةِ الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ: الْوَسِيلَةُ الَّتِي تَدْفَعُ النَّاسَ لِتَلَا فِي هَذِهِ الْحَالَةِ »⁽³⁵⁾؛ وَمِنْ ثَمَّ، إِذَا « شَاعَ الْحَذَرُ بَيْنَ جَانِبَيْنِ فَيُودِّي بَيْنَ الْأَوْتَةِ وَالْآخَرَى إِلَى انْدِلَاعِ الْحَرْبِ بَيْنَهُمَا »⁽³⁶⁾؛ وَمِمَّا يَنْبَغِي الْأَيْسَ فِي هَذَا السِّيَاقِ أَنَّ فِلْسَفَةَ الصَّرَاعِ الَّتِي سَبَّهَا فَلَا سِفَةَ الْغَرْبِ وَمُفَكَّرُوهُ مُنْذُ الْعُصُورِ الْقَدِيمَةِ... تِلْكَ الْفِلْسَفَةُ لَمْ تَزَلْ تُلْقَى بِظِلَالِهَا عَلَى كُلِّ جِبِلٍّ وَرَعِيْلٍ غَرْبِيٍّ مُنْذُئذٍ: كَانَتْ قَائِمَةً عَلَى الْخَوْفِ وَالْحَيْطَةِ وَالْحَذَرِ مِنَ الْآخِرِ بِصُورَةٍ مُلْفِتَةٍ وَمُبَالِغٍ فِيهَا!...

وَلَعَلَّنَا مِنْ مُجَرَّدِ اسْتِقْرَاءِ الْوَاقِعِ الْعَالَمِيِّ... نُذْرِكُ كَيْفَ تَمَّتْ مَسْرَحَةُ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ وَإِخْرَاجُهَا إِعْلَامِيًّا وَفَنِيًّا وَسِيَاسِيًّا وَاقْتِصَادِيًّا وَعَسْكَرِيًّا... وَذَلِكَ مِنْ

35) Leo Strauss : The Political Philosophy of Hobbes p 104 Eng. Trans.by Elsa, M. Sinclair.

(36) س. م. بُورَا - النَّجْرِيَّةُ الْيُونَانِيَّةُ - تَرْجَمَةُ: أَحْمَدُ سَلَامَةُ مُحَمَّدُ السَّيِّدُ - الْهَيْئَةُ الْمَصْرِيَّةُ الْعَامَّةُ لِلْكِتَابِ - الْقَاهِرَةُ - 1989م - سَلْسَلَةُ الْأَلْفَبِ كِتَابِ الثَّانِي (67) - ص 277.

خِلالِ أَدْوَارٍ مُورَّعَةٍ بِشَكْلِ لَا يَدْعُ مَجَالاً لِوُجُودِ هَذَا الْآخِرِ، سِوَاءَ عَلى
مَسْرَحِ الْأَحْدَاثِ أَوْ فِي وَعْيِ وَإِدْرَاكِ الْجَمَاهِيرِ إِلى بَصُورَةٍ سَلْبِيَّةٍ.. تَحْدُمُ صَانِعَ
الْقَرَارِ «المُخْرَجِ» الْعَرَبِيِّ الَّذِي لَا تُحَرِّكُهُ سِوَى الْمَصْلَحَةِ، الْمَصْلَحَةُ وَحَسْبُ!!
وَهَذَا بِدَوْرِهِ قَدْ يَدْفَعُ بِصَانِعِ الْقَرَارِ الْعَرَبِيِّ إِلى الْاعْتِمَادِ فِي السِّيَاقِ الْعَامِّ
لِسُلُوكِهِ الْحَضَارِيِّ عَلى مَبْدَأِ اَزْدِوَاغِيَّةِ الْمَعَايِرِ وَقَلْبِ الْمَوَازِينِ وَتَبْدِيلِ
الْمَقَاسَاتِ.. وَهَنْدَسَةِ التُّهَمِ وَالْمَشْكِلاتِ...!

وَلَقَدْ أَصْبَحَتْ تَرْتِيبَاتُ الْأَجْنَدَةِ الْعَرَبِيَّةِ مُبْنِيَّةً عَلى أَفْتِرَاضَاتٍ صِنَاعَةِ
الْوَهْمِ وَصِيَاغَةِ الْخَوْفِ بِصُورَةٍ مَرَضِيَّةٍ فَرِيدَةٍ!... وَلَقَدْ كَانَ لِأَبَدٍ لِمِثْلِ هَذِهِ
الْحَالَةِ النَّفْسِيَّةِ مِنْ تَبْرِيرٍ يَحْفَظُ لِمُتَمَثِّلِ الْخَوْفِ ذَاتَهُ مِنَ السُّقُوطِ، وَيَدْفَعُهُ دَفْعًا
لِلْمُوَاجَهَةِ تَأْمِينًا لِلذَّاتِ مِنَ الْخَوْفِ وَالْحَطَرِ... حَتَّى لَقَدْ أَصْبَحَتْ
الدُّبُلُومَاسِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ مَعَ الْخَارِجِ مُرَادِفَةً نَسْبِيًّا لِتَحْرِيرِ الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ مِنَ الْخُوفِ
الْإِسْلَامِيِّ «القَاعِدِيِّ»!.. وَالَّذِي بِسَبَبِهِ: يُمَكِّنُ مَجَاوِزَ آيَةِ اِعْتِبَارَاتِ قَانُونِيَّةٍ أَوْ
أَخْلَاقِيَّةٍ أَوْ إِنْسَانِيَّةٍ!... حَيْثُ كَانَتْ الْحَرْبُ صِدًّا الْمُسْلِمِينَ تَصَوُّرًا فِي الْمُخَيَّلَةِ
الْعَرَبِيَّةِ وَكَأَنَّهَا حَرْبٌ « صِدِّ الظَّلَامِ قَصْدَ إِشَاعَةِ الْأَنْوَارِ »⁽³⁷⁾!. وَالْحَقِيقَةُ، أَنَّ
صِيَاغَةَ مُسَلْسَلِ الصَّرَاعِ فِي الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ وَفَقَّ التَّمُودِجِ الذَّرَائِعِيِّ، تَدْعُمُ تِلْكَ
الْقِنَاعَاتِ الْفَاطِعَةَ بِوُجُودِ قُوَى فِكْرِيَّةٍ فَاعِلَةٍ تَنْفُخُ فِي نِيرَانِ الْفِتْنَةِ عَلى أَوْسَعِ
نِطَاقٍ مِنَ الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ!...

37) W. Montgomery Watt , L'influence de l'islam sur l'Europe medievale , Ed.
Librairie orientaliste Paul Genthner, 1974, Paris .p. 97.

وَبِصْفَةٍ عَامَّةٍ، اعْتَادَ الْمُفَكِّرُونَ السِّيَاسِيُّونَ فِي الْعَرَبِ دَقَّ نَاقُوسِ الْخَطَرِ
«كُلَّمَا اَزْدَادَتْ مَخَاوِفُهُمْ مِنْ مَجْرَدِ بَرُوحِ قُوَى جَدِيدَةٍ تُنَافِسُهَا، لِيُبَرِّرُوا لِأَنْفُسِهِمْ
وَشُعُوبِهِمْ أَعْمَالًا تَتَنَاقَى مَعَ الْمُعْلَنِينَ مِنْ مَنْظُومَةِ أَخْلَاقِيَّاتٍ وَقِيَمِ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ
نَفْسِهِ»^(٣٨). لَكِنَّ فَيْلَسُوفَ الْحَرْبِ الْأَكْبَرَ «جورج كينان» يَسْتَبْطِنُ أَحَدَ
مُرْتَكَزَاتِ تِلْكَ الْمَنْظُومَةِ فَيَقُولُ: «لَنْ يَكُونَ بَعِيدًا ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي نَضْطَرُّ فِيهِ
لِلتَّعَامُلِ بِمَنْطِقِ الْقُوَّةِ بَعِيدًا عَنِ رَفْعِ الشُّعَارَاتِ...»؛ إِنَّ مِثْلَ هَذَا التَّفَكِيرِ: هُوَ
الَّذِي يَجْعَلُ أَمْرِيكََا تَحْوِضَ حُرُوبًا اسْتِيقَافِيَّةً وَهَجُومَاتٍ وَقَائِيَّةً أَوْ إِجْهَازِيَّةً فِي
أَيِّ مَكَانٍ فِي الْعَالَمِ تَعْتَقِدُ أَنَّهُ قَدْ يُسْكَكُ مَوْتَلًا أَوْ مَجْبَأً أَوْ مَرًّا لِحَطَرٍ مَا رُبَّمَا
يَسْتَهْدَفُ الْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةَ»^(٣٩).

فَحَيْثُمَا لَاحَ وَهَمُّ الْخَوْفِ الْمُسْتَحْكِمِ مِمَّا يَعْتَبِرُهُ الْغَرْبُ «تَهْدِيدَاتٍ
إِرْهَابِيَّةً» فَإِنَّهُ «يُؤَدِّي إِلَى تَحْوِيلِ عَمِيقٍ فِي السِّيَاسَةِ الْخَارِجِيَّةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ
وَتَرْتِيبَاتِهَا الْعَسْكَرِيَّةِ...»^(٤٠). وَلَعَلَّنَا نُلَاحِظُ أَنَّ دَوْلَ حِلْفِ النَّاتُو مُنْذُ مُتْتَصِفِ
التَّسْعِينِيَّاتِ مِنَ الْقَرْنِ الْمَاضِي، وَهِيَ تُقِيمُ فَعَالِيَّاتِهَا السِّيَاسِيَّةِ وَنَشَاطَاتِهَا
الإِسْتِرَاطِيَجِيَّةِ وَسَطَ أَجْوَاءٍ غَالِبًا مَا تَصِفُهَا بِـ «إِجْرَاءَاتٍ أَمْنِيَّةٍ اسْتِثْنَائِيَّةٍ»، وَقَدْ

(٣٨) انظر نشرة «المنتدى» - عمان - كانون الأول ١٩٩٣ - ص ١٣. نقلًا عن:
www.alwelayah.net/maktabah/book/khomaini/003/2.htm

(٣٩) بسام العلي - الهمنة تحت المجر - نقلًا عن:

www.rassid.com/newsite/?action=showMaqal&mid=1919 - ٢٠٠٥/٢/١٢

(٤٠) والدن بللو - العسكرة والحرب .. هل تنفصم عرى حلف الاطلنطي؟ - ترجمة: احمد

زكى - نقلًا عن: www.kefaya.org/znet/020915Bello.htm - سبتمبر ٢٠٠٢ -

بتصرفٍ يسيرٍ جدًا.

بُحِثَتْ جملَةٌ مِنَ الْقَضَايَا السَّاحِخَةِ فِي إِطَارِ مَا تَدْعِيهِ مِنْ مَخَافٍ مُسَيِّطِرَةٍ عَلَيْهَا...؟! وَيُرَجَّحُ أَنْ تَكُونَ مَخَافُفٌ هَذِهِ الدَّوَلِ نَفْسِيَّةً مُحْضَةً - كَتَعْبِيرٍ عَنِ عُقْدَةِ الْمُجْرِمِ الَّذِي ارْتَكَبَ جَرِيمَتَهُ وَيُرِيدُ تَغْطِيطَهَا، وَيَشْعُرُ دَائِمًا أَنَّ الْكُلَّ يَعْرِفُ وَيَعْلَمُ الْجَرِيمَةَ وَفَاعِلَهَا، وَيَنْتَظِرُ اللَّحْظَةَ الْمُنَاسِبَةَ لِالِقَاءِ الْقَبْضِ عَلَيْهِ وَمُحَاكَمَتِهِ...! كَمَا يُلَاحِظُ أَنَّ الدَّوَلِ الْأَطْلَسِيَّةَ لَيْسَتْ بَعِيدَةً - فِي سُلُوكِهَا السِّيَاسِيِّ الْخَارِجِيِّ - عَنِ حَالَةِ الاضْطْرَابِ الدَّاخِلِيِّ وَالْقَلَقِ الدَّائِمِ وَالتَّوَتُّرِ الْمَشْحُونِ بِمَشَاعِرِ الْحَسَاسِيَّةِ الْحَبِيبَةِ الَّتِي يُبْدِيهَا ذَلِكَ الْمُجْرِمُ تَجَاهَ ضَحِيَّتِهِ بِكُلِّ الْوَسَائِلِ.... فَالتَّصَرُّفَاتُ مُتَشَابِهَةٌ لِأَنَّ الْأَسْبَابَ مُتَشَابِهَةٌ!...

وَلَيْسَ بِخَافٍ أَنْ غَايَةٌ مَا يُمَكِّنُ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَيْهِ عَقِيدَةُ الْخَوْفِ : هُوَ سُنُّ الْحَرْبِ، وَإِشْعَالِ فِتِيلِ الصَّرَاعَاتِ، وَمُمَارَسَةِ الْإِبْتِزَازِ الْحَضَارِيِّ بِحَقِّ الْآخَرِ الْحَضَارِيِّ غَيْرِ الْعَرَبِيِّ!... حَيْثُ إِنَّ الْإِنْسَانَ حِينَ يُرِيدُ الْحَرْبَ، فَإِنَّ ذِكَاةَ الْمُعَاقِ وَمَكْرَهُ السَّيِّئِ وَمَنْطِقَ الْحَوَاةِ يَتَطَلَّبُ الْحِرْصَ عَلَى التَّظَاهُرِ بِالسَّلَامِ لِبَعْضِ الْوَقْتِ! ثُمَّ الشَّرُوعُ فِي التَّعْرِيفِ بِالْحُصْمِ وَاسْتِنْفَازِهِ وَاسْتِدْرَاجِهِ لِمَنْطِقَةِ الْخَطَا... ثُمَّ يَبْدَأُ بِلَمَزِهِ بِأَنَّهُ لَيْسَ مُجِبًّا لِّلْسَّلَامِ أَوْ حَرِيصًا عَلَيْهِ!.. وَلَا يُبْدِي أَيَّ تَفْهَمٍ لِلْحَوَارِ وَالتَّعَايُشِ ضِمْنَ أَكْذُوبَةٍ مَا يُسَمَّى بِ« الْمُجْتَمَعِ الدَّوَلِيِّ »! (*) وَهَذِهِ هِيَ بِالْحَرْبِ الدَّعَائِيَّةِ، الَّتِي قَدْ تَنْتَهِي عَمَلِيًّا إِمَّا بِسُوءِيَّةٍ مُجْجِفَةٍ مُفْخَخَةٍ فَتَنْتَهِي بِحَرْبٍ، وَإِمَّا بِحَرْبٍ اسْتِبَاقِيَّةٍ وَقَائِيَّةٍ بِرُغْمِ خَشْيَةِ

(*) وَهَذَا مَا حَدَّثَ مَعَ الْعِرَاقِ، وَمَا يُرْتَبِّبُ الْآنَ مَعَ السُّودَانِ وَالصُّومَالِ وَإِيرَانَ وَسُورِيَّةَ...!

«الْعَدْرِ» وَخَافَةَ «الْعُدْوَانَ الْمُبَاغِتَ» مِنَ الْآخِرِ غَيْرِ الْمَعْلُومِ عَلَى وَجْهِ الْيَقِينِ،
وَالَّذِي غَالِبًا مَا يَكُونُ عَرَبِيًّا أَوْ مُسْلِمًا!.

وَعَلَى صَعِيدِ آخَرَ، تَتَعَرَّضُ الْمُجْتَمَعَاتُ الْعَرَبِيَّةُ لِاجْتِيَاهَاتِ تِيَارَاتِ
مُتَضَارِبَةٍ.. « تُوَدِي بِهَا عَنْ وَعْيٍ أَوْ عَنْ غَيْرِ وَعْيٍ إِلَى تَصْدِيقِ تَحْلِيلَاتِ
مَشْكُوكٍ فِيهَا أَحْيَانًا حَوْلَ الْهَجْرَةِ بِصِفَةِ عَامَّةٍ، وَحَوْلَ السُّكَّانِ ذَوِي الثَّقَافَةِ
الْمُسْلِمَةِ بِصِفَةِ خَاصَّةٍ. وَتَمِيلُ مَقَاصِدُ بَحْثِهِمْ نَحْوَ الْهَاجِسِ الْأَمْنِيِّ، وَبَدَلًا
مِنْ تَرْشِيدِ الْأَنْفِعَالَاتِ الشَّعْبِيَّةِ وَتَصْوِيْبِهَا يُسَارِعُونَ إِلَى بِنَائِهَا وَتَوْجِيْهِهَا»^(٤١).

وَفِي سِيَاقِ الْإِعْتِقَادِ السَّائِدِ لَدَى فَلَاسِفَةِ الْغَرْبِ الْمَعَاصِرِينَ، وَمَا تَرَفَّدَهُ
مَقُولَاتُهُمْ مِنْ أَنَّ: تَقَدَّمَ أَوْ صَعُودَ إِحْدَى الْحَضَارَتَيْنِ - الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ،
إِنَّهَا هُوَ مَشْرُوطٌ بِتَرَاجُعِ الْأُخْرَى أَوْ سُقُوطِهَا وَإِزَالَتِهَا...! وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ
خَطَأِ الْمُعْطَيَاتِ الْمَعْلُومَاتِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ حِينَ تَحْتَزِلُ كُلُّ مَا لَدَيْهَا عَنِ الْإِسْلَامِ مِنْ
أَفْكَارٍ وَمَعَارِفٍ فِي سُلُوكِ بَعْضِ الْمُنْحَرِفِينَ مِنَ الْمُتَسَبِّبِينَ إِلَيْهِ، فَإِنَّهَا تَسْتَعْدِمُ
كَافَّةَ الْوَسَائِلِ لِلنَّبِيلِ مِنَ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ابْتِدَاءً، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ صِيَاغَةِ كُلِّ مَا
هُوَ إِسْلَامِيٌّ عَبْرَ الْمَقَالَاتِ وَالْدِّرَاسَاتِ وَالْأَبْحَاثِ وَالتَّحْقِيقَاتِ الصَّحْفِيَّةِ
صِيَاغَةً كُلِّهَا أَنْفِعَالٍ يَطْفَحُ بِالْحَقْدِ وَالْكَرَاهِيَّةِ الشَّدِيدَةِ...! وَمُرُورًا بِالْحَمَلَاتِ
الْإِعْلَامِيَّةِ الْمُغْرِضَةِ كُلَّمَا جَدَّتْ بَعْضُ الظُّوَاهِرِ وَالْحَوَادِثِ الَّتِي تَجْرِي فِي إِطَارِ

(٤١) فانسن جيسير - الإسلاموفوبيا الجديدة - مرجع سابق - نقلًا عن :

www.almostaqbal.com/Mostaqbale153/Reporter/rep2.htm

ما يُمارسه بَعْضُ مِنَ الْمُتَسَبِّينِ إِلَى الْإِسْلَامِ...! وَأَنْتِهَاءً بِالتَّشْوِيهِ الْمُنْظَمِ عَبْرَ
مُؤَسَّسَاتِ الْإِنْتِاجِ الْإِعْلَامِيِّ وَالسِّيْنَائِيِّ الْعَالَمِيَّةِ!

وَالْمُلَاحَظَةُ، أَنَّ هُنَاكَ إِضْرَارًا عَجِيبًا- مِنْ جَانِبِ غَالِبِيَّةِ السَّاسَةِ
وَالْمُفَكِّرِينَ وَالْكَتَّابِ وَالصُّحُفِيِّينَ وَرِجَالِ الْكِنَيْسَةِ... عَلَى تَعْمِيقِ الْقَنَاعَاتِ
الْغَرَبِيَّةِ بِأَنَّ الْإِسْلَامَ دِينٌ تَطْرَفٌ وَعُنْفٌ وَإِرْهَابٌ.. دِينٌ غَيْرٌ قَادِرٌ عَلَى التَّلَافِيهِ
وَالتَّعَايُشِ وَالسَّمُوحِ وَالْحَوَارِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْإِفْتِرَاءَاتِ الَّتِي أَعَاهَمُ عَلَيْهِمُ
قَوْمٌ مِنْ بَنِي جِلْدَتِنَا مَعَ كُلِّ أَسْفٍ وَمَرَارَةٍ!...

وَلَكِنِّي يَسْتَنِي تَكْرِيسُ ذَلِكَ التَّأثيرِ وَتَضَخِيمِهِ وَتَعْمِيمِهِ.. كَانَ لِرِزَامًا عَلَى
الْمَعْنِيِّينَ بِإِدَارَةِ « الْإِسْلَامِ فُوبِيَا » سُنُّ حَمَلَاتٍ دِعَائِيَّةٍ مُنْظَمَةٍ وَمُسْتَمِرَّةٍ عَلَى
مَحَاوِرٍ مُحِيطِ التَّفَاعُلِ الْإِنْسَانِيِّ كَافَّةً...! فَنَحْنُ بِصَدَدِ عَصْرِ غَيْرِ مَسْبُوقٍ فِي
تَوْظِيْفِهِ كَافَّةِ الْمُمَكِّنَاتِ الْمَادِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ وَالتَّرْبَوِيَّةِ وَغَيْرِهَا.. لِإِعْلَاءِ
وَتِيْرَةِ التَّوَجُّسِ وَالتَّرَقُّبِ وَالْحَوْفِ مِنَ الْإِسْلَامِ بِصُورَةٍ لَا تُرَاعِي قِيَمًا وَلَا
أَخْلَاقًا وَلَا أَعْرَافًا وَلَا قَوَانِينَ وَلَا أَيَّ شَيْءٍ يَقِفُ عَائِقًا أَمَامَ الْجَرَافَةِ الْحَضَارِيَّةِ
الْغَرَبِيَّةِ الْمُنزَوَعَةِ « فِرَامِلِهَا » وَهِيَ فِي طَرِيقِهَا لِإِزَالَةِ مَا يُسَمَّى « الْحَطَرُ
الْإِسْلَامِيُّ » بِكَافَةِ الْوَسَائِلِ وَالْأَسَالِيْبِ!... وَفِيهَا يَلِي نَعْرُضُ لِهَذِهِ الْمَحَاوِرِ
وَالْوَسَائِلِ وَالْأَسَالِيْبِ :

أولاً: الْكِنَيْسَةُ الْغَرَبِيَّةُ... كِرَاهِيَّةٌ مَوْرُوثَةٌ وَتَشْوِيهٌُ حَقُودٌ لَا يَتَسَهَّى

غَيْرٌ خَافٍ عَلَى كُلِّ مُتَحَسِّسٍ أْبْعَادَ الْعِلَاقَةِ التَّارِيخِيَّةِ بَيْنَ الْغَرْبِ
وَالْإِسْلَامِ... أَنَّ هَذِهِ الْعِلَاقَةَ قَدْ خَضَعَتْ بِطَبِيعَتِهَا لِمُؤَثِّرَاتِ الْوَعْيِ الدِّيْنِيِّ

المُوجِّهَ عَلَى صَعِيدِي المُجْتَمَعِ وَالْحُكُومَةِ لَدَى الطَّرْفَيْنِ كِلَيْهِمَا، بَعْضُ النُّظَرِ عَنِ مَدَى التَّبَاطُؤِ فِي مُؤَشِّرَاتِ هَذَا الوَعْيِ أَوْ مُصَدِّقَاتِهِ مَحْتَوَاهُ...؟! بَيِّنْ أَنْ حَبَابَةَ الحُرُوبِ الصَّلِيبِيَّةِ بِأَحْدَاثِهَا المُرُوعَةِ وَالمُتَمَدِّدَةِ إِلَى مَا يَزِيدُ عَلَى قَرْنَيْنِ مِنَ الزَّمَانِ: قَدْ كَشَفَتْ بِوُضُوحٍ عَنِ زَيْفِ ذَلِكَ الوَعْيِ الغَرِيبِ بِالأَخْرِ الإِسْلَامِيِّ إِلَى الدَّرَجَةِ الَّتِي كَانَ يَعْتَبِرُ المُسْلِمِينَ كُفَّارًا وَمُعَادُونَ لِلنَّصْرَانِيَّةِ وَلِلْمَسِيحِ...!! وَلَقَدْ كَانَ ذَلِكَ بِمِثَابَةِ إِرْثِ كَرِيهِ لَمْ يُقَدَّرْ لِالأَجْيَالِ الغَرِيبَةِ التَّالِيَةِ أَنْ تَتَفَادَى تَأْثِيرَاتِهِ الضَّارَّةَ وَعَوَاقِبُهُ الوَخِيمَةَ حَتَّى يَوْمِنَا هَذَا!

وَالْحَقِيقَةُ، أَنَّ أوروبَّا لَمْ تَشْعُرْ عَلَى امْتِدَادِ تَارِيخِهَا الطَّوِيلِ بِأَيَّةِ تَحَدِّيَاتِ حَضَارِيَّةٍ حَقِيقِيَّةٍ تَقْرِيبًا سِوَى مِنْ جَانِبِ الإِسْلَامِ خِلَالَ بَضْعِ مُنَاسَبَاتٍ مُعَيَّنَةٍ^(*): كَانَتْ وَلَمْ تَزَلْ عَالِقَةً فِي المُحَيَّلَةِ الغَرِيبَةِ المُنْتَوَعَةِ فِي الأَوْهَامِ بِصُورَةٍ مُعَقَّدَةٍ جِدًّا!؛ بَيِّنْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ مَا يَحْمِلُ عَلَى حُصُومَةِ الإِسْلَامِ وَمُعَادَاتِهِ مِنْ دَوَافِعٍ مُنطِقِيَّةٍ أَوْ مُبَرَّرَاتٍ مُوْضُوعِيَّةٍ...! وَمِنْ ثَمَّ، كَانَ الجَهْلُ بِالإِسْلَامِ وَبِرِسَالَةِ المَسِيحِ ﷺ إِلَى جَانِبِ العَصِيْبَةِ الرُّومَانِيَّةِ وَقَبْلَتَيْهَا الهَمْجِيَّةِ المُرُوثَةِ... فَضلاً عَنِ حِقْدِ البَابَوَاتِ الأَعْمَى... قَدْ حَالَ دُونَ تَوَافُرِ فُرْصِ حَقِيقِيَّةٍ لِلتَّلَاقِي وَالنَّفَاهِمِ وَالحُورِ وَالمُجَادَلَةِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، بَلْ اصْطَنَعَ ذَلِكَ الجَهْلُ لَدَى غَالِبِيَّةِ الغَرِيبِينَ: أَنَّهُاطَا مَعْرِفِيَّةً شَوْهَاءَ وَخَيَالَاتٍ مَكْذُوبَةً مُشْبَعَةً بِرُوحِ الرِّفْضِ الأَعْمَى لِالإِسْلَامِ وَحَضَارَتِهِ...! حَتَّى لَقَدْ بَلَغَ

(*) يأتي فَتْحُ الشَّامِ (٢٠هـ/٦٢٢م) وَمِصْرَ (٢١هـ/٦٢٣م). ثُمَّ فَتْحُ شِبْهِ الجَزِيرَةِ الأَيْبِيرِيَّةِ (بِلَادِ الأَنْدَلُسِ ٩٢هـ/١١١م). ثُمَّ مَوْقِعَةُ «مِلَادِ كَرْد» (٤٦٤هـ/١٠٧١م). ثُمَّ فَتْحُ القُسْطَنْطِينِيَّةِ (٨٥٦هـ/١٤٥٣م).. بِمِثَابَةِ عِلَامَاتِ فَارِقَتِهِ فِي الذَّاكِرَةِ الغَرِيبَةِ دَائِماً.

ذَلِكَ الْجَهْلُ الْعَرَبِيُّ فِي أَحْيَانٍ عَدِيدَةٍ حَدَّ « تَصْوِيرِ الْأَسْبَانِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ
بِاعْتِبَارِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَالِ »!^(٤٢)

وَلَقَدْ أَبَدَتْ الْمَوْسَسَاتُ الْكَنْسِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ تَخَوُّفًا عَيْرَ مُبَرَّرٍ مِنَ
الإسلام...؟! وَسَوَاءٌ أَكَانَ هَذَا الْحَوْفَ حَقِيقِيًّا أَمْ مُتَّصَوِّرًا، فَقَدَرَأَتْ فِيهِ
« تَهْدِيدًا كَبِيرًا وَدِينًا مُنَافِسًا لَهَا وَلِلْيَهُودِيَّةِ. بَلْ كَانَ الْإِسْلَامُ بِالنَّسَبَةِ هُمْ
صَدْمَةٌ »^(٤٣). وَيَكْشِفُ الْمَفْكَرُ الْفَرَنْسِيُّ « بَرْنَارِ سِيْشِر » عَنْ أَحَدِ الْأَسْرَارِ
التَّارِيخِيَّةِ لِـ « الْإِسْلَامِ فُوبِيًّا » فَيَقُولُ فِي مَقَالِهِ حَوْلَ « الْحِجَابِ .. الْعَرَبِ ..
وَنَحْنُ » : « إِنَّهَا أَعْرَاضٌ « بُوَاتِيهِ » الْمَرَضِيَّةُ ! إِذَا كَانَ الْعَرَبُ قَدْ بَهَّرُوا ذَاكَرَتْنَا
الْقَدِيمَةَ وَأَرْبَكُوهَا، فَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كُشِفُوا عَنْ قُدْرَتِهِمْ عَلَى ابْتِكَارِ الْحَضَارَةِ
الْأَكْثَرَ أَلْفًا وَغَنَى، عِنْدَمَا كُنَّا لَا نَزَالُ فِي طَوْرِ التَّخَلُّفِ، وَقَدْ لَعِبَتِ الْكَنْسِيَّةُ فِي
إِطَارِ هَذَا الْكَبْتِ الْكَبِيرِ دَوْرًا لَا تُحْسَدُ عَلَيْهِ »^(٤٤).

وَبِعِضِّ النَّظَرِ عَمَّا يُثَارُ حَوْلَ الْحَلْفِيَّاتِ الْعَقَائِدِيَّةِ لِلْحُرُوبِ الصَّلِيبِيَّةِ مِنْ
جَدَلٍ وَشُكُوكٍ غَرَبِيَّةٍ وَعَالِمَانِيَّةٍ^(٤٥)... يُمَكِّنُنَا أَنْ نُقَرَّرَ بِأَنَّ هَذِهِ الْحُرُوبَ قَدْ

(٤٢) هشام جعيط - أوروبا والإسلام - نقلًا عن : أبو بكر باقادر - الإسلام والغرب -

مجلة مستقبل العالم الإسلامي - مرجع سابق - ص ١٢٨ .

(٤٣) حلمي خضّر ساري - صورة العرب في الصحافة البريطانية - مرجع سابق - ص ٥٨ .

(٤٤) نقلًا : عماد الدين خليل - المرأة والأسرة المسلمة من منظور غربي - ص ١٢ - نقلًا عن :
www.ala7rar.net/navigator.php?pname=topic&tid=597&PHPSSESSIONID=c32bdea1
3ce46bf66a75179b0de89c32

(❖❖) هناك مَنْ يُفسِّرُ الْحُرُوبَ الصَّلِيبِيَّةَ تَفْسِيرًا اِقْتِصَادِيًّا لِلخُرُوجِ مِنْ تَحْتِ طَائِلَةِ الْفَقْرِ الْمُحْدِقِ
بأوربًا... أو عالمانيًا لِلانْتِقَامِ مِنْ أَسْرِ الْعُصُورِ الْكَنْسِيَّةِ الْمُظْلَمَةِ فِي أوربًا... أو أَنَّهَا كَانَتْ

اكتسبت زحمتها واستكملت عنقوانها، بل واستلهمت توجهاتها من وحي وإلهام وتحريض الكنيسته، التي كانت حريصة على تشويه الإسلام وتفخيخ الفكر العربي ببث إشارات الخوف والرعب من الإسلام ورسوله ﷺ كلما لاحت الفرصة!؛ ففي عشيّة الحملة الصليبية الثالثة (٥٨٤هـ/ ١١٨٩م): استنهض قادة الكنيسته همم الشعوب الأوروبية بتصوير تمثال للمسيح وهو مذبوح بسكين (محمد)!!!^(٥).

ولقد بلغ حد التعصب ببعض البابوات فوصفوا الإسلام في مراسيمهم بأنه طاعون The plague of islam؛ وأن العرب والمسلمين هم «الوباء الموجد، والشعب الهائج، الذي عرف بالسلب والنهب والتخريب»^(٦). وهكذا، اقتضت مصالح البابوات والأمراء وغيرهم من أصحاب الغايات الدنيئة المحدودة وذوي النظرات الفئوية القاصرة: تأطير الإسلام في فزاعات أو خوافات حصارية وأيديولوجية وثقافية واجتماعية وسياسية واقتصادية... ذلك، ولم تكن طموحات أصحاب المصالح بأكثر ولا أقل من تحقيق المجد الشخصي والعرض الدنيوي دون أية اعتبارات خالصة لوجه الله

محاولة للخروج بأوروبا من حالة الشقاق السياسي والديني التي كانت تعدم الغرب بأسره... الخ!

(❖) وهكذا قامت أوروبا ولم تقعد لمجرد ان افنتل أيضا رسام غربي هذه الربوة أو الأئمة الفنية وروجت هذه الصور على أوسع نطاق في أوروبا... ما كان أحد المقومات أو الأسلحة الدعائية لشن الحروب الصليبية...!

(٤٥) نقلاً عن : محمد عمارة - شهادات غربية في الافتراء على الإسلام - مقال بمجلة الأزهر - الجزء الرابع - السنة (٧٨) - ربيع الآخر ١٤٢٦هـ - ص: ٥٩٩.

عَنْكَ وَلَا وَفَاءَ لِلْمَسِيحِ الْكَلْبَلَا...!؛ وَبِمُرُورِ الْوَقْتِ، تَحَوَّلَتْ تِلْكَ الطُّمُوحَاتُ مِنْ مُجْرَدِ هَوَى مُسْتَحْكِمٍ بَعْقَلِيَّةٍ أُولَى الْإِدَارَةِ وَالتَّدْبِيرِ الدِّينِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ الْغَرْبِيِّ.. إِلَى دِيَانَةٍ مُسْتَقَلَّةٍ بِذَاتِهَا عَنِ الْكَهَنُوتِ النَّصْرَانِيِّ!

وَفِي مُحَاوَلَةٍ لِرِصْدِ مَنْ يَقِفُ وَرَاءَ تَأْجِيجِ هَذِهِ الرُّوحِ الْعَدَائِيَّةِ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، تَقُولُ الْمَفْكَرَةُ الشَّهِيدَةُ الْإِسبَانِيَّةُ « صَبُورَةٌ أَوْرِبِيَّةٌ: «قَدْ أَعْلَنَ الدَّسَّاسُونَ مِنَ الْغَرْبِيِّينَ الْمُتْلَاعِبُونَ بِالضَّمَائِرِ عَدَاوَتَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، لِأَنَّهُ يَنْزِعُ أَقْنَعَتَهُمْ، وَيَقَاوِمُ شَعُودَتَهُمْ الْخَادِعَةَ»^(٤٦). وَيُضِيفُ السِّيْنَاتُورُ الْأَمْرِيكِيُّ « بُولِ فِنْدِيلِي »: « هُنَاكَ الْكَثِيرُ مِنْ رِجَالِ الدِّينِ النَّصْرَانِيِّ فِي أَمْرِيكَا يَقُومُونَ بِتَشْوِيهِ صُورَةِ الْإِسْلَامِ!... وَالْحَقِيقَةُ، أَنَّ الْإِسْلَامَ لَيْسَ خَطَرًا عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ أَوْ الْحَضَارَةِ الْغَرْبِيَّةِ، وَلَكِنَّ كِتَابًا غَيْرَ مُسْلِمِينَ هُمْ الَّذِينَ شَوَّهُوا صُورَتَهُ فِي الْغَرْبِ»^(٤٧).

وَلَكِنَّمَا لِمَا يَقُولُهُ الْمُنْصَرُّ « لُورَانْسِ بَرَاوِن »: « لَقَدْ وَجَدْنَا أَنَّ الْخَطَرَ الْحَقِيقِيَّ عَلَيْنَا مَوْجُودٌ فِي الْإِسْلَامِ، وَفِي قُدْرَتِهِ عَلَى التَّوَسُّعِ وَالْإِخْضَاعِ وَفِي حَيَوِيَّتِهِ الْمُدْهَشَةِ.. إِذَا اتَّخَذَ الْمُسْلِمُونَ فِي إِمْبْرَاطُورِيَّةِ عَرَبِيَّةٍ، أَمَكْنَ أَنْ يُصْبِحُوا لِعَنَّةٍ عَلَى الْعَالَمِ وَخَطَرًا أَوْ أَمَكْنَ أَنْ يُصْبِحُوا أَيْضًا نِعْمَةً لَهُ. أَمَّا إِذَا بَقُوا مُتَفَرِّقِينَ، فَإِنَّهُمْ يَطْلُونَ حَيْثُ بَلَا وَزْنَ وَلَا تَأْثِيرٍ»، وَيَقُولُ «أَلْبِرْ مَشَادُور»: «

(٤٦) عبد القادر طاشن - أميركا والإسلام - كتاب الشرق الأوسط - منشورات: الشركة

السعودية للأبحاث والتسويق - السعودية - ١٩٩٤م - ص ٨٢.

(٤٧) من كتابه: لا سكوت بعد اليوم - نقلًا عن: مجلّة الفيصل - السعودية - العدد ٢٩١ -

«مَنْ يَدْرِي رُبَّمَا يَعُودُ الْيَوْمَ الَّذِي تَصْبِحُ فِيهِ بِأَرْضِ الْعَرَبِ مُهَدَّدَةً بِالْمُسْلِمِينَ، حَيْثُ يَهْبُطُونَ إِلَيْهَا مِنَ السَّمَاءِ لِعَزْوِ الْعَالَمِ مَرَّةً ثَانِيَةً، وَفِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ». وَيَقُولُ «مُورُو بِي جِر»: «إِنَّ الْخَطَرَ الْحَقِيقِيَّ الَّذِي يَهْدِدُنَا مُبَاشَرًا وَعَيْنِيًّا: هُوَ الْخَطَرُ الْإِسْلَامِي؛ فِالْمُسْلِمُونَ عَالَمٌ مُسْتَقْبَلٌ كُلُّ الْاِسْتِقْلَالِ عَنِ عَالَمِنَا الْغَرْبِيِّ، فَهُمْ يَمْلِكُونَ ثُرَاتِهِمُ الرُّوحِيَّ الْخَاصَّ بِهِمْ، وَيَتَمَتَّعُونَ بِحَضَارَةِ تَارِيخِيَّةِ ذَاتِ أَصَالَةٍ... فَهُمْ جَدِيرُونَ أَنْ يُقِيمُوا قَوَاعِدَ عَالَمٍ جَدِيدٍ دُونَ حَاجَةٍ إِلَى إِذَابَةِ شَخْصِيَّتِهِمُ الْحَضَارِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ فِي الْحَضَارَةِ الْغَرْبِيَّةِ. إِنَّ الْإِسْلَامَ يُفْرَعُنَا عِنْدَمَا نَرَاهُ يَنْتَشِرُ بِيَسْرٍ فِي الْقَارَةِ الْإِفْرِيْقِيَّةِ»^(٤٨).

وَلَقَدْ وَصَفَ اللُّورْدُ «كيري»^(٤٩) الثَّقَافَةَ السِّيَاسِيَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ بِأَنَّهَا «ثَقَافَةٌ تَسَلِّطُ لَا تَتَمَتَّعُ بِالرُّوْنَةِ»، وَيُضِيفُ «كيري» مُدَلِّلاً عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «إِنَّ بَعْضَ الْأَنْظِمَةِ الْاِسْتِدَادِيَّةِ الْمُنْتَشِرَةِ عِبْرَ مَنْطِقَتِي الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ وَشَمَالِ أَفْرِيْقِيَا: قِيَادَاتُ رَسَخَتْ جُذُورَهَا فِي الْحُكْمِ، وَوَصَلَتْ إِلَيْهِ بِقُوَّةِ السَّلَاحِ.. وَأَمَّا تَتَمَسَّكُ بِالسُّلْطَةِ مِنْ خِلَالِ اِنْفَاقِ مَبَالِغِ مَالِيَّةِ ضَخْمَةٍ عَلَى الْقَوَاتِ الْأَمْنِيَّةِ..»^(٤٩)!

وَالْعَجِيبُ، أَنْ يُقَالَ هَذَا الْكَلَامُ فِي وَقْتٍ تَتَنُّ فِيهِ قَارَةُ اِفْرِيْقِيَا مِنْ وَطْأَةِ الْجُوعِ وَالْفَقْرِ وَالْجُحَافِ وَالْأَمْرَاضِ الْفَتَّاكَةِ - وَفِي مُقَدِّمَتِهَا الْاِيدِزْ، وَمَنْ الْجَهْلِ

(٤٨) نقلاً عن: موقع مركز أبحاث فقيه للمعاملات الإسلامية: www.kantakji.com

(٤٩) كبير أساقفة كانتربري - الكنيسة الأنجليكانية سابقاً.

(٤٩) نقلاً عن: news.bbc.co.uk/hi/arabic/world_news/newsid_

3570000/3570323.stm - ٢٠٠٤ / ٣ / 26

وَالْأُمَّيَّةُ الدِّيْنِيَّةُ وَالْفِكْرِيَّةُ وَمِنَ الْوَثِيئَةِ... بَلْ يُقَالُ هَذَا الْكَلَامُ فِي حِينِ مَشْنِ الدَّهْرِ قَدْ أَتَى عَلَى الْكَيْسَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَهِيَ مُحْمَلَةٌ بِأَوْزَارِ الشَّرْكِ وَالتَّحْلَلِ الْخُلْفِيِّ وَالتَّرَاجِعِ الْحَضَارِيِّ... بَلْ لَا تَلْوِي عَلَى شَيْءٍ يُمَكِّنُ أَنْ تُقَدِّمَهُ لِأَهْلِ هَذِهِ الْقَارَةِ الْمَنكُوبَةِ سِوَى التَّعَصُّبِ وَالْكَرَاهِيَّةِ وَالْفِتَنِ وَالْحُرُوبِ... الْمُهْمُ الْأَيْ يَدْخُلَهَا دِينُ التَّوْحِيدِ وَلَا تُظَلِّلُهَا حَضَارَةُ الْإِسْلَامِ وَثِقَاتُهُ!... بَلْ إِنَّكَ لَتَجِدُ مَنْ يُخْضَعُ لِلتَّغْرِيْبِ أَوْ التَّنْصِيرِ فِي أَفْرِيْقِيَا- لَا يَتَعَلَّمُ مِنَ النَّصْرَانِيَّةِ إِلَّا كَرَاهِيَّةِ الْإِسْلَامِ وَرَسُولِهِ وَأَهْلِهِ... إِنَّهَا وَجِبَاتُ الْكَرَاهِيَّةِ الْجَاهِرَةِ حَتَّى مَعَ أَشَدِّ النَّاسِ أُمَّيَّةً وَتَحَلُّفًا وَانْحِطَاطًا... فَأَوَّلُ مَا يَتَعَلَّمُهُ هَذَا الْإِفْرِيْقِيُّ الْبَسِيطُ السَّادِجُ قَبْلَ أَنْ يَتَعَلَّمَ النَّصْرَانِيَّةَ- إِنْ تَعَلَّمَهَا : هُوَ أَنَّ الْإِسْلَامَ دِينٌ شَرِيْرٌ، وَأَنَّ رَسُوْلَهُ لَا يُحِبُّ الْمَسِيْحَ... بِاعْتِبَارِهِمَا نَقِيضَانِ وَعَدُوَانِ لَا يَلْتَقَانِ أَبَدًا إِلَّا فِي سَاحَاتِ الْحُرُوبِ!... وَحَوْلَ الْإِسْلَامِ : يُنْسَى كُلُّ حَدِيثٍ عَنِ « الْمَحَبَّةِ » وَ« التَّسَامُحِ » وَ« السَّلَامِ » وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مُفْرَدَاتِ دَجَالِي الْكَيْسَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ الْمُنْعَمَةَ بِالْحَقِّ الدِّيْنِيِّ غَيْرِ الْمُبَّرِّ أَخْلَاقِيًّا وَلَا مَوْضُوعِيًّا وَلَا سِيْمًا حِينَ يَكُونُ الْحَدِيثُ حَوْلَ الْإِسْلَامِ عَلَى الْأَقْلِّ!...

وَلَعَلَّ مِثْلَ هَذَا التَّرْوَعِ الدِّيْنِيِّ الْجَامِحِ الْأَحْمَقِ : هُوَ الَّذِي أَجَجَّ نَارَ الْحَقْدِ فِي قُلُوبِ مَنْ يُنَاصِبُونَا الْعِدَاءَ لِأَسْبَابِ تَافِهَةٍ وَغَيْرِ مَشْرُوعَةٍ وَلَا مَعْقُولَةٍ!... فِيْ مَحَاوَلَةٍ لِإِذْكَاءِ نَارِ الْعَدَاوَةِ الْأَوْرُوبِيَّةِ ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ، يُرَكِّزُ الصَّلِيْبِيُّونَ الْجُدُّ عَلَى إِثَارَةِ النَّزَعَاتِ الدِّيْنِيَّةِ الْمَكْذُوبَةِ فِي نُفُوسِ الْأَوْرُوبِيِّينَ نَجَاهَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَذَلِكَ لِإِضْفَاءِ الصَّبْغَةِ الدِّيْنِيَّةِ عَلَى مَجْرِيَّاتِ الصَّرَاحِ فِي

البُلْفَانِ!... وَحَتَّى يَتَسَنَّى لِنَلِكِ الدَّنَابِ الْمُتَوَحَّشَةِ اسْتِلْهَامَ الْمَدَدِ الْكَنَسِيِّ
وَاسْتِدْرَارِ خَزَائِنِهِ، لِلْحَيْلُولَةِ دُونَ إِبْطَاءِ الْمَسِيرِ نَحْوَ إِبَادَةِ الْمُسْلِمِينَ وَاسْتِثْصَالِ
شَأْفَتِهِمْ مِنْ قَلْبِ أُرُوبَا!؛ فَفِي مَعْرِضِ تَعْلِيْقِهِ عَلَى الظَّاهِرَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي
أَلْمَانِيَا، يَقُولُ « جُوهَانِس نِيومان»^(٥٠) : « إِنَّ رَبَطَ الدَّوْلَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ بِالْذِّيَانَةِ
الْمَسِيحِيَّةِ عَمِيقٌ فِي عِظَامِنَا، فَكُلُّ الذِّيَانَاتِ الْأُخْرَى تُعْتَبَرُ مُعَادِيَةً»^(٥١).

وَفِي مُحَاصِرَةِ أَلْفَاهَا أَمَامَ مَجْمَعِ أَسَاقِفَةِ فِي الْفَاتِيكَانِ حَوْلَ مُسْتَقْبَلِ
أُرُوبَا، حَدَرَ « جُوزِيْبِي بَرْنَارْدِينِي»^(٥٢) مِنْ مَخَاطِرِ مَا أَسْمَاهُ « فَتْحًا إِسْلَامِيًّا
جَدِيدًا لِأُرُوبَا». وَعَدَدَ الْمَرَا حِلَّ التَّمْهِيدِيَّةِ لِهَذَا الْفَتْحِ بِقَوْلِهِ « إِنَّ الْعَالَمَ
الْإِسْلَامِيَّ سَبَقَ وَأَنْ بَدَأَ بِأَسْطًا سَيَطَّرْتَهُ بِفَضْلِ دُولَارَاتِ النُّقْطِ.. إِنَّ هَذِهِ
الدَّوْلَارَاتِ لَا تُسْتَحْدَمُ لِحَلْقِ فُرْصِ عَمَلٍ فِي الدَّوْلِ الْفَقِيرَةِ فِي أَفْرِيْقِيَا الشَّمَالِيَّةِ
أَوْ فِي الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ، بَلْ لِنِإْنَاءِ مَسَاجِدِ وَمَرَآكِزِ ثَقَافِيَّةِ لِلْمُسْلِمِينَ الْمُهَاجِرِينَ
إِلَى دَوْلِ نَصْرَانِيَّةِ بِهَا فِي ذَلِكَ رُومَا عَاصِمَةُ النَّصْرَانِيَّةِ»؛ وَأَضَافَ : « إِنَّ الْجَمِيعَ
يَعْرِفُ أَنَّهُ يَجِبُ التَّمْيِيزُ بَيْنَ الْأَقْلِيَّةِ الْمُتَعَصِّبَةِ وَالْعَئِيفَةِ وَالْأَكْثَرِيَّةِ الْهَادِئَةِ
وَالْمُعْتَدِلَةِ، لَكِنْ عَلَيْنَا إِلَّا نُنْسَ بِأَنَّ الْأَكْثَرِيَّةَ هَذِهِ سَتَقْفُ وَقْفَةَ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ
وَاسْتَسْتَجِيبُ دُونَ تَرَدُّدٍ لِأَوْامِرِ بِسْمِ اللَّهِ أَوْ الْقُرْآنِ»^(٥٣).

(٥٠) بروفيسور في قوانين الكنائس بجامعة ماينيم الألمانية.

(٥١) مجلة ال « نيوز ويك » الأمريكية - في ٢٠ / ١ / ٢٠٠٤م.

(٥٢) أسقف أزمير الكاثوليكي بتركيا.

(٥٣) جريدة الشعب المصرية - ٢٢ / ١٠ / ١٩٩٩.

وَفِي سِيَاقِ حَمَلَتِهِ الْمُنْظَمَةِ وَالذَّوْوبَةَ لِلتَّخْوِيفِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَمَنْ
 الْإِسْلَامَ، يَقُولُ رَجُلٌ الدِّينِ الصَّهْبِيُّونَ صُرَانِي الْأَشْهَرُ فِي الْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ
 الْأَمْرِيكِيَّةِ « بات روبرتسون »: « كُلُّ مَا عَلَيْكَ هُوَ: أَنْ تَقْرَأَ مَا كَتَبَهُ مُحَمَّدٌ
 فِي الْقُرْآنِ، إِنَّهُ كَانَ يَدْعُو قَوْمَهُ إِلَى قَتْلِ الْمُشْرِكِينَ »^(٥٢). وَقَدْ أَدْلَى « فَرَانْكِلِين
 جَرَاهَامِ » بِتَصْرِيحَاتٍ إِعْلَامِيَّةٍ قَالَ فِيهَا « إِنَّ الْإِرْهَابَ جُزْءٌ مِنَ التِّيَّارِ الْعَامِّ
 لِلْإِسْلَامِ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ يَخْضُ عَلَى الْعُنْفِ!! » وَلَقَدْ رَفَضَ « جَرَاهَامِ »
 الْاِعْتِذَارَ عَنْ تَصْرِيحَاتِ أَدْلَى بِهَا بَعْدَ حَوَادِثِ أَيْلُولِ ٢٠٠١م، وَصَفَ فِيهَا
 الْإِسْلَامَ بِأَنَّهُ « دِينٌ شَرِيْرٌ »^(٥٣)؛ وَفِي كِتَابِهِ الْجَدِيدِ « The name »، يَقُولُ
 « جَرَاهَامِ »: « الْإِسْلَامُ، أَسَسَ بِوَأَسْطَةِ فَرْدٍ بَشَرِيٍّ مُقَاتِلٍ يُسَمَّى مُحَمَّدًا،
 وَفِي تَعَالِيمِهِ تَرَى تَكْتِيكَ نَشْرِ الْإِسْلَامِ مِنْ خِلَالِ التَّوَسُّعِ الْعَسْكَرِيِّ،
 وَمِنْ خِلَالِ الْعُنْفِ إِذَا كَانَ ضَرُورِيًّا، مِنْ الْوَاضِحِ أَنَّ هَدَفَ الْإِسْلَامِ
 النَّهَائِيَّ، هُوَ: السَّيْطَرَةُ عَلَى الْعَالَمِ »^(٥٤).

هَذَا، قَدْ صَرَّحَ مُؤَخَّرًا الْقَسُّ الْأَمْرِيكِيُّ « جيري فولويل » فِي حَدِيثِهِ
 الْمُتَلَفِّزِ ذَائِعِ الصَّيْتِ: بِأَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا « إِرْهَابِيٌّ »! وَقَدْ تَجَاوَزَ « فَاوَلِيل » كُلَّ
 حُدُودِ اللَّيَاقَةِ وَالذُّوقِ وَالْأَدَبِ - وَالْإِيْمَانِ الَّذِي يَدْعِيهِ زُورًا وَبُهْتَانًا وَكُذْبًا

٥٢) مِنْ خِلَالِ بَرْنَامِجِ هَانْتِي وَكَوْلْمِزِ Hannity and Colmess فِي قَنَاةِ فُوكْسِ الْإِبْحَارِيَّةِ
 Fox Newss - حَلْقَةُ الْخَامِسِ مِنْ آبِ أَيْغُسْطُسِ ٢٠٠٢م.

٥٣) انْظُرْ: جَرِيْسِ هَالْسِيْلِ - النَّبُوَّةُ وَالسِّيَاسَةُ - النَّاشِرُ لِلطَّبَاعَةِ - بِيْرُوتَ - ١٩٩٠م - ط: ٣ -
 ص ٥٦ وَمَا بَعْدَهَا).

٥٤) انْظُرْ: جَرِيْسِ هَالْسِيْلِ - النَّبُوَّةُ وَالسِّيَاسَةُ - الْمَرْجِعُ السَّابِقُ - ص ٧١.

وَدَجَلًا وَقَاحَةً... وَذَلِكَ حِينَ وَصَفَ الرَّسُولَ الْكَرِيمَ ﷺ بِأَنَّ «لَهُ عَيْنَيْنِ زَائِعَتَيْنِ وَمُتَطَرَّفَيْنِ.. وَأَنَّهُ قَاتِلٌ»؛! ثُمَّ يَعُودُ لِقَوَاحِيهِ وَسَفَالَتِهِ فَيَقُولُ: «مُحَمَّدٌ رَجُلٌ عَنيفٌ، وَرَجُلٌ حَرْبٍ، بَيْنَمَا الْمَسِيحُ ضَرَبَ الْمَثَلَ لِلْحُبِّ، وَكَذَلِكَ مُوسَى. مُحَمَّدٌ يَضْرِبُ مِثَالًا مُضَادًّا»^(٥٥)!

وَالْحَقِيقَةُ، أَنَّ هَذِهِ نِعْمَةٌ كَنَسِيَّةٌ مُعْتَادَةٌ فِي الْأَوْسَاطِ الدِّيْنِيَّةِ بِكَافَّةٍ مَذَاهِبِهَا... وَنَحْنُ إِنَّمَا نُحْمَلُ الْكَنِيسَةَ الْعَرَبِيَّةَ مَسْئُولِيَّةً هَذَا الْهَوَسِ الْأَهْوَجِ وَتِلْكَ الْجَهَالَةَ الْحَاقِدَةَ الْآيَمَةَ الَّتِي تَنْسَأَلُ فِي مُتَوَالِيَةِ هُجُومِيَّةِ رَعْنَاءِ يَهْدَفِ إِعْرَاقِ الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ فِي مُسْتَنْفَعَاتِ التَّعَصُّبِ الْأَعْمَى مَا يَقُودُ إِلَى حَالَةٍ مِنَ الْأَنْسِدَادِ فِي مَجْرِيَّاتِ الْحَيَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَتَعَثُّرُ مَسَارَاتِهَا التَّنْمُوِيَّةِ وَالْحَضَارِيَّةِ لِيَتَعُودَ الْكَنِيسَةُ بِالْمُجْتَمَعَاتِ الْعَرَبِيَّةِ سِيرَتَهَا الْقُرُوسُطِيَّةِ الْأُولَى - وَمَا فِيهَا مِنْ التَّخَلُّفِ وَالظَّلَامِيَّةِ وَالِاسْتِغْلَاقِ الْحَضَارِيِّ الْمُشِينِ!... وَلِذَلِكَ فَإِنَّا نُحَدِّثُ أُرُوبًا وَالْعَرَبَ مِنْ مَعْبَةِ الْإِنْسِيَاقِ الْأَعْمَى وَرَاءَ الْكَنِيسَةِ مَرَّةً أُخْرَى فَيَتَيَمَّمُ التَّخَلُّفَ وَالْجُمُودَ وَالتَّرَاجُعَ وَالْإِنْحِطَاطَ وَالْهَلَاكَ!...

إِنَّ هَذِهِ الْكَنِيسَةَ بَدَلًا مِنْ أَنْ تَتَوَلَّى مُوَاجَهَةَ الْإِلْحَادِ وَتِجَارَةَ الرَّقِيقِ الْأَبْيَضِ وَدَعَارَةَ الْأَطْفَالِ وَالرَّبَا وَالْجَرِيمَةَ الْمُنْتَظَمَةَ وَالْمُخَدَّرَاتِ.. وَمُعَالَجَةَ الْإِنْمِيَّاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي تَتَهَدَّدُ الْمُجْتَمَعَاتِ الْعَرَبِيَّةَ وَتُنذِرُ بَفَنَائِهَا!... وَبَدَلًا مِنْ أَنْ تُوجِّهَ جُهُودَهَا التَّنْصِيرِيَّةَ لِلْمُجْتَمَعَاتِ الْوَنَثِيَّةِ.. وَبَدَلًا مِنْ أَنْ تَشْغَلَ

(٥٥) نقلًا عن: محمد إبراهيم - الإسلام فوييا - مقال بجريدة الأهرام المصرية -

بِتَنْصِيرِ الأوروْبِيِّينَ أَنْفُسِهِمْ وَإِعَادَتِهِمْ إِلَى الكَنِيسَةِ وَحَظِيرَةِ الإِيْمَانِ- إِنْ صَحَّ التَّعْيِيرُ- بَدَلًا مِنْ كُلِّ ذَلِكَ نَرَاهَا تَشْغُلُ بِأَعْمَالِ التَّنْصِيرِ وَالتَّغْيِيرِ بِالْعَرَبِ وَالمُسْلِمِينَ، ثُمَّ التَّخْوِيفِ مِنْهُمْ وَتَشْوِيهِ دِينِهِمْ فِي كُلِّ وادٍ وَصَعِيد...!! لَيْسَ ذَلِكَ فَحَسْبُ، وَإِنَّا تَتَعَاصَى فُتْمَرَّرَ مِنْ طَرْفِ خَفِيِّ مَا يُرَوِّجُ فِي مُجْتَمَعَاتِ المُسْلِمِينَ مِنْ مَقُولَاتِ التَّأْكِيدِ عَلَى ضُرُورَةِ التَّأْسِي وَالإِقْتِدَاءِ الأَعْمَى بِالتَّمَوِّذِ العَرَبِيِّ العَالِمَانِيِّ- عَلَى طَرِيقَةِ « أَطْفِيءِ مِصْبَاحَ عَقْلِكَ وَاتَّبِعْنِي »!

وَفِي خِطَابِهِ الَّذِي أَلْقَاهُ يَوْمَ ١٢/٩/٢٠٠٦ مَ أَمَامَ جَمْعِ أَكَادِيمِيٍّ غَافِرٍ مِنْ مُنْسُوبِي جَامِعَةِ «رِيخِنسبورج» بِمَدِينَةِ «بُون» الأَلْمَانِيَّةِ، أوردَ بابَا الفَاتِيكَانِ «بِنِيدِكْتِ السَّادِسُ عَشَرَ»^(*) طَرْفًا مِنْ حُورٍ دَارٍ بَيْنَ إِمْبِرَاطُورِ بِيْرَنْطِيٍّ «مَانُوِيلِ الثَّانِي» وَعَالِمِ فَارِسِيٍّ^(**) خِلَالَ حِصَارِ القُسْطَنْطِينِيَّةِ مَا بَيْنَ عَامَيْ ١٣٩٤ : ١٤٠٢ م^(***)، حَوْلَ عِدَّةِ قَضَايَا- الجِهَادِ مِنْ ضَمْنِهَا؛ حَيْثُ قَالَ لَهُ الإِمْبِرَاطُورُ:

(❖) اسْمُهُ الأَصْلِي جُوزِفُ أَلُوَا رَاتزَنْجِر Joseph Alois Ratzinger، مَوْلُودٌ بِتَارِيخِ ١٧ أْبْرِيْلِ 1927: فِي «مَارِكْتَل»، «بَافَارِيَا» بِأَلْمَانِيَا. مِنْ عُلَمَاءِ الأَلْهُوتِ الكَاتُولِيكِ. تَوَلَّى كُرْسِيَّ البَابُوِيَّةِ عَقِبَ وَفَاةِ البَابَا «يُوحَنَّا بُولسِ الثَّانِي» فِي ١٩ أْبْرِيْلِ ٢٠٠٥؛ وَلَقَّبَ بِلقَبِ بَابُوِيٍّ يُنْطَقُ بِالإِيطَالِيَّةِ Benedetto، وَبِالإِنْجِلِيزِيَّةِ «بِنِيدِكْتِ Benedict» وَبِالْفَرَنْسِيَّةِ «بِنُونِيْتِ benoit»، وَبِاللاتِينِيَّةِ «بِنِيدِكْتُوسِ Benedictus» بِمَعْنَى: «المُبَارَكُ مِنَ اللّٰهِ».

(❖❖) ذَلِكَ العَالِمُ فِي غَالِبِ اعْتِقَادٍ وَتَحْقِيقِ أَهْلِ الإخْتِصَاصِ... هُوَ: الشَّيْخُ «حَاجِي بِيْرَمِ وَلِيٍّ» المَوْلُودُ فِي أَرْبَعِيْنِيَّاتِ القَرْنِ الرَّابِعِ عَشَرَ المِيْلَادِي. كَانَ إِلَى جَانِبِ كَوْنِهِ مُدْرَسًا بِمُدْرَسَةِ «قَرَه» الَّتِي أَسَّسَهَا «مَلِيكَةُ خَاتُون» زَوْجِ السُّلْطَانِ العُثْمَانِيِّ «مُرَادِ الأَوَّلِ» بِأَنْقَرَةَ: كَانَ يَشْغَلُ مَنَصِبَ رَئِيسِ حَرَسِ بُوَابَاتِ القَصْرِ فِي بِلَاطِ السُّلْطَانِ العُثْمَانِيِّ «بَايَازِيدِ الأَوَّلِ».

(❖❖❖) حِوَارِ الإِمْبِرَاطُورِ البِيْرَنْطِيِّ وَالعَالِمِ الفَارِسِيِّ مُدَوَّنًا بِيَدِ الإِمْبِرَاطُورِ نَفْسِهِ فِي مُجَلَّدٍ كَبِيرٍ تَحْتَ عُنْوَانِ «مُحَاوَرَاتٍ مَعَ مُدْرَسِ فَارِسِيٍّ»، وَمُحَقَّقًا بِوَأَسِطَةِ البَرْوَفِيْسُورِ «ثِيودُورِ خُورِي» مِنْ جَامِعَةِ مَنَسْتَرِ فِي السُّتِينِيَّاتِ مِنَ القَرْنِ العِشْرِينَ.

«أرني إذا، ما الذي جاء به مُحَمَّدٌ مِنْ جَدِيدٍ؟ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ سِوَى أُمُورٍ شَرِّيرَةٍ وَغَيْرِ إِنْسَانِيَّةٍ : مِثْلِ مَا أَمَرَ بِهِ مِنْ اسْتِعْمَالِ السِّيفِ لِشُرِّ الْعَقِيدَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا»^(٥٦). وَاسْتَطَرَدَ الْبَابَا عَلَى لِسَانِ الْإِمْبْرَاطُورِ سَالِفِ الذِّكْرِ قَائِلًا : « اللهُ لَا يُحِبُّ إِرَاقَةَ الدِّمَاءِ، كَمَا أَنَّ عَدَمَ اعْتِمَادِ الْعَقْلِ فِي التَّصَرُّفِ شَيْءٌ يَتَنَافَى مَعَ طَبِيعَةِ اللهِ. إِنَّ الْإِيْمَانَ مَنْبَعُهُ الرُّوْحُ وَلَيْسَ الْجَسَدُ. وَكُلُّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَحْمِلَ النَّاسَ عَلَى الْإِيْمَانِ يَجِبُ أَنْ يَمْتَلِكَ الْقُدْرَةَ عَلَى الْكَلَامِ الْمَقْنِعِ وَالْإِسْتِدْلَالَ الصَّحِيحِ، وَيَتَجَنَّبَ الْعُنْفَ وَالتَّهْدِيدَ»^(٥٧).

وَالْمَتَابِعُ لِحُطَابِ الْبَابَا الَّذِي نُشِرَ عَلَى مَوْعِ الْفَاتِيكَانِ عَلَى الشَّبَكَةِ الدَّوْلِيَّةِ لِلْمَعْلُومَاتِ Internet يَلَاحِظُ أَنَّ هَذِهِ الْعِبَارَاتِ الَّتِي اسْتَعَارَهَا : لَا دَخَلَ لِهَذَا بِنْيَةِ سِيَاقِ مُحَاضَرَتِهِ حَوْلَ « الْعَقْلِ وَالذِّينِ وَالْجَامِعَةِ»، وَإِنَّمَا اسْتَدْعَاهُ هُوَاهُ الْمَخْلُوطُ بِحَقْدِ دَفِينٍ وَجَهْلٍ أَعْمَى وَحَيْدَةٍ عَنِ الْحَقِّ مُثِيرَةٌ لِلشُّخْرِيَّةِ وَالْأَشْمِئزَازِ! ... لَمْ لَا وَالْبَابَا سَلِيلٌ مُؤَسَّسَةٌ تُعَانِي أَمْرًا عَقِيدِيَّةً وَحَضَارِيَّةً وَعُقْدًا نَفْسِيَّةً وَمُشْكَلَاتٍ دِينِيَّةً وَلَاهُوسِيَّةً^(٥٨) ... وَجَهْلًا تَارِيخِيًّا مُرَكَّبًا بِالْآخِرِ وَلَا سِيَّمَا الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ!.

وَالْمَلَا حِظُّ أَيضًا أَنَّ الْبَابَا حِينَ سَاقَ هَذِهِ الْعِبَارَاتِ، فَإِنَّمَا سَاقَهَا لِيُعْطِفَ بِهَا ذَاكِرَةَ الْأَكَادِيمِيِّينَ إِلَى مَلَابَسَةِ الظَّرْفِ التَّارِيخِيِّ الَّذِي قِيلَتْ فِيهَا، حَيْثُ

(٥٦) نَقْلًا عَنْ : مُحَمَّدَ عَابِدِ الْجَابِرِيِّ : حُطَابِ الْبَابَا : تَفْكِيكِ الْأَصُولِ وَتَصْحِيحِ الْفُصُولِ -

<http://www.jeel-24/10/2006>

libya.com/horizons/articlesview.asp?field=content&id=2492

(٥٧) نَقْلًا عَنْ : الْجَابِرِيِّ : حُطَابِ الْبَابَا : تَفْكِيكِ الْأَصُولِ وَتَصْحِيحِ الْفُصُولِ - الْمَرْجِعُ السَّابِقُ.

(٥٨) أَعْنِي بِهَا الْبَلَاهُوتِ السِّيَاسِيَّةِ.

كَانَتْ الإِمْبْرَاطُورِيَّةُ البِيْزَنْطِيَّةُ تَلْفُظُ أَنْفَاسَهَا الأَخِيْرَةَ بِالنَّظْرِ إِلَى مَدِّ الحِضْرَةِ
الإِسْلَامِيَّةِ وَجَذْرِ النَّمُوْدَجِ الكَنَسِيِّ المُتَدَاعِي!... الأَمْرُ الَّذِي يَرْبُطُ سُقُوطَ
الإِمْبْرَاطُورِيَّةِ البِيْزَنْطِيَّةِ بِخَطَرِ الإِسْلَامِ فَتَتَعَمَّقُ الذَّاكِرَةُ الأَكَادِيْمِيَّةُ المُعَاَصِرَةَ
بِالْحَوْفِ مِنَ الإِسْلَامِ الَّذِي يَرْتَبُطُ بِذِكْرِيَاتِ سُقُوطِ العَرَبِ!... فَيَنْعَكِسُ ذَلِكَ
عَلَى مَطْرُوحَاتِهِمُ الأَكَادِيْمِيَّةِ وَإِنْتِاجِهِمُ الفِكْرِيِّ وَمُشَارَكَتِهِمُ الإِعْلَامِيَّةِ عَبْرَ
الْمَنَابِرِ المُخْتَلِفَةِ... نَمَّا يُفْهَمُ مَعْزَاهُ!!... وَإِلَّا فَلِمَ إِذَا هَذِهِ الإِسْقَاطَاتُ
القُرُوسُطِيَّةِ!؟

وَبَدَلًا مِنْ أَنْ يُقَدَّمَ البَابَا- الَّذِي يَزْعُمُ النَّزَاهَةَ وَالْمَوْضُوعِيَّةَ وَالتَّسَامُحَ
وَحُبَّ الحُورِ وَإِنْبَارِ السَّلَامِ- تِلْكَ المُحَاوَرَاتِ فِي سِيَاقِهَا الصَّحِيحِ لِلدَّلَالَةِ
عَلَى سَمَاحَةِ الإِسْلَامِ وَسَعَةِ أَفُقِ أَتْبَاعِهِ وَاسْتِغْلَالِهَا بِشَكْلِ إِيْجَابِيٍّ فِي تَفْعِيلِ
المَشْرُوعِ الفَاتِيكَايِّيِّ المِيْتِ حَوْلَ حُورِ الحِضْرَاتِ... بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ وَعَظِيْرِهِ:
اجْتَرَأَ «الحَبْرُ الأَعْظَمُ» مِنَ السِّيَاقِ مَا يُخَدِّمُ أَغْرَاضَهُ الصَّلِيْبِيَّةَ وَأَحْقَادَهُ الدِّيْنِيَّةَ
الدَّفِيْنَةَ تَحْتِ ابْتِسَامَتِهِ الصَّفْرَاءِ دُونَ أَنْ يَعْرِضَ لِأَجُوبَةِ وَمُدَاخَلَاتِ العَالِمِ
المُسْلِمِ!... فَحَافٍ وَغَلَطٌ وَتَجَاوَزَ حُدُودَ اللِّيَاقَةِ وَالأَدَبِ حِينَمَا رَفِضَ الاعْتِيَادَ
مُعَلَّلًا ذَلِكَ بِأَنَّ كَلَامَهُ قَدْ أُسِيءَ فَهْمُهُ؛ الفَرِيدُ فِي المَوْضُوعِ : مَا تَرَدَّدَ مِنْ أَنَّ
البَابَا قَدْ عَرَّضَ لِصُغُوطِ شَدِيدَةٍ لِكَيْلَا يَعْتَدِرَ... فَجَاءَ عُدْرُهُ أَفْبَحَ مِنْ ذَنْبِهِ!؛
فَهَذَا المَنْهَجُ الإِنْتِقَائِيُّ عُمُومًا لَيْسَ غَرِيْبًا عَلَى المَوْسَسَةِ البَابُويَّةِ مُنْذُ نَشَاتِهَا!...

وَنَحْنُ مِنْ جَانِبِنَا لَا يُمَكِّنُ اعْتِبَارَ هَذَا الهُرَاءِ : زَلَّةَ لِسَانٍ؛ فَلَيْسَ تَصْرِيْحًا
صُحْفِيًّا، وَلَا هُوَ رَدٌّ عَلَى سُؤَالِ مُسْتَفِئٍّ!... كَذَلِكَ لَا يُمَكِّنُ عَدَّهُ اسْتِشْهَادًا

تاريخياً عابراً لأنَّ البابا تركَ سياقَ الخطابِ لِطُلُقِ هَوَى جَهْلِهِ بِالإِسْلَامِ عَنانِ
الإِسَاءَةِ وَالتَّجْرِيحِ وَالتَّخْوِيفِ غَيْرِ المُبَرَّرِ بِأَسَانِيدِ صَادِقَةٍ أَوْ بِنِزَاهَةِ عِلْمِيَّةٍ
وَاسْتِقَامَةِ صَمِيرٍ... إِنَّ البابا بِهَذَا التَّصْرِيحِ : يُرِيدُ إِبْصَالَ أَكْثَرَ مِنْ رِسَالَةٍ
لأَكْثَرَ مِنْ طَرَفٍ :

• يُرِيدُ البابا أَنْ يَبْحَثَ لِلْكَاثُولِيكِيَّةِ عَنْ دَوْرٍ جَدِيدٍ بِمُحَاوَلَةِ اصْطِيَادِ
الإِسْلَامِ فِي المَاءِ العَكْرِ لِتَصَادُمِ الحَضَارَاتِ!...

• يُرِيدُ أَيضاً أَنْ يُومِئَ إِلَى سَاسَةِ العَالَمِ الغَرِبِيِّ أَنَّ النَّصْرَانِيَّةَ يُمَكِّنُ أَنْ تَجْمَعَ
بَيْنَ اللَّاهُوتِ وَالحَدَاثَةِ... وَأَنَّ المُشْرُوعَ الصَّلِيبِيِّ لَمْ يَزَلْ مُمكِنًا فِي ضَوْءِ
تَصَاعُدِ المَدِّ الإِسْلَامِيِّ لِلْحَدِّ مِنْ خَطَرِهِ الَّذِي يَتَهَدَّدُ التَّيَّارَيْنِ كِلَيْهِمَا.

• هَذَا، وَقَدْ عَدَّتْ تَصْرِيحَاتُ « بِنِيدِكْت » - عَلَى صَعِيدِ آخَرَ : مُحَاوَلَةٌ لِتَكْثِيفِ
الغِطَاءِ الدِّينِيِّ لِلمُشْرُوعِ الإِدَارَةِ الأَمْرِيكِيَّةِ الإِسْتِعْمَارِيَّةِ!.

• إِعَادَةُ إِنْتَاجِ القَوَالِبِ التَّقْلِيدِيَّةِ المُشَوَّهَةِ عَنِ الإِسْلَامِ فِي الذَّهْنِيَّةِ الغَرِبِيَّةِ فِي
مَعَامِلِ البَابَوِيَّةِ لِكَي تَكْتَسِبَ الحَمْلَةُ مُصْدَاقِيَّةً وَجَدِيَّةً بِصُورَةٍ أَكْثَرَ
عَمَلِيَّةً!.

• كَذَلِكَ هِيَ مُحَاوَلَةٌ لِحَسِّ نَبْضِ المُسْلِمِينَ وَقِيَاسِ حَمِيَّتِهِمُ الدِّينِيَّةِ وَرَدَّةِ
فَعْلِهِمْ؟...

• إِعَادَةُ رَسْمِ الصُّورِ القَدِيمَةِ فِي الحَيَالِ الغَرِبِيِّ بِرِيشَةِ البَابَوِيَّةِ التَّقْلِيدِيَّةِ...

• عَطْفُ الْمَنَابِرِ الْأَكَادِيمِيَّةِ نَحْوَ الْأَنْزِلَاقِ فِي لُغَةِ « الْإِسْلَامِ فُويَا » فَتَجَفُّو التَّقَالِيدَ الْأَكَادِيمِيَّةَ... وَتَوَرَّطُ فِي مُسْتَنْفَعَاتِ الصَّرَاحِ الْحَضَارِيِّ الَّذِي يَشْفِي عِنْدَهُ أَمْرًا وَعَقْدًا تَارِيخِيَّةً مُزْمِنَةً!...

• كَذَلِكَ يُرِيدُ الْبَابَا لِسَهَامِ الْإِنْتِقَادِ الْعَالَمِيِّ لِلْإِصْلَاحِيَّةِ الْكَنِسِيَّةِ الدِّيْنِيَّةِ... وَالتَّرَاجُعَاتِ الْقِيَمِيَّةِ وَالْمَعَايِبِ الْأَخْلَاقِيَّةِ الْمُسَجَّلَةِ عَلَى الْكَنِسَةِ أَنْ تَتَحَوَّلَ إِلَى مَيْدَانٍ آخَرَ...

• أَرَادَ أَنْ يَبْعَثَ إِلَى الْغَرْبِ الْبُرُوتَسْتَانِيِّ بِرِسَالَةٍ تَقُولُ : بِأَنَّ الْكَنِسَةَ الْكَاثُولِيكِيَّةَ تُبَارِكُ لَكُمْ مَا تَزْمَعُونَ سَنَّهُ مِنْ الْحُرُوبِ الصَّلِيبِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ الْبَارِدَةِ وَالسَّاخِنَةِ... الَّتِي تُخَوِّصُونَهَا ضِدَّ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، الَّذِي يُشْكَلُ تَحْدِيًا لـ « الْمَسِيحِيَّةِ وَحَضَارَتِهَا »!...

• وَمِنَ الْجَدِيرِ بِالذِّكْرِ : أَنَّ « بِنِيدِكْت » حِينَ تَوَلَّى مَنْصِبَ الْبَابُوِيَّةِ قَامَ بِإِلْغَاءِ اللَّجْنَةِ الْمُخَوَّلَةِ بِحُورِ الْحَضَارَاتِ فِي الْفَاتِيكَانِ. كَمَا أَغْلَقَ صَحِيفَةً مَعْنِيَّةً بِالْعَلَاقَةِ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْغَرْبِ... وَقَدْ أَثَارَ هَذَا التَّصَرُّفُ انْتِبَاهَ الصُّحَافَةِ الْإِيطَالِيَّةِ... الَّتِي اعْتَبَرَتْ هَذِهِ الْخُطُوَّةَ بِمَثَابَةِ « أَنْفِصَالِ عَنِ التِّزَامِ الْبَابَا الرَّاحِلِ « يُوَحْنَا بُولِسِ الثَّانِي » بِتَشْجِيعِ الْحُورِ بَيْنَ الدِّيَانَاتِ ».

وَعَلَى جَانِبٍ آخَرَ، هُنَاكَ مَنْ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ الْبَابَا لَمْ يَكُنْ يُرِيدُ بِمَا قَالَ الْإِسَاءَةَ فِعْلًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَّ جُزْءًا مِنَ الْمُسْكَلَةِ تَتَحَمَّلُهُ دَوَائِرُ الْإِعْلَامِ الصَّهْبُونِيَّةِ أَوْ تِلْكَ الْوَاقِعَةُ تَحْتَ التَّأْثِيرِ الصَّهْبُونِيِّ... وَالَّتِي عَزَلَتْ الْحَدِيثَ عَنِ

سِيَاقِهِ وَعَمِلَتْ عَلَى « تَضَخِيمِهِ » بِشَكْلِ مُثِيرٍ. وَأَنَّ « هُنَاكَ عُصْفُورَيْنِ أَرَادَ
الإعلامَ العَرَبِيَّ المُسَيَّرَ إسْقَاطَها بِهَذَا الحَجَرِ :

الأوَّلُ : تَأْجِيجُ نارِ الحِقْدِ والحَرْبِ بَيْنَ العَرَبِ والإِسْلامِ.

ثانِيًا : دَفْنُ ما قالَهُ البابا عَن حَقِيقَةِ فَسادِ الفِكرِ العَرَبِيِّ الحَدِيثِ^(٥٨).

والْحَقِيقَةُ أَنَّ هَذَا الكَلَامَ - عَلَى الرَّغْمِ مِمَّا يَحْتَمِلُهُ مِنْ صَوَابِ نِسْبِيٍّ، بَيِّدَ
أَنَّهُ لا يَرْقَى إِلى مُستَوَى المَسْئُولِيَّةِ؛ فَ« بِنَيْدُكَ » لَيْسَ طِفْلاً، وَلا يَبْدُو عَلَيْهِ
خَرْفٌ شَيْخُوخَةٌ... وَلا يُمَكِّنُ العِيقادُ بِأَنَّ أَحَدًا قَدْ أَكْرَهُهُ عَلَى ما قالَ أَوْ
اسْتَدْرَجَهُ إِلَيْهِ... حَتَّى وَإِنْ كُنَّا لا نُنْكِرُ بِأَنَّ ثَمَّةَ جِهاَتٍ مُعَيَّنَةٍ تَنْفُخُ فِي نارِ
الحَرْبِ عَلَى الإِسْلامِ تَحْتِ عُنْوانِ « تَصادُمِ الحَضارِاتِ »!... بَلْ إِنَّ هَذَا نَوْعٌ مِنَ
الإِحْساسِ المُزْدَوِجِ بِالمُأْمَرةِ... ما يَدْفَعُ إِلى تَحْمِيلِ طَرَفٍ ثالِثٍ مَسْئُولِيَّةً تَأْجِيجِ
نارِ العِداوَةِ بَيْننا وَبَيْنَ حُصُومِنا الحَضارِيَّينِ!... وَهُوَ ما يُوَسِّعُ مِنْ مَساحَةِ
الأَعْذارِ لِلغَيرِ بِحُجَجٍ واهِيَةٍ دُونَ مُبرَّرٍ وَبِغَيرِ حِسابٍ!... لَكِنَّ هَذَا يَعْكُسُ فِي
كُلِّ الأَحْوالِ غِيبُوبَتِنا الحَضارِيَّةِ الَّتِي لَمْ يَسْتَطِعْ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عِندنا أَنْ يَسْأَلَ
فِي عَمَراتِها نَفْسَهُ : ما الَّذِي أَغْرَى العَرَبَ بِنائِنا إِلى هَذَا الحَدِّ...؟!

وَإِنِّي لأَحْشى أَنَّ يَأْتِي ذلِكَ اليَوْمَ الَّذِي تُدَبَّرُ فِيهِ لِلبابا مُحاولَةٌ اغْتِيالٍ عَن
طَرِيقِ أَيِّ جِهازِ مُحابراتٍ عَرَبِيٍّ!... وَلا سِيباً أَنَّ البابا عَيرٌ مَحْبُوبٌ فِي أَوْساطِ
المُحافِظِينَ الجُدُدِ الآنَ فِي عُمومِ أوروبَّا وَالوِلاياتِ المُتَّحِدةِ العالِمِ... ثُمَّ يَأْتِي مَنْ

(٥٨) الكلام لـ حسين العسكري - من مُقدِّمَتِهِ لـ « ليندن لاروش » في دراسَتِهِ: خُدَيْعَةُ الصُّحَافَةِ

ضدَّ البابا : بيرانارد لوبيس وَجَرائِمِهِ - <http://www.nysol.se/Arabic>

يَقُولُ : بِأَنَّ الْفَاعِلَ مُسْلِمٌ ثَارًا وَانْتِقَامًا لِتَجَاوُزَاتِ الْبَابَا... وَبِذَلِكَ تَتَصَاعَدُ وَتِيرَةٌ تَصَادُمُ الْحَضَارَاتِ فِي وَقْتٍ نَحْنُ فِيهِ تَقْرِيْبًا لَسْنَا عَلَى شَيْءٍ، وَأَشْبَهُ مَا نَكُونُ بِطَوَاحِينِ هَوَاءٍ!...

ثَانِيًا : « وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ »

بِمَا يُلَاحِظُ : أَنَّ نَمَّةَ أَهْدَافٍ مَدْرُوسَةً بِعِنَايَةٍ وَرَاءَ إِظْهَارِ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لَدَى دَائِرَةِ الْفَهْمِ الْعَرَبِيِّ بِصُورَةٍ تُوحِي بِالْتَّخَلُّفِ وَالْجُمُودِ تَارَةً.. وَبِالْعُنْفِ وَالْإِرْهَابِ تَارَةً أُخْرَى...! وَذَلِكَ فِي مُقَابِلِ الْعَقَائِدِ وَالْإِيدِيُولُوجِيَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي يُرَادُ إِظْهَارُهَا فِي صُورَةٍ مُشْرِقَةٍ مُفْعَمَةٍ بِالْحَيَوِيَّةِ وَالنُّضْجِ وَالتَّطَوُّرِ...!

وَالْمُلَاحِظُ كَذَلِكَ، أَنَّ « مَوَاقِفَ الْمُتَّقِينَ الْعَرَبِيِّينَ مُجَاهَ الْإِسْلَامِ. مِنْ « فُولْتير » وَهَجُومِهِ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ، إِلَى « فُولويل » مُرُورًا بِرُؤْيَا الرَّحَالَةِ الرَّوْمَانِيَّةِ لِلْإِسْلَامِ، تِلْكَ الَّتِي تُعَدُّ أَكْثَرَ ابْتِدَالًا مِنْ مَوَاقِفِ الْفَلَاسِفَةِ، عَلَى حَدِّ تَعْيِيرِ « هِشَامِ جَعِيط ». وَصُولاً إِلَى دِرَاسَاتِ الْمُشْتَغَلِينَ فِي حَقْلِ « الْأَنْثُولُوجِيَا » مِنْ « رِينَان » إِلَى « لِيْفِي شْتراوس » اللَّذِينَ يُؤَكِّدَانِ عَلَى الْكُلِّيَّةِ الشَّامِلَةِ لِلْإِسْلَامِ... وَذَلِكَ بِهَدَفِ إِدَانَتِهِ؛ فَهَوْلَاءُ جَمِيعًا يُجَاوِلُونَ تَصْوِيرَ الْإِسْلَامِ عَلَى أَنَّهُ بِنْيَةٌ لِلْعُنْفِ وَالْعَدَاءِ»^(٥٩). وَهَذَا مَا أَفْضَلَ تَسْمِيَّتَهُ بِـ « الْكَذِبِ

(٥٩) زكي الميلاد، تركي الربيعو- الإسلام والعرب - مرجع سابق - ص ١٠٠.

الاستراتيجي» الذي تُجيدُه غالبيةُ النخبِ في المُجتمعاتِ العُربِيةِ ولاسيما
المُجموعَةُ المُتميمَةُ للتَّيارِ الشُّراوسِيّ في أوروبَّا والولاياتِ المُتَّحِدةِ الأُمريكيَّةِ؛!
فالحركةُ الشُّراوسِيَّةُ^(٦٠) التي تُمثِّلُ خَلْفِيَّةً أَيْدُوِيُولُوجِيَّةً لِتَّيارِ المُحافظينِ في
أُمريكا الشَّمالِيَّةِ مِنْ خِلالِ إيمانها مَثَلًا بِحَقِّ القَوِيِّ لِحُكْمِ الضَّعيفِ. تَعْمَلُ بِكُلِّ
وَسِيلَةٍ لِإِضعافِ كُلِّ قَوِيٍّ دُونَ أَتباعِها وَمُناصِرِها.. وَتُكرِّسُ ضَعْفَ
الضَّعفاءِ!... وَ«الشُّراوسِيَّةُ عِبارةٌ عَن مَزيجِ مُركَّبٍ مِنَ المِكيافَلِيَّةِ وَالدَّارِويِنِيَّةِ
وَالتَّشَوِيَّةِ وَالنَّازِيَّةِ الفاشِيَّةِ»^(٦١)... فَهِيَ لا تُقوِّمُ فَحَسَبُ عَلى رَفْضِ الآخَرِ، بَلْ
لا تُريدُ أَنْ تَفهَمَهُ حَتَّى لا تَضطرَّ لِلقَبولِ بِوُجودِهِ!... تِلْكَ الحِركةُ الَّتِي كانَ
ولا زالَ هَدَفُها هُوَ : « خَلَقَ وَتَروِيجَ عَالمٍ فاشِستِيٍّ مِنْ خِلالِ اسْتِعمالِ
أعضائِها لِعِباراتٍ مِثْلَ « التَّهْديدِ الإِزْهابِيِّ » وَ« الإِزْهابِ الدَّوَلِيِّ » وَمُشابهاتِها
مِنَ العِباراتِ... لِكَي يُسبِّبوا الخَوْفَ وَالهَلَعَ وَيجدَعوا النَّاسَ كَي يُطالِبوا
حُكوماتِهِم بِحِمايَتِهِم مِنْ هَذا الحَظَرِ الَّذِي يَزَعْمونَهُ مُخيفًا!! وَمُنذُ الحادِي

(٦٠) نَسْبَةُ إلى كَلوِد لِيْفِي شِراوس : فِيلسُوفٌ وَمُفَكِّرٌ يَهُودِيٌّ أَلْمانيٌّ؛ وُلِدَ فِي أَلْمانيا سَنَةَ
١٨٩٩م. تَلَمَّذَ عَلى يَدِ المُفَكِّرِ النَّازِيِّ « مارْتِنِ هِيْدَجِر » وَكَبَّهُ كانَ رَيبَ وَأَسيرِ إِحسانِ
الحَقوقِي النَّازِيِّ « كارلُ شِميت »؛ وَكانَ فِي شِبابِهِ صَهيونِيًّا مُنَعَصِبًا. وَعَمَلَ كَثيرًا فِي
البُحوثِ اليَهُودِيَّةِ قَبْلَ أَنْ يُعادِرَ أَلْمانيا إلى فِرَنْسا ثُمَّ إِجْليْرا، قَبْلَ أَنْ يَسْتَقَرَّ بِهِ المَقامُ فِي
الولاياتِ المُتَّحِدةِ. حَيْثُ وَصَلَ جامِعةَ «شِيكاغو» فِي وَقتِ كانَتْ فِيهِ العُلومُ الفيزِيائِيَّةُ
تُكتَسَبُ مَزيدًا مِنَ الألقِ وَالجاذِبِيَّةِ هُنَاكَ. حَيْثُ لَمْ تُكُنْ قَدِ مَضَتْ سِوَى سَنواتِ قَلِيلَةٍ عَلى
أحداثِ أَوَّلِ تَفاعُلِ نُوويِّ مُتسَلِّسِلِ تَحْتَ المُدرَجِ العُربِيِّ لِمَلْعَبِ كُرَةِ القَدَمِ القَدِيمِ فِي
«شِيكاغو». نُوفِي ١٩٤٧م.

(٦١) عَطِيَّةُ الوِيشِي- الصُّراعُ فِي الفِكرِ العُربِيِّ- دارُ نُهضةِ مِصر- القاهِرة- ٢٠٠٦م-

عَسَّرَ مِنْ سِبْتَمِيرٍ : وَبَدَأَ الْخَوْفُ مِنَ التَّهْدِيدَاتِ الْإِزْهَابِيَّةِ - كَمَا أَسْلَفْنَا : « يُؤَدِّي إِلَى تَحَوُّلٍ عَمِيقٍ فِي السِّيَاسَةِ الْخَارِجِيَّةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ »^(٦١).

وَالَّذِي يُلَوِّحُ لِكُلِّ خَبِيرٍ بِالشُّؤْنِ الْعَرَبِيَّةِ : أَنَّهُ « بِدُونِ الْاعْتِرَافِ بِمَبْدَأِ الصَّرَاحِ : يَفْقَدُ الْعَقْلَ السِّيَاسِيَّ تَمَاسُكَهُ؛ وَبِدُونِ وُجُودِ الْعَدُوِّ الْخَارِجِيِّ : تُصْبِحُ الْإِسْتِرَاطِيَّةُ عَمِيَاءَ! فَالدَّوْرُ الَّذِي يَلْعَبُهُ مَبْدَأُ «الْعَدُوِّ الْخَارِجِيِّ» هُوَ : دَوْرٌ حَاسِمٌ، وَيُعْزِي دِينَامِيكِيَّةَ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ، الَّتِي بِدُونِ تَوَاجُدِ هَذَا الْعَدُوِّ : تَفْقَدُ مَبَرَّرَ وُجُودِهَا، وَتَتَعَرَّضُ لِلتَّفْسِيخِ وَالْإِنْهِيَارِ»^(٦٢)!. وَلِذَلِكَ، كَانَتْ صُرُورَةُ التَّوَافُرِ عَلَى عَدُوٍّ - وَلَوْ بِالْوَهْمِ الْإِصْطِنَاعِيِّ : مُحَقِّقَةً الْفَوَائِدَ التَّالِيَةَ :

١- تَوْفِيرُ الْهَدَفِ وَالِدَّافِعِ. حَيْثُ يَذْهَبُ « كَيْسِنَجِر » إِلَى أَنَّ « وُجُودَ الْعَدُوِّ يَعْمَلُ عَلَى تَقْلِيلِ مَظَاهِرِ الْعُمُوضِ أَوْ التَّنَاقُضِ الَّذِي تَقَعُ فِيهِ الْإِسْتِرَاطِيَّةُ عِنْدَمَا تَفْتَقِدُ الْهَدَفَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ تَتَعَامَلَ مَعَهُ... إِنَّ تَمَيِّزَ الْعَدُوِّ أَوْلَى مِنْ تَمَيِّزِ الصَّدِيقِ؛ وَأَنَّ التَّعَامَلَ مَعَ الْأَوَّلِ وَسَيْلَةٌ لِتَوْضِيحِ طُمُوحَاتِ الْإِسْتِرَاطِيَّةِ وَالْحُصُولِ عَلَى الدَّافِعِ الْأَسَاسِ لِلتَّحَرُّكِ بِشَكْلِ مُكْتَفٍ فِي إِطَارِ السِّيَاسَاتِ الْعَالَمِيَّةِ»^(٦٣).

(٦١) والدن بللو - العسكرية والحرب.. هل تنقسم عرى حلف الأطلنطي؟- ترجمة أ-

سبتمبر ٢٠٠٢- نُقِلَ عَنْ : www.kfaya.net.

(٦٢) سعد سلوم- العقل الأمريكي.. تَحْيِيلُ الْقُوَّةِ - مقال بِمَجَلَّةِ النَّبَا - بيروت- العدد: ٧٧-

يونيو ٢٠٠٤م- <http://annabaa.org/nbahome/nba77/005>

(٦٣) هنري كيسنجر- العقيدة الإستراتيجية الأمريكية ودبلوماسية الولايات المتحدة-

ترجمة: حازم طالب مشتاق- بغداد- دار واسط- ١٩٨٧م- ص ٢٥.

٢- حَفِظُ التَّماسُكِ الدَّاخِلِيِّ مِنْ خِلالِ الإِنشِدادِ إِزاءَ العَدُوِّ الخارِجِيِّ فِي
نَوْعٍ مِنَ التَّعَبُّثِ العامَّةِ الَّتِي تَدَعُمُ كِيانَ الدَّوَلَةِ الدَّاخِلِيَّ وَتَشُدُّ أَجْزاءَهُ إِلى
بَعْضِها إِزاءَ خَطَرٍ خارِجِيٍّ مُحْتَمَلٍ أَوْ مُؤَكَّدٍ... وَبِذَلِكَ يَتَحَقَّقُ نَجَواؤُ
التَّنَاقُضاتِ الدَّاخِلِيَّةِ المُهِمَّةِ فِي كُلِّ آنٍ لِإِنفِجارِ....! فِفي كُلِّ الأَحْوالِ - وَفَقَّ
لِلْمُفَكِّرِ اللبْنايِ « مِيشيلِ كِيلو »: كانَ « لأبَدٍ مِنْ أَيْدِئُولُوجِيَّةِ تَعَبُوثِيَّةِ تَسَمُّ بِقَدْرِ
مِنَ العُمُومِيَّةِ.. ما يَجْعَلُها قابِلَةً لِلتَّبَنِّيِ مِنْ قِطاعاتِ المُجْتَمَعِ الأَمْرِيكِيِّ
المُخْتَلَفَةِ »^(٦٤)؛ هَذِهِ الأَيْدِئُولُوجِيَّةُ يُمكِنُ تَلْخِصُها فِي العاطِفَةِ الوَطَنِيَّةِ
الأَمْرِيكِيَّةِ الجامِعةِ وَالْمُوَحِّدَةِ... الَّتِي أَمكِنَ اسْتِيلادُها مِنْ رَحِمِ التَّضَحِياتِ
المَخاضِيَّةِ حِينَ وُلِدَتْ أَمْرِيكا، فَأَمْرِيكا، كَمَا يَقُولُ « سِيكِستو لوبيز » : هِيَ
« غايَةُ اللهِ فِي التَّارِيخِ » وَهِيَ القُوَّةُ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تَكُونَ قادِرَةً عَلى فَرَضِ
شُرُوطِها عَلى العالَمِ، وَيَجِبُ أَنْ تُوسِّعَ مَفْهُومَ مَصالِحِها الأَمْنِيَّةِ لِيشَمَلَ مَناطِقَ
ضَرُورِيَّةً مِنَ النَّاخِيَةِ الإِستِراتِيجِيَّةِ لِلسَّيْطَرَةِ عَلى العالَمِ »^(٦٥). وَلَقَدْ كانَتْ المُبالِغَةُ
الشَّديدَةُ فِي التَّهْدِيدِ الَّذِي كانَتْ تُشكِّلُهُ أنْظَمَةُ وَجَماعاتُ كَطالِبانَ وَالقاعِدَةُ
وَإيرانَ وَالحالَةُ البَعثِيَّةِ فِي كُلِّ مِنَ العِراقِ وَسُورِيَا فِي إِطارِ عَمَلِيَّةِ «عَمَلِقَةِ عَدُوِّ
خارِجِيٍّ يَجْعَلُ آلهَةَ الحَرْبِ تَنْتَصِبُ فِي سِياقِ التَّسْوِيقِ لِحَرْبٍ وَقائِيَّةِ^(٦٦) ضِدَّ

٦٤) مَجْمُوعَةُ باحثين- العَرَبُ فِي عالَمِ أَحاديِّ القُطْبِيَّةِ- سِلسِلَةُ « جَدَل - دارِ كِنعان
للدراساتِ والنشر- بَيرُوت- ١٩٩٢م- ص ١٢٧.

٦٥) مَجْمُوعَةُ باحثين- العَرَبُ فِي عالَمِ أَحاديِّ القُطْبِيَّةِ- المِرجعُ السَّابِقُ- ص ١٢٧.

٦٦) سَعْدُ سلوم- العِقلُ الأَمْرِيكِي. تَحْيِيلُ القُوَّةِ- مِقالٌ بِمَجَلَّةِ النُّبا- بَيرُوت- العِدد: ٧٧-

الإرهابِ وَقُوَى السَّرِّ وَالظَّلَامِ... تِلْكَ الَّتِي يُزَعَمُ أَنَّهَا تَنْطَلِقُ غَالِبًا مِنْ قِبَلِ
«الشَّرِّقِ الإِسْلَامِيِّ»!.

وَفِي ظَنِّي : أَنَّهُ لَوْ كَانَ « شتراوس » حَيًّا بِجَسَدِهِ!، لَأَذْهَشْتَهُ هَذِهِ الْحَفَاوَةُ
وَدَلِّكَ التَّوَهُجُ الْمُنْبَعِثُ مِنْ أَفْكَارِهِ فِي صُورِ عَمَلِيَّةِ حَقِيقَةِ بِنَشْوَرِهِ وَفَخْرِهِ بِنَبِيهِ
وَقَرَّةِ عَيْنِهِ وَهُمْ عَلَى هَدْيِهِ سَائِرُونَ وَبِعَقِيدَتِهِ مُؤْمِنُونَ.. وَقَدْ صَارَتْ لَهُمْ أَعْظَمُ
دَوْلَةٍ وَأَبْشَعُ صَوْلَةٍ!... وَفِي ظَنِّي أَنَّ أَسْلَافَ « شتراوس » لَا يَتَصَرَّفُونَ وَفَقًّا
لِرُؤْيَتِهِ مِنْ مُنْطَلِقِ نَفْعِيٍّ حَيْثُ تَتَقَاطَعُ الْمَصَالِحُ مَعَ الْأَفْكَارِ... كَلَّا، بَلْ
يَتَعَامَلُونَ مَعَهَا عَلَى أَنَّهَا عَقِيدَةٌ دِينِيَّةٌ جَمَعَتْ سِمَاتِ وَخَصَائِصَ الْفَلَسَفَةِ الْغَرِيبَةِ
بِجَمِيعِ مَدَارِسِهَا فِي رُؤْيَةٍ أَوْ نُبُوءَةٍ « شتراوس » فَكَانَ حَرِيًّا بِهِمْ أَنْ يَدِينُوا لَهُ
بِالْوَلَاءِ وَيَتَفَانُونَ فِي عِبَادَتِهِ وَتَطْبِيقِ شَرِيعَتِهِ وَنَشْرِ مَبَادِئِهِ!

فَالشُّتْرَاوِسِيُّونَ يَنْشُرُونَ الْمَبَادِئَ الْعَامَّةَ لِلْحَرَكَةِ فِي كُلِّ الْكِيَانَاتِ
الْمُؤَسَّسَاتِيَّةِ وَفِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ مِنْ خِلَالِ شَبَكَةِ مُعَقَّدَةٍ مِنَ الْمُلتَزِمِينَ بِالْفِكْرِ
الْفَاشِيَّ الشُّتْرَاوِسِيِّ؛ حَيْثُ تَهْدَفُ هَذِهِ الشَّبَكَةُ : إِلَى مُحَاصِرَةِ الْحَقَائِقِ
وَالسَّيْطَرَةِ عَلَيْهَا، وَنَشْرِ الْأَكَاذِيبِ، وَتَرْتِيبِ الْإِنْفِلَابَاتِ وَتَخْلِيقِ الْأَزْمَاتِ
وَإِقْحَامِ الْعَالَمِ فِي دَوَّامَاتٍ مِنَ الْحَيْرَةِ وَالْقَلْقِ وَالشَّكِّ وَالخَوْفِ!...

وَلِكِي يَبْقَى الشُّتْرَاوِسِيُّونَ مُسَيِّطِرِينَ دَوْلِيًّا وَمُحَافِظِينَ عَلَى تِلْكَ
السَّيْطَرَةِ فَإِنَّهُمْ يَكْذِبُونَ وَيَسْتَمِرُّونَ بِالْكَذِبِ، بَلْ وَيُوفِّرُونَ كُلَّ مَا يُمَكِّنُهُمْ مِنْ
أَمْوَالٍ لِشِرَاءِ ذِمَمٍ مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدْعَمَ كَذِبَهُمْ وَسَيِّطَرَتَهُمْ سَوَاءً كَانُوا
أَشْخَاصًا أَوْ مُؤَسَّسَاتٍ أَوْ حُكُومَاتٍ أَوْ حَتَّى مَرَاكِزَ أبحاثٍ أَوْ مَنَابِرَ رَأْيٍ...

فَالْكَذْبُ : هُوَ فِي صِلْبِ تَفْكِيرِهِمْ لِتَحْقِيقِ الْأَهْدَافِ وَإِخْفَاءِ الْحَقِيقَةِ عَنِ الشَّعْبِ لِكَيْ يَجْمَعُوا الْقُوَّةَ مِنْ أَجْلِ إِسَاءَةِ اسْتِخْدَامِهَا... إِيْتَهُمْ عَلَى حَدِّ قَوْلِ أَحَدِ الْمُحَلِّلِينَ : «أَطْفَالُ الشَّيْطَانِ وَالْكَذَّابُونَ السَّفَلَةُ الَّذِينَ يَقْفُونَ خَلْفَ حُرُوبِ بُوْشِ الْبَيْتِي لَنْ تَنْتَهِيَ»^(٦٧)!، وَلَا عَجَبَ فِي ذَلِكَ، خَاصَّةً وَأَنَّ مَقُولَةَ «شْتراوس» تُؤَكِّدُ عَلَى أَنَّ «الإِيمَانَ بِكِفَاءَةِ الْكَذْبِ الْمُتَعَمِّدِ فِي السِّيَاسَةِ»^(٦٨)؛ إِنَّ هَذَا الْكَذْبَ مِنْ نَوْعِ يُسَمِّيهِ «شْتراوس» : «الْكَذْبَ النَّبِيلَ!»، الَّذِي تُسْتَعْمَدُ فِيهِ أَنْوَاعُ الدَّجَلِ وَالسَّحْرِ وَالْحَيَالَاتِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْأَسَاطِيرِ بِمَا يَجِدُ رَغْبَةَ النَّخْبَةِ الْخَيْرَةِ الْقَائِدَةِ فِي تَوْحِيدِ مُجْتَمَعَاتِهِمْ!... إِنَّ لَدَى «شْتراوس» تَصَوُّرًا قَوِيًّا عَنِ نَمَطِ خَارِقِ مِنَ الرِّجَالِ يُسَمِّيهِمُ «الْأَنْبِيَاءَ الْفَلَاسِفَةَ»، وَهَؤُلَاءِ يَعْرِفُونَ جَيِّدًا أَيَّ نَوْعٍ مِنَ الدَّوَاءِ تَحْتَاجُهُ أَزْمَتُهُمْ؛ وَهُمْ مُسْتَعِدُّونَ وَقَادِرُونَ عَلَى تَوْفِيرِهِ فِي صُورَةِ أُسْطُورَةٍ مَحْمِدةٍ أَوْ كَذِبَةِ نَسِيلَةٍ أَوْ زَيْفِ وَرَعٍ^(٦٩)!!، وَلِذَلِكَ، كَانَ الْكَذْبُ وَالْبُهْتَانُ فِي الْإِدَارَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ: مَسْأَلَةٌ وَاجِبَةٌ وَلَا زِمَّةٌ قَانُونِيَّةٌ وَأَخْلَاقِيَّةٌ لَا غَضَاضَةَ فِيهَا وَلَا تَثْرِيْبَ عَلَى مَنْ

٦٧) هُوَ : لِنْدُون لاروش - محمد العبيدي - الكذب وشريعة الغاب في سياسة وقوانين

الفاشية الأمريكية - مَقَالٌ بِمَجَلَّةِ الْمُحَرَّرِ الْعِرَاقِيَّةِ - العدد : ١٩٩ - ٢٠٠٤/١٠/٢٢ .

٦٨) http://www.al-moharer.net/moh199/m-obaidi199

٦٩) سَمِير كرم - ليو شتراوس واليمين الأمريكي - مَقَالٌ بِمَجَلَّةِ الْمُسْتَقْبَلِ الْعَرَبِيِّ - العدد :

٢٩٥ - ٢٠٠٣ - ص ١٧٧ .

أَتَاهَا!^(٧٠)! إِنَّ « كَيْسِنْجَرَ » يَرَى أَنَّ « رَجُلَ السِّيَاسَةِ يَحْكُمُ عَلَى الْأَفْكَارِ انْطِلَاقًا مِنْ فَائِدَتِهَا وَلَيْسَ مِنْ صِدْقِهَا »^(٧١)!.

هَذَا، وَمِمَّا يَنْبَغِي أَلَّا تَفُوتَنَا الْإِشَارَةُ إِلَى مَسَاعِيهِ الْغَيْرِ مُنْصَفَةٍ وَمُغَالَطَاتِهِ الْفَاحِشَةِ : رَجُلٌ يُوصَفُ بِأَنَّهُ أَكْثَرُ الْمُتَقَفِّينَ الْأَوْرُوبِيِّينَ الْإِتِّصَاقًا بِأَحَدِ كِبَارِ الصَّهَابِيَّةِ الْأَمْرِيكَانِ وَيُدْعَى « دَانِيَالُ بَابِيْسَ »، وَهُوَ « شِثْرَاوِسِيٌّ » عَتِيدٌ عِنْدِي فِي كِرَاهِيَّتِهِ وَحَقْدِهِ عَلَى كُلِّ مَا يَمُتُّ إِلَى الْإِسْلَامِ بِصِلَةٍ!!... وَهُوَ مِنْ كُبْرَاءِ الْمُحَافِظِينَ الْجُدُدِ، وَالَّذِي يُفَوِّقُ فِي تَشَدُّدِهِ « بُوْشَ » وَتَشْيِينِي « وَوُولْفِيْتِزَ » وَغَيْرَهُمْ مِنْ أَشَدِّ الْمُحَافِظِينَ غُلُوقًا وَتَشَدُّدًا، وَيُعْتَبَرُ « بَابِيْسَ » فِي نَظَرِ الْإِدَارَةِ الْحَاكِمَةِ فِي الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ : مِنْ أَهَمِّ الْمُنْظَرِينَ الْأَسَاسِيِّينَ ضِدَّ الْإِسْلَامِ. كَتَبَ مِثَالِ الدَّرَاسَاتِ وَالْمَقَالَاتِ ضِدَّ الْإِسْلَامِ، وَكَانَ مِنْ أَشْهَرِ مَقَالَاتِهِ : مَا كَتَبَهُ فِي الْعَامِ ٢٠٠٤ م : مَقَالًا مُطَوَّلًا بِعُنْوَانِ « خَطَرُ الْإِسْلَامِ » وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ

(❖) الْحَقِيقَةُ أَنَّهُ مِنْ خِلَالِ التَّصْرِيحَاتِ الصُّخْفِيَّةِ وَالْمُؤْتَمَرَاتِ وَالخُطَبِ نُلَاحِظُ جَمِيعًا أَنَّ «بُوْشَ» يَكْذِبُ، وَ«دُونَالْدُ رَامْسْفِيلْدُ» وَ«دِيكُ تَشْيِينِي» وَ«كُونْدَالِيْزَا رَابِيْسَ»، وَ«جُونُ بُولْتُونُ» وَ«بُولُ وَوُولْفِيْتِزُ» وَ«وِيلِيَامُ كَرِيْسْتُولُ» وَغَيْرُهُمْ كَاذِبُونَ... وَتِلْكَ الرُّسَائِلَةُ الْإِعْلَامِيَّةُ هَائِلَةٌ... وَالْمَعَاهِدُ وَالْمَرَاكِزُ الْإِسْتِرَاطِيْجِيَّةُ وَمُؤَسَّسَاتُ وَنُظُمُ وَتَشْكِيْلَاتُ... جَمِيعُهَا تَرْفَعُ شِعَارَ « الْكُذْبِ = مِنْ أَجْلِ الْحَيَاةِ »، لِفِيصْنُوقِ قَوْلِ اللَّهِ فِيهِمْ : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكْذِبُونَ ﴾ الْوَاقِعَةُ ٨٢. وَلَكِنْ عَلَيْنَا الْأَنْتَسَانُ أَنْ جَزَاءً مِنْ هَذَا الْكُذْبِ وَالْخِدَاعِ يُمَارَسَ بِحَقِّ شَعْبِي هُوَ بِطَبِيعَتِهِ مُتَمَارِسٌ مَعَ ذَلِكَ الْخِدَاعِ وَمُتَقَبَّلُهُ وَمُسْتَسْتَبِعُهُ طَالَمَا أَنَّ ذَلِكَ سَيَبِيحُ حَيَاةً أَفْضَلَ... وَلَقَدْ أَدَّى ذَلِكَ إِلَى نِسْيَانِ عَدَالَةِ الرُّوحِ الشَّعْبِيَّةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ الَّتِي أَكَّدَ الدُّسْتُورُ عَلَيْهَا، وَالَّتِي تَسْتَمِدُّ صُورَتَهَا وَجَوْهَرَهَا مِنْ مَصْدَرَيْنِ أُسَاسِيَّيْنِ : حِسِّ قَوِيٍّ بِالْعَدَالَةِ الَّتِي يَصُوْنُهَا الدُّسْتُورُ وَيُنْبِئُهَا الْقَانُونُ، وَحِسِّ دِينِيٍّ قَوِيٍّ مَصْدَرُهُ الْإِنْجِيلُ وَفُضِيلَةُ الْمَحَبَّةِ الَّتِي يُبَشِّرُ بِهَا.

(٧٠) نَعُومُ تَشُوْمِسْكِي - حُفُوقُ الْإِنْسَانِ وَالسِّيَاسَةِ الْخَارِجِيَّةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ - تَرْجَمَةُ : عُمُرُ الْأَيُّوبِيِّ - مُؤَسَّسَةُ الْأَبْحَاثِ الْعَرَبِيَّةِ - بِيْرُوتَ - ١٩٨٤م - ص ٦٢.

حُلَاصَة مُدَارَسَة حُورَايَة أُجْرَاهَا مَعَهُ الصُّحْفِي الدَّنَارِكِي « فليمنغ روس »^(٦٥).
 مِنْ خِلَالِ صَحِيفَةِ « جِيُولَانْدِرز بُوْسْتِن » الدَّنَارِكِيَّة^(٦٦)؛
 وَعَبَّرَ هَذَا اللُّقَاءَ : لَمْ يَكْفِ الرَّجُلَانِ خِلَالَ الحُورَايَةِ عَنْ مُوَاصَلَةِ
 تَشْوِيهِ العَرَبِ وَالمُسْلِمِينَ بِشَتَى السُّبُلِ الرَّخِيصَةِ وَالْوَسَائِلِ الحَسِيْسَةِ
 وَالدَّرَائِعِيَّةِ المُفْضِيَّةِ إِلَى إِعْلَانِ الحَرْبِ العَالَمِيَّةِ عَلَى الإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ! ...
 فَالكَاتِبُ الأَمْرِيكِي « دَانِيَال بَايِس » يُرِيدُ تَصْوِيرَ مَا حَدَثَ مِنْ شَغَبٍ فِي
 فِرْنَسَا عَلَى أَنَّهُ نَوْعٌ مِنَ « الثَّوْرَةِ » فِي أُورُوبَا، فَهُوَ يَتَبَجَّحُ رَافِضًا تَفْسِيرَ
 المُحَلِّلِينَ الفِرَنْسِيِّينَ مُعْتَقِدًا أَنَّهُ يَعْرِفُ فِرْنَسَا أَحْسَنَ مِنْهُمْ!؛ وَلِذَلِكَ، فَهُوَ
 يَرَى أَنَّ : « وَسَائِلَ الإِعْلَامِ الفِرَنْسِيَّةِ : تَتَجَاهَلُ الأَيْدِيُولُوجِيَّةَ الإِسْلَامِيَّةَ
 المُعَادِيَّةَ لِفِرْنَسَا وَطُمُوحَاتِهَا لِلسَّيْطَرَةِ عَلَى فِرْنَسَا وَاسْتِبْدَالَ حَضَارَتِهَا
 بِالحَضَارَةِ الإِسْلَامِيَّةِ »^(٦٧)!

وَيَتَرَكِّزُ النِّشَاطُ الأَسَاسُ لِـ«دَانِيَال بَايِس» حَوْلَ دَعْمِ المُشْرُوعِ
 الصَّهْيُونِيِّ. كَمَا أَنَّهُ يَأْخُذُ عَلَى الحُكُومَةِ الصَّهْيُونِيَّةِ المُحْتَلَّةِ : أَنَّهَا « لا تُعَاقِبُ
 الفِلَسْطِينِيِّينَ كَمَا يَجِبُ أَنْ يُعَاقَبُوا »!، فَهُمُ فِي نَظَرِهِ « كَيْسُوا إِلاَّ قَتَلَةً وَلا بُدَّ مِنْ
 تَصْفِيَّتِهِمْ، لِأَنَّهُمْ يُمَثِّلُونَ الحَظَرَ الآتِي ».

(٦٥) الصُّحْفِيُّ فِي الصَّحِيفَةِ الدَّنَامَارِكِيَّةِ « جِيُولَانْدِرز بُوْسْتِن »، مَسْئُولُ الصَّفْحَةِ الثَّقَافِيَّةِ،
 وَصَاحِبُ فِكْرَةِ الرُّسُومِ الإِثْنَى عَشَرَ المُسَيَّنَةِ لِلنَّبِيِّ الكَرِيمِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ .

(٦٦) العَدَدُ المُصَادِرُ فِي ١٥ أَكْتُوبَرِ ٢٠٠٤م - <http://dk.danielpipes.org/article/2304>

(٦٧) ضِيَاءُ بَخِيْت - عَلَى مَقْهَى فِي الشَّارِعِ السِّيَاسِي الأَمْرِيكِي - نَقْلًا عَنْ:

http://www.egypty.com/services/egypty_salon31.asp

وَفِي نُوْفَمَيْرٍ مِّنَ الْعَامِ ١٩٩٠ م، كَتَبَ « بَابِيس » بِأَسْلُوبٍ مُّعَادٍ وَمُحَرَّرِصٍ عَلَى الْمَكْشُوفِ، قَدْ حَمَلَ عُنْوَانَ « الْمُسْلِمُونَ قَادِمُونَ... الْمُسْلِمُونَ قَادِمُونَ»، وَتَمَّ نَشْرُهُ بِالْمَجَلَّةِ الْوَطَنِيَّةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ. تَحَدَّثَ فِيهِ عَنِ مَرَايَا الْمُجْتَمَعَاتِ الْغَرْبِيَّةِ وَمَدَى اخْتِلَافِهَا عَنِ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ!...، لَقَدْ وَصَلَ إِلَى نَتِيجَةٍ تَقُولُ: إِنَّ الْمُجْتَمَعَاتِ الْغَرْبِيَّةِ « غَيْرُ مُهَيَّأَةٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ لِاسْتِقْبَالِ الْمُهَاجِرِينَ بِأَعْدَادٍ كَبِيرَةٍ، خُصُوصًا أُولَئِكَ الَّذِينَ تَكْسُو أَجْسَادَهُمْ بَشْرَةَ غَامِقَةً، وَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ مَا كَلَّ غَرْبِيَّةٌ عَجِيْبَةٌ لَمْ يَعْتَدْ عَلَيْهَا الْمَوَاطِنُ الْأُورُوبِيَّةُ»^(٧٣).

وَيَقُولُ « دَانِيَالُ بَابِيس »: « إِنَّ أُوْرُوبَا سَتُصْبِحُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ أَقْلِيًّا مِنْ أَقَالِيمِ الْإِسْلَامِ، أَوْ مُسْتَعْمَرَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ - وَفَقًّا لِمَا قَالَتْهُ «أُورِيَانَا فِلَاتَشِي» فِي كِتَابِهَا الْجَدِيدِ « قُوَّةُ الْمَنْطِقِ »؛ وَلَعَلَّ هَذِهِ الصُّحَافِيَّةُ الْإِيطَالِيَّةُ الْمَشْهُورَةُ عَلَى حَقٍّ؛ إِذْ إِنَّ الْإِسْلَامَ أَحَدَ يَغْزُو مَعْقَلَ الْمَسِيحِيَّةِ الْقَدِيمِ « أُوْرُوبَا»^(٧٤).!!!.

وَبِالطَّعْنِ، فَإِنَّ هَذَا التَّدْلِيْسَ الشُّرَاوِسِيَّ يَأْتِي مُوَازِيًا لِإِنَارَةِ فَوْضَى الْبَحْثِ عَنِ مَظَانِّ «الْإِسْلَامِ فُوبِيَا» فِي بَعْضِ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ - كَمَا فِي أَفْغَانِسْتَانَ وَالْعِرَاقِ وَفِي السُّودَانَ وَالصُّومَالِ^(٧٥)... ذَلِكَ الْبَحْثُ الَّذِي طَالَ وَاسْتَطَالَ فَلَمْ يَتْرُكْ سِوَى الْحَيْرَةِ تَمُوجٍ بِصُدُورِ كُلِّ إِنْسَانٍ عَاقِلٍ فِي الْعَالَمِ

(٧٣) نُقِلَ عَنْ: سَلِيمَانَ الدَّقِي - مَعْلُومَاتُ جَدِيدَةٌ بِخُصُوصِ الرِّسُومِ الْمَسِيحِيَّةِ لِلرَّسُولِ -

http://www.aljaml.com/node/2190 - ٢٠٠٦/٦/٣ م.

(٧٤) فِي مَقَالِهِ الْمُنَشُورِ بِعُنْوَانِ « أُوْرُوبَا الْمُسْلِمَةُ » - « نِيُوْيُورِكِ صَنْ » الْأَمْرِيكِيَّةِ -

٢٠٠٤/٥/١١ م.

(٧٥) أَثْبَتَتْ تَقَارِيرٌ تَدْرِيْبٌ حَوَالِي أَلْفِ شَخْصٍ مِنْ دَارْفُورِ السُّودَانِيَّةِ عَلَى يَدَيْ قُوَاتٍ أَمْرِيكِيَّةٍ صَهْيُوبِيَّةٍ!

الْمَنْكُوبِ بِدَجَالِيِ الْمُحَافِظِينَ الْجُدُدِ وَمَنْ نَحَا نَحْوَهُمْ أَوْ أَنَاخَ مَطِيَّةَ عَقْلِهِ
لِسَخْفِهِمُ اللَّعِينِ!... وَلِيَتَجَدَّدَ التَّسَاوُلُ السُّقْرَاطِيَّ الْقَدِيمِ فِي عَفْوِيَّةٍ وَسَدَاجَةِ
: « مَا هُوَ الْحَيِيزُ بِالنَّسْبَةِ لِلْمُجْتَمَعِ وَالْإِنْسَانِ؟ » وَبِالطَّبَعِ، فَإِنَّ الإِجَابَةَ تَكُونُ
دَائِمًا لَدَى صَائِعِ السُّوَالِ : لِيَبْرَأِيَّةَ الْحَدِيدِ وَالنَّارِ وَدِيمُقْرَاطِيَّةَ الْجُنْثِ النَّبِيِّ
تَفُوحٌ مِنْهَا رَائِحَةُ الْبَارُودِ الْعَابِرَةِ لِلْقَوْمِيَّاتِ!!...

ثَالِثًا : الْجِيلُ الْإِسْتِشْرَاقِيُّ الْجَدِيدُ... وَمَنْطِقُ الْإِسْتِغْرَازِ

الْحَقِيقَةُ، أَنَّنَا مَهْمَا ذَكَرْنَا وَسَنَذْكُرُ حَوْلَ أَسْبَابِ وَمَظَاهِرِ وَأَعْرَاضِ
«الإسلام فوييا»... بِيَدِ أَنَّهُ وَعَلَى آيَةِ حَالٍ : لَا يُمَكِّنُ النَّظْرُ إِلَى كُلِّ هَذِهِ الصُّوَرِ
الْكَثِيفَةِ الَّتِي تَزْدَحِمُ بِهَا الْمُخَيَّلَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْمُخَصَّصَةَ بِالْأَوْهَامِ وَالْأَرَاخِيفِ عَنِ
الإسلامِ وَالْمُسْلِمِينَ- وَالَّتِي تُسَاوِي بَيْنَ الْعُنْفِ وَالْإِسْلَامِ- بِمَعْرُولٍ عَنِ
الصُّوَرِ النَّمَطِيَّةِ الْإِسْتِشْرَاقِيَّةِ الْقَابِعَةِ فِي مُتَخَيَّلِ الْعَرَبِ عَنِ الْإِسْلَامِ!؛

وَيَرَى « مُونْتِغومري واط »^(٧٥) : أَنَّ أَوْرُوبًا الْوَسِيطِيَّةَ أَفْرَزَتْ ظَاهِرَتَيْنِ لَا
يُمْكِنُ لِأَيِّ بَاحِثٍ جَادًّا أَنْ يَتَعَامَلَ مَعَهَا بِلا مُبَالَاه : تَتَمَثَّلُ الْأُولَى فِي الصُّوَرَةِ
السَّاهِيَّةِ تَمَامًا الَّتِي وَلَدَتْهَا أَوْرُوبًا عَنِ الْإِسْلَامِ. وَتَبْرُزُ الثَّانِيَّةُ فِي التَّجَدُّرِ الْهَائِلِ
الَّذِي تَمَكَّنَتْ الْإَيْدِيُولُوجِيَا الصَّلِيبِيَّةُ مِنْ تَرْسِيخِهِ فِي قُلُوبِ وَعُقُولِ
الأُورُوبِيِّينَ عَنِ الذَّاتِ وَعَنِ الْآخِرِ. وَلَقَدْ جَاءَ الْإِنْطِبَاطُ الْعَرَبِيُّ عَنِ الْإِسْلَامِ
نَتَاجًا لِلْأَدْبِيَّاتِ الَّتِي وَضَعَهَا رِجَالُ الْكِنَيْسَةِ، وَعُلَمَاءُ الْكَلَامِ، وَالْمُؤَرِّخُونَ،

75) W. Montgomery Watt ,L'influence de l'Islam sur l'Europe medievale, Ed.
Librairie orientaliste Paul Genthner, 1974, Paris .p. 67.

بِالدَّرَجَةِ الْأُولَى. وَإِنَّ إِحْدَى أُبْرَزِ هَذِهِ الصُّورِ النَّمَطِيَّةِ الَّتِي بَلَّوْرَهَا الْوَعْيُ
النَّصْرَانِي فِي الزَّمَنِ الْوَسِيطِ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَظَلَّتْ مَجَالًا لِلتَّوَارِثِ الْعَرَبِيِّ عَلَى
امْتِدَادِ الْقُرُونِ : أَنَّهُ « عَقِيدَةٌ ابْتَدَعَهَا مُحَمَّدٌ؛ وَهِيَ تَسْمَى بِالْكَذِبِ وَالتَّشْوِيهِ
الْمُتَعَمِّدِ لِلْحَقَائِقِ، إِنَّهَا عَقِيدَةُ الْجَبْرِ، وَالْإِنْجِلَالِ الْخُلُقِيِّ، وَالتَّسَاهُلِ مَعَ الْمَلذَّاتِ
وَالشَّهَوَاتِ الْحَسِّيَّةِ... وَإِنَّهَا دِيَانَةٌ الْعُنْفِ وَالْفَسْوَةِ... شِعَارُهَا : السَّيْفُ
وَالْحَرْبُ وَالْقِتَالُ ». فَالْمُسْلِمُ « بِاعْتِبَارِهِ رَجُلًا مُحَارِبًا، شَرَسًا، مُتَوَحِّشًا، يَقُومُ
بِكُلِّ أَنْوَاعِ النَّهْبِ وَالتَّنْكِيلِ، خَالِقًا بِذَلِكَ وَرَاءَهُ تَعَاسَةً وَشَقَاءً لَا يُوصَفَانِ،
يُحَرِّكُهُ مَيْلٌ قَوِيٌّ لِلْقَتْلِ ».... وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْاِفْتِنَاتِ الْجَاهِلِ وَالْبُهْتَانِ
الْمُسْتَفِزِّ!... وَلَكِنْ أَلَيْسَ هُنَاكَ عَقْلٌ يَتَدَبَّرُ وَيُحْكِمُ الْأُمُورَ بِصُورَةٍ تُعَزِّزُ الثَّقَةَ فِي
تِلْكَ الْمَطْرُوحَاتِ الْفِكْرِيَّةِ الَّتِي لَا تَرَى فِيهَا إِلَّا الْأَكَاذِيبَ وَمُغَالَطَاتٍ وَحَقْدًا
أَعْمَى وَكَرَاهِيَّةً تَارِيخِيَّةً حَقْمَاءَ غَيْرِ مُبَرَّرَةٍ بَيِّنَةٍ أَوْ بَقْرِيَّةٍ صَادِقَةٍ!...

وَإِنَّا لَتَنَسَاءُلُ : إِذَا كَانَ كَهَنَةُ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ يَعْتَبِرُونَ أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ
مَزِيحٌ مِنَ الْمَسِيحِيَّةِ وَالْيَهُودِيَّةِ وَأَنَّ مُحَمَّدًا تَلَقَّى تَعَالِيمَهُ مِنَ الْقَسَاوِسَةِ
وَالرُّهْبَانِ!... إِلَى غَيْرِ هَذِهِ التُّرَاهَاتِ وَالْأَكَاذِيبِ... فَلِمَاذَا إِذَا يُجَارِبُونَهُ؟!
لِمَاذَا يُخَيِّفُونَ مِنْهُ الْعَالَمَ وَيُظَاهِرُونَ عَلَيْهِ بِالْإِثْمِ وَالْإِفْكَ وَالْعُدْوَانِ؟!... هَذَا
مَا لَمْ يُجِبْ عَنْهُ!. نَحْنُ هُنَا بِصَدَدِ حَالَةٍ تَتَدَاخَلُ فِيهَا إِرَادَةُ الْخَطِيئَةِ مَعَ
الْعَقِيدَةِ الدِّينِيَّةِ لِتُشَكَّلَ فِي نَهَايَةِ الْمَطَافِ مُعْطَا أَيْدِيُولُوجِيًّا يَفِرُّ صَيْرُورَةً
تَارِيخِيَّةً نَافِرَةً مِنْ كُلِّ أَشْكَالِ التَّفَاعُلِ الْإِيجَابِيِّ مَعَ الْآخِرِ بِصِفَةِ عَامَّةٍ -
وَالْإِسْلَامِيِّ بِصِفَةِ خَاصَّةٍ!!.

وَأَعْلَلُ الْمَتَابِعَ لِتَطَوُّرَاتِ الْحَرَكَةِ الْاِسْتِشْرَاقِيَّةِ مُنْذُ مَطْلَعِ الثَّمَانِيَّاتِ،
يُلاحِظُ مَلامِحَ التَّحَوُّلاتِ فِي تَوَجُّهاتِها العَامَّةِ وَفِي فِلسَفَتِها الَّتِي أَخَذَتْ تَتَخَلَّى
شَيْئًا فَشَيْئًا عَنِ مَواقِعِها التَّقْلِيدِيَّةِ لِتُسَلِّمَ قِيادَها إِلى الفِكرِ المُخابِراتِيِّ العَرَبِيِّ،
الَّذِي انْعَطَفَ لِتَوِّهِ نَحْوَ إِثارَةِ زَواجِعِ الحِقْدِ وَالكَراهِيةِ وَالتَّخَويفِ
الِإسْتِراتِيجِيِّ مِنَ الإِسلامِ بِصُورَةٍ أَكْثَرَ شُمولاً وَاتِّساعاً وَتَرَكِيزاً غَيْرَ
مَسْبُوقٍ؛ فَقَدِيماً كَانَتْ الدَّراساتُ الْاِسْتِشْرَاقِيَّةُ تُعْنَى فِيمَا تُعْنَى بِهِ مِنْ بَحْثٍ
فِي العُلُومِ الاجْتِماعِيَّةِ وَالْحَضارِيَّةِ.. وَتَحْقِيقِ اللِّتْراثِ العَرَبِيِّ وَالِإِسلامِيِّ، أَوْ
وَضَعِ تَرْجِماتٍ لِمَعانِي القُرْآنِ الكَرِيمِ.. وَالتي كَانَتْ تَنْطَلِقُ بِطَبِيعَتِها مِنْ
تَصَوُّرِها لِلأَهْوَياتِ الكَنَسِيَّةِ أَوْ الفِلسَفَةِ العَرَبِيَّةِ بِصِفَةِ عَامَّةٍ؛ وَمِنْ الجَدِيدِ
بِالذِّكْرِ هُنَا التَّقْرِيرُ بِأَنَّ «الِاسْتِشْرَاقُ الأَمْرِيكِيُّ - بِصِفَةِ خَاصَّةٍ : قَدْ جاءَ
امْتِداداً وَاسْتِمْراراً لِلاِسْتِشْرَاقِ الأُورُوبِيِّ، وَارثاً مُجْمَلِ تَصَوُّراتِها الجاهِزَةِ عَنِ
العالمِ العَرَبِيِّ وَالِإِسلامِيِّ»^(٧٦)، فَلا فَرْقَ إِذاً بَيْنَ مُسْتَشْرِقِينَ أَمْرِيكانِ
وَمُسْتَشْرِقِينَ أُورُوبِيِّينَ!. وَإِنَّ أَطْرُوحاتِهِمْ حَوْلَ الإِسلامِ بِشَكْلِ عامٍ حينَ
تَخْتَلِطُ بِبَعْضِها بِبَعْضًا: فَإنَّما تُحَدِّثُ دَوْبًا وَدَوارًا فِي رَأْسِ أَيِّ مُجْتَمَعٍ عَرَبِيٍّ بِشَكْلِ
مُثِيرٍ!... فَانظُرْ مَثَلًا ما يَقُولُهُ أَحَدُ المُسْتَشْرِقِينَ التَّقْلِيدِيِّينَ «جِب» مُشِيرًا إِلى
أَحَدِ مَكانِ القُوَّةِ فِي النَّمُودِجِ الإِسلامِيِّ فيقولُ: «إِنَّ الحَرَكاتِ الإِسلامِيَّةَ
تَتَطَوَّرُ عَادَةً بِصُورَةٍ مُذهِلَةٍ، تَدْعُو إِلى الدَّهْشَةِ، فَهِيَ تَنْفَجِرُ انْفِجارًا مُفاجِئًا

(٧٦) رشيد بلحبيب- رشيد بلحبيب- موقع مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث

الاستشراق - <http://www.madinacenter.com>

قَبْلَ أَنْ يَتَبَيَّنَ الْمُرَاقِبُونَ مِنْ أَمَارَاتِهَا مَا يَدْعُوهُمْ إِلَى الْاِسْتِرَابَةِ فِي أَمْرِهَا؛ فَالْحَرَكَاتُ الْاِسْلَامِيَّةُ لَا يَنْقُصُهَا إِلَّا وُجُودُ الرَّعَامَةِ، لَا يَنْقُصُهَا إِلَّا ظُهُورُ صَلاَحِ الدِّينِ جَدِيدٍ»^(٧٧). وَيَسْتَدْرِكُ الْمُسْتَشْرِقُ وَالْمُنْصِرُّ «لورانس بروان» عَلَيْهِ فَيَقُولُ: «كَانَ قَادَتْنَا يُخَوِّفُونَا بِشُعُوبٍ مُخْتَلِفَةٍ، لَكِنَّا بَعْدَ الْاِخْتِبَارِ لَمْ نَجِدْ مُبَرِّرًا لِمِثْلِ تِلْكَ الْمَخَافِ.. كَانُوا يُخَوِّفُونَا بِالْحَطَرِ الْيَهُودِيِّ، وَالْحَطَرِ الْيَابَانِيِّ الْأَصْفَرِ، وَالْحَطَرِ الْبُلْشِيَّيِّ... لَكِنَّهُ تَبَيَّنَ لَنَا: أَنَّ الْيَهُودَ هُمْ أَصْدِقَاؤُنَا، وَأَنَّ الْبَلَاشِفَةَ الشُّيُوعِيَّةَ حُلَفَاؤُنَا، أَمَّا الْيَابَانِيُّونَ، فَإِنَّ هُنَاكَ دَوْلًا دِيمِقْرَاطِيَّةً كَبِيرَةً تَتَكَفَّلُ بِمَقَاوِمَتِهِمْ. لَكِنَّا وَجَدْنَا أَنَّ الْحَطَرَ الْحَقِيقِيَّ عَلَيْنَا مَوْجُودٌ فِي الْاِسْلَامِ، وَفِي قُدْرَتِهِ عَلَى التَّوَسُّعِ وَالْاِخْتِصَاعِ، وَفِي حَيَوِيَّتِهِ الْمُدْهَشَةِ»^(٧٨).

وَيَكْشِفُ «سالازار» عَنْ طَبِيعَةِ جُرْثُومَةِ الْخَوْفِ الْمُعَقَّدَةِ الَّتِي سَرَتْ مِنَ الْغَرْبِيِّينَ مَسْرَى الدَّمَاءِ فِي الْعُرُوقِ فَيَقُولُ: «إِنَّ الْحَطَرَ الْحَقِيقِيَّ عَلَى حَضَارَتِنَا: هُوَ الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يُجَدِّثَهُ الْمُسْلِمُونَ حِينَ يُعَيِّرُونَ نِظَامَ الْعَالَمِ... فَهُمُ الْحَطَرُ الَّذِي يُهَدِّدُنَا بِعُنْفٍ بِصُورَةٍ مُبَاشِرَةٍ، فَالْمُسْلِمُونَ عَالَمٌ مُسْتَقْبَلٌ كُلُّ الْاِسْتِقْلَالِ عَنْ عَالِمِنَا الْغَرْبِيِّ؛ فَهُمُ يَمْلِكُونَ تَرَاثِمَهُمُ الرُّوحِيَّ الْخَاصَّ بِهِمْ، وَيَتَمَتَّعُونَ بِحَضَارَةٍ تَارِيخِيَّةٍ ذَاتِ أَصَالَةٍ، فَهُمُ جَدِيدُونَ أَنْ يُقِيمُوا قَوَاعِدَ عَالَمٍ جَدِيدٍ دُونَ الْحَاجَةِ إِلَى إِذَابَةِ شَخْصِيَّتِهِمُ الْحَضَارِيَّةِ

(٧٧) هاملتون جب- الاتجاهات الحديثة في الإسلام- نقلًا عن: محمد محمد حسين-

الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر- مكتبة الآداب- القاهرة- ١٩٥٦م- ٢٠٦/٢.

78) Laurence E. Browne, The prospects of Islam, London, 1944, 9/10.

وَالرُّوحِيَّةِ فِي الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ»^(٧٩). وَيَقُولُ الْمُسْتَشْرِقُ «غاردنر»: «إِنَّ الْقُوَّةَ الَّتِي تَكْمُنُ فِي الْإِسْلَامِ هِيَ الَّتِي تُخِيفُ أَوْرَبًا»^(٨٠) وَيَقُولُ «مُورُو بِيرجر»^(٨١): «إِنَّ الْخَوْفَ مِنَ الْعَرَبِ، وَاهْتِمَامَنَا بِالْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، لَيْسَ نَاتِجًا عَنْ وُجُودِ النَّقْطِ بِعِزَارَةِ عِنْدَ الْعَرَبِ، بَلْ بِسَبَبِ الْإِسْلَامِ. يَجِبُ مُحَارَبَةُ الْإِسْلَامِ، لِلْحَيْلُولَةِ دُونَ وَحْدَةِ الْعَرَبِ، الَّتِي تُوَدِّي إِلَى قُوَّتِهِمْ، لِأَنَّ قُوَّةَ الْعَرَبِ تَتَّصَحَبُ دَائِمًا مَعَ قُوَّةِ الْإِسْلَامِ وَعِزَّتِهِ وَانْتِشَارِهِ. إِنَّ الْإِسْلَامَ يُفْرِغُنَا عِنْدَمَا نَرَاهُ يَنْتَشِرُ بِيَسْرٍ فِي الْقَارَةِ الْإِفْرِيْقِيَّةِ»^(٨٢).

إِنَّ مِثْلَ هَذَا الْمَوْرُوثِ الْاسْتِشْرَاقِيِّ : قَدْ أَدَّى بِطَرِيقَةٍ أَوْ بِأُخْرَى إِلَى تَفْعِيلِ وَتَكْرِيْسِ التَّعَصُّبِ الشَّائِعِ فِي الْعَرَبِ ضِدَّ الْعَرَبِ وَالْإِسْلَامِ مَاضِيًا وَحَاضِرًا وَمُسْتَقْبَلًا... وَيَرَى «إِدْوَارْد سَعِيدٌ» أَنَّهُ «مِمَّا يَزِيدُ الْأَمْرَ سُوءًا : عَدَمُ إِقْدَامِ أَيِّ شَخْصٍ لَهُ اهْتِمَامَاتٌ أَكَادِيمِيَّةٌ بِالشَّرْقِ الْأَدْنَى أَيَّ عَدَمِ إِقْدَامِ أَيِّ مُسْتَشْرِقٍ قَطُّ فِي الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ عَلَى التَّعَاطُفِ الْكَامِلِ وَالصَّادِقِ ثِقَافِيًّا وَسِيَاسِيًّا مَعَ الْعَرَبِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ بَعْضَ حَالَاتِ التَّعَاطُفِ قَدْ وُجِدَتْ عَلَى

(٧٩) نُقْلًا عَنْ: <http://www.alseraj.net/ar/s/11/index>

(٨٠) نُقْلًا عَنْ: عَمْرُ فَرْوُخَ، مِصْطَفَى خَالِدِي - التَّبَشِيرُ وَالِاسْتِعْمَارُ فِي الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ -

المكتبة العصرية - بيروت - ١٩٨٦م - ص ٣٦.

(٨١) كَانَ يُعْمَلُ أَسْتَاذًا لِعِلْمِ الْجَمَاعَةِ وَدِرَاسَاتِ الشَّرْقِ الْأَدْنَى بِجَامِعَةِ «بِرْنِسْتون» الْأَمْرِيكِيَّةِ. وَكَانَ رَئِيسًا لِرَابِطَةِ دِرَاسَاتِ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ. مِنْ أَجْزَرِ أَعْمَالِهِ : «العالم العربي المعاصر» وتقرير بعنوان : «دراسات الشرق الأوسط وشمال إفريقيا: التطور والاحتياجات».

(٨٢) فِي كِتَابِهِ: الْعَالَمُ الْعَرَبِيُّ الْمُعَاصِرُ - نُقْلًا عَنْ: مُحَمَّدِ الْبُهَيْ - الْفِكْرُ الْإِسْلَامِيُّ

الْحَدِيثُ وَصِلَتُهُ بِالِاسْتِعْمَارِ الْعَرَبِيِّ - مَكْتَبَةُ وَهْبَةَ - ١٩٨٥م - ص ١٩.

مُسْتَوَى مِنَ الْمُسْتَوِيَاتِ لَكِنَّ أَيًّا مِنْهَا لَمْ يَتَّخِذْ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ الصُّورَةَ الْمَقْبُولَةَ الَّتِي يَتَّخِذُهَا التَّعَاطُفُ الْأَمْرِيكِيُّ اللَّيْبِرَالِيُّ مَعَ الصَّهْمِيوِيَّةِ»^(٨٢).

وَلَعَلَّ أَهَمَّ مَا يَلْفُتُ النَّظْرَ فِي هَذَا السِّيَاقِ : وُجُودُ جِيلٍ اسْتَشْرَاقِيٍّ جَدِيدٍ يَتَكَوَّنُ مِنَ الصُّحَفِيِّينَ وَالْكَتَّابِ وَقَلِيلٍ مِنَ الْمُفَكِّرِينَ وَالْفَلَّاسِفَةِ، الَّذِينَ تَسِمُ مَطْرُوحَاتِهِمْ بِالْإِغْرَاقِ الْمُرْطِ فِي الْإِنْفِعَالِ وَالْتَعَصُّبِ وَالْجُمُوحِ بَعِيدًا حَتَّى عَنِ الْعَدَالَةِ وَالنَّزَاهَةِ وَالِاسْتِقَامَةِ الْعِلْمِيَّةِ... جِيلٌ تَوَارَثَ مِنْهَجَ الْاجْتِرَاءِ وَالِافْتِرَاءِ الدَّعَائِيِّ الْمُتَشَجِّعِ عَنِ حِقْبَةِ الْحَرْبِ الْبَارِدَةِ...! إِنَّهُ جِيلٌ الْاسْتَشْرَاقِ السِّيَاسِيِّ- الْمُخَابِرَاتِي، الَّذِي اخْتَلَطَتْ أَفْكَارُهُ وَتَوَجَّهَاتُهُ بِمَسَارِيحِ وَاسْتِرَاتِيجِيَّاتِ وَرَازَاتِي الْخَارِجِيَّةِ وَالْحَرْبِ فِي كُلِّ مِنْ أُوْرُوبَا وَالْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ! وَأَنَّ مَطْرُوحَاتِ ذَلِكَ الْجِيلِ « تَنْطَلِقُ دَائِمًا مِنَ الْعَدَاءِ لِلدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ، وَقَدْ كَشَفَتْ بَعْضُ كِتَابَاتِ الْمُسْتَشْرِقِينَ هَذَا الْمَعْنَى بِشَكْلٍ وَاضِحٍ وَدَقِيقٍ، مِمَّا جَعَلَ الدَّرَاسَاتِ الْمُنْصَفَةَ لِلْإِسْلَامِ وَالْحَضَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ : قَلِيلَةً جِدًّا قِيَاسًا عَلَى تِلْكَ الْأَكْثَرِ إِغْرَاقًا فِي التَّهَوُّرِ وَالْجُمُوحِ وَالْجُنُوحِ وَالْإِنْحِرَافِ عَنِ مَنَهَجِيَّاتِ الْعَمَلِ الْعِلْمِيِّ وَالْفِكْرِيِّ وَالْفَلْسَفِيِّ النَّزِيهِ الْمُسْتَقِيمِ! وَالْحَقِيقَةُ، أَنَّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ إِنَّمَا تُعْزَى إِلَى «تَأْثِيرِ حَالَةِ الْقُوَّةِ النَّبِيِّ يَعِيشُهَا الْبَاحِثُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ قِيَاسًا بِحَالَةِ الضَّعْفِ وَالِانْسِحَاقِ النَّبِيِّ يَعِيشُهَا الْآخَرُ... وَتَأْثِيرِهَا عَلَى تَصَوُّرَاتِهِ وَاسْتِنْتِجَاتِهِ الَّتِي يَظْهَرُ بِهَا فِي نَفْسِ الْمَجَالِ»^(٨٣).

٨٢) إدوارد سعيد- الاستشراق والمُستشرقون- ت: محمد عناني- درار رؤية للنشر- القاهرة-
نُفْلًا عَنْ: massai.ahram.org.eg/Index.asp?CurFN=kotbl.htm&DID=9042

٨٣) فرانسيس فوكوياما- نهاية التاريخ- مرجع سابق- ص ٥٥.

وَلَمَّا اخْتَفَى الْإِسْلَامُ نِسْبًا مِنْ بُورَةِ الْإِهْتِمَامِ الْأَكَادِيمِيِّ فَتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ، حَيْثُ كَانَتْ الْفِكْرَةُ الْعَرَبِيَّةُ عَنِ الْإِسْلَامِ قَدْ نَامَتْ شَيْئًا مَا، فَقَدْ كَانَ يُنْظَرُ إِلَيْهِ نَظْرَةً اسْتِثْنَائِيَّةً!.. فِي الْاجْتِمَاعِ السَّنَوِيِّ الثَّانِي وَالْعَشْرِينَ لِلْجَمْعِيَّةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ الْكَاثُولِيكِيَّةِ التَّارِيخِيَّةِ، أَلْقَى مَارْشَالُ «و. بُولْدِين»، بِوَصْفِهِ رَئِيسًا لِلْجَمْعِيَّةِ، خَطَابًا جَاءَ فِيهِ قَوْلُهُ: «إِنَّ الْغَرْبَ مَا عَادَ يَنْظُرُ إِلَى الْإِسْلَامِ بِاعْتِبَارِهِ خَطَرًا عَلَى الْحَضَارَةِ»^(٨٤). وَهُوَ بِذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ يَصِفُ وَضْعًا حَدِيثًا كَانَتْ فِيهِ الْبِلَادُ الْإِسْلَامِيَّةُ كُلُّهَا تَقْرِبًا تَحْتَ السَّيْطَرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، لِأَنَّ الْعَالَمَ كَانَ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ: «مَشْغُولًا بِأُمُورٍ أَشَدَّ خَطَرًا مِنَ الْمَذْهَبِ الْمُحَمَّدي»^(٨٥). وَلَكِنْ مَعَ مَرُورِ الْوَقْتِ وَتَطَوُّرِ الْمَوَاقِفِ وَالْأَحْدَاثِ... انْطَرَحَتْ رُؤْيَى جَدِيدَةٌ وَأَثِيرَتْ قَضَايَا مُتَجَدِّدَةٌ وَعَبِيرٌ تَقْلِيدِيَّةٌ!...

ذَلِكَ، وَلَمْ يَعْذُ خَافِيًا: وَجُودُ تَيَّارَاتِ اسْتِشْرَاقِيَّةٍ بَدَتْ مِنْهُمْ كَمَا فِي تَأْجِيجِ نِيرَانِ الْفِتْنَةِ الْإِسْتِرَاتِيغِيَّةِ الَّتِي بَدَتْ مَلَامِحُهَا فِي الْاِكْتِهَالِ بِنْدَرٍ وَإِرْهَاصَاتِ انْهِيَارِ الْمُعْسَكَرِ الشَّيْوعِيِّ، حَيْثُ أُعْلِنَ رَسْمِيًّا مَطْلَعُ التَّسْعِينَاتِ عَنِ الْوَفَاةِ، وَشُيِّعَتِ الْجَنَازَةُ فِي عُمُومِ شَرْقِ أَوْرُوبَا! حَيْثُ انْطَلَقَتْ حَمَلَاتُ دِعَايَةِ مُنْظَمَةٌ جَاءَتْ نَتِيجَةً لِتَرَكَمَاتِ ثِقَافِيَّةٍ مَدْعُومَةٍ بِزُخْمِ اسْتِشْرَاقِيٍّ يَرَى الْإِسْلَامَ وَالشَّيْوعِيَّةَ فِي سَلَّةٍ وَاحِدَةٍ، بِرَعْمِ أَنَّ «هُنَاكَ الْكَثِيرُ فِي التَّقْلِيدِ الْإِسْلَامِيِّ... مَا

(٨٤) ثَقْلًا عَنْ: مُحَمَّدٍ عَصْفُورٍ - صُورَةُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ حَتَّى الْفَرْنِ الثَّامِنِ عَشْرٍ - بَحْثٌ مَنُشُورٌ بِمَجَالَةِ «عَالَمِ الْفِكْرِ» - الْكُوَيْتِ - الْمَجْلَدُ الثَّامِنُ - الْعَدَدُ الرَّابِعُ - يَنَابِر، فَبْرَايِر، مَارِس ١٩٧٨م - ص ١٣٥.

85) Marshal W. Baldwin, Western Attitudes toward Islam, The Catholic Historical Review, 28 (1942), 403.

يَجْعَلُ الْفِرْدَ الْمُسْلِمَ أَوْ الطَّبَقَةَ أَوْ الْأُمَّةَ الْمُسْلِمَةَ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِلتَّحَلِّيِّ عَنْ قِيَمِهَا وَمُعْتَقَدَاتِهَا التَّقْلِيدِيَّةِ، يَجْعَلُهَا تَمِيلُ إِلَى قَبُولِ الْبَدِيلِ الشُّيُوعِيِّ لَا الْبَدِيلِ الدِّيمُقْرَاطِيِّ»^(٨٧). وَلَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَحَاوَلَاتُ الْاسْتِشْرَاقِيَّةُ الْوُفُوعِيَّةُ عَارِفَةً أَهْدَافَهَا وَمَرَامِيهَا بِصُورَةٍ تُوحِي بِأَنَّهُ لَا مَجَالَ لِلْإِحْسَاسِ الْغَرْبِيِّ بِالرَّاحَةِ وَالْأَطْمِئْنَانِ حَتَّى وَلَوْ افْتَرَضَتْ حَالَاتٌ لِفِرَاقِ اسْتِرَاطِيَجِيٍّ فِي مُعَادَلَةِ الصَّرَاحِ الدَّوْلِيِّ سِقُوطِ الشُّيُوعِيَّةِ مَثَلًا!؛

وَبَعْدَ تَفَكُّكِ الْإِتِّحَادِ السُّوفِيَّتِيِّ، انْشَحَذَتْ هَمَمٌ بَاحِثِينَ أَمْرِيكِيِّينَ بِأَنْجَاهِ «اعْتِبَارِ أَنْ الْإِسْلَامَ الَّذِي أَضْفُوا عَلَيْهِ صِبْغَةَ الشَّرْقِ يُمَثِّلُ امْبِرَاطُورِيَّةَ سَرِّ جَدِيدَةً»؛ وَمِنْ قَبْلِ كُنَّا بِصَدْدِ أَحَدِ أَكْبَرِ دَجَالِي الْمُسْتَشْرِقِينَ وَهُوَ يَنْبَرِي لِعَقْدِ مُقَارَنَاتٍ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالشُّيُوعِيَّةِ؛ فَ«بِرْنَارْد لُويْس»، الَّذِي يَحْمِلُ خَلْفِيَّةَ عَدَائِيَّةٍ لِلْإِسْلَامِ، حَيْثُ يَعْتَبِرُ « الْإِسْلَامَ بِطَبِيعَتِهِ اسْتِبْدَادِيًّا وَاعْتِدَائِيًّا وَغَيْرِ دِيمُقْرَاطِيٍّ»^(٨٧)... بَلْ إِنَّهُ مِنْ فَرَطِ سُوءِ نِيَّتِهِ يَقُولُ : « إِنَّا نَرَى إِلَى أَيِّ مَدَى يَتَّفِقُ الْإِسْلَامُ مَعَ الشُّيُوعِيَّةِ»^(٨٨). وَيُفَسِّرُ إِدْوَارْدَ سَعِيدُ تِلْكَ الصُّورَ

86) Bernard Lewis, « Communism and Islam» in : Walter Zeev Laqueur, ed., The Middle East in Transition : Studies in contemporary History , New York : Free Port, 1971, P. 125.

(٨٧) حلمي خضرم ساري - صورة العرب في الصحافة البريطانية - مرجع سابق - ص ٦٩.

88) Bernard Lewis, «communism and Islam» in : Walter Zeev Laqueur, ed., the Middle East in Transition : studies in Contemporary History (New York : Free port, 1971), p.311.

والانطباعاتِ النَّمَطِيَّةِ الَّتِي لَا تُرَى بَعِيدًا عَنِ الكَسَلِ وَالْقَسْوَةِ وَالانْحِطَاطِ
وَالنَّرْعَةِ الْحَسِّيَّةِ كَمَا « تَحَطُّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَتَرِبُّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْإِزْهَابِ »^(٨٩).

إنَّ « برنارد لويس » هُوَ : وَاحِدٌ مِنْ أَشَدِّ رُمُوزِ الْحَرَكَةِ الْإِسْتِشْرَاقِيَّةِ عَدَاءَ
لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَلَعَلَّهُ يَتَمَيَّزُ عَمَّنْ سَبَقَهُ فِي هَذَا السِّيَاقِ : أَنَّهُ صَاحِبُ
مَدْرَسَةٍ وَلَهُ تَلَامِيذٌ وَأَتْبَاعٌ وَمُرِيدُونَ « نَتَحَصَّرُ مُهْمَتَهُمْ عَلَى مَا يَبْدُو فِي تَنْبِيهِ
الْمُسْتَهْلِكِينَ الْغَرَبِيِّينَ إِلَى الْخَطَرِ الَّذِي يَتَهَدَّدُهُمُ وَالنَّابِعِ مِنْ عَالَمِ إِسْلَامِيٍّ
سَاطِئٍ، خَلَقَهُ اللهُ غَيْرَ دِيمُقْرَاطِيٍّ وَمِيَالًا لِلْعُنْفِ ». وَيَرَى أَنَّ الْاهْتِمَامَ
الْأُورُوبِيَّ بِالْإِسْلَامِ « لَمْ يَنْشَأْ مِنْ حُبِّ الْاسْتِطْلَاعِ، بَلْ مِنْ الْخَوْفِ مِنْ مُنَافِسِ
لِلْمَسِيحِيَّةِ يَتَمَيَّزُ بِوَحْدَتِهِ وَصَلَابَتِهِ وَبِقُوَّتِهِ الْجَبَّارَةِ ثَقَافِيًّا وَعَسْكَرِيًّا » مُضِيْفًا:
أَنَّ « رَوَاسِبَ مِنَ الْقُرُونِ الْوُسْطَى لَا تَزَالُ تُثَمِّلُ مَرِيحًا مِنَ الْخَوْفِ وَالْعَدَاءِ فِي
الْاهْتِمَامِ الْعِلْمِيِّ أَوْ غَيْرِ الْعِلْمِيِّ بِالْإِسْلَامِ ».

وَيُعَدُّ الْاسْتِشْرَاقُ بِاعْتِبَارِهِ مَذْهَبًا مَعْرِفِيًّا عَنِ الشَّرْقِ بِمِثَابَةِ «شَبْكَةِ
مَقْبُولَةٍ تَسْمَحُ مَنَافِذَهَا بِتَسْرِيْبِ صُورَةِ الشَّرْقِ إِلَى وَعْيِ الْغَرَبِيِّينَ... وَذَلِكَ
فِي إِطَارِ الْإِمْبِرِيَالِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ الَّتِي تَحْكُمُ مَجَالًا كَامِلًا مِنَ الدَّرَاسَاتِ
وَالْإِبْدَاعِ وَالْمَوْسَسَاتِ الْبَحْثِيَّةِ ». وَقَدْ خُلِصَ «إِدْوَارْدُ سَعِيدٌ» مُنْذُ حَوَالِي
ثَلَاثِينَ عَامًا مِنْ كِتَابَةِ هَذِهِ السُّطُورِ إِلَى أَنَّ «الشَّرْقَ عَدُوٌّ مُفْتَرَضٌ أَوْ أُسْطُورَةٌ
خَلَقَهَا خَيَالُ الْغَرْبِ»^(٩٠).

(٨٩) إدوارد سعيد- الاستشراق والمُستشرقون- ترجمة: محمد عناني- رؤية للنشر-

مصر- عن: massai.ahram.org.eg/Index.asp?CurFN=kotb1.htm&DID=9042

(٩٠) نُقِلَ عَنْ: المرجع نفسه.

وَأَعْلَبَ نَاحِظًا أَيضًا، أَنَّ جِيلَ الْمُسْتَشْرِقِينَ الْمَعَاصِرِينَ، وَأَعْلَبَ
الِاخْتِصَاصِيِّينَ وَالْمُسْتَشَارِينَ فِي عِلْمِ الْعِلَاقَاتِ الدَّوْلِيَّةِ: قَدْ تَحَوَّلَتْ
مَطْرُوحَاتُهُمُ الْفِكْرِيَّةَ بِسُرْعَةٍ مُذْهِلَةٍ إِلَى مَشْرُوعَاتِ حَرْبِيَّةٍ، تَنْجُهُ بِكُلِّ زَحْمِهَا
الِاِقْتِصَادِيَّ وَالسِّيَاسِيَّ.. وَبَسَطَوْتَهَا الْمَعْلُومَاتِيَّةَ وَبِجُمُوحِهَا الْعَسْكَرِيَّ إِلَى
تَفْرِيعِ الْأَوْعِيَّةِ الْحَضَارِيَّةِ الْأُخْرَى مِنْ مَحْتَوَاهَا الْعَقْدِيَّ وَالْقِيَمِيَّ وَالرُّوحِيَّ..
وَمِنْ مَضْمُونِهَا الْفِكْرِيَّ وَالْثَّقَافِيَّ... وَتَجْرِيدَهَا مِنْ مَوْرُوثَاتِهَا وَخُصُوصِيَّاتِهَا
وَأَمْتِيَّازَاتِهَا كَافَّةً... وَمَلَأَ تِلْكَ الْفَرَغَاتِ بِبِدَائِلٍ مُلَائِمَةٍ لِمُقْتَضَى سِيَادَتِهَا
وَمُطْلَقِ هَيْمَتِهَا... وَدُونَ اعْتِبَارِ بَأْيِّ قِيَمٍ أَوْ أَخْلَاقٍ...!

وَلَقَدْ كَانَ «تَرْذِيدُ بَعْضِ الْأَكَاذِيبِ كَافِيًا لِإِقْنَاعِ أُمَّمٍ كَامِلَةٍ بِسِمُوِّ
فَضَائِلِهَا؛ وَأَصْبَحَ اسْتِعْمَالُ الطَّرِيقِ التَّقْنِيَّةِ الْمَعْمُولِ بِهَا لِتَجْرِيدِ الْإِنْسَانِ مِنْ كُلِّ
فِكْرٍ أَوْ رَدِّ فِعْلٍ أَخْلَاقِيٍّ كَافٍ لِإِجْرَاءِ هَذِهِ شَامِلٍ لِأَقْلِيَّاتٍ مُخَالَفَةٍ لِمُجْتَمَعَاتِ
تَعَطَّلَ عِنْدَهَا إِدْرَاكُ الْحَبْرِ وَالشَّرِّ»^(٩١)؛ فَفِي مَقَالَةٍ لَهُ، اعْتَبَرَ « فَرَانْسِيسُ
فُوكُوِيَامَا » مَا أَسَاءَهُ بِ« الْأُصُولِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ »، الَّتِي وَأَطْلَقَ عَلَيْهَا أَيضًا وَصَفَ
« الْفَاشِيَّةِ » : عَدُوًّا لِلْعَرَبِ « أخطرَ مِنَ الشُّيُوعِيَّةِ ». وَقَالَ : « إِنَّ الصَّرَاعَ الْحَالِيَّ
لَيْسَ مَعْرَكَةً ضِدَّ الْإِرْهَابِ وَلَا ضِدَّ الْإِسْلَامِ أَوْ حَضَارَتِهِ، وَلَكِنَّهُ صِرَاعٌ ضِدَّ
تِلْكَ « الْفَاشِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ »^(٩٢).

(٩١) تيبور مانند - خلاص العالم - مرجع سابق - ص ٦٥.

(٩٢) نُشِرَتْهَا لَهُ مَجَلَّةُ « نِيُورِيك » فِي طَبْعَتِهَا الْعَرَبِيَّةِ، فِي (عَدَد ١٢ / ٢٥ / ٢٠٠١م)

وَمِنْ جِهَتِهِ، يُنظَرُ « فُوكُوِيَاَمَا » إِلَى الْإِسْلَامِ فِي سِيَاقِ التَّحَدِّيِ الْغَرِبِيِّ: بِاعْتِبَارِهِ « إِسْلَامَ صَدَّامِ حُسَيْنٍ »، ذَلِكَ النَّمُوذَجُ الْإِسْلَامِيُّ « الصَّدَّامِيُّ »، يَقُولُ عَنْهُ: « وَقَدْ شَهِدَتْ نِهَآيَةَ الْحَرْبِ الْبَارِدَةِ فِي أُورُوبَا تَحْدِيًا سَافِرًا لِلْغَرْبِ مِنْ قِبَلِ الْعِرَاقِ الَّذِي يُشَكِّلُ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ عَامِلًا هَامًا فِي تَكْوِينِهِ الْاَيْدِيُولُوجِيَّ »^(٩٣). وَقَدْ جَرَى وَفَقًا لِذَلِكَ - مِنْ خِلَالِ التَّكْثِيفِ الدَّعَائِيِّ الْأَجُوفِ: تَحْوِيلُ « صَدَّامِ حُسَيْنٍ » فِي اللَّاَوَعِيِّ الْغَرِبِيِّ إِلَى عَدُوِّ خَطِرٍ مَرْهُوبٍ وَخُجِيفٍ...! وَهَكَذَا أَصْبَحَتْ « حَالَةُ الْبَعْثِ »: هِيَ الْوَاجِهَةُ الْاَيْدِيُولُوجِيَّةُ لِلْإِسْلَامِ بِرَعْمِ « فُوكُوِيَاَمَا »!؛ وَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَكُنْ مُسْتَعْرَبًا أَنْ يَصِفَ الْأُصُولِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةَ عَلَى أَنَّهَا تَشَابَهُ إِلَى حَدِّ عَمِيقٍ مَعَ الْفَاشِيَّةِ.. هَكَذَا!؛ وَلَيْسَ بُوَسْعِنَا عَتِبَارُ هَذَا التَّلَاعُبِ بِالْأَلْفَاطِ، وَذَلِكَ التَّمْيِيعُ الْاِسْتِرَاطِيَجِيَّ نَاشِئًا عَن سَدَاجَةِ وَغَيْرِ قَصْدٍ، كَلَّا، بَلْ إِنَّهُ حَالَةٌ مِنَ اللَّمَزِ الْحَضَارِيِّ، وَالِاسْتِنْفَارِ التَّحْرِيفِيِّ عَلَى الْإِسْلَامِ، لِإِمْكَانِ تَغْطِيَتِهِ وَإِبْطَالِ مَفْعُولِهِ، وَتَحْمِيدِ نَشَاطِهِ وَإِطْفَاءِ تَوْجِهِهِ الْحَضَارِيِّ.. وَلَكِنْ أَتَى لَهُ هَذَا!، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيرَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ التَّوْبَةُ/ ٣٢، ٣٣.

وَبِالرَّغْمِ مِنْ اعْتِرَافِ « فُوكُوِيَاَمَا » بِأَنَّ « الْإِسْلَامَ يُشَكِّلُ نِظَامًا اَيْدِيُولُوجِيًّا مُتَمَاسِكًا، شَأْنُ اللَّيْبِرَالِيَّةِ وَالشُّيُوعِيَّةِ، وَكَهْ نِظَامُهُ الْخُلُقِيُّ الْخَاصُّ

(٩٣) فرانسيس فوكوياما - نِهَآيَةُ التَّارِيخِ - مَرْجِعٌ سَابِقٌ - ص ٦١.

وَعَقِيدَتُهُ الْخَاصَّةُ فِي الْعَدَالَةِ السِّيَاسِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ» بَيَدَ أَنَّهُ يَعُودُ ثَانِيَةً لِيَتَخَابَثَ مُتَقَرَّرًا بِأَنَّ الْإِسْلَامَ «هَزَمَ الدِّيْمُوقْرَاطِيَّةَ اللَّيْبَرَالِيَّةَ فِي أَجْزَاءٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنَ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ»، وَأَنَّهُ يُشَكِّلُ فِي الْوَاقِعِ الْحَالِيِّ «تَهْدِيدًا كَبِيرًا لِلْمُمَارَسَاتِ اللَّيْبَرَالِيَّةِ، حَتَّى فِي الْبُلْدَانِ الَّتِي لَمْ يَسْتَطِعْ اسْتِئْلَامُ السُّلْطَةِ فِيهَا مُبَاشَرَةً»^(٩٤).

وَفِي مُحَاصِرَةِ لَهُ بِمُؤَسَّسَةِ الْوَقْفِ الْقَوْمِيِّ لِلدِّيْمُوقْرَاطِيَّةِ^(٩٥)، خَلَصَ «فُوكُوِيَامَا» إِلَى أَنَّ «الدِّيْمُوقْرَاطِيَّةَ اللَّيْبَرَالِيَّةَ بِإِمْكَانِهَا أَنْ تُشَكِّلَ فِعْلًا «مُتَمَتِّهِ» التَّطَوُّرِ الْإِيدِيُولُوجِيِّ لِلْإِنْسَانِيَّةِ، وَالشَّكْلَ النَّهَائِيَّ لِأَيِّ حُكْمٍ إِنْسَانِيٍّ». وَلَقَدْ جَاءَ الْحَدِيثُ مِنْ هَذِهِ الْوُجْهَةِ مُنَاسِبًا، لِكَيْ يَصِلَ «فُوكُوِيَامَا» إِلَى مَا يُرِيدُهُ، حَيْثُ رَكَزَ عَلَى مَا وَصَفَهُ بِ«حَظَرِ الْمُسْلِمِينَ فِي أُرُوبَا»، وَمُشْكَلَةِ «الْإِزْهَابِ الْمُتَأَسِّلِمِ»!، تِلْكَ الَّتِي يَعْتَقِدُ أَنَّهَا لَيْسَتْ قَائِمَةً فِي الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ فَحَسَبُ، وَلَكِنَّهَا مُشْكَلَةٌ مُوجُودَةٌ فِي أُرُوبَا الَّتِي هِيَ قَلْبُ الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ الْمُتَسِمِّ بِالْحُرِّيَّةِ وَالدِّيْمُوقْرَاطِيَّةِ؛ وَهُوَ نَفْسُ الْمُجْتَمَعِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي جَعَلَ هَؤُلَاءِ الشَّبَابِ يُنَاصِبُونَهُ الْعَدَاءَ!.

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنَ الْإِعْجَابِ الَّذِي أَبْدَاهُ «فُوكُوِيَامَا» بِ«الثُّورِ الْمُطَالِبِينَ بِالدِّيْمُوقْرَاطِيَّةِ»، وَلَكِنَّهُ يَعُودُ فَيُغَالِطُ نَفْسَهُ وَالْآخَرِينَ قَائِلًا: بِأَنَّ «الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يُشْهَرُونَ السَّلَاحَ فِي وَجْهِ الْمُجْتَمَعِ الْعَرَبِيِّ يَنْتَمُونَ إِلَى سُلَالَةٍ مُعَقَّدَةٍ»!، كَمَا أَنَّ مَنْ سَمَّاهُمْ «إِرْهَابِيِّينَ مُسْلِمِينَ»: هُمْ نِتَاجُ الْعُصُورِ الْغَابِرَةِ، وَأَنَّهُمْ يُشَكِّلُونَ خَطَرًا عَلَى الْحَضَارَاتِ الْحَدِيثَةِ!.

(٩٤) فرانسيس فوكوياما - نهاية التاريخ - المرجع نفسه - ص ٧١.

(٩٥) نشرتها «واشنطن وست» في التقرير الشهري الذي أصدرته في أيار مايو ٢٠٠٥م.

أَمَّا الْفَيْلسُوفُ الْفَرَنْسِيُّ « آلان فبنكيلكروت»، الَّذِي يُعْتَبَرُ مِنْ حَظِّ الْيَسَارِ لَمْ يَتَرَدَّدْ عَنِ التَّصْرِيحِ لِصَحِيفَةِ «هَارْتس» الْإِسْرَائِيلِيَّةِ أَنَّهُ «بِالرَّغْمِ مِمَّا قَامَتْ بِهِ الدَّوْلَةُ الْفَرَنْسِيَّةُ لِصَالِحِ الْأَوْلَادِ الْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنَّهُمْ يَكْرَهُونَهَا، فَهَذِهِ هِيَ ثِقَاتُهُمْ. أَمَّا الْمَشْكِلَةُ : فَتَكْمُنُ فِي أَنَّ هَؤُلَاءِ الشَّبَابِ السُّودَ وَالْعَرَبَ يَدِينُونَ بِالْإِسْلَامِ»^(٩٦)!

وَلَقَدْ جَاءَتْ مَطْرُوحَةٌ «هَتْتِينْجَتُون» حَوْلَ «صِرَاعِ الْحَضَارَاتِ»، كَأَوَّلِ دِرَاسَةٍ أَمْرِيكِيَّةٍ تَضَعُ الْإِسْلَامَ كِإِطَارٍ لِلخَوْفِ بِشَكْلِ عَمَلِيٍّ وَعَمِيقٍ مِنَ النَّاحِيَةِ الْأَكَادِيمِيَّةِ وَالْإِسْتِرَاتِيجِيَّةِ... بِحَيْثُ أَمْكَنَ أَنْ تَنْحَسِرَ الْحَضَارَاتُ الْإِنْسَانِيَّةُ كَآفَةً، وَلَا سِيَّامَا الْحَضَارَةُ الْعَرَبِيَّةُ، فِي ذَلِكَ الْإِطَارِ الْخَوَافِي الْحَبِيثِ، الَّذِي أَقْتَضَى وَضَعَ الْخَطَرِ الْإِسْلَامِيِّ فِي مُوَاجَهَةِ حَتْمِيَّةٍ مَعَ الْعَرَبِ، وَكَعَدُوٍّ أَوَّلٍ بَعْدَ انْهِيَارِ الْعَوْلِ الشُّيُوعِيِّ!

وَبِالرَّغْمِ مِنْ ظُهُورِ كِتَابَاتٍ سَابِقَةٍ تَحْدِثُ بِالصَّرَاحِ الْمُسْتَقْبَلِيَّ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْعَرَبِ لِكِتَابِ عَرَبِيِّينَ، مِثْلَ «آلَانَ تُوْرَان» وَ«بِرْنَارْدِ لُويس» وَغَيْرِهِمْ... يَبْدَأُ أَنْ مَا يُمَيِّزُ دِرَاسَةَ «هَتْتِينْجَتُون»: هُوَ بَسَاعَةُ الرُّؤْيَا الَّتِي أَضَحَتْ بِمَثَابَةِ النُّبُوَّةِ- مِنْ حَيْثُ إِثَارَتِهَا لِشُجُونِ الْعَامَّةِ، وَإِسَالَتِهَا لِعَابِ السَّاسَةِ الْعَرَبِيِّينَ، الَّذِينَ لَمْ يَزَالُوا مَشْدُودِينَ لِعَقِيدَةِ الصَّرَاحِ مِنْ أَجْلِ الْبَقَاءِ- وَلَا سِيَّامَا أَنَّ تِلْكَ الدِّرَاسَةَ تَضَعُ الْخُطُوطَ الزَّمَنِيَّةَ لِهَذَا الْخَطَرِ الْقَادِمِ، مُمَثَّلَةً بِالْعُقْدَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ مِنَ الْقَرْنِ الْوَاحِدِ وَالْعَشْرِينَ؛ ثُمَّ لَا يَكْتَفِي «هَتْتِينْجَتُون»

(٩٦) نُقِلَ عَنْ: سَلِيمَانَ الدَّقِي- مَعْلُومَاتٌ جَدِيدَةٌ بِخُصُوصِ الرِّسُومِ الْمَسِيئَةِ لِلرَّسُولِ-

http://www.aljaml.com/node/2190 - ٢٠٠٦/٦/٣م.

بهذا التَّحْدِيدِ العامِّ، وَإِنَّمَا يَصِلُ بِحَدْسِهِ وَتَوَقُّعَاتِهِ إِلَى تَحْدِيدِ العام ٢٠١٠م لِيَكُونَ عامًا هُجُومِ نَوَوِيِّ مِنْ قِبَلِ بَعْضِ القُوَى الإِسْلامِيَّةِ الَّتِي يُسَمِّيها بِـ«المُتَطَرِّفة» عَلَى إِحدى الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ «الكُبْرَى». وَعَلَى إِثْرِ هَذَا الهُجُومِ يَتَنَبَّأُ الكَاتِبُ بِقيامِ حَرْبٍ عَالَمِيَّةٍ ثالِثَةٍ، يُمَثِّلُ المُسْلِمُونَ فِيها العَدُوَّ الأَوَّلَ وَالأَخْطَرَ مِنْ نَوْعِهِ! «ويأتي هجوم الحادي عشر في أيلول، ليعمق ويعزز من مفهوم الصراع الحضاري، بتمثيل أمريكا لعدو وحيد وغاشم هو: «الإسلام السياسي»، الأمر الذي دفع أمريكا لشن حربها الشعواء ضد الإسلام»^(٩٧).

وَضَمَّنَ كِتابُ نُشِرَ مَوْخَرًا بِعُنوان «فِرْنَسَا تَحْتَ خَطَرِ الإِسْلام»، وَالذي انْحاز فِيهِ مُؤَلِّفُهُ «روني مارشان» إِلَى الحَلِّ الجِدْرِيِّ بِمَنْطِقِ التَّصْفِيَّةِ أَوْ التَّجْرِيفِ الحَضْرَائِيِّ لِمَا أَسْمَاهُ بِـ«القَضِيَّةِ المُسْلِمَةِ» أَوْ «المَسْأَلَةِ المُسْلِمَةِ»!، حَيْثُ يَرى: «وَجُوبَ تَهْجِيرِ كُلِّ المُسْلِمِينَ إِلَى دَوْلِهِمُ الأَصْلِيَّةِ... وَيَقُولُ فِي ذَلِكَ: «مَلا يُفَكِّرُ فِيهِ اليَوْمَ الكَثِيرُونَ، هُوَ: عَوْدَةُ المُسْلِمِينَ المُسْتَقَرِّينَ بِفِرْنَسَا وَالرافِضِينَ لِلتَّفَرُّسِ إِلَى دِيَارِ الإِسْلام»^(٩٨). وَلَعَلَّ المُرَادَ بِالتَّفَرُّسِ هِنا، هُوَ: تَرْكُ الإِسْلامِ دُونَ اِشْتِراطِ الدُّخُولِ فِي النُّصْرَةِ بِالصَّرْوَرَةِ!

(٩٧) هشام سعيد شمسان- صراع الحضارات ولعبة الأقوياء: حوار الحضارات، أم صراع الرُّعْبِ النووي - جُزءٌ مِنْ ورقةٍ مُقدِّمةٍ لمؤتمر حَوْلَ حوارِ الحضارات، انعقد فِي العاصِمةِ الِيميَّةِ «صنعا» فِي مُنْصَفِ عام ٢٠٠٤م.

(٩٨) روني مارشان- فِرْنَسَا تَحْتَ خَطَرِ الإِسْلام، بَيْنَ الجِهَادِ وإِعادةِ الفِتح- لوزان- لاج دولوم- سِلْسِلَةٌ «دوافع جيوسياسية» - ٢٠٠٢- نَقْلًا عَنْ:

وَالْحَقِيقَةُ، أَنَّ الْحَالَةَ الْفِرْنَسِيَّةَ لَهَا مَعَ مَسْأَلَةِ «الْإِسْلَامِ فُونِيَا» حُصُوصِيَّةٌ، فَالْتَّوَجُّدُ الْإِسْلَامِيُّ الْكَثِيفُ هُنَاكَ: يُمَثِّلُ دَائِمًا وَرَقَةً رَابِحَةً فِي أَيْدِي الْمُتَاجِرِينَ بِـ«الْإِسْلَامِ فُونِيَا»!... إِذْ يُوجَدُ فِي فِرْنَسَا تِيَّارَاتٌ فَاعِلَةٌ تَكْرَهُ الْإِسْلَامَ وَكُلَّ مَا يُذَكِّرُ بِهِ...! كَمَا أَنَّ لِلْإِعْلَامِ الْفِرْنَسِيِّ دَوْرًا فَاعِلًا فِي مُهَاجِمَةِ الْإِسْلَامِ وَالتَّخْوِيفِ مِنْهُ؛ وَمِنْ ذَلِكَ مَا نَشَرْتُهُ صَحِيفَةً «لُوفِيْجَارُو» عَمَّا تَسَمَّيْتُهُ «الْحَطَرُ الْإِسْلَامِيَّ» عَلَى الْمَجْتَمَعِ الْفِرْنَسِيِّ عَنْ تَقْرِيرٍ تَمَّ تَسْرِيئُهُ مِنَ الْمُخْبَرَاتِ الْفِرْنَسِيَّةِ، يُحَدِّثُ مِنْ انْتِشَارِ الْإِسْلَامِ بِفِرْنَسَا؛ حَيْثُ يُسَلِّمُ- عَلَى حَدِّ تَقْدِيرِ الصَّحِيفَةِ- مَا بَيْنَ عَشْرِينَ أَلْفٍ إِلَى خَمْسِينَ أَلْفَ نَسَمَةٍ كُلِّ عَامٍ^(٩٩)، وَفِي هَذَا مُبَالَغَةٌ وَاضِحَةٌ لَهَا آثَارُهَا فِي مَجْتَمَعِ كَانُولِيكِيَّ كَالْمَجْتَمَعِ الْفِرْنَسِيِّ.

وَهُنَا يَنْبَغِي أَنْ نَفْهَمَ مَعْرَى بَعْضِ الْاِفْتِرَاضَاتِ وَالتَّحْلِيلَاتِ التَّبَوُّوِيَّةِ أَوْ التَّخْمِينِيَّةِ الَّتِي يُجْرِيهَا الْبَاحِثُونَ أَوْ الصُّحَافِيُّونَ أَوْ السِّيَاسِيُّونَ فِي الْغَرْبِ، وَالتِّي تَقُولُ مَثَلًا أَنَّهُ «بَعْدَ خَمْسِينَ سَنَةٍ سَيُصْبِحُ رُبْعُ الْفِرْنَسِيِّينَ مُسْلِمِينَ، أَيْ ٢٠٪ مِنْهُمْ تَقْرِيْبًا؛ وَهَذِهِ الْمَقُولَةُ الْاِفْتِرَاضِيَّةُ مُبَيَّنَةٌ عَلَى الْاِعْتِقَادِ بِأَنَّ ٢٠٪ مِنَ الشَّعْبِ كَافٍ لِانْتِخَابِ رَئِيسِ جُمْهُورِيَّةٍ مُسْلِمٍ بِسَهُولَةٍ». إِنَّ النُّخْبَةَ فِي الْغَرْبِ يَتَصَوَّرُونَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ مُتَّحِدُونَ إِلَى الدَّرَجَةِ الَّتِي سَيَتِمَكَّنُونَ مُسْتَقْبَلًا مِنْ تَعْيِينِ رَئِيسٍ مُسْلِمٍ! لِذَلِكَ، فَهَمُّ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ «الْجُمْهُورِيَّةَ الْفِرْنَسِيَّةَ مُعْرَضَةً لِأَنَّ نُصْبِحَ جُمْهُورِيَّةً إِسْلَامِيَّةً. يَعِيشُ بَعْضُهُمْ وَهَمًّا فِعْلِيًّا، وَهَذَا لِأَنَّهُمْ يَرْفُضُونَ الْإِسْلَامَ، وَيَبْنُونَ وَهَمَّهُمْ هَذَا عَلَى نَظَرَتِهِمُ السَّلْبِيَّةِ لِلْإِسْلَامِ!»

(٩٩) نَقْلًا عَنْ: مَجَلَّةِ الْبَيَانَ اللَّندِينِيَّةِ- الْعَدَدُ ١٩٦- الْمَرْجِعُ السَّابِقُ.

وهؤلاء الأشخاص هم الذين يُثيرون ضجة كبيرة حول مسألة الإسلام المتطرف^(١٠٠). إن « مكسيم رودنسون » يرى مثلاً : أن « الإسلام دينٌ غريبٌ ومُخيفٌ يُرهبُ العالمَ والحداثة^(١٠١) ».

ولقد وصل الأمرُ إلى حدٍّ أن جيلَ المُستشرقين الجدد أو المُخبرين الجدد بتعبيرٍ أدقٍّ : قد « اعتبروا أن جرثومة العنْفِ عالقةٌ في الإسلام منذُ ابتدأت دعوته من خمسة عشرَ قرناً^(١٠٢)؛ فمثلاً، نجدُ أن المفكرَ الفرنسيَّ « فرانسوا توال » في كتابه المُثير « علاماتُ جيوبوليتيكية^(١٠٣) » : يرى أن « الأَقليات الإسلامية في الغربِ نافرةٌ من القوانين الغربيةِ رافضةٌ التعايش مع مجتمعيها » ويتوقَّعُ أن « تتعاظمُ مشاكلها^(١٠٤) ». ثم يأتي « هنتينجتون » ثانيةً لتأكيدِ مقولات « الإسلام فُوبيا » مُقرِّراً بأن : « الإسلامُ مُحاطٌ بِجدودٍ دَمَوِيَّةٍ ». وقد أسهمت مثلُ هذهِ الرؤى في خلقِ وتفعيلِ « تيارِ الدُّعْرِ الرَضِيِّ مِنَ الصَّحْوَةِ الإِسْلَامِيَّةِ »

(١٠٠) نقلاً قناة « العربية » الفضائية - حلقة من برنامج: مشاهد وآراء - عنوان الحلقة:

« العلمانية والإسلام في فرنسا » مرجع سابق - الجمعة ٢٢/١٠/٢٠٠٤.

(١٠١) نقلاً عن: مجلَّة البيان اللندنيَّة - العدد ١٩٦ - ذو الحجة ١٤٢٤ هـ.

(١٠٢) عباس بيضون - الإرهاب بلا وجه لكن العنصرية تحفي وجهها - مقال بجريدة السفير اللبنانية - ٢١ أيلول - سبتمبر ٢٠٠١.

(١٠٣) معاون مدير المعهد الفرنسي للعلاقات الدولية ، ومستشار للشؤون الدولية والاستراتيجية في مجلس الشيوخ الفرنسي . والكتاب عبارة عن مجموعة من الأبحاث والتقارير التي قدمها الكاتب لمجلس الشيوخ ، وكلها أعمال ذات طبيعة استراتيجية .. أخصها خطورة : ذلك البحث الذي سماه « إشكاليات حدود ديار الإسلام » .

(١٠٤) Francois Thual, Repores geopolitiques, Documentation, Frncaise, 1995.

«الإسلام فُويًا» داخلَ العَدِيدِ مِنَ الدَّوَائِرِ الفِكْرِيَّةِ وَالإِسْتِرَاتِيَجِيَّةِ فِي العَرَبِ»^(١٠٥).

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ العَرَبَ فَضلاً عَن قَلَّةِ مَعْرِفَتِهِ وَتَوَاضُعِ فَهْمِهِ للإِسْلَامِ... بَيَدُ أَنَّهُ لَمْ يَسْعَ إِلَى تَدْعِيمِ مَعْرِفَتِهِ بِالدِّينِ الحَنِيفِ، بَلْ إِنَّ هُنَاكَ مِنَ المَعْنِيَّينَ بِقَضَايَا العَلَاقَاتِ مَعَ العَالَمِ الإِسْلَامِيِّ فِي العَرَبِ مَنْ لَا يُرِيدُ أَنْ يَفْهَمَ أَوْ يَعْرِفَ أَيَّ شَيْءٍ عَنِ الإِسْلَامِ. فَإِنَّا نَجِدُ عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ مَنْ يَذْهَبُونَ إِلَى العِتْقَادِ بِخَطَرِ الإِسْلَامِ لِمُجَرَّدِ أَنَّهُ مُحَرَّمٌ أَكْلُ الحَنْزِيرِ؛ هَذَا فِي الوَقْتِ الَّذِي لَا يَقْفُونَ المَوْقِفَ ذَاتَهُ مِنَ الهِنْدُوسِيَّةِ النَّبِيِّ تُحَرَّمُ أَكْلُ الحُومِ البَقَرِ، وَلَمْ تَرَ أَحَدًا يَقُولُ بِأَنَّ تَحْرِيمَ الحُومِ البَقَرِ: يَضُرُّ بِعَمَلِيَّاتِ التَّبَادُلِ الإِقْتِصَادِيِّ الدَّوَلِيِّ؟! إِنَّ المِهُمَّ لَدَيْهِمْ هُوَ كَيْفِيَّةُ الوُصُولِ إِلَى الهَدَفِ النَّهَائِيِّ - وَهُوَ تَخْوِيفٌ وَتَنْفِيرُ الغَرِيبِينَ مِنَ الإِسْلَامِ بِأَيَّةِ حَالٍ - مُتَجَاوِزِينَ كُلَّ العِثْبَاتِ الخُلُقِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ وَالمَوْضُوعِيَّةِ...!

وَنَعْرِضُ فِي هَذَا السِّيَاقِ لِشَهَادَةِ الرِّبْطَانِيِّ «أرسكين تشيلدرز Shlders» فِي كِتَابِهِ «العرب والإسلام.. هتك الذاكرة والخصام»^(١٠٦). حَيْثُ انْطَلَقَ مِنْ فَرَضِيَّةٍ مُفَادَاها: أَنَّ العَرَبَ لَمْ يُجَاوِلْ فَهْمَ الإِسْلَامِ فِي أَيِّ وَقْتٍ مِنَ الأَوْقَاتِ، لَكِنَّهُ ظَلَّ دَائِماً رَافِضاً وَمُعَادِيّاً لَهُ...! وَلِذَلِكَ، فَإِنَّ صُورَتَهُ ظَلَّتْ مُشَوَّهَةً بِصُورَةٍ مُطْلَقَةٍ فِي الوُجْدَانِ العَامِّ. وَمَا يُحَدِّثُ الآنَ مِنْ تَحْيِيزِ عَرَبِيٍّ ضِدَّ

(١٠٥) محمد سعدي- الجُوب في التفكير الاستراتيجي الأمريكي- نشرة: المقتطف الثقافي-

المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق - بيروت - العدد: ١٩١- ١٩٨/١٠/١٩٩٨- ص١١، ١٠.

(١٠٦) منشورات مركز الإعلام الإسلامي - الرابطة الماليزية الباكستانية - ١٩٩٢م - ص ٤١.

الإسلام، ومن حديث مُعَلَّنٍ عَمَّا يَسْمَى «العدُوَّ الجَدِيدُ»، وَكَيْفِيَّاتِ التَّخْطِيطِ
 الإستراتيجيِّ لِتَصْدِيرِ الأُصُولِيَّةِ وَصِنَاعَتِهَا وَفُقِّ الرُّؤْيَةِ العَرَبِيَّةِ... ذَلِكَ كُلُّهُ لَا
 يُمَثِّلُ مَوْفَقًا جَدِيدًا بِقَدْرٍ مَا هُوَ : إعلَانٌ عَن حَقِيقَةِ الكَامِنِ وَالمَخْبُوءِ فِي عُمُقِ
 اللّأَوْعِي العَرَبِيِّ؛ ففِي تَشْرِينِ الثَّانِي ١٩٨٠م، نَشَرَتْ جَرِيدَةُ «نيويورك تايمز»
 مُلَخَّصًا لِنَدْوَةِ عِلْمِيَّةٍ عُقِدَتْ فِي مَدِينَةِ «سانت لويس» الأَمْرِيكِيَّةِ، حَوْلَ
 «الْحَلِيجِ وَالإِسْلَامِ» جَاءَ فِيهَا : «إِنَّ الإِسْلَامَ بِطَبِيعَتِهِ مُعَادٍ لِلْغَرْبِ وَلِلوَلَايَاتِ
 المُتَّحِدَةِ الأَمْرِيكِيَّةِ وَضَارٌّ بِمَصَالِحِهَا»^(١٠٧). وَلَقَدْ وَجَّهَ أَحَدُ مُرَاسِلِي شَبَكَةِ
 تِلْفَازِيَّةٍ أَمْرِيكِيَّةٍ سُؤَالَ إِلَى البُرُوفِسِيرِ «ج. س هورفتر» مِنْ جَامِعَةِ كُولُومْبِيَا،
 حَوْلَ مَا إِذَا كَانَ الفَرْدُ المُسْلِمُ - شِيعِيًّا كَانَ أَمْ سُنيًّا : هَلْ يَعْني أَنَّهُ مُعَادٍ لِلْغَرْبِ
 وَلأَمْرِيكَا؟ فَجَابَ البُرُوفِسِيرُ المُتَقَفُّ بِ«نعم، ذَلِكَ أَمْرٌ لَا تَرُدُّدُ فِيهِ»^(١٠٨)!!
 وَفِي العَامِ ٢٠٠١م، كَتَبَ الكَاتِبُ «ميشيل هولدينج» مَقَالًا بِمَجَلَّةِ «إِفْرَأ
 Lire» الفَرَنْسِيَّةِ، يَقُولُ فِيهِ : «إِنَّ الدِّيَانَةَ الأَكْثَرَ سُوءًا : هِيَ الإِسْلَامُ»!!
 وَلِلدَّقِيقَةِ، لَا بُدَّ هُنَا مِنَ القَوْلِ : بَأَنَّهُ اسْتَعْمَلَ كَلِمَةً أَقْبَحَ كَثِيرًا مِنْ كَلِمَةِ
 «سوءًا»، يَعْنِي اللِّسَانَ عَن ذِكْرِهَا صَرِيحَةً، وَمَعَ ذَلِكَ بَرَّأتهُ المُحْكَمَةُ^(١٠٩)!!

وَيَزَعُمُ أَحَدُ الكُتَّابِ العَرَبِيِّينَ أَنَّهُ مِنْ خِلَالِ تَحْلِيلِهِ النَفْسِيِّ لِأَكْثَرِ مِنْ مِائَةِ
 مِليُونِ إِنْسَانٍ عَرَبِيٍّ عَبَّرَ أَلْفٍ وَثَلَاثِ مِائَةِ سَنَةٍ...! قَدْ خَلَصَ إِلَى أَنَّ: «العَرَبَ

(١٠٧) نَقْلًا عَن : معالي عبد الحميد حمودة - جريدة العالم الإسلامي - مرجع سابق - ص٧.

(١٠٨) المُرْجِعُ نَفْسَهُ - ص٧.

(١٠٩) نَقْلًا عَن : سليمان الدقي - معلومات جديدة بخصوص الرسوم المسيئة للرسول -

http://www.aljaml.com/node/2190 - ٢٠٠٦/٦/٣ م.

بَطِيْعَتِهِمْ عُدُوْا يُؤَيِّوْنَ يَمِيْلُوْنَ إِلَى الْحَرْبِ، وَأَنَّ الْاِئْتِقَامَ عِنْدَهُمْ فَضِيْلَةٌ، وَهُمْ يَنْزِعُوْنَ إِلَى السِّيْطْرَةِ عَلَى الْآخِرِيْنَ.. وَهُمْ مُتَحَايِلُوْنَ وَ « تُبْرِّرُ الْغَايَةَ الْوَسِيْلَةَ عِنْدَهُمْ»^(١١٠). ذَلِكَ، وَثَمَّةَ أَعْمَالٍ أَدَبِيَّةٍ اسْتِشْرَاقِيَّةٍ مُفَعِّمَةٌ بِرُوحِ التَّعَصُّبِ الَّتِي تُضْفِي عَلَى الْآخِرِ الْإِسْلَامِيِّ سَحْبًا قَاتِمَةً مِنْ دُخَانِ الْحِقْدِ الْأَسْوَدِ! فَشَاعِرٌ وَأَدِيبٌ مِثْلُ: « ت. س. اليبوت»، الَّذِي لَمْ يَحْظَ شَاعِرٌ أَوْ أَدِيبٌ غَرَبِيٌّ بِمِثْلِ شُهْرَتِهِ فِي عَالَمِنَا الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ، يَقُولُ: « إِنَّ الْعَرَبَ سَيِّئَتِيهِ لَيْسَ بِأَنْفِجَارٍ بَلْ بِشَيْخٍ - لَعَلَّهُ نَشِيْجٌ طِفْلٍ مُسْلِمٍ فِي مَهْدِهِ»^(١١١)!

وَفِي دِرَاسَةٍ نُشِرَتْ عَلَى أَوْسَعِ نِطَاقٍ لِلكَاتِبِ الْأَمْرِيكِيِّ « مَايكل سكوب»، يَقُولُ فِيهَا: « إِنَّ الصَّرَاعَاتِ الدَّمَوِيَّةَ وَالْاِعْتِيَالَاتِ تُعْتَبَرُ مِنْ عِلَامَاتِ الْإِسْلَامِ مِنْذُ بَدَايَتِهِ. وَهَذِهِ دِيَانَةٌ تَبْدُو أَنَّهُا تُكَافِي عَلَى الْعِقَابِ أَكْثَرَ مِمَّا تُكَافِي عَلَى الرَّحْمَةِ، وَإِذَا كَانَ تَرَاثُ الْاِسْتِعْمَارِ الْأَوْرُوبِيِّ هُوَ: جُزْءٌ مِنْ صُورَةِ السُّلُوكِ الْحَالِيِّ لِلْمُسْلِمِيْنَ، وَمُشْكَلَةَ الْفِلَسْطِينِيِّْنَ مَعَ «إِسْرَائِيل» جُزْءٌ آخَرَ، فَيَبْقَى هُنَاكَ شَيْءٌ أَهَمُّ، وَهُوَ: أَنَّ هَذِهِ عَقِيْدَةٌ تَنْزِعُ لِلِقِتَالِ، وَلَا تَرْغَبُ فِي الْعَيْشِ فِي سَلَامٍ وَسَطٍ عَالَمٍ تَتَعَدَّدُ فِيهِ الْعَقَائِدُ»^(١١٢)!. وَيَقُولُ «هَنْتِيْنَجْتون»: «كُلَّمَا نَظَرْنَا فِي مِحِيطِ الْإِسْلَامِ، فَسَنَجِدُ أَنَّ الْمُسْلِمِيْنَ يَجِدُوْنَ صُعُوبَةً فِي الْعَيْشِ

(١١٠) هارولد غيلدن - العَالَمُ الْعَرَبِيّ - مقال بالمجلة الْأَمْرِيكِيَّةِ لِلتَّحْلِيلِ النَّفْسِيّ - عدد شباط ١٩٧٢م - ص ٧٨.

(١١١) نقلًا عن: نجيب الكيلاني - الْإِسْلَامِيَّةُ وَالْقُوَى الْمُضَادَّةُ - مُوسَسَةُ الرِّسَالَةِ - بِيْرُوت - ١٩٨٦ - ص ٢٨.

(١١٢) نقلًا عن: الْأَهْرَامِ الْمِصْرِيَّة - بِتَّارِيخِ ٢٧/١١/٢٠٠٢.

فِي سَلَامٍ مَعَ جِرَانِهِمْ، وَبَيْنَمَا يُشَكِّلُ الْمُسْلِمُونَ مُخْمَسَ سُكَّانِ الْعَالَمِ، فَاتِهِمْ
أَصْبَحُوا فِي فِتْرَةِ التَّسْعِينِيَّاتِ، أَكْثَرَ تَوْرُطًا مِنْ خِلَالِ الْجَمَاعَاتِ الَّتِي تُمَارِسُ
الْعُنْفَ فِي الْعَالَمِ، عَنْ أَيِّ شُعُوبٍ تَنْتَمِي لِحَضَارَاتٍ أُخْرَى»^(١١٧).

وَهُنَاكَ مِنَ الطَّلِيَانِ مَنْ يَذْهَبُ هَذَا الْمَذْهَبَ فِي سِيَاقِ التَّحْضِيرِ لِعَمَلِيَّاتِ
عَسْكَرِيَّةٍ مِنْ نَوْعِ مَا عَلَى خَلْفِيَّةِ «الإسلام فُوبيا»!؛ فَمَثَلًا، نَبَّهَ الْمُفَكِّرُ الإِيطَالِيُّ
«أمبرتو إيكو» فِي رَسْمِهِ لِمَا يُسَمَّى «سيناريوهات فياميَّة لِلحَرْبِ الشَّامِلَةِ» إِلَى
أَنَّهُ «يُمْكِنُ لاسْتِفْحَالِ الْعَمَلِيَّاتِ الإِزْهَابِيَّةِ أَنْ يَبْلُغَ دَرَجَةً لَا تُحْتَمَلُ: أَنْ نَدْفَعَ
بِجُمُوعِ الْعَرَبِيِّينَ إِلَى اعْتِبَارِ الإِسْلَامِ بِرُمَّتِهِ عَدُوًّا»^(١١٨)!. وَهَذَا عَيْنُ مَا يَرَاهُ
«صمويل هنتينجتون» الَّذِي يُسَاوِي بَيْنَ «فَاطِمَةَ الْمَرْيَسِي»^(١١٩) وَ«أَسَامَةَ بْنِ
لَادِن» فِي الْمَوْقِفِ مِنَ الْعَرَبِ. وَكَذَلِكَ «برنارد لوييس» وَ«جوديت ميللر»،
هَذِهِ الْأَخِيرَةُ الَّتِي «لَا تَرَى أَيَّ تَمَيِّزٍ بَيْنَ إِسْلَامٍ مُعْتَدِلٍ وَآخَرَ مُتَطَرِّفٍ!، وَأَنَّهُ لَا
فَائِدَةَ مِنْ أَيِّ حُورٍ مَعَ الإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ»^(١٢٠)!.

وَيَأْخُذُ «جون إسبوزيتو» عَلَى هَذَا التِّيَّارِ التَّعْميمِيِّ فيقول: «هناك عَدَمُ
تَمَيِّزٍ بَيْنَ الحَرَكَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ الْمُعْتَدِلَةِ وَالْمُتَطَرِّفَةِ، وَهناك دَعْوَةٌ إِلَى وَضْعِ جَمِيعِ

١١٧) نقلًا عن: الأهرام المصرية- تاريخ ٢٧/١١/٢٠٠٢..

114) www.aljazeera.net/nr/exeres/9acc4a-7b3e-453b-acc6-295d896e0425

❖ كاتبة معروفة ، وإحدى الناشطات اليمانيات في مجال المجتمع المدني وحقوق

الإنسان. وعضو المجلس البلدي لمحافظة عدن. ورئيسة اتحاد نساء اليمن.

١١٦) نقلًا عن: مُعْتَزُّ الحُطَيْبِي- الإسلام بوصفه دينًا إرهابيًا-١-

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/9ACECD4A-7B3E-453B-ACC6-295D896E0425>

الإسلاميين في جانب التطرف»^(١١٧)!. ولقد قامت إحدى الباحثات، وهي «هانا لوكه» برصد الكتابات الصادرة بالألمانية بين عامي ١٩٦٧ و ١٩٩٠م فأوردت حوالي ستين وأربعة وعشرون عنواناً حول ظاهرة ما يسمى بـ «الأصولية الإسلامية»، القسم الأكبر منها صدر بعد قيام الثورة الإيرانية ١٩٧٩م. فضلاً عن ذلك، تُورد الباحثة قائمة تجمّع المصادر والدراسات عن الموضوع نفسه الصادرة باللغة الإنجليزية والمنشورة بين عامي ١٩٨٨ و ١٩٩٤م، وتضم ألفاً ومائتين وستاً وأربعين عنواناً. وهذا عيَضٌ من فيضٍ مُستديمٍ لكتاباتٍ في هذا الموضوع!....

ويعتقدُ المنصفون من المحلّلين الألمان: أنَّ القارئ الألمانيَّ يرجعُ إلى كتاباتِ الصّحفيّين عن الإسلامِ بصفتهم «خبراء» في شؤون الشرق الأوسط والإسلام. ولعلَّ من أشهر هؤلاء وأقدمهم هو «بيتر شول لاتور»، الذي يقولُ عنه الباحثُ الألمانيُّ «ألبرت متسكر»: «إنَّ عيْبَهُ الأَكْبَرُ هو: اعتقادهُ أنَّ كُلَّ مشاكلِ الشرق الأوسطِ السِّياسيةِ تعودُ إلى مُشكلةٍ واحدةٍ هي: الدين»^(١١٨). ويرى «متسكر»: أنَّ تأثيرَ «لاتور» كبيرٌ، فقد بيعت أعدادُ هائلةٌ من كُتُبِهِ وذلك لِقُدْرَتِهِ على اللَّعبِ بِمخاوفِ القراءِ، فهو يُوكِّدُ للقارئِ ما يدعي علمه ومعرفته دوماً بأنَّ «الإسلامَ دينٌ عنفٍ ويسعى دوماً إلى توسيع

(١١٧) نقلًا عن: مُعْتَرِّ الخَطِيبِ- الإسلامُ بوصفه دينًا إرهابيًا!- المرجع السابق.

(١١٨) ألبرت متسكر- الأصولية الإسلامية بين العنف والديمقراطية- منشورات: لاموف- غـوتينغن (ألمانيا)- ٢٠٠٠م- نُقِصَ لَأَعـ_____ن:

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/BFFF1528-9B41-413A-AA4C-5A5A02E2E2FB>

دَائِرَةٌ نُفُوذِهِ!... وَأَنَّ الْإِسْلَامَ لَيْسَ قَادِرًا عَلَى الْحَيَاةِ بِسَلَامٍ جَنبًا إِلَى جَنْبٍ مَعَ
فِئَاتٍ غَيْرِ مُسْلِمَةٍ»^(١١٩).

وَيَرَى الْبَعْضُ أَنَّ ثَمَّةَ أَمْرًا تَغْفُلُهُ مُعْظَمَ الْكِتَابَاتِ الْعَرَبِيَّةِ عَنِ الْحَرَكَاتِ
الْإِسْلَامِيَّةِ وَعَنْ ظَاهِرَةِ الصَّحْوَةِ بِشَكْلِ عَامٍّ، هُوَ: كَوْنُ مَا يُسَمَّى بِالْأُصُولِيَّةِ
الْإِسْلَامِيَّةِ « حَرَكَةٌ مُتَجَانِسَةٌ مُوزَعَةٌ بِشَكْلِ مُتَسَاوٍ عَلَى الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ
وَالْإِسْلَامِيِّ. فَالْأُصُولِيَّةُ فِي كُلِّ دَوْلَةٍ تَخْتَلِفُ عَنِ الدَّوَلَةِ الْأُخْرَى حَسَبَ
الظُّرُوفِ التَّارِيخِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ وَالْجُغْرَافِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ الْخَاضِعَةِ لَهَا... فَلَا
يُمْكِنُنَا أَنْ نُطْلِقَ حُكْمًا عَامًّا يَقُولُ: بِأَنَّ الْأُصُولِيَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ: حَرَكَةٌ إِزْهَابِيَّةٌ
أَوْ أَنَّ الْأُصُولِيَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ خَطَرٌ عَلَيْنَا، وَأَنَّهَا تُجَاهِدُ مِنْ أَجْلِ السَّيْطَرَةِ عَلَى
الْعَالَمِ. إِنَّا يُمْكِنُنَا أَنْ نَحْكُمَ عَلَى هَذِهِ الْحَرَكَةِ فَقَطْ إِذَا وَجَّهْنَا الْأَنْظَارَ إِلَى
خُصُوصِيَّاتِ الْحَرَكَةِ فِي هَذِهِ الدَّوَلَةِ أَوْ تِلْكَ...»^(١٢٠)، وَهَذَا مَا يَنْبَغِي التَّوَكُّيدَ
عَلَيْهِ فِي سِيَاقِ التَّحْلِيلِ الدَّقِيقِ لِمَوَاقِعِ هَذِهِ التِّيَّارَاتِ؛

وَفِيهَا يَذْهَبُ نَفَرٌ مِنَ الْمُتَقَفِّينَ الْفِرَنْسِيِّينَ إِلَى التَّأَكُّيدِ عَلَى بَرَاءَةِ الْإِسْلَامِ
وَالْحَرَكَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ أَرْتِكَابِ أَعْمَالٍ عُنْفٍ... مُؤَكِّدِينَ عَلَى صُرُورَةِ
التَّرْتِيبِ التَّقْسِيمِيِّ وَالانضِبَاطِ بِصَدَدِ تَحْلِيلِ الظَّاهِرَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَمَشِيرِينَ إِلَى
أَنَّ هُنَاكَ حَالَةً مِنَ الْعُلُوِّ تَتَابُ غَالِبِيَّةَ الْمُفَكِّرِينَ وَالْمُتَقَفِّينَ فِي مُعَالَجَتِهِمْ لِتِلْكَ
الظَّاهِرَةِ فِي فِرْنَسَا؛ فَحِينَ اعْتَبَرَ الْفَيْلَسُوفُ الْفِرَنْسِيِّ «جان بودريار» أَنَّ «ما

١١٩) ألبرت ميشكر- الأصولية الإسلامية بين العنف والديمقراطية - نقلًا عن: المرجع السابق.

١٢٠) ألبرت ميشكر- الأصولية الإسلامية بين العنف والديمقراطية - نقلًا عن: المرجع نفسه.

حَدَّثَ فِي سبْتَمْبَر/أَيْلُول هُوَ مُجَرَّدَ : رُغْبٍ مُقَابِلَ رُغْبٍ، وَلَيْسَ أَيْدِيُولُوجِيَا
إِسْلَامِيَّةً أَوْ غَيْرَهَا!.. رَدَّ عَلَيْهِ الْاِفْتِصَادِيُّ «الآن مينك» سَاخِرًا وَمُؤَبِّحًا
بِقَوْلِهِ: إِنَّهُ «لِفَرْطِ نَزْوَعِهِ إِلَى الشَّعْوَذَةِ : يَمْحُو- بِشَارَةِ مِنْ سِحْرِ عَصَاهُ- كُلَّ
السَّجَالِ حَوْلَ الْإِسْلَامِ : فَلَا وَعْدَ بِالْجَنَّةِ... وَلَا فَتْوَى... وَلَا تَكْفِيرٍ...»!

وَتَشِيرُ إِحْدَى الدَّرَاسَاتِ إِلَى أَنَّ «كُلًّا مِنْ صُنَاعِ الْقَرَارِ وَالْمَوَاطِنِينَ
الْأَمْرِيكِيِّينَ الْعَادِيِّينَ لَدَيْهِمْ صُورَةٌ مَشْوَهَةٌ عَنِ الْإِسْلَامِ»، وَأَنَّ «غَالِيَّةَ
الْأَمْرِيكِيِّينَ يَحْمِلُونَ أَفْكَارًا مُسَبَّغَةً مُعَادِيَةً لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، لَا تُجِدُ أَيَّ
أَسَاسٍ مَعْرِفِيٍّ لَهَا»^(١٢١)!. فَتَمَّةَ جَهْلٍ فَاضِحٍ بِالْإِسْلَامِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كَثْرَةِ
الْمَقَالَاتِ وَالْأَبْحَاثِ وَالدَّرَاسَاتِ حَوْلَ هَذَا الدِّينِ الْحَتِيفِ... مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ
تَمَّةَ نَعْرَةَ أُخْلَاقِيَّةً فِي هَذَا الْحَقْلِ الْخَطِيرِ!؛ وَالْحَقِيقَةُ، أَنَّ هُنَاكَ «اعْتِقَادًا سَائِدًا
بَيْنَ الْبَاخِثِينَ فِي شُؤْنِ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ بِأَنَّ الْكَثِيرَ مِنْ خَبْرَاءِ الْإِعْلَامِ وَمَا
يُعْرَفُ بِخَبْرَاءِ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ الْمُفَعَمِينَ بِالِاسْتِشْرَاقِ لَا يَزَالُونَ يَجْهَلُونَ
الْإِسْلَامَ وَوَأَقَعَ الْحَرَكَاتِ الْإِسْلَامِيَّةَ وَتَنَوَّعَ الْفِكْرِ الْإِسْلَامِيِّ»^(١٢٢).

وَيَقُولُ الْكَاتِبُ التَّرْوِيجِيُّ «دَاكْ هِيرِيورنْسريد» : «رَغْمَ مُرُورِ ثَلَاثَةِ
أَعْوَامٍ عَلَى هَجَمَاتِ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ أَيْلُول، فَإِنَّ نُوبَةَ الْخَوْفِ مِنَ الْإِسْلَامِ
تَسْتَشِرُّ فِي أُورُوبَا وَالْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ انْتِشَارَ النَّارِ فِي الْهَسِيمِ، وَأَصْبَحَ ذِكْرُ

(١٢١) الْكَلَامُ لـ جُويس ديفيس- نُقْلًا عَنْ : مُعْتَزُّ الْخَطِيبِ- الْإِسْلَامُ بِوَصْفِهِ دِينًا

إِرْهَابِيًّا!- [http://www.aljazeera.net/NR/exeres/9ACECD4A-7B3E-](http://www.aljazeera.net/NR/exeres/9ACECD4A-7B3E-453B-ACC6-295D896E0425)

453B-ACC6-295D896E0425

(١٢٢) مُعْتَزُّ الْخَطِيبِ- الْإِسْلَامُ بِوَصْفِهِ دِينًا إِرْهَابِيًّا!- الْمَرْجِعُ السَّابِقُ.

الإسلامَ وَالْمُسْلِمِينَ مُقْتَرِنًا إِلَى حَدِّ بَعِيدٍ بِمُصْطَلِحَاتٍ مِنْ قَبِيلِ الإِرْهَابِ وَالْعُنْفِ وَمَا شَاكَلَهُمَا»، وَيُضِيفُ: « إِنَّا نَحْتَاجُ إِلَى التَّخَلُّصِ مِنَ الكَثِيرِ مِنَ الأَسَاطِيرِ إِزَاءَ المُسْلِمِينَ وَالتِّي يَصُوعُهَا مَعَ الأَسْفِ الأَكَادِيمِيُونَ وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ النَّزْوِيحِيِّونَ»^(١٣٣)!

وَعَظِيمٌ خَافَ عَلَى أَحَدٍ أَنَّ « حَمَلَةَ التَّخْوِيفِ المُسْتَمِرَّةِ فِي أوروْبَا وَالْعَرَبِ ضِدَّ الإسلامِ تُجَبِّدُ عَلَى الدَّوَامِ زَجَّ كَلِمَةِ « مُسْلِمٍ » فِي كُلِّ شَيْءٍ لِيَعَزِيزَ الأَحِنْدَةَ التِّي يُرَوِّجُ لَهَا المُعَادُونَ للإِسْلَامِ هُنَاكَ. فَفِي أَعْقَابِ أَحْدَاثِ العُنْفِ التِّي حَصَلَتْ فِي فِرَنسَا ٢٠٠٥م، وَتَوَرَّطَ فِيهَا شَبَابٌ مُهَاجِرُونَ مِنْ شَمَالِ أفْرِيقِيَا إِلَى فِرَنسَا بِسَبَبِ البَطَالَةِ وَالتَّمَيِّيزِ!... لَاحِظْنَا نَقْرًا مِنْ كِتَابَةِ التِّيَّارِ العُنْصُرِيِّ المُسَمَّى بِالمُحَافِظِ قَدْ أَحْتَقَى نَسَبَ الأَحْدَاثِ إِلَى الإِسْلَامِيِّينَ عَلَى الرَّغْمِ مِمَّا كَتَبْتَهُ الصُّحُفُ.. وَصَرَخَ بِهِ المُحَلِّلونَ الفِرَنسِيِّونَ مِنْ أَنَّ « بَأَنَّ مَا يَحْدُثُ لَا عَلاقَةَ لَهُ بِالإِسْلَامِ، بَلْ إِنَّ هَؤُلَاءِ الشَّبَابِ هُمْ فِي الوَاقِعِ ضَحَايَا نِظَامٍ عَقِيمٍ تَرَكَهُمُ بِلا وَظَائِفَ لِسِينِينَ طَوِيلَةَ».

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ طَيْنِينِ الحَدِيثِ عَنِ الاستِشْرَاقِ وَصَحِيحِهِ فِي وَاقِعِنَا المُعَاصِرِ، بَيَدُ أَنَّ حَالَةَ مِنَ البَلَادَةِ العِلْمِيَّةِ وَأَنْعِدَامِ الحِدْيَةِ قَدْ كَرَّسَ مِنْهَجًا جَدِيدًا فِي عَالَمِ الاستِشْرَاقِ، وَهُوَ: مِنْهَجُ الأَنْطِبَاعَاتِ الجَاهِزَةِ وَالأَحْكَامِ المُسَبِّقَةِ وَالتَّعَسُّفِ العِلْمِيِّ وَوُجُودًا إِلَى مُسَلِّمَاتٍ مُبْتَسِرَةٍ حَوْلَ القَضَايَا مَحَلِّ

(١٣٣) نُقْلًا عَنِ: مُعْتَزُّ الحَطِيبِ- الإسلامُ بوُصْفِهِ دِينًا إِرْهَابِيًّا-١-

الاهتمام الاستراتيجي... ما يُشعرنا بأننا في الحقيقة : بإزاء موقف إيديولوجي عسكري عربي قد بلورته التراكبات التاريخية بما تطويه من متناقضات وأساطير وزُيوفٍ وأفتراءاتٍ فجّة تعوزها العقلانية والإنصاف والتثبت... موقف يبدو فيه المفكر ببنّة جنرالات الحرب، الذين أغلقوا عقولهم وأعينهم عن كل شيء إلا الغارة - الغارة فحسب !

رابعاً : ساسة أم مُقَامِرون...؟!

على الرغم مما يتبدى لنا من أن لغة الخطاب الدبلوماسي دائماً ما تتلاقى التعرض مباشرة لمسألة الأديان عموماً، ولا تُحَبِّدُها معياراً للتفاعل السياسي بين الدول وبعضها البعض!... ولكن أبلدى البعض امتعاضه إزاء بعض التوجهات التي تلجأ أحياناً - وبصفة استثنائية إلى توظيف الدين في خدمة السياسة أو العكس... يبدو أننا نعيش حالة استثنائية حقاً... قد تُجوزت فيها الأعراف والتقاليد الدبلوماسية كافة!

ففي ربيع عام ١٩٩٠م، ألقى «هنري كيسنجر»^(٥) خطاباً أمام المؤتمر السنوي لعُرف التجارة الدولية... قال فيه : «إن الجبهة الجديدة التي على الغرب مواجهتها هي : العالم العربي الإسلامي، باعتبار هذا العالم : هو العدو الجديد للغرب». وعلى الصعيد ذاته، دعا «كيسنجر»، الذي كانت له بصمات إيجابية وفاعلة على تلك الجهود التي اتَّجَهَتْ في سياق حملات التخوين من

(٥) يهودي صهيوني أمريكي، تولى منصب وزارة الخارجية الأمريكية في عهد الرئيس

ريتشارد نيكسون.

الْيَقْطَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ، قَاتِلًا: «إِنَّ الْعَالَمَ يَجِبُ أَنْ يَسْتَيْقِظَ وَيَنْتَبِهَ إِلَى الْأَخْطَارِ الَّتِي تُهَدِّدُهُ مِنَ الْإِسْلَامِ»^(١٢٤). بَلْ إِنَّ وَاحِدًا مِنْ أَبْرَزِ دُعَاةِ النَّصَارَى الْمُتَصَهِّينِينَ فِي أَمْرِيكَ^(٥)، يَقُولُ: «الْإِسْلَامُ دِينٌ شَرِيْرٌ وَلَا يَتَّبِعُ لِنَفْسِ الْإِلَهِ - يَعْنِي إِهْمُهُمْ - أَنَّهُ يُخَرِّضُ عَلَى الْقَتْلِ وَإِنَّهُ لَيْسَ دِينٌ سَلَامٍ»^(١٢٥).

وَفِي مُقَابَلَةِ مَعَ صَحِيفَةِ «لُوكُو تِيدِيَان بَارِي» صَرَّحَ السِّيَاسِيُّ الْفَرَنْسِيُّ الْمُتَعَصِّبُ «جَان كلُود بَارُو» أَنَّ: «الدِّيَانَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ هِيَ الْأَكْثَرُ انْغِلَاقًا وَتَشَدُّدًا بَيْنَ الدِّيَانَاتِ»^(١٢٦). كَمَا كَانَ هُنَاكَ مَشْرُوعَ الْأَكَادِيمِيَّةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ لِلْفُنُونِ وَالْعُلُومِ عَنِ الْأُصُولِيَّةِ «وَقَدْ كَانَ الْإِسْلَامُ فِيهِ هُوَ: الْمُرَشَّحَ الْوَحِيدَ لِيَكُونَ «الْبُعْبُعُ» الَّذِي تَتَبَّأَهُ وَسَائِلُ الْإِعْلَامِ، وَتَرْتَبِطُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِرْهَابِ»^(١٢٧)!. وَقَدْ أَكَّدَتْ «مَارْجِرِيْت تَاتْشِر»^(٥) اتِّجَاهَ هَذِهِ الْمُخَطَّطَاتِ فَتَقُولُ: «يَقِفُ الْعَرَبُ الْيَوْمَ مَعَ الشَّرْقِ الْأَرْثُوذُكْسِيِّ وَالْكَاثُولِيكِيِّ فِي خَنْدِقِ وَاحِدٍ لِمُجَابَهَةِ الْعَدُوِّ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ؛ إِنَّ الْإِسْلَامَ يُمَثِّلُ تَهْدِيدًا عَلَى الْمُسْتَوَيْنِ الْعَالَمِيِّ وَالْمَحَلِّيِّ»^(١٢٨).

(١٢٤) نقلًا عن: جريدة العالم الإسلامي - العدد ١٣٦٠ - ٤ / ١ / ١٤١٥ هـ - ص ٧.

(٥) هُوَ (فِرَانْكَلِينْ جِرَاهَام) رَجُلٌ مَشْهُورٌ بِأَنَّهُ مُؤَثِّرٌ جَدًّا فِي تِلْكَ الْأَلْفِ الَّتِي تَحْضُرُ مَحَاضِرَاتِهِ يَوْمَ الْأَحَدِ مِنْ كُلِّ أُسْبُوعٍ - وَهُوَ صَدِيقٌ شَخْصِيٌّ لْجُورْجِ بُوْش «الْأَب».

(١٢٥) نقلًا عن: قناة الجزيرة الفضائية القطرية - بتاريخ السبت ١٠/٧/١٤٢٢ هـ الموافق ٢٠٠١/١٢/٢٢ م.

(١٢٦) نقلًا عن: جريدة العالم الإسلامي - العدد: ١٣٦٠ - ١٣/٦/١٩٩٤. يعمل هذا الرجل رئيساً لمكتب الهجرة الدُولِيَّةِ بفرنسا.

(١٢٧) فرانسيس فوكوياما - نهاية التاريخ - مرجع سابق - ص ٤٥.

(٥) رئيسة وزراء بريطانيا الأسبق...

(١٢٨) نقلًا عن: محمد سعيد رمضان البوطي - هَذِهِ مُشْكِلَاتُنَا - دار الفارابي - دمشق -

د.ت - ص ٦٩.

وَفِي أَثْنَاءِ حَرْبِ الْبَلْقَانِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، نَشَرَتْ صَحِيفَةُ
 «الْإِكْسْبِرِس» الْفِرَنْسِيَّةُ تَصْرِيحًا وَرَدَّ عَلَى لِسَانِ رَئِيسِ السُّلْطَةِ الصَّرْبِيَّةِ فِي
 «كُوسُوفو» يَقُولُ فِيهِ: «افْتَحِي عُيُونَكَ يَا أُوْرُوبَا.. الْجِهَادُ مُوجُودٌ عِنْدَنَا..»^(١٢٩)!
 وَلَقَدْ ظَهَرَ «نِيك جَرِيفِن»^(١٣٠) فِي فِيلْمٍ تَسْجِيلِيٍّ أَعَدَّهُ صُحْفِيٌّ مُنْكَرٌ فِي «B. B. C»
 وَهُوَ يَصِفُ الْإِسْلَامَ بِأَنَّهُ «دِيَانَةٌ شَرِيْرَةٌ وَعَنِيفَةٌ... انْتَشَرَتْ عَلَى أَيْدِي حَفَنَةٍ مِنَ
 الْمَجَانِينِ النَّزْفِيْنَ... وَتَمْتَدُّ الْآنَ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ»^(١٣٠)!!

وَيُوكِّدُ تَقْرِيرٌ صَدَرَ عَامَ ١٩٩٨م^(١٣١). عَنْ مَرْكَزِ «ساوثرن بوفرتي
 لوسانتر» الْأَمْرِيكِيِّ الْمُسْتَقِلِّ وَالْمُتَخَصِّصِ فِي مُرَاقَبَةِ التَّحَرُّكَاتِ الْمُعَادِيَةِ
 لِلسُّلْطَةِ: أَنَّ الْمَجْمُوعَاتِ اللَّي تَحْرِضُ عَلَى الْحِقْدِ- «النَّازِيَّةُ الْجَدِيدَةُ»، «فِرْوَةُ
 الرَّأْسِ»، «الْمُدَافِعُونَ عَنْ تَفُوقِ الْعِرْقِ الْأَبْيَضِ»، «الهُوِيَّةُ الْمَسِيحِيَّةُ»... قَدْ
 ارْتَفَعَ مَا بَيْنَ عَامَيْ ١٩٩٦م، ١٩٩٧م بِنِسْبَةِ ٢٠٪ لِيَصِلَ إِلَى خَمْسِائَةِ مَجْمُوعَةٍ
 تُضَافُ إِلَى ثَمَانِيائَةِ وَخَمْسِينَ مَجْمُوعَةٍ أُخْرَى- مِنْهَا أَرْبَعَائَةُ مِيلِيْشِيَا مُسَلَّحَةٌ
 مُنْتَشِرَةٌ فِي أَرْجَاءِ الْبِلَادِ الْأَمْرِيكِيَّةِ.

وَيُوكِّدُ « مَارِك بَتُوك » مَسْئُولُ الْمَرْكَزِ الْمَذْكُورِ أَنَّ « مُعَدَّلَ الْمُؤَامِرَاتِ
 الْإِرْهَابِيَّةِ الْجَدِيدَةِ يَبْلُغُ وَاحِدَةً كُلَّ شَهْرٍ »، وَتَتَعَلَّقُ هَذِهِ الْمُؤَامِرَاتُ- وَفَقَ التَّقْرِيرِ
 ذَاتِهِ- بِعَمَلِيَّاتِ نَسْفِ جُسُورٍ أَوْ مَبَانٍ أَوْ اغْتِيَالِ شَخْصِيَّاتٍ رَسْمِيَّةٍ وَافْتِحَامِ

(١٢٩) فِي عِدْدهَا الصَّادِر : صِبَاح الْجُمُعَةِ ١٢/٤/١٩٩٢.

(❖) زَعِيمُ الْحَزْبِ الْقَوْمِي الْبَرِيطَانِي BNP.

news.bbc.co.uk/hi/arabic/world_news/newsid_3896000/3896529.stm (130)
 ٢٠٠٤/٧/١٥م.

http://www.shrooq2.com/vb/showthread.php?t=8112 (131)

قواعد عسكريّة وسرقة مصارف... وذكر التّقرير، أنّه في ١٨ مارس من العام ١٩٩٨ م: ألفت قوّات الأمن القَبْص على ثلاثة أشخاص تابعين لميليشيا «ميتشيجن»- أخطَر الميليشيات المسلّحة- وهم يُحطّطون لتفجير مبان فيدراليّة ومَحطّة تليفزيون وأحد الجسور الكبيرة!...

وعلى الرّغم من ذلك، فقد استطاعت دوائر الفكر الإستراتيجيّ الغربيّ- طوال الفترة من ١٩٩١ م: ١٩٩٨ م: الوصول إلى فرضيات مهميّة، مؤدّاه: أن الأمن الغربيّ أصبح عرضةً للتهديد المحتمل من جانب «الخطر الأخصر»، مُتمثلاً في بعض الدّول الإسلاميّة...! ويقول «بوش»: «ستقوم الولايات المتّحدة بالتحرك ضدّ مثل هذه التّهديدات الناشئة قبل أن تتشكّل بالكامل. إن المنطق والدّفاع عن النّفس يستدعيان قيام أمريكا بالتحرك ضدّ الأخطار المحتملّة قبل أن تصبح أخطاراً حقيقيّة»^(١٣٣).

وإمعاناً في تكريس الاستعداد الدائم لحالة الضرب الاستباقيّ الغربيّ - العدوانيّ بطبيعته: اتّجهت الولايات المتّحدة الأمريكيّة ودول الاتحاد الأوروپيّيّ، وبعض دول شرق أوروبا، إلى ضرب المؤسسات الدّعويّة والإغاثيّة والجمعيّات الخيريّة، وقطاعات العمل الأهليّ التطوعيّ في عموم الرّقعة العربيّة والإسلاميّة... ونصفتها بحجّة أنّها تموّل أو تعمل على تفريخ الإرهاب!?! الأمر الذي من شأنه أن يزيد من معاناة شعوب تلك

(١٣٢) ميساء أسعد - الأمن القوميّ الأمريكيّ، تحولات نوعية في المفاهيم والتوجهات- نقلًا
ع : www.qudsway.com/Links/almujahed/358/358-18.htm

الْبُلْدَانِ، وَيُوطِنُ السَّخَطَ الشَّعْبِيَّ، وَيَقْوِي مَوَاجِتِ الْعِدَاءِ لِلْعَرَبِ لَيْسَ فِي هَذِهِ الْبُلْدَانِ وَحَسْبُ، وَإِنَّمَا فِي تِلْكَ الْبِلَادِ الَّتِي تُؤَثِّرُ الْاِحْتِمَاءَ بِخُصُوصِيَّاتِهَا الْحَضَارِيَّةِ فِي مُوَاجَهَةِ الْمَدِّ التَّدْوِيْبِي الْعَوْلَمِيِّ... وَلَا تَرَى لُرُومًا لِنِتْلِكَ الْمُسَاوَمَاتِ الرَّخِيصَةِ عَلَى الْعَقَائِدِ وَالْقِيَمِ وَالهُوَيَّاتِ الْحَضَارِيَّةِ...! بَلْ مِنْ شَأْنِ ذَلِكَ أَنْ يُكْرَسَ الْقَطِيعَةُ بَيْنَ الْحَضَارَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ عَلَى اخْتِلَافِهَا!...

وَفِي السِّيَاقِ ذَاتِهِ، طَالَبَ زُعْمَاءُ حِزْبِ التَّقَدُّمِ النُّرُوجِيِّ - وَهُوَ حِزْبُ يَمِينِيٍّ مُتَطَرِّفٍ : بِحَظَرِ الْإِسْلَامِ كَكْفَرٍ فِي أُرُوبًا، وَمُعَاقَبَةِ مَنْ يُبَارِسُونَ شَعَائِرَهُ، زَاعِمِينَ أَنَّهُ دِينٌ غَيْرٌ قَانُونِيٍّ، تَبْعِي مُعَاقَبَةٌ مَنْ يَعْتَنِقُهُ مِثْلَ النَّازِيَّةِ تَمَامًا؛ وَأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ لَا يُحْتَلَفَ فِي شَيْءٍ عَنِ كِتَابِ «كِفَاحِي» لـ أدولف هتلر!». وَنَسَبَتْ صَحِيفَةُ «دَاجِيْلَادِيْتِ» النُّرُوجِيَّةِ إِلَى رَئِيسِ الْحِزْبِ فِي مَدِينَةِ «كْرِيسْتِيَان سَانْد» النُّرُوجِيَّةِ «هَالْفُورْ هُولَاس» قَوْلَهُ : «لَسْنَا وَحَدْنَا الَّذِينَ نَطَالِبُ بِحَظَرِ الْإِسْلَامِ. إِنَّمَا فِكْرَةٌ رَاسِخَةٌ فِي الْبِلْدَانِ الْإِسْكَانْدِنَافِيَّةِ قَاطِبَةً. إِنَّنَا الْآنَ نَسْتَوِرِدُ أَشْخَاصًا يُبَارِسُونَ دِيَانَتَهُ بِالطَّرِيقَةِ نَفْسِهَا الَّتِي مُورَسَتْ بِهَا شَعَائِرُهَا عِنْدَ ظُهُورِهَا لِلْمَرَّةِ الْأُولَى سَنَةَ سِتِّمِائَةِ مِيلَادِيَّةٍ». وَأَضَافَ، أَنَّ «الْحُرِّيَّةَ الَّتِي تَتَمَتَّعُ بِهَا فِي النُّرُوجِ قَدْ تُسَلَبُ مِنَّا إِذَا لَمْ نَبْدَأْ تَقْدِيمَ بَعْضِ الْمَطَالِبِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهَؤُلَاءِ الْمُهَاجِرِينَ - فِي إِشَارَةِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ الْمَقِيمِينَ فِي النُّرُوجِ». وَيَعُودُ «هُولَاس» ثَانِيَةً لِيَقُولَ : «إِنَّ مُسَاوَاةَ الْإِسْلَامِ بِالنَّازِيَّةِ تَحْطَى بِتَأْيِيدٍ وَاسِعٍ مِنْ قِبَلِ أَعْضَاءِ الْحِزْبِ»^(١٣٣).

(١٣٣) نقلًا عن : جريدة الخليج الإماراتية - ٢٠٠٤/٨/٢م.

وَمُنْذُ عِقْدِ التَّسْعِينِيَّاتِ، وَحِزْبِ الشَّعْبِ الدَّانِزَكِيِّ يُنْظَرُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ -
الَّذِينَ يُمَثِّلُونَ أَرْبَعَةَ بِالمائة مِنْ عَدَدِ السُّكَّانِ - بِاعتِبَارِهِمْ « مُشْكَلَةٌ مُقْلِقَةٌ! »،
وَلَكِنْ بَعْدَ أَحْدَاثِ أَيْلُولِ سِبْتَمْبَرِ، انْضَمَّتْ إِلَى هَذَا الحِزْبِ أَحْزَابٌ أُخْرَى...
وَأَصْبَحَتْ مَسْأَلَةٌ « وُجُودِ الْمُسْلِمِينَ » فِي الدَّانِزَكِ قَضِيَّةً انْتِخَابِيَّةً وَرَكَزَ
الإعلام بِشكْلِ كَبِيرٍ عَلَى مَشَاكِلِ المَهاجِرِينَ الْمُسْلِمِينَ لِيَلْصَقَ بِالإسلام صِفَةَ «
العُنْفِ» وَ « التَّطَرُّفِ » وَ « المَحَرَّمَاتِ »... وَتَمَّ مُناقِشَةُ مَشَاكِلِ اجْتِمَاعِيَّةٍ لِلهِجْرَةِ
مِنْ زاوِيَةِ دِينِيَّةٍ بَحْتَهُ؛ وَلَقَدْ انْضَمَّتْ مَلَكَهُ الدَّانِزَكِ إِلَى جَوْقَةِ الكَرَاهِيَّةِ
بِتَعْبِيرِها عَنِ القَلْبِ مِنَ المَشْكَلَةِ الَّتِي يُمَثِّلُها بَعْضُ رعاياها مِنَ الْمُسْلِمِينَ!؟ ...

وَلَقَدْ نالَ حِزْبُ الشَّعْبِ الدَّانِزَكِيِّ جَماهيرِيَّةً مِنْ خِلالِ تَوَجِيهِ إِهاناتٍ
مُتواصِلَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ... حَيْثُ وَصَفَتْهُمُ إِحْدَى مُرَشَّحاتِ الحِزْبِ لِجَلِيسِ
بَلَدِيَّةِ كُوبِنِهَاجِنِ « لُويسِ فِيرِيفْرِيتِ » بِأَتَمُّهُمُ « مَرَضُ سَرَطانِيٍّ فِي المُجْتَمَعِ
الدَّانِزَكِيِّ »^(١٣٥).. كما قالَ النَّاظِقُ بِاسْمِ حِزْبِ الشَّعْبِ « مارتِنِ هِنْرِكْسِنِ » :
« إنَّ الإسلامَ مُنْذُ بَدائِيَّتِهِ : كانَ حَرَكَةً إِرْهابِيَّةً »، مُحَدِّدًا « مِنَ السَّماحِ لِلْمُسْلِمِينَ
بِالترُّشِحِ لِعُضُويَّةِ البَرلمانِ أَوِ المَجالِسِ البَلَدِيَّةِ »^(١٣٥)؛ وَوَصَفَ « هِنْرِكْسِنِ » مَنْ
يَعْتَبِقُ الإسلامَ مِنَ الدَّانِزَكِيِّينَ : بِأَتَمُّهُمُ « مُجْرِمُونَ وَلاَ أَخلاقِيُونَ ». هَذَا،
وَيحْفُلُ مَوْقِعُ « هِنْرِكْسِنِ » بِالعداءِ لِلإسلامِ وَإِهانةِ الْمُسْلِمِينَ!؛ وَلَقَدْ تَمَّ

(١٣٤) نُضْلاً عَن : بُيُوتَةُ شَعْبِيان - جَرِيدَةُ الشَّرْقِ الوُسْطِيِّ - ٢٠٠٦/٢/٦م.

(١٣٥) مِنَ افْتِتاحِيَّةِ صَحِيفَةِ « اِكْرِكْتَفِ انْتَلِجِنْسِ ريفيو » بَعْنوانِ : مَنْ يُنْظَمُ جَوْقَةَ صِراعِ

الحِضاراتِ؟ - نُضْلاً عَن : جَرِيدَةُ الثُّورَةِ السُّورِيَّةِ - الاثْنينِ ٢٠٠٦ / ٣ / ٦ -

http://thawra.alwehda.gov.sy/_archive.asp?FileName=74826966200603

04131532

استجواب «هنركسن» في مناقشة برلمانية حول محتوى هذا الموقع؟ فأفاد بأن «انتقاد الإسلام: يمثل السياسة الرسمية لحزبه»^(١٣٦)...

وعلى الرغم من ذلك، فلقد أنساق ساسة كبار في مستوى «رئيس دولة» وراء تلك الحملة المشبوهة على الإسلام والمسلمين في العالم؛ فالرئيس الفرنسي «جاك شيراك» في أعقاب استفزاز محاربي أمريكي ممبرك... نراه فجأة يطلع علينا معلناً «تهديده باللجوء إلى الخيار النووي ضد قوى إقليمية، حتى لو امتدت يده إلى مخزون فرنسا الاستراتيجي من هذا السلاح. لأن هناك استفزازاً «إرهابياً» يتهدد مصالح فرنسا الحيوية أو مصالح حلفائها أيضاً»^(١٣٧). ويبدو أن إيران هي المسئولة عن هذا الإزهاق بنظرهم!. ثم يأتي دور رئيس وزراء استراليا ليشير إلى ما وُصف هناك على أنه «رغبة في الإسلام» معتبراً أن «المسلمين قد يشكلون الخطر الأكبر في سياق الإزهاق العالمي» مضيفاً: «إنه لمن دواعي الأسف أن غالبية الإزهائين في العالم من المسلمين»^(١٣٨)!

ولقد بدا عجباً أن يسترسل الرئيس «بوش الابن» في زلاته التي لا تنتهي على طريق علاقته بالإسلام والمسلمين!.. إذ استخدم هذه المرة عبارة «الإسلام الفاشي»؛ وحاوَل الإعلام الأمريكي تحريف وتحريك العبارة

(١٣٦) نُقلًا عن: بُئينة شعبان- جريدة الشرق الأوسط- ٢٠٠٦/٢/٦م.

(١٣٧) جاك شوميناد- فوهريية أم بونا برتية؟!- مقال بصحيفة «اكزكتف انتلجنس

ريفيو»- ترجمة: منير الموسى- الأحد ٢٠٠٦/٢/١٢م.

(١٣٨) نُقلًا عن قناة الجزيرة القطرية- ٢٠٠٦/٩/٦م.

لِتُصَبِّحَ «الإسلاميين الفاشيين»... وَلَكِنَّ هَذَا لَمْ يَمْنَعْ مِنَ التَّفْرِيرِ بِأَنَّ الإِدَارَةَ
الْأَمْرِيكِيَّةَ دَأَبَتْ مِنْذُ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ أَيْلُولِ عَلَى اعْتِبَارِ الْإِسْلَامِ كَدِينٍ
وَعَقِيدَةٍ هُوَ: الْحِصْمُ وَلَيْسَ فِتْنَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ هُمْ خُصْمُوهَا!

وَمِنَ الْجَدِيدِ بِالذِّكْرِ، أَنَّ اسْتِخْدَامَ مُصْطَلَحِي «الفاشي الإسلامي»
وَ«الإسلام فاشيست» حَالِيًا أَكْثَرَ بِكَثِيرٍ مِمَّا كَانَ الْأَمْرُ سَابِقًا، وَيُمْكِنُ التَّأَكُّدُ مِنْ
ذَلِكَ بِالْبَحْثِ عَنِ هَدْيَيْنِ الْمُصْطَلَحَيْنِ فِي أَيِّ مَوْقِعٍ أَوْ صَفْحَةِ شَبَكَةِ الْمَعْلُومَاتِ
الْإِلِكْتُرُونِيَّةِ حَوْلَ مَا يُسَمِّيهِ «دانيل بايس» «الإسلام المتطرف هو العدو»!
وَمِنْ أَتْرَزِ الْأَمْثِلَةِ عَلَى ذَلِكَ: الْحَدِيثُ الْقَوِيُّ الَّذِي أَلْقَاهُ السَّيْنَاتُورُ «ريك
سانتورم» فِي الْعِشْرِينَ مِنْ تَمُّوزِ ٢٠٠٦م، وَالَّذِي اسْتَحْدَمَ فِيهِ مُصْطَلَحَ
«فاشي» أَوْ «فاشيَّة» تِسْعًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً لَدَى حَدِيثِهِ عَنِ الْإِسْلَامِ؛

وَعَلَى امْتِدَادِ أُسْبُوعٍ كَامِلٍ - ابْتِدَاءً مِنَ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ آبَ ٢٠٠٦م
وَحَتَّى الثَّلَاثِ مِنْ أَيْلُولِ سِبْتَمْبَرٍ: ظَلَّتْ صَحِيفَةُ «لوس أنجليس تايمز» تَحْتَرُّ
التُّهْمَ وَتُجْرِي الْحَوَارَاتِ وَالْتَّحْقِيقَاتِ الصُّحْفِيَّةَ حَوْلَ مَا صرَّحَ بِهِ «جورج
بوش» «وَنَائِبِهِ» «دِيك تَشِينِي» مِنْ أَنَّ الْأَعْتِقَالَاتِ الْأَخِيرَةَ الَّتِي يَسْمَعُ عَنْهَا
الآنَ رِفَاقُنَا الْمُواطِنُونَ هِيَ: تَذْكِيرٌ وَاصِحٌ بِأَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ هِيَ فِي حَالَةِ حَرْبٍ
مَعَ الْفَاشِيَّينَ الْإِسْلَامِيِّينَ، الَّذِينَ سَوْفَ يَسْتَحْدِمُونَ آيَةَ وَسِيلَةٍ لِتَدْمِيرِ كُلِّ مَنْ
يُحِبُّ الْحُرِّيَّةَ مِنَّا، وَإِلْبَاءً أُمَّتِنَا وَإِنْزَالِ الصَّرَرِ بِهَا^(١٣٩). هَذَا، وَقَدْ جَاءَ هَذَا
التَّصْرِيحُ عَلَى خَلْفِيَّةِ مَعْلُومَاتِ اسْتِخْبَارَاتِيَّةٍ حَوْلَ مَا وُصِفَ فِي الصُّحُوفِ

(١٣٩) مِنْ تَصْرِيحِ لـ «بُوش» فِي الْعَاشِرِ مِنْ آبِ أُغْسُطُسَ ٢٠٠٦م.

الأمريكية على أنه «حالة الرعب التي أعقبت إحياء المخطط الإرهابي الكبير لتفجير الطائرات في لندن»^(١٤)!

وهذه شهادة واحدٍ من أشد ما دفعتهم أرحام الكراهية الغربية للاحر العربي والإسلامي إلى دنيا الناس؛ إنه «دانيال بايس» يقول: «عجيبني هذا الميل في النظر إلى إحدى صور الإسلام بوصفها العدو؛ لكنني أجد كلمة «فاشي» مُضَلَّلَةٌ في هذا السياق. فلا توجد إلا القليل من الصلات التاريخية أو الفلسفية بين الفاشية والإسلام المتطرف. الفاشية تُجَدُّ الدولة، وتؤكد على أهمية «النقاء» السلافي، وتدعو إلى الدارونية الاجتماعية، وتتفقد العقل ولا تحترمه، وتمتدح الإرادة وتخفي بها، وترفض الدين كمؤسسية ومنظمة اجتماعية... وكلها خصائص ومظاهر يبغضها ويدينها الإسلاميون المتطرفون»^(١٤)..

ولعلنا نلاحظ ما تسعى إليه تلك المجموعات المتدينة بهذه الروح العدائية.. المشبعة بتلك الفكرة الصراعية المتهبة في وجدانها الديني والثقافي والشعوري..! حيث تحاول بث روح الرعب والترقب والخوف والتوجس والحذر في روع العامة داخل المجتمعات الغربية... لإمكان تعييشهم في خصم هذه الحالة النفسية بصورة فيها انتهازية مثيرة للدهشة؛ ولناخذ، مثلاً، تلك التحذيرات مما يدعونه: «هجمات مُرْتَبَّة».. «تفجيرات متوقعة»..

(١٤٠) هذه العبارة المشدودة الإيقاع لـ «دانيال بايس» في مقال له - نُقِلَ عَنْ :

<http://ar.danielpipes.org/article/3911>

(141) <http://ar.danielpipes.org/article/3911>

«صَبَطُ وَثَاتِقَ وَخُطَطِ لِحُطْفِ رَهَائِنِ...».. «تَحْدِيرَاتُ بَعْدَمِ التَّوْاجِدِ بِالْأَمَاكِنِ
الْمُرْدِحَةِ فِي أَوْقَاتِ الدُّرُورَةِ».. «إِنْدَارَاتٍ إِلَى السَّفَارَاتِ بِإِجْلَاءِ الرَّعَايَا تَحْشِبًا
لِوُقُوعِ هَجْمَاتٍ»...؟! أمثلةٌ عديدةٌ... بِهَدَفِ إِعَاشَةِ تِلْكَ الْمُجْتَمَعَاتِ حَالَةً مِنْ
التَّوَثُرِ وَالْقَلَقِ وَالتَّحَفُّزِ وَالاِسْتِعْدَاءِ نُجَاهَ هَذَا الْآخِرِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ - عَلَى وَجْهِ
الحَقِيقَةِ - يَلُوحُ فِي آفَاقِ التَّخْوِينِ الاِسْتِخْبَارَاتِي بِمَلَامِحِ عَرَبِيَّةِ إِسْلَامِيَّةٍ...؟!
ذَلِكَ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ، عَلَى الصَّعِيدِ التَّارِيخِي، لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ مُبَرَّرٍ مَنْطِقِيٍّ
وَمَعْقُولٍ لِلْإِحْسَاسِ بِأَيِّ خَطَرٍ يُمَكِّنُ أَنْ يَتَهَدَّدَ الْعَرَبُ مِنَ الْإِسْلَامِ، اللَّهُمَّ
إِلَّا إِذَا وُضِعَتْ الْفُتُوحَاتُ الْإِسْلَامِيَّةُ - الَّتِي حَرَّرَتْ بَعْضَ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ
قَهْرِ الرُّومَانِ، بَلْ حَرَّرَتْ الْعَرَبَ مِنْ ذَاتِهِ الْبُدَائِيَّةِ الْجَاهِلَةِ الْهَمْجِيَّةِ الْمُتَوَحَّشَةِ...
وَفَتَحَتْ عَيْنَيْهِ عَلَى قِيمِ الْعِلْمِ وَالْحَضَارَةِ... وَأَمَدَّتْهُ بِزَادٍ تَقْوْفِهِ وَبِسِرٍّ وَجُودِهِ -
فِي مَنظُورِ التَّعَصُّبِ الْأَعْمَى وَالْحَسَاسِيَّةِ الْحَمَقَاءِ!..!

وَلَقَدْ غَدَا الْإِسْلَامُ فِي مُخِيلَةِ الْإِنْسَانِ الْغَرِبِيِّ الْمُنْهَكَةِ هُوَ : «الْوَحْشَ
الْأَسْوَدَ»، وَغَدَا مِنَ الْمُمْكِنِ اسْتِرَاطِيَجِيًّا إِشْبَاعُ النَّعْرَةِ الْعُنْصُرِيَّةِ وَإِرْوَاءُ عَلِيلِ
النَّزَعَةِ الصَّرَاعِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ ضِدَّ الْإِسْلَامِ بِعَيْرِ حَرَجٍ أَوْ تَرَدُّدٍ... وَلَقَدْ تَمَّ تَصْوِيرُ
«مِلْيَارِي مُسْلِمٍ مِنَ الْبَشَرِ، وَكَأْتَهُمْ كَاتِنَاتٌ أُخْرَى، وَجِنْسٌ آخَرَ «شَيْءٌ كَالْغُرَاةِ
الْفَضَائِيَّةِ»، وَكَانَ السَّعْيُ إِلَى صَرْبِ هَؤُلَاءِ لَا يَعْدُو إِلَّا أَنْ يَكُونَ دِفَاعًا عَنِ
سُكَّانِ الْكُوكَبِ الْأَرْضِيِّ مِنْ خَطَرِ الْبِرَابِرَةِ الْغُرَاةِ الْقَادِمِينَ مِنْ خَارِجِ التَّارِيخِ
أَوْ مِنْ خَارِجِ هَذَا الْعَالَمِ. وَلَقَدْ وُجِدَتْ عِبَارَاتٌ مُعَادِيَّةٌ لِلْإِسْلَامِ مَكْتُوبَةٌ عَلَى
الجُدْرَانِ فِي أَمَاكِنَ عَامَّةٍ ظَاهِرَةٍ فِي وِلَايَةِ «أَيُوا» الْأَمْرِيكِيَّةِ. وَحَسَبُ صَحِيفَةِ
«أَيُوا سِتَات دَايلي» فَإِنَّ مَجْهُولِينَ كَتَبُوا عِبَارَاتٍ تَهْدِيدِيَّةً عَلَى جُدْرَانِ الْجَامِعَاتِ

والمعاهد، مثل: «سنيد الإسلام من أجل السلام العالمي»، «القرآن يريد قتلك». ولقد بلغ التشويه حدَّ وصم دين الإسلام بالإرهاب في مُلصقِ كُتبٍ فيه: «الإسلام هو الإرهاب»^(١٤٢)!. ولذلك، نرى اليوم: أن صورة العربي عند الآخر: هي صورة مُشوَّهة، غير واضحة المعالم، تُعكس ضياع الهوية العربية الجماعية في النظام العالمي الجديد... وأصبح يُنظر إلينا في معظم الأحيان كمُسلمين «مُعصبين» نكره الغرب بفعل التعصّب الديني وعدوانية غير منطقيّة تجاه قيس الغرب الليبرالية- وكاننا أول من كرهه وبكره هذا القيم العالمية التي سقطت في مجمل اختياراتها على الساحة البشريّة!

ولعليّ لا أكون مُبالغاً أو مُتجاوزاً الحقائق حين أذهب بِشكوكي تجاه مصداقية النوايا العربية فيما تزعمه من القضاء على أسطورة الإرهاب في اللاوعي العربيّ والعالميّ!، إذ أنّ ذلك من شأنه أن يُعجل بحرق ورقة ما يُسمّى بالإرهاب الإسلاميّ في اللعبة العربية المعاصرة الحبيثة... التي تعود بمكاسب تاريخية وجغرافية- مادّية ومعنوية هائلة على الغرب...!

وبالتالي، ليس الغربيون على هذه الدرجة من الغباء السياسيّ والإستراتيجيّ بحيث تُفوت على نفسها فرصة ذهبية للتشفي التاريخيّ في الإسلام... وللتعيش الواقعيّ والمستقبليّ على حساب المسلمين مادياً ومعنوياً.. مدنيّاً وحضارياً! يقول « ستيفن كليمينس - المسئول الإستراتيجيّ في الحزب الجمهوريّ الأمريكيّ: « إن الخوف من العالم

(١٤٢) نقلًا عن: جريدة العالم الإسلامي-السعودية - العدد ١٨٦٠ - الإثنين ١٣ شعبان ١٤٢٥ هـ.

العربي لسنوات عديدة قادمة : قد أصبح ضرورة لازمة للحياة»^(١٤٣) ؛ فليس ثمّة من هو بهذه الدرجة من البلاهة حتى يُغلق هذا الملف دون أن يستنفد أهدافه وغاياته، التي تتجاوز حكوماتٍ ونظماً وتحالفاتٍ تشكّلت على خلفيّة وهم التّواصل بين الشرق والغرب. ! فحقيقة الهدف الاستراتيجيّ العربيّ : تنصّب باتجاه «الإبقاء على دائرة من العداوات المُستديمة خارج حدود الولايات المتحدة الأمريكية لتبرير انتشار القوّة العسكريّة، وتهديد مصالح الآخرين، فضلاً عن تأمين مصالحها الخاصّة»^(١٤٤).

ولقد جاءت أحداث أيلول لتحوّل حالة الحساسيّة والقلق العربيّ تجاه ظاهرة الصحوة الإسلاميّة من مجرد كونها عدوًّا مُفترضاً نسبياً إلى عدوٍّ حقيقيّ على خريطة الوعي الاستراتيجيّ العربيّ؛ وليتغيّر شكل الصراع من الطّور البارد إلى طوّر آخر اتّسم بطابع العنّف والمواجهة المسلّحة التي استُخدمت فيها أشدّ الأسلحة فتكاً وتدميراً!... بلّ وسُخرت فيها أقوى طاقة أمنيّة إعلاميّة لوضم الإسلام بالتطرف والإرهاب فيما يعدّه عالم الأنتروبولوجيا البروفيسور «أكبر أحمد» حصاراً! وهو حصارٌ تفرّضه رؤى سياسيّة وإستراتيجيّة وإعلاميّة وأيديولوجيّة مُعادية للإسلام. ويَعبُ «أكبر أحمد» على دارسي الإسلام - خاصّةً بعد الحادي عشر من أيلول : نرعتهم الانبثائيّة في قراءة الإسلام، وخاصّةً في حقل الإعلام؛ ويقول : «إنّ خبراء الإعلام الجاهزين على الفور، كلُّهم مُذنبون في مثل هذا

(١٤٣) من تصريح له بقناة الجزيرة العربيّة - أواخر تشرين أول أكتوبر ٢٠٠٦م.

(١٤٤) نقلاً عن : trif.nashiri.net/rands.htm - بتصرّف يسير.

الاستخدام الانتقائي للإسلام عموماً وللقُرآن الكريمِ خاصةً لتدعيم
وُجْهاتِ نَظَرِهِمُ الْجَاهِزَةَ»^(١٤٥).

وفي محاولةٍ لتكثيفِ أحداثٍ أيلولِ وإعادةِ إنتاجِ تأثيراتها في اللاوعي
الغربيِّ بصفةٍ عامَّةٍ مُجدِّداً، تسعى الولاياتُ المتحدةُ إلى تفخيخِ العقلِ والضَّميرِ
الأوروپيَّينِ بـ «الإسلامِ فوياً» حيثُ أكَّدَ التَّقريرُ الرِّسْمِيُّ الصَّادِرُ عَنَ وَزارَةِ
الأمنِ الداخليِّ ما وردَ في التَّقاريرِ الإعلامِيَّةِ الَّتِي تحدَّثتْ عَنَ أنَّ تنظِيمَ
القاعدةِ كانَ يُخطِّطُ لاختطافِ طائراتٍ مِنْ مطارِ «هيثرو» في «لندن»
والاصطدامِ بإحدىِ ناطحاتِ السَّحابِ المَوْجُودَةِ في مِنطَقَةِ «كاناري وارف»
في العاصِمَةِ البريطانيَّةِ. ويُصِفُ التَّقريرُ: إنَّ القاعدةَ كانتْ تُخطِّطُ لاختطافِ
الطَّائراتِ والاصطدامِ بها في أهدافٍ تقعُ على السَّاحِلِ الشَّرقيِّ للولاياتِ
المتَّحدةِ و«أستراليا» و«بريطانيا» و«إيطاليا». ويُفيدُ التَّقريرُ: إنَّ وَزارَةَ الأمنِ
الداخليِّ «مازالتْ تتلقَّى معلُوماتٍ بشأنِ تعرُّضِ صناعةِ الطَّيرانِ في العالمِ
لتهديداتٍ إرهابِيَّةٍ»^(١٤٦).

ويبدو لي أنَّ القادةَ الغربيِّينَ في محافلهمِ السِّياسِيَّةِ والإستراتيجِيَّةِ:
يتعامَلونَ معَ مَرَضِ الخوافِ الإسلاميِّ بنوعٍ مِنَ الانهزامِيَّةِ الإراديَّةِ أمامَ كَذِبَةِ
هُمُ الدِّينِ حَبْكُوهَا وَفَرِيَّةِ اختلقوها فَصدَّقُوهَا!، ويريدوننا أن نصدَّقَها نحنُ
أيضاً!، بل يجبُ أن يصدَّقَها العالمُ في محاولةٍ لتصدِيرِ «الإسلامِ فوياً» خارجَ

(١٤٥) نقلًا عن: مُعْتَرِ الخُطيبِ - الإسلامُ بوصفه دينًا إرهابيًا! -

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/9ACECD4A-7B3E-453B-ACC6-295D896E0425>

146)news.bbc.co.uk/hi/arabic/world_news/newsid_5106000/5106454.stm.

نطاقِ العالمِ العَرَبِيِّ!... فَعَلَى صَعِيدِ الْأَخْبَارِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْمَوْضُوعِ نَفْسِهِ : نَسَرَتْ صَحِيفَةُ الْأَتْحَادِ الْإِمَارَاتِيَّةِ^(١٤٧) حَوْلَ مَا تُبْدِيهِ الْوَلَايَاتُ الْمُتَّحِدَةُ مِنْ مَخَافٍ حِيَالِ مَا اعْتَبَرْتُهُ هَجَمَاتٍ كِيمَاوِيَّةً وَبِيُولُوجِيَّةً وَشِيكَّةً.. بِاسْتِخْدَامِ طَائِرَاتِ لِرَشِّ الْمِيدَاتِ، فَكَتَبَتِ الصَّحِيفَةُ - نَقْلًا عَنْ وَكَالَةِ « جِي جي » الْيَابَانِيَّةِ لِلْأَنْبَاءِ - أَنَّ الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةَ حَذَرَتْ حُلَفَاءَهَا طَبَقًا لِمَصَادِرٍ مُوثُوقَةٍ مِنْ مَوْجَةِ هَجَمَاتٍ إِزْهَابِيَّةٍ جَدِيدَةٍ أَشَدَّ مِنْ تِلْكَ الَّتِي اسْتَهْدَفَتْهَا فِي أَحْدَاثِ أَيْلُولِ، قَدْ تَكُونُ هَجَمَاتٍ كِيمَاوِيَّةً أَوْ بِيُولُوجِيَّةً بِاسْتِخْدَامِ طَائِرَاتِ لِرَشِّ الْمِيدَاتِ؟!؛ وَأَنَّهُ وَقَفَا لِمَعْلُومَاتٍ حَصَلَتْ عَلَيْهَا الْيَابَانُ عَنْ طَرِيقِ الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ، فَإِنَّ مَا أَسْمَتُهُ «الْوَسَائِلُ الْإِزْهَابِيَّةُ» : سَتَكُونُ أَكْثَرَ وَحَشِيَّةً وَسَتُسَبِّبُ صَدْمَةً أَكْبَرَ...؟! وَأَنَّ الْأَهْدَافَ الْمُحْتَمَلَةَ لِلْهَجَمَاتِ غَيْرُ مَعْرُوفَةٍ، إِلَّا أَنَّ هُنَاكَ إِمْكَانِيَّةً أَنْ تَشْمَلَ الدَّوَلُ الْأَعْضَاءَ فِي حِلْفِ شِمَالِ الْأَطْلَسِيِّ وَبَاكِسْتَانَ. وَذَكَرَتْ مَصَادِرُ حُكُومِيَّةٍ يَابَانِيَّةٌ : أَنَّ الْهَجَمَاتِ عَلَى الْيَابَانَ لَيْسَتْ مُسْتَبْعَدَةً!، إِذْ إِنَّ طُوكِيُو أَعْرَبَتْ عَنْ مُسَانَدَتِهَا لِلرَّدِّ الْأَمْرِيكِيِّ عَلَى الْهَجَمَاتِ!... وَهُوَ مَا نَعُدُّهُ : عَوْلَةٌ لـ «الإسلام فُوبيا»!...

وَأَعْلَى الْمَتَابَعِ لِخَطَابِ مَا يُسَمَّى « تَنْظِيمُ الْقَاعِدَةِ»، لَا تُخْطِئُهُ الْعَبِيَّةُ وَاللَّامَسْئُولِيَّةُ الَّتِي تُوظَّفُ لِتَخْدُمَ النَّزْعَةَ الدَّرَائِعِيَّةَ الْعَرَبِيَّةَ الَّتِي تُحْوَلُ لِلْمُؤَسَّسَاتِ الْعَرَبِيَّةِ تَعْمِيقِ الْإِحْسَاسِ الشَّعْبِيِّ الْعَرَبِيِّ بِ«الإسلام فُوبيا»!... فَتَارَةً يَأْتِي حَدِيثُ الطَّوَاهِرِيِّ مُتَوَعَّدًا الْعَرَبَ بِ«عَرَوَاتٍ» فِي الْعُمُقِ الْعَرَبِيِّ مِنْ

خِلَالَ تَعَاوُنٍ مِّنَ «بَايَعُوهُ» مِّنَ «أَفْرَادٍ» أَوْ «جَمَاعَاتٍ» أَوْ «مُنْظَمَاتٍ» قَدْ تَكُونُ مَوْجُودَةً عَلَى شَبَكَةِ «الْإِنْتَرْنِت» أَوْ فِي بِلَادٍ عَرَبِيَّةٍ وَإِسْلَامِيَّةٍ... أَوْ عَلَى خَرِيْطَةِ الـ «سِي آي إيه»!... الأَمْرُ الَّذِي يُصَعِّدُ مِنْ حَالَةِ الْحَذَرِ وَالْتَرَقُّبِ وَالتَّأَهُبِ وَالاستِنْفَارِ الأَمْنِيِّ القُصُوى... فَيَأْتِي ذَلِكَ وَبِالأَلَّا عَلَى الجَلِيَّاتِ المُسَلِّمَةِ فِي صُورَةِ مُضَابِقَاتٍ وَإِسَاءَاتٍ وَإِيذَاءٍ وَضَرَرٍ نَفْسِيٍّ وَأَدْبِيٍّ بَالِغٍ!... وَلَقَدْ أَعْلَنَ رَئِيسُ الوُزَرَاءِ الفِرَنْسِيِّ «دومينيك دو فيليان» مُؤَخَّرًا^(١٤٨): أَنَّ الوَضْعَ فِي بِلَادِهِ يَنْطَوِي عَلَى مَخَاطِرٍ كَبِيرَةٍ، دَاعِيًا إِلَى تَوَخُّي اليَقْظَةِ، خَاصَّةً بَعْدَ التَّهْدِيدَاتِ الأَخِيرَةِ المُسْنُوبَةِ إِلَى الرَّجُلِ الثَّانِي فِي تَنْظِيمِ القَاعِدَةِ صِدِّ فِرَنْسَا؛ وَقَدْ تَرْتَبَ عَلَى تِلْكَ الإِجْرَاءَاتِ مَرِيدٌ مِّنَ الأَعْتِقَالَاتِ وَتَوْسِيعِ دَوَائِرِ الأَشْتِبَاهِ وَالمُلاحَقَاتِ الأُمْنِيَّةِ وَالتَّعَامُلِ مَعَ المُسْلِمِينَ بِمَنْطِقِ التَّفْتِيْشِ فِي النُّوَابَا!...

وَمِنْ جِهَتِهَا أَعْلَنْتِ الوِلَايَاتُ المُتَّحِدَةُ مُؤَخَّرًا عَن تَمْدِيدِ حَالَةِ الطَّوَارِيِ الوَطَنِيَّةِ الَّتِي سَبَقَ وَأَنَّ أَعْلَنَهَا «جورج بوش الإِنْ» بَعْدَ هَجَمَاتِ سِبْتِمْبَرِ/أَيْلُولِ ٢٠٠١م، حَيْثُ حَذَرَ «بُوش» فِي بَيَانٍ رَسْمِيٍّ مِّنْ أَنَّ مَا سَمَّاهُ

(١٤٨) نَقْلًا عَن قَنَاةِ الجَزِيرَةِ القَطْرِيَّةِ - الخَمِيسِ المُوَاظِقِ ١٤/٩/٢٠٠٦م. وَمِنَ الجَدِيدِ بِالدِّكْرِ، أَنَّ مَحْكَمَةَ فِرَنْسِيَّةٍ قَدْ أَدَانَتْ مَجْمُوعَةً تُضَمُّ خَمْسًا وَعِشْرِينَ إِسْلَامِيًّا بَعْدَ أَنْ أَلْهَمَتْهُمُ بِالتَّخْطِيطِ لِشَنْ هَجَمَاتٍ عَلَى عِدَّةِ مَصَالِحٍ وَطَنِيَّةٍ وَأَجْنَبِيَّةٍ فَوْقَ الأَرَاضِيِ الفِرَنْسِيَّةِ عَامِي ٢٠٠١ وَ ٢٠٠٢م، وَذَلِكَ فِي إِطَارِ مَا نَسِبَ إِلَيْهِمْ مِّنْ دَعْمِهِمُ لِلْمُضَاتِلِينَ فِي الشِّيشَانِ. وَقَدْ انْتَقَدَ مُحَامُو الدِّفَاعِ بِشِدَّةٍ الأَحْكَامَ المُصَادِرَةَ بِحَقِّ مُوَكَّلِيهِمْ، حَيْثُ اعتَبَرَ أَحَدُهُمْ أَنَّ تِلْكَ الأَحْكَامَ تَأْتِي « لِصَالِحِ الوِلَايَاتِ المُتَّحِدَةِ وَرُوسِيَا...» وَأَنَّ « فِرَنْسَا مُكَلَّفَةٌ بِإِدَانَةِ المُسْلِمِينَ الَّذِينَ يُزْعَجُونَ هَذِهِ القُوى». هَذَا، وَقَدْ تَحَدَّثَ بَعْضُ المُوقِفِينَ خِلَالَ جُلُوسَاتِ المُحَاكَمَةِ، عَنِ العُنْبِ الَّذِي تَعَرَّضُوا لَهُ أَثَاءَ التَّحْقِيقِ مِنْ أَجْلِ ائْتِزَاعِ اعْتِرَافَاتٍ مِنْهُمْ تُرَاجِعُوا عَنْهَا كُلَّهَا فِيمَا بَعْدُ! (نَقْلًا عَن قَنَاةِ الجَزِيرَةِ القَطْرِيَّةِ الخَمِيسِ المُوَاظِقِ ١٥/٦/٢٠٠٦م.)

التَّهْدِيدَ «الإرهابي» لا يَزَالُ قائماً... وَقَالَ «بوش»: إِنَّ الإِجْرَاءَاتِ الَّتِي اتَّخَذْتُ فِي إِطَارِ حَالَةِ الطَّوَارِئِ يَجِبُ أَنْ تُطَبَّقَ إِلَى مَا بَعْدَ سبْتَمْبَرِ/أَيْلُولِ ٢٠٠٦. وَأَضَافَ الرَّئِيسُ الأَمْرِيكِيُّ أَنَّ «رِجَالَ القَاعِدَةِ بِلا صَمِيرٍ، لَكِنَّهُمْ لَيْسُوا مَجَانِينَ، وَأَنَّ لَدَيْهِمْ مَشْرُوعًا لإِقَامَةِ دَوْلَةِ الخِلَافَةِ، وَيَدْعَمُهُمْ فِي ذَلِكَ مُتَطَرِّفُونَ مِنَ السُّنَّةِ». وَاتَّهَمَ مَنْ وَصَفَهُمْ بِ«الْمُتَشَدِّدِينَ الإِسْلَامِيِّينَ بِمُحاوَلَةِ الحُصُولِ عَلَى أَسْلِحَةٍ نوَوِيَّةٍ وَغَيْرِهَا مِنَ الأَسْلِحَةِ غَيْرِ التَّقْلِيدِيَّةِ مِنْ أَجْلِ مَا ادَّعَاهُ «ابْتِزَازِ العَالَمِ الحُرِّ وَنَشْرِ عَقَائِدِ الكَرَاهِيَةِ الَّتِي يَعْتَنِقُونَهَا، وَزِيَادَةَ خَطَرِ مِيْتِ عَلَى الشَّعْبِ الأَمْرِيكِيِّ». وَوَصَفَ «بوش» الرَّئِيسَ الإِيرَانِيَّ «نَجَادًا بِأَنَّهُ «طَاحِيَّةٌ!»، مُؤَكِّدًا أَنَّهُ لَنْ يَسْمَحَ لإِيرَانَ بِحِيَازَةِ سِلَاحِ نوَوِيٍّ وَأَنَّ حُكُومَتَهَا لا تَقْبَلُ خُطُورَةَ عِنِ القَاعِدَةِ!». وَقَالَ إِنَّ «التَّطَرُّفَ الشَّيْعِيَّ هُوَ: بِمِثْلِ خُطُورَةِ التَّطَرُّفِ السُّنِّيِّ فِي عِدَائِهِ لِأَمْرِيكََا وَتَصْمِيمِهِ عَلَى بَسْطِ هَيْمَتِهِ عَلَى الشَّرْقِ الأَوْسَطِ الكَبِيرِ»^(١٤٩).

وَإِنِّي أَكَادُ أَجْرِمُ بِأَنَّ مَا جَرَى عَلَى لِسَانِ «الطَّوَاهِرِيِّ» فِي تَصْرِيحَاتِهِ الأَخِيرَةِ: لا يُمَكِّنُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مُدْبَلِجَةً بِوَسَائِلِ اسْتِخْبَارَاتِيَّةِ إِيهَامِيَّةِ خَادِعَةٍ!... وَإِلَّا فَإِنَّهَا لا تَصُدِّرُ إِلَّا عَن شَخْصٍ قَدْ فَقَدَ عَقْلَهُ وَظِلَّهُ، أَوْ تَحَوَّلَ بِوَلَائِهِ الدِّينِيَّ مِنْ مُجَرَّدِ خِدْمَةِ أَفْكَارِهِ الَّتِي يَعْتَنِقُهَا بَعْضُ النَّظَرِ عَن اتِّفَاقِنَا أَوْ اخْتِلَافِنَا مَعَهَا إِلَى الأَنْخِرَاطِ فِي الخِدْمَةِ بِبِلَاطِ الاسْتِخْبَارَاتِ الأَمْرِيكِيَّةِ!... وَإِلَّا فَهَذَا يَعْنِي بِالإِعْلَانِ عَن سَعْيِهِ إِلَى اسْتِقْطَابِ أَفْرَادٍ قَسْرًا قَدْ أَعْلَنُوا

(١٤٩) نَقْلًا عَن قَنَاةِ الجَزِيرَةِ القَطْرِيَّةِ - الأَرْبَعَاءِ المُوافِقِ ٦/٩/٢٠٠٦ م.

براءتهم مما أقرّفوه سلفاً... وانخرطوا في العمل الدعويّ الواسطيّ.. واندجوا في مجتمعاتهم؟... ماذا تعني إشارته إلى انضمام تنظيم كذا.. وجماعة كذا إلى «القاعدة» في بلاد تُلحّ فيها حاجة العرَبِ تحديداً إلى التّدخل... مثل العراق وأفغانستان والسودان والصّومال وبعض بلاد الحليج ومصر...؟! ماذا يعني ذلك؟ وفي أيّ خاتمة يصبُّ؟ ولأيّ مصلحة يوظّف هذا الخطاب الذي يَحْتَصِرُ فهم الإسلام في مجرد الإعلان عن شنّ عمليّاتٍ ضدّ أهدافٍ عربيّةٍ تُضَرُّ بمصالح الأُمّة المسلمة أكثر مما تنفع؟!... بل من شأنه أن يُعدّ ذريعةً للتّدخل العرَبِيّ في شئون تلك البلاد أو يُشكّل ضِعْطاً عليها أو لمزاً وابتزازاً عقديّاً وحضاريّاً مُفدّراتها بحجّة مكافحة الإرهاب!... ففني تسجيل مُتلفزٍ: بثّ مؤخّراً عبر قناة الجزيرة القطريّة إعلان «الطّواهريّ» عن أن أفراداً وقياديين ممّا يُسمّى «الجماعة الإسلاميّة» بمصر... قد أعلنوا انضمامهم إلى تنظيم «القاعدة»... منهم شخصٌ يوصفُ بـ «القياديّ البارزُ محمد خليل الحكايمّة» الذي صرّح بأنّ «للجماعة الإسلاميّة أدبيّاتٍ وأبحاثاً» حدّدت أصولها الشرعيّة وعرضت تلك الأبحاث على بعض هيئة كبار العلماء بمكّة المكرّمة عام ١٩٨٨م، حيثُ أقرّوها»^(١٠٠)؛ وهي إشارةٌ خبيثةٌ لإيراد ذكرِ السُعوديّة في السّياق لتوظيف المعلومة بما يُخدّم الأهداف النهائيّة للعرَبِ في النّيل من بلاد الإسلام والمسلمين!... حيثُ يُعلنُ باسم الإسلام والمسلمين عن تهديدٍ ووعيدٍ بشنّ هجماتٍ هنا أو هناك... فيدفع المسلمون فاتورةً وتكاليفٍ تلك

(١٥٠) نقلًا عن قناة الجزيرة القطريّة - الأحد الموافق ٦/٨/٢٠٠٦م.

التَّهْدِيدَاتِ الْوَهْمِيَّةِ الَّتِي لَا تَرَى مِنْهَا إِلَّا مَزِيدًا مِنَ الدَّمَاءِ الْمُسْلِمَةِ الْمُرَاقَةِ...
وَالْفَتَنِ الدَّاخِلِيَّةِ فِي الْأَقْطَارِ الْمُسْلِمَةِ!...

وَفِي وَأَشْنُطُنْ، حَثَّ أَعْضَاءُ بِمَجْلِسِ النُّوَابِ الْأَمْرِيكِيِّ دَوْلَةَ الْإِمَارَاتِ
الْعَرَبِيَّةِ عَلَى بَدَلِ تَعَاوُنٍ أَكْبَرَ مَعَ وَأَشْنُطُنْ لِمُكَافَحَةِ مَا وَصَفُوهُ بِالْإِزْهَابِ. وَقَالَ
حَمْسَةُ نُوَابٍ فِي رِسَالَةٍ بَعَثُوا بِهَا إِلَى السَّفِيرِ الْإِمَارَاتِيِّ فِي وَأَشْنُطُنْ: « نَعْتَقِدُ أَنَّ
دَوْلَةَ الْإِمَارَاتِ مُعَرَّضَةٌ بِشَكْلِ كَبِيرٍ لِلِاسْتِغْلَالِ مِنْ جَانِبِ مَنْظَمَاتٍ إِزْهَابِيَّةٍ
مِثْلِ الْقَاعِدَةِ، وَمِنْ جَانِبِ السَّاعِينَ كَذَلِكَ إِلَى الْإِنْتِشَارِ التَّوَوِيِّ مِثْلِ إِيْرَانِ!؛
وَأَشَارَتْ الرِّسَالَةُ إِلَى أَنَّ الْإِمَارَاتِ قَدْ بَدَلَتْ جُهُودًا مَلْمُوسَةً لِمُعَالَجَةِ الْمَخَاوِفِ
الْأُمْنِيَّةِ.. غَيْرَ أَنَّهَا لَيْسَتْ كَافِيَةً»، وَدَعَتْهَا لِتَحْدِيدِ الْخَطُواتِ الَّتِي اتَّخَذَتْهَا لِمَنْعِ
إِسَاءَةِ اسْتِخْدَامِ نِظَامِهَا الْمَالِي وَنِظَامِهَا لِلرَّقَابَةِ عَلَى التَّصْدِيرِ وَتَحْسِينِ الْإِشْرَافِ
عَلَى الْهَيْئَاتِ الْخَيْرِيَّةِ وَانْشِطَةِ الْخِدْمَاتِ الْمَالِيَّةِ خَارِجَ الْقِطَاعِ الْمَصْرِفِيِّ...^(١٥١).

وَفِي تَصْرِيحٍ لَهُ حَوْلَ مُسْلِمِي أُسْتْرَالِيَا يَقُولُ رَبِّيسُ وُزْرَاءِ أُسْتْرَالِيَا: إِنَّ
«بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ مُتَحَمِّسُونَ لِلْجِهَادِ!»؛ الْأَمْرُ الَّذِي أَشْعَلَ فِتِيلَ أَعْمَالٍ عُنْفٍ
بَيْنَ الْأُسْتْرَالِيِّينَ وَبَعْضِهِمْ الْبَعْضِ!.. وَقَدْ عَادَ «هُوَارِد» لِيُغْضِبَ الْمُسْلِمِينَ فِي
سُبْاطِ فَبْرَايِرِ ٢٠٠٦مَ بِقَوْلِهِ: إِنَّهُ « يَشْعُرُ بِالْقَلْتِي بِشَأْنِ الْمُهَاجِرِينَ الْمُسْلِمِينَ
الْمُتَطَرِّفِينَ الْمَصْمُومِينَ عَلَى الْجِهَادِ »^(١٥٢).

(١٥١) نَقْلًا عَنْ: قَنَاةَ الْجَزِيرَةِ الْقَطْرِيَّةِ - الثَّلَاثاءِ الْموافقِ ٦/٦/٢٠٠٦م.

(١٥٢) فِي حُورٍ لَهُ مَعَ صَحِيفَةِ « فُولكسكْرانت، الاِسْتِرَاكِيَّةِ التَّقْدُمِيَّةِ الْهُولَنْدِيَّةِ - نَقْلًا عَنْ:
قَنَاةَ الْجَزِيرَةِ الْقَطْرِيَّةِ - الْجُمُعَةِ ٨/٨/١٤٢٧ هـ - الْموافقِ ٩/١/٢٠٠٦م. وَتَعُدُّ هَذِهِ

وفي هولندا أعرب النائب البرلماني الشُعوبيُّ «جيرت فيلدرز» عن حَشِيَّتِهِ مِمَّا وَصَفَهُ «تِسُونامي إسلامي» في هولندا^(١٥٥). واقترح النائب إغلاق الحدود أمام هجرة غير الغرَبِيِّينَ إلى البلاد، وإلزام المُقيمينَ من غير الهولنديين بتوقيع ما سمَّاه «عقد الاستيعاب». وقال «فيلدرز» - وهو ذو توجُّه يمينيٍّ معروفٍ بعَدائِهِ للإسلام: إِنَّهُ «يَنْعِي وَقَفُ هَذَا التَّسُونامي لِثِقَافَةِ غَرِيبَةٍ كَلِيًّا عَن ثِقَافَتِنَا وَلَا تَتَوَقَّفُ عَن تَكْرِيسِ سَيِّطَرَتِهَا هُنَا!». واعتبر «فيلدرز» أنَّ هُنَاكَ عَلاَقَةٌ بَيْنَ الإِسْلامِ وَالجَرِيمَةِ فِي الشَّارِعِ، وَأَنَّهُ دِينٌ ذُو «ثِقَافَةٍ عَنِيفَةٍ سَوَفَ تُصِيبُ هَذَا هَوْلُنْدَا فِي صَمِيمِ هُوِيَّتِهَا». وأضاف أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ بِوُجُودِ إِسْلامٍ مُعْتَدِلٍ!

وفي إيطاليا^(١٥٤)، أطلق رئيس مجلس الشيوخ الإيطالي «مارتشيللو بيرا» مَطْلَعَ شَهْرِ نَيْسانِ ٢٠٠٦مَ قِطارًا أَطْلَقَ عَلَيْهِ «قِطارَ الغَرَبِ السَّرِيعِ» بِحُجَّةِ الحِفاظِ عَلَى الهُوِيَّةِ الغَرِيبَةِ المَسِيحِيَّةِ الَّتِي يَعتَبِرُها «مُهَدَّدَةٌ» مِنْ طَرَفِ الإِسْلامِ!؛ وَحَمَلَ القِطارُ الَّذِي انْطَلَقَ مِنَ العاصِمَةِ رُوما قَافِلَةً صَمَّتْ أَكْثَرَ مِنْ حَمْسائَةِ سِياسِيٍّ يَتَّجِهُونَ إِلَى بارِيسِ وَمَدْرِيدِ وَأَسْطَنْبُولِ وَوَارَسُو وَعَوَاصِمَ أُخْرَى... هَذَا، وَقَدْ لُوْحِظَتْ عِبارَةٌ «أُصُولُ مَسِيحِيَّةٍ» مَكْتُوبَةٌ عَلَى أَحَدِ عَرَبَاتِ القِطارِ. وَقَدْ صرَّحَ «مارتشيللو» عَقِبَ وُصُولِ القِطارِ إِلَى بُولُونِيَا

المقابلة جزءًا من سلسلة مقابلات أجرتها الصحيفة مع رؤساء كتل نيابية ونشرتها قبل

الانتخابات التشريعية المبكرة التي ستجرى في ٢٢ تشرين الثاني ٢٠٠٦م.

(١٥٣) نقلًا عن: قناة الجزيرة القطرية - الأحد ١٦/٩/١٤٢٧ هـ - الموافق ٨/١٠/٢٠٠٦م.

(١٥٤) نقلًا عن: جريدة الرياض السعودية - ٤/٤/٢٠٠٦م.

بأن «الإسلام سيصبح خطراً على ثقافتنا في حال إفتقادنا هويتنا». وأضاف مؤكداً على أن فاعليته «مواجهة هذا الخطر على العرب وأوروباً تفتضي عدم الخُصوع لفكرة مجتمع متعدد الجنسيات».

هذا، وتشهد سويسرا جدلاً حاداً حول إمكانية السماح بتشييد مآذن فوق مقار المراكز الإسلامية، بعد أن طالبت بعضها بذلك. وعلى الرغم من أن المدونة المتنازع حولها لا يتجاوز ارتفاعها ستة أمتار، لكنَّ اليمين المتشدد - صاحب الصوت الأعلى قد استغلَّ هذا الموقف لتخويف الرأي العام من الجالية المسلمة بشكلٍ فيه تطرف شديد ومغلاة في رفضها بطريقة فاشستيّة!... بل اعتبر ذلك التيار: أن مجرد الموافقة على بناء مئذنة: سيكون مقدمة للمطالبة بالزيد مما يوصف بـ«الامتيازات الإسلامية»، التي تراها أوساط اليمينيين: غير متناسبة مع الهوية السويسرية!!.

وينبغي هنا ألا نتجاهل دور جيوش الجواسيس المنتشرة في طول الأرض وعرضها، والذين يرفعون للحكومات الغربية التقارير المخيفة عن الإسلام والمسلمين، فتتم صياغة الترتيبات الأمنية والتعامل مع الظاهرة الإسلامية وفق محتوى تلك التقارير!. كذلك، يبدو أن الكيان الصهيوني بأجهزته الاستخباراتيّة يعمل جاهداً في الفترة الأخيرة للتأكيد على أبعاد ما يسمّى «الخطر الإسلامي» المتمثل فيما يُعرف في الغرب بـ«الأصولية الإسلامية!» ومحاولة هذه الأجهزة النشطة تضخيم هذا الخطر وتوسيع قاعدته أمام الرأي العام العالمي خاصة، والغربي عامة!؛ ففي

مُحاوَلَةٌ صَهْيُونِيَّةٌ، لَصْرَبِ الْوُجُودِ الْعَرَبِيِّ الْإِسْلَامِيِّ الْمُتَمَيِّزِ فِي أَمْرِيكَا الْجَنُوبِيَّةِ، أَعْلَنْتِ الْأَرْجَنْتَيْنِ فِي الْخَامِسِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ تَشْرِينِ الْأَوَّلِ ٢٠٠٦م- بِإِعْزَازٍ مِنْ جَمَاعَاتِ الصَّغْطِ الصَّهْيُونِيَّةِ فِي أَمْرِيكَا اللَّاتِينِيَّةِ: أَنَّ إِيْرَانَ وَحِزْبَ اللَّهِ مَسْئُولَانِ عَنِ تَفْجِيرَاتِ وَقَعَتْ لِمَعْبَدِ يَهُودِيٍّ فِي «بِيُونِس أيرس» سَنَةِ ١٩٩٤م!.

وَفِي مُحَاصِرَةٍ لَهُ بِعُتْوَانِ « الْحَرْبُ الطَّوِيلَةُ » قَالَ الْجِنْرَالُ الْأَمْرِيكِيُّ الْأَبْرُزُ «جُونُ أَبُو زَيْدٍ» أَمَامَ حَشْدٍ مِنَ الْمُتَفَقِّهِينَ فِي جَامِعَةِ « هَارْفَارْد »^(١٥٥): إِنَّهُ يَتَوَقَّعُ أَنَّ «يُوَاجِعَ الْعَالَمَ حَرْبًا عَالِمِيَّةً ثَالِثَةً إِذَا لَمْ يَجِدْ وَسِيلَةً لِيُوقِفِ التَّشَدُّدَ الْإِسْلَامِيَّ الْمُتَزَايِدَ». وَفِي مُحَاقِلَةٍ تَلْفِيحِيَّةٍ لِتَأْكِيدِ الْوَهْمِ التَّقْلِيدِيِّ الَّذِي يُسَيِّطِرُ عَلَى عَقْلِيَّةِ الْإِدَارَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ: قَارَنَ «أَبُو زَيْدٍ» بَيْنَ ظُهُورِ أَيْدِيُولُوجِيَّاتِ الْمُتَشَدِّدِينَ- مِثْلَ الْقُوَّةِ الَّتِي تُحَرِّكُ الْقَاعِدَةَ.. وَبَيْنَ ظُهُورِ الْفَاشِيَّةِ فِي عَشْرِينِيَّاتِ وَثَلَاثِينِيَّاتِ الْقَرْنِ الْعَشْرِينَ فِي أُوْرُوبَا-تِلْكَ الَّتِي مَهَّدَتْ الطَّرِيقَ أَمَامَ الْحَرْبِ الْعَالِمِيَّةِ الثَّانِيَّةِ. وَأَضَافَ «أَبُو زَيْدٍ»: «إِذَا لَمْ تَكُنْ لَدَيْنَا الْجُرْأَةُ الْكَافِيَّةُ لِمُوَاجِعَةِ هَذِهِ الْأَيْدِيُولُوجِيَّةِ الْيَوْمَ: سَنَدْخُلُ فِي حَرْبٍ عَالِمِيَّةٍ ثَالِثَةٍ عَدَا». وَهَكَذَا يَضَعُ «أَبُو زَيْدٍ» الْعَالَمَ الْإِسْلَامِيَّ أَمَامَ مَخَافَتَيْنِ: حَاطِرٍ مَا سَمَّاهُ «التَّشَدُّدَ الْإِسْلَامِيَّ الْفَاشِيَّ» وَ«الدُّخُولَ فِي حَرْبٍ عَالِمِيَّةٍ». وَهُمَا فِي الْحَقِيقَةِ «حَاطِرَانِ» لَا يُمَكِّنُ تَفَادِي أَحَدِهِمَا إِلَّا بِزَوَالِ الْآخَرِ- كَمَا يَعْتَقِدُ أَبُو زَيْدٍ رَيْبُ تَفَاقَةِ الصَّرَاحِ!!.. إِنَّ مَا سَمَّاهُ « التَّشَدُّدَ الْإِسْلَامِيَّ » لَمْ يَكُنْ سَبَبًا فِي حُرُوبِ الْحَلِيْجِ الثَّلَاثِ. وَلَمْ يَكُنْ

(١٥٥) نُقْلًا عَنْ: قَنَاةِ الْجَزِيرَةِ الْقَطْرِيَّةِ- السَّبْتِ ٢٧/١٠/١٤٢٧ هـ، الْمَوَاقِفِ ١٨/١١/٢٠٠٦م.

سَبَبًا فِي اجْتِيَا حِ الْعَرَبِ لِكُلِّ مِّنَ الْبُوسَنَةِ وَالْهَرَسِكِ وَكُسُوفُو وَالصُّومَالِ
وَتَيْمُورِ الْأَنْدُونِيسِيَّةِ وَعَیْرِهَا!...

وَفِي مُحَاوَلَةٍ لِتَأْلِيْبِ الْقُوَى الْإِقْلِيمِيَّةِ وَالْعَالَمِيَّةِ وَتَحْرِیْضِ كُلِّ تَبَارِعِ عَالَمَانِيٍّ
عَلَى أَيْ مَشْرُوعِ إِسْلَامِيٍّ نَاهِضٍ، يُمَكِّنُ أَنْ يُثِيرَ مَخَافَ الْمَعْنِيْنَ بِسَطِّ يَدِ
الْهَيْمَنَةِ وَمَخَالِبِ الْاسْتِسَادِ عَلَى هَذَا الْعَالَمِ الْمُنْكَوبِ... كُشِفَ النُّقَابُ مَوْخَرًا
عَنْ تَقْرِیرِ يَحْمِلُ عُنْوَانَ « رَسْمُ خَرِيْطَةِ الْمُسْتَقْبَلِ الْعَالْمِيَّ » الصَّادِرِ عَنِ
الْمَجْلِسِ الْوَطْنِيِّ لِلاِسْتِخْبَارَاتِ فِي مَنْطَقَةِ « لَانْجَلِي » فِي وَاِلَايَةِ « فِرْجِينِيَا »
الْأَمْرِيْكَیَّةِ. حَيْثُ يَحْتَوِي التَّقْرِیرُ أَرْبَعَةَ سِينَارِيُوْهَاتٍ مُحْتَمَلَةٍ لِطَبِیْعَةِ النُّظَامِ
الْعَالْمِيِّ فِي ۲۰۲۰م؛ يَتَمَحَوَّرُ أَوْلَاهَا حَوْلَ قُوَّةِ آسِيَا الْاِقْتِصَادِيَّةِ وَالَّتِي
سَتَسْتَبْدُلُ بِالْوَاِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ وَأُوْرُوْبَا « كَمَرْكَزٍ لِلْعَجَلَةِ النَّقْدِيَّةِ ». يَلِيْهَا
سِينَارِيُو « تَوْسُّعُ أَمْرِيْكَیَّ » يُعْطِي الْوَاِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةَ الْقَبْضَةَ الْحَدِيْدِيَّةَ فِي
بَلُوْرَةِ النُّظَامِ الْعَالْمِيِّ. فِيْمَا يُحَدِّثُ السِّنَارِيُو الثَّلَاثِ مِنْ « اسْتِنْهَاضِ خِلَافَةِ
إِسْلَامِيَّةٍ » تُشَكِّلُ « مُحَدِّثًا صَارِحًا لِلْعَادَاتِ وَالْمَبَادِئِ الْغَرْبِيَّةِ »، أَمَّا السِّنَارِيُو
الْأَخِيْرُ فَيَشْبُهُ تَنْبُوَاتِ رُوَايَاتِ « جُورْجِ أُوْرُوِيلِ » بِإِشَارَتِهِ إِلَى « عَامِلِ
الْخَوْفِ » مِنْ عَمَلِيَّاتِ إِرْهَابِيَّةٍ مِنْ « طَبَقَةِ جَدِيْدَةٍ وَمُتَمَرِّسَةٍ مِنَ الْإِرْهَابِيَّيْنَ »
تَسْتَدْعِي رُدُوْدًا أَقْوَى وَ« هَيْمَنَةً أُمْنِيَّةً »^(۱۵۶).

(۱۵۶) بَقَعَ التَّقْرِیرُ- الَّذِي أَشْرَفَ عَلَى إِعْدَادِهِ ال C. I. A فِي مَائَةِ وَتِسْعَ عَشْرَةَ صَفْحَةَ التَّقْرِیرِ
الْوَاِقِعِ فِي ۱۱۹ صَفْحَةٍ وَشَارَكَ فِي إِعْدَادِهِ أَلْفُ خَبِيْرٍ خِلَالِ ثَلَاثِيْنَ مُؤْتَمَّرًا فِي خَمْسِ

وَلَكِنْ كَانَ الْبَعْضُ يَرَوْنَ فِي «جُورِج بوش الابن» سِيَّاسِيًّا ذَا إِمْكَانِيَّاتٍ مُتَوَاضِعَةٍ... بَيِّدَ أَنَّهُ «تَحَوَّلَ إِلَى مُحْرَضٍ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَدْخُلَ بِخُرَافَتِهِ مِنْ بَابِ السِّيَاسَةِ وَالتَّارِيخِ.. فَأَدْخَلَهَا مِنْ بَابِ الْخِيَالِ السِّيْنَائِيِّ»؛ وَفِي السِّيَاقِ ذَاتِهِ، يَقُولُ «بُوش الابن»: «نَحْنُ نَحْتَاجُ بِالطَّبَعِ إِلَى خِيَالٍ سِينَائِيِّ لِنُصَدِّقَ أَنَّ الْحَرْبَ أَعْلَنْتْ عَلَى الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ مِنْ دَاخِلِهَا.. هَذِهِ الْمُخَيَّلَةُ لَا تَحْتَاجُ إِلَى أَنْ تَرَى الْعَدُوَّ لِتَخَافَ مِنْهُ وَتَسْتَعْتِبَهُ قُوًّا بِمِقْدَارِ مَا هُوَ خَفِيٌّ وَبِلَا وَجْهِ.. قُوًّا بِمِقْدَارِ مَا يَظَلُّ ذَرِيعَةَ اسْتِنْفَارٍ وَطَنِيٍّ وَرَبِّمَا رِنَائِسِيٍّ. إِنَّهَا الْمُخَيَّلَةُ الَّتِي تَبْتَكِرُ «هَيْتَلَر» مِنْ «صَدَّامِ حُسَيْنٍ» وَرَبِّمَا تَبْتَكِرُ غَازِيًّا فَضَائِيًّا مِنْ «بِنِ لَادِن»، وَتُلَوِّحُ بِدُمِيَّةِ الْعَدُوِّ لِتُخَيِّفَ نَفْسَهَا وَتُخَيِّفَ الْآخَرِينَ»^(١٥٧). وَلَقَدْ أَبْلَى «بُوش» فِي ذَلِكَ بِلَاءً حَسَنًا، وَتَحَقَّقَتْ لَهُ الرِّيَادَةُ عَلَى أَيْدِي رِجَالِ صِنَاعَةِ السِّيْنَا الْعَالَمِيَّةِ، وَبِفَضْلِ التَّكْثِيفِ السِّيْنَائِيِّ صَوَّبَ الْعَقْلِيَّةَ الْغَرْبِيَّةَ بِعَامَّةٍ وَالْأَمْرِيكِيَّةَ بِخَاصَّةٍ أَضْحَى «الْأَمْرِيكِيَّ الْعَادِيَّ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْلُطَ بَيْنَ الْخِيَالِ الْعِلْمِيِّ وَالْوَاقِعِ، وَأَنْ يُحَوِّلَ الْخِيَالِ الْعِلْمِيَّ إِلَى أُمْتُولَةٍ وَاقِعِيَّةٍ»^(١٥٨). وَهُوَ مَا يَفْرِضُ عَلَيْنَا الْكَشْفَ عَنْ مَدَى دَوْرِ الْفَنِّ فِي تَفَاقُمِ ظَاهِرَةِ «الإِسْلَامِ فُوبِيَا» فِي الْأَوْسَاطِ الْعَرَبِيَّةِ.

(١٥٧) عباس بيضون- الإرهاب بلا وجه لكن العنصرية تخفي وجهها- مقال بجريدة السفير اللبنانية- ٢١ أيلول - سبتمبر ٢٠٠١. والجدير بالذكر، أن قضية اختراع العدو كانت موضوعاً لأكثر من فيلم نقدي أميركي.

(١٥٨) نُقِلَ عَنْ: عباس بيضون- الإرهاب بلا وجه لكن العنصرية تخفي وجهها- المرجع السابق.

خامسًا : الفُنونُ .. وعوَلَةُ «الإسلامُ فُونيا»!..

بَيْنَمَا تَعْمَلُ الْمُؤَسَّسَاتُ الأوروأمريكيَّةُ جَاهِدَةً بَعَزِيمَةً وَإِصْرَارٍ دَعْوِبٍ عَلَى تَحْسِينِ الصُّورَةِ الغَرِيبَةِ فِي أَذْهَانِ العَرَبِ والمُسْلِمِينَ، وَمَحْوِ أَيِّ أَثَرٍ يُمَكِّنُ أَنْ يَنْشَأَ عَنِ الشَّعْبِ العَرَبِيِّ فِي غَيْرِ بُقْعَةٍ مِنَ الحَرِيطَةِ العَرِيبَةِ والإسلاميَّةِ... تَلَجَأُ أوروبَّا وأمريكا إِلَى الإِمعانِ فِي تَشْوِيهِ صُورَةِ العَرَبِ والمُسْلِمِينَ وَأَزْدِراءِ الدِّينِ الإسلاميِّ والإِسْاءَةِ إِلَى شَخْصِ النَّبِيِّ الكَرِيمِ والعَظِيمِ مُحَمَّدٍ ﷺ... فِي واحِدَةٍ مِنْ أبشعِ صُورِ المُقامَرَةِ الحَضارِيَّةِ والنِّفاقِ والازْدواجِيَّةِ الانْتِهازِيَّةِ الحَسِيَسَةِ!...

وَلَعَلَّ أَسوأَ ما أَفَرَزَتْهُ هَذِهِ العَمَلِيَّةُ : حُصُولُ حَالَةٍ مِنَ الأَعْتِرازِ الزَّائِفِ بِالأنا الدِّينيَّةِ الغَرِيبَةِ والتَّعَصُّبِ الأَعْمَى المَبْنِيِّ عَلَى الجَهْلِ المُغْلَفِ بِقَشْرَةِ مَعْرِفِيَّةٍ رَقِيقَةٍ عَنِ النَّصْرانِيَّةِ... وبِأفكارٍ مُسَوَّهَةٍ عَنِ المَسِيحِ ﷺ!... ولنا أَنْ نَتَخَيَّلَ تَحْرِيكًا إِسْتِراتِيجِيًّا حَديثًا بِهَذِهِ الحَلْفِيَّةِ الدِّينيَّةِ المُتَواصِعَةِ وَهَذَا الرِّصِيدِ الحَلْفِيِّ المُتَدَنِيِّ... لَوْضَعِ العَرَبِ فِي مُواجَهَةِ حَضارِيَّةٍ مَعَ الصُّورَةِ أو النُّمُودَجِ العَرَبِيِّ والإسلاميِّ المُنمَطِ، والمُنْتَجِ عَرَبِيًّا فِي أروقةٍ مُتخَلِّفِ الأَجْهَرَةِ الإِعلامِيَّةِ وَفِي مَعامِلِ مَدِينَةِ السَّيْنا العالِمِيَّةِ «هُولِيُود».

وَلَعَلَّ الحَطَرَ هُنا بِالنَّسْبَةِ لِمَا تَتْرَكَهُ السَّيْنا مِنْ تَأثيرِ فِي النَّسِيحِ الفِكرِيِّ والنَّفْسيِّ - بِالنَّسْبَةِ لِلْمُتَلَقِّيِ العَرَبِيِّ : أَمَّا- كما يَقُولُ «لورنس ميسالك» : بِمِثابَةِ « قُوَّةِ ثقافيَّةِ جَبارةٍ فِي تَشكيلِ نَظَرَتنا القَومِيَّةِ إِلَى العالَمِ، والشَّبَابِ والصِّغارِ بِانطِباعَاتِهِمُ الخاصَّةِ : هُمُ عِشاقُ السَّيْنا الَّذينَ يَتَأَثَّرُونَ بِها، والأفلامِ

بَعْدَ أَنْ تَتَرَكَ دُورَ العَرَضِ السِّينَائِيِّ : تَنْتَقِلُ إِلَى دَاخِلِ المَنَازِلِ مِنْ خِلَالِ التَّلِيْفِزْيُونِ وَالْفِيدِيُو. إِنَّ شَاشَةَ العَرَضِ السِّينَائِيِّ تُمَثِّلُ المَكَانَ الوَحِيدَ الَّذِي يَلْتَقِي عَلَيْهِ الأَمْرِيكِيُّونَ بِالعَرَبِ الَّذِيْنَ صَنَعَتْهُمُ السِّينَا»^(١٥٩).

وَلَقَدْ كَانَ طَبِيعِيًّا أَنْ يُثِيرَ المَشْهُدَ الإنْسَانِيَّ- وَمَا يَمُوجُ بِهِ مِنْ أَفْكَارٍ سَاخِنَةٍ مُلْتَهِيَةٍ حَوْلَ تَصَادُمِ الحَضَارَاتِ وَنَهَايَةِ التَّارِيخِ وَدَوْرَةِ الهَيْمَنَةِ العَرَبِيَّةِ الجَدِيدَةِ- شَهِيَّةَ المُسْتَعْلِينَ بِصِنَاعَةِ السِّينَا، فَصَارَتْ هَذِهِ الأَفْكَارُ مَادَّةً مُنَاسِبَةً تَمَامًا وَجَاهِزَةً لِلتَّبَلُّورِ فِي قَوَالِبِ فَنِّيَّةِ خَادِمَةٍ لِتَوَجُّهَاتِ الفِكْرِ الإِسْتِرَاتِيْجِيِّ العَرَبِيِّ مِنْ حَيْثُ وَصَلَهَا بِأَوْسَعِ مَسَاحَةٍ تَأْثِيرِيَّةٍ مُمَكِّنَةٍ مِنَ القَاعِدَةِ الشَّعْبِيَّةِ العَرِيضَةِ... فَتَحْصُلُ حَالَةٌ مِنَ التَّعَبُّثِ العَرَبِيِّ وَالتَّحْضِيرِ لِآيَةِ مُوَاجَهَةِ مَعَ الأَخْرِ العَرَبِيِّ وَالإِسْلَامِيِّ مِنْ أَيِّ نَوْعٍ وَعَلَى أَيِّ صَعِيدٍ!...

وَلَعَلَّ آيَةَ مُوَاجَهَةِ بَيْنَ المُتَلَقِّي العَرَبِيِّ وَبَيْنَ الأَخْرِ المُخَيِّفِ عَلَى خَرِيْطَةِ المَشَاعِرِ وَالأَحَاسِيْسِ وَالحَوَاطِرِ وَالمَفَاهِيْمِ العَرَبِيَّةِ المُجَرَّدَةِ : إِنَّمَا هِيَ تَوَطُّئَةٌ لِتَسْرِيْبِ الحَوْفِ الإِجْبَائِيِّ الدَّافِعِ لِآيَةِ مُوَاجَهَةِ عَمَلِيَّةٍ مُزْمَعَةٌ مَعَ ذَلِكَ الأَخْرِ... وَهِيَ بِطَبِيعَةِ الحَالِ مُوَاجَهَةٌ غَيْرٌ مُكَلَّفَةٌ بِالنَّسَبِ لِلْمُشَاهِدِ البَاحِثِ عَنِ الإِثَارَةِ مِنْ مُرَاسَةِ العُنْفِ الشُّعُورِيِّ المُفْبْرَكِ عَلَى نَحْوِ مَا!... وَيُفَسِّرُ «الفُرِيد هَيْتَشِكُوك» مَيْلَ الجُمُهورِ لِهَذَا النُّوعِ مِنَ الأَعْمَالِ السِّينَائِيَّةِ بِقَوْلِهِ : «لَا سَيِّءَ

(١٥٩) نُقِلَ عَنْ : أحمد رافت بهجت- الشَّخْصِيَّةُ العَرَبِيَّةُ فِي السِّينَمَا العَالَمِيَّة- مرجع

سابق- ص ٤١٠.

أَمْتَعَ مِنْ شُعُورِ الْخَوْفِ النَّاتِجِ عَنِ مُطَالَعَةِ أَوْ مَشْهَدِ عِنْدَمَا يَكُونُ صَاحِبُ هَذَا الشُّعُورِ نَفْسُهُ جَالِسًا فِي مَقْعَدِ مَرِيحٍ حَيْثُ لَا يُجَازِفُ بِشَيْءٍ»^(١٠٠).

وَتُمَثِّلُ السَّيْنِيا بِطَبِيعَةِ الْحَالِ : الْمَعْبَدُ الْفَنِّي الَّذِي يُلَوِّدُ بِهِ الْعَرَبِيُّونَ بِقَصْدِ التَّخْفُفِ مِنْ مَلَلِ الْمَعِيشَةِ وَكَسْرِ رَتَابَتِهَا... وَالتَّحَرُّرِ مِنَ التَّرْعَةِ الْمَادِّيَةِ لِلْحَيَاةِ وَصِرَاعَاتِهَا الَّتِي لَا تَهْدَأُ!... وَتَعُدُّ «هُولِيُودًا» فِي هَذَا السِّيَاقِ بِمَثَابَةِ : قِبْلَةَ يَتِيمِهَا الْعَرَبِيُّونَ لِمُارَسَةِ طُقُوسِ التَّنْفِيسِ الْمُعْتَادَةِ عَنِ أَنْسَاقِ اجْتِمَاعِيَّةِ مَكْبُوتَةٍ تُعَانِي حِرْمَانًا رُوحِيًّا وَجَفَافًا عَاطِفِيًّا مُزْمِنًا... وَنُقُوسٍ مُنْقَوَعَةٍ فِي مَوَاعِينِ فِلْسَافَةٍ وَفِكْرٍ وَثِقَافَةٍ الصَّرَاعِ إِلَى دَرَجَةِ الْعُقُوتَةِ!...

وَلَقَدْ تَحَوَّلَتْ «هُولِيُودًا» مِنْ مُجَرَّدِ مَدِينَةٍ لِصِنَاعَةِ السَّيْنِيا وَإِنْتِاجِ الْفَنِّ الدَّاعِمِ لِلْقَضَايا الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَى صَالَةِ لِلْمَقَامَرَاتِ السِّيَاسِيَّةِ الصَّهْبُونِيَّةِ... وَجَمَالَ فَسِيحٍ لِلتَّرْبِيحِ الْأَيْمِ وَتَكْدِيسِ الْمَزِيدِ مِنَ الذَّهَبِ فِي خَزَائِنِ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ بِدَهَائِ شَدِيدٍ وَتَخْطِيطِ مُحْكَمٍ لِتَحْقِيقِ مَجْدِ السُّلْطَةِ وَالثَّرْوَةِ!... بَلْ تَحَوَّلَتْ «هُولِيُودًا» مِنْ مُجَرَّدِ مَغَارَةٍ تَتَرَدَّدُ فِيهَا أَصْدَاءُ حَوَارَاتِ حَوْلِ خُطَطِ إِنتِاجِ اللُّصُوصِيَّةِ الْاسْتِعْمَارِيَّةِ وَالْعُنْفِ وَالْعُنْصُرِيَّةِ!... بَلْ تَحَوَّلَتْ إِلَى كَهْفٍ تَتَحَنَّتْ فِيهِ جَوْقَةُ الْمُحَافِظِينَ وَالْمُسْتَشْرِقِينَ الْجُدُدِ... تِلْكَ الَّتِي لَا تَفْتَأُ مُنْكَمِنَةً عَلَى التَّرْتِمِ فِي عُدُوِّهَا وَرَوَاحِهَا بِأَنَاجِيلِ الْعَوْلَمَةِ الْعَرَبِيَّةِ... الَّتِي تُعَدُّ بِمَثَابَةِ مَدُونَاتِ لِاجْتِيَاكِ هَذَا الْعَالَمِ بَعِيرٍ حَقًّا!...

وَالْحَقِيقَةُ، أَنَّهُ بَعْدَ إِعْلَانِ قِيَامِ دَوْلَةِ الْكِيَانِ الصَّهْبُونِيِّ الْغَاصِبِ عَلَى
 أَرْضِ فِلَسْطِينِ عَامَ ١٩٤٨م، ظَهَرَتِ الْأَفْلَامُ الَّتِي تُصَوِّرُ الْيَهُودَ رُسُلًا
 لِلْحَضَارَةِ!... وَتُصَوِّرُ الْعَرَبَ ذُنَابًا جَائِعَةً، وَذَلِكَ فِي إِطَارِ الْحَرْبِ
 الْبَارِدَةِ^(١٦١). ذَلِكَ فَضْلًا عَنْ تَصْوِيرِ « الْعَرَبِيِّ » : غَرِيبًا وَمُحِيفًا، وَمُدْمَرًا
 وَخَطِرًا، وَمُحَادَعًا وَقَاسٍ، وَقَدِيرٍ وَمُتَهَوِّرٍ...^(١٦٢) فَ« اسْتِمْرَارِ الْحَرْبِ : تَرْيَاقُ
 الْحَيَاةِ بِالنُّسْبَةِ لَهُ »^(١٦٣).

وَتَمَّةَ حَشْدٍ مُضْطَرِّدٍ مِنَ الدَّعَايَةِ الْمَكْتَفَةِ وَمُمَارَسَةِ الْخِدَاعِ الْحَضَارِيِّ
 لِتَرْكِيزِ أَوْهَامٍ مَحَلِّ حَقَاقَتِ حَوْلِ اخْتِطَافِ عُلَمَاءِ يَهُودٍ عَلَى : أَيْدِي عَرَبٍ وَرُوسٍ
 وَأَلْمَانٍ يَرِدُ فِي عَدَدٍ مِنَ الْأَفْلَامِ الَّتِي تُصَوِّرُ وَحْشِيَّةَ وَدَمَوِيَّةَ الْخَاطِطِينَ «عَمَلِيَّةُ
 لَنْدُن» ١٩٧٩م، و«أَوْلَادُ الْمَجْدِ» ١٩٨٤م- هَذَا الْأَخِيرُ يُعَدُّ أَضْحَمَ إِنتَاجِ
 سِينِيَّائِي لِلْقَنَاةِ الثَّلَاثَةِ الْبَرِيطَانِيَّةِ، وَفِيهِ يَتَحَالَفُ الْفِلَسْطِينِيُّونَ مَعَ الْجَيْشِ
 الْجُمْهُورِيِّ الْأَيْرَلَنْدِيِّ، لِأَغْتِيَالِ عَالِمِ فِيزِيَائِي يَهُودِيٍّ يَزُورُ لَنْدُنَ لِإِلْقَاءِ مُحَاضَرَةٍ
 عَنْ كَيْفِيَّةِ اسْتِخْدَامِ الطَّاقَةِ النَّوَوِيَّةِ فِي خِدْمَةِ السَّلَامِ!!!.

(١٦١) حَنَانُ عُثْمَانَ- حِكَايَةُ السَّيْنِمَا الصَّهْبُونِيَّةِ- نَقْلًا عَنْ :

<http://www.islamonline.net/iol.arabic/dowalia-23/alfanoos.asp>

(١٦٢) وُلِيدُ أَبُو بَكْرٍ فِي مُقَدِّمَتِهِ لِتَرْجُمَةِ كِتَابٍ مِنْ إِعْدَادِ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْخُبْرَاءِ الصَّهْبَانِيَّةِ
 بِمُتُونٍ: الْعُودَةُ إِلَى الصَّحْرَاءِ- تَرْجُمَةُ : مُحَمَّدُ حَمْزَةُ غَنَائِمِ- مَرْكَزُ أَوْغَارِيَتِ لِلنَّشْرِ
 وَالتَّرْجُمَةِ- الْقُدْسِ- ٢٠٠٤- ص ٧.

(١٦٣) نَقْلًا عَنْ : أَحْمَدُ رَأْفَتُ بَهْجَتِ- الشَّخْصِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ فِي السَّيْنِمَا الْعَالَمِيَّةِ- مَرْجِعُ
 سَابِقِ- ص ٢٧١. وَلَعَلَّ هَذَا الْأَنْطِبَاعُ مَا حَرَّصَ الْمُخْرَجُ الشَّهِيرُ « فِيلْدْمَان » عَلَى التَّرْوِيجِ
 لَهُ مِنْ خِلَالِ فِيلْمِهِ « آخِرُ إِعَادَةِ لِيُوجِسْت » ١٩٧٧م.

وَفِي حِينٍ يَظْهَرُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ مِثْلَ الأوروْبِيِّينَ تَمَامًا فِي نَظَافَةِ الشَّيَابِ، وَرَجَاحَةِ العَقْلِ، وَأَنَاقَةِ التَّصَرُّفِ... يَظْهَرُ العَرَبُ عَلَى هَيْئَةِ أَنَاسٍ يَبْدُونَ بِنَظَرَاتٍ كَرِيهَةٍ، وَيُضْحَكُونَ فِي صَحْبٍ، بَيْنَمَا يُطْلِقُونَ الرِّصَاصَ مِنْ بِنَادِقِهِمْ عَلَى النِّسَاءِ!! كَمَا حَرَصَتِ القُوَى الصَّهْيُونِيَّةُ فِي «هُولِيُود» عَلَى تَقْدِيمِ رِجَالِ الدِّينِ الإِسْلَامِيِّ كَرَمَزٍ لِلشُّرُورِ وَالمُوبِقَاتِ، فِي مُقَابِلِ طَهَارَةِ الشَّخْصِيَّةِ اليَهُودِيَّةِ؛ فَفِي فِيلْمِ «اللُّعْبَةُ»: يَظْهَرُ «سَعِيدٌ» عَلَى أَنَّهُ رَجُلٌ دِينٍ مِلْيُونِيرِ شَابٌّ بِمَلَابِسٍ عَرَبِيَّةٍ تَقْلِيدِيَّةٍ يَرْسُمُ عَلَى وَجْهِهِ ابْتِسَامَةٌ صَفْرَاءٌ، وَيَعْلَفُ شُرُورَهُ بِكَلِمَاتٍ عَنِ الدِّينِ، فَيَقُولُ لِمَنْ يَحُوطُونَهُ مِمَّنْ يُعَدُّهُمْ لِلقَتْلِ وَالعُنْفِ: «أَصْدِقَائِي: اللهُ وَحْدَهُ سَيَقْرُرُ حَصِيلَةَ صَحَايَانَا اليَوْمَ!، لَسْتُ أَعْمَلُ مِنْ أَجْلِ المَالِ، فَأَنَا أَعْنَى إِنْسَانٍ هُنَا بِفَضْلِ اللهِ»^(١٦٤)!!!...

وَلَكِنْ كَانَتِ القَضِيَّةُ الفِلَسْطِينِيَّةُ مِنَ الأَسْبَابِ الرَّأْسِيَّةِ الَّتِي أَفْحَمَتِ العَرَبَ مُبَكَّرًا فِي ذَلِكَ الخِضْمِ التَّشْوِيمِيِّ اللِّعِينِ!... وَلَكِنَّ الأَمْرَ المُثِيرَ: أَنْ يُقَحِّمَ الإِسْلَامُ هَدَفًا لِيَتَلَكَّ القُوَى الَّتِي لَا يَرُوقُهَا بِمَا يُمَثِّلُهُ مِنْ أَهْمِيَّةٍ وَجَادِيَّةٍ حَضَارِيَّةٍ خَاصَّةٍ!... فَمِنْ خِلَالِ فِيلْمِ «الحِصَارِ»، يُجْرَحُ المُشَاهِدُ بِأَنْطِبَاعِ سَلْبِيٍّ عَنِ الإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ، «فَالقَرَأْتُ الإِسْلَامِيَّةُ مِثْلَ: الأَذَانِ وَالمُؤْصُوءِ

(١٦٤) سمير فريد - كتاب مدخل إلى السينما الصهيونية - نقلًا عن: أحمد زين - هوليوود..

صهاينة يرسمون للأمريكان صورة العرب!!- 2001/09/25

وَالصَّلَاةِ وَالتَّسْبِيحِ... مَا هِيَ إِلَّا نُذُرٌ لِلشُّرُورِ، الَّتِي غَالِبًا مَا تَحْدُثُ لِلْمُجْتَمَعِ
الْأَمْرِيكِيِّ بَعْدَ أَنْ نَسْمَعَهَا أَوْ نَرَاهَا!».!

وَلَقَدْ ارْتَبَطَتْ أَسَاطِيرُ « أَلْفُ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةٍ » بِجَادِيَّةِ عَرْضِهَا لِسِحْرِ الْحَيَاةِ
الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي عَطَفَتْ الْحَيَالَ الْإِنْسَانِيَّ بِاتِّجَاهِهَا وَاسْتَقَطَبَتْ الذُّوقَ الْبَشَرِيَّ مِنْ
كُلِّ جِنْسٍ وَلَوْنٍ... « وَهُوَ مَزِيحٌ مِنْ سِحْرِ الصَّحْرَاءِ وَالْعَشَقِ وَالْمَغَامِرَاتِ
الْحَيَالِيَّةِ الْجَرِيئَةِ وَالِابْتِكَارِ وَالْبُطُولَةِ وَالكَرَمِ وَالْوَفَاءِ وَالْحِكْمَةِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
السِّيْنَائِيِّينَ الْعَرَبِيِّينَ الَّذِينَ جَذَبَتْهُمْ هَذِهِ الْحِكَايَاتُ : قَدْ أَصَافُوا إِلَيْهَا عَمْدًا :
شُرُورًا أَلصَقُوهَا بِشَخْصِيَّةِ الْعَرَبِيِّ، وَمِنْ هَذِهِ الشُّرُورِ : الْعَدْرُ وَالْكَذِبُ
وَالِاحْتِيَالُ وَاللُّصُوصِيَّةُ وَالتَّخَلُّفُ وَالتَّامُرُ وَالتَّخْرِيْبُ»!...

هَذَا، وَيُشِيرُ الْبَعْضُ إِلَى « دَوْرِ الْفَنَانِينَ الْأَيْدِيُولُوجِيِّينَ فِي نَشْرِ الْأَفْكَارِ
السِّيَاسِيَّةِ الَّتِي يُؤْمِنُونَ بِهَا مِنْ خِلَالِ الْأَعْمَالِ السِّيْنَائِيَّةِ »^(١٦٥). وَفِي الْعَرَبِ: كَثِيرٌ
مِنَ الْمُتَحِجِّينَ وَالْكَتَّابِ يُصَوِّرُونَ الْعَرَبِيَّ عَلَى أَنَّهُ شَرِيرٌ فِي مُخْتَلَفِ الْبَرَامِجِ
التَّلْفِيزِيُونِيَّةِ، سِوَاءِ الرُّسُومِ الْمُتَحَرِّكَةِ لِلْأَطْفَالِ أَوْ أَفْلَامِ الْأَسْبُوعِ الْمُتَجَعَّةِ
خِصِيصًا لِلتَّلْفِيزِيُونِ»^(١٦٦)..

وكثيرًا ما كَتَبَ نِقَادُ سِيْنَائِيُونِ عَنْ أَنَّ «هُولِيود» تَحْدُمُ السِّيَاسَةَ
الْحَارِجِيَّةَ الْأَمْرِيكِيَّةَ، حَيْثُ تَوَالَتْ فِي أَوَاخِرِ الثَّمَانِينَاتِ مِنَ الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ :

١٦٥) أحمد رأفت بهجت- الشَّخْصِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ فِي السِّيْنَمَا الْعَالَمِيَّةِ- مرجع سابق- ص ٤١٠.

١٦٦) جاك شاهين- الْعَرَبِيُّ فِي التَّلْفِيزِيُونِ- مَنَشُورَاتُ جَامِعَةِ بُولِينج جرين- أُوهايو-

١٩٨٤) نَقْلًا عَنْ : أَحْمَد رَأْفَتُ بَهْجَتْ- الشَّخْصِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ فِي السِّيْنَمَا الْعَالَمِيَّةِ-

مرجع سابق- ص ١٤٢.

عَمَلِيَّاتِ التَّحْضِيرِ لِإِبْرَازِ صُورَةِ الْعَدُوِّ الْإِسْلَامِيِّ الْخَارِقِ الَّذِي يَنْتَظِرُهُ الْعَالَمُ
بِوَجَلٍ وَتَرْقُبٍ كَبْدِيلٍ لِلشُّيُوعِيَّةِ الْمُحْتَضِرَةِ، مِثْلَ فِيلْمِ «ذَا دَلْنَا فُورْسَ»
وَالْمُنْتَقَمَ ١٩٨٦م، وَ«الْمَوْتُ قَبْلَ الْعَارِ» ١٩٨٧م. وَ«سَرَقَةُ السَّمَاءِ» ١٩٨٨م،
وَ«نَافِي سِيلِز» ١٩٩٠م... إلخ. حَيْثُ يَأْتِي الْعَدُوُّ الْعَرَبِيُّ وَالْإِسْلَامِيُّ الْخَارِقُ فِي
مِثْلِ هَذِهِ الْأَفْلَامِ مُمْتَلِكًا أَسْلِحَةً نَوَوِيَّةً ذَاتَ خَوَاصِّ تَدْمِيرِيَّةٍ شَامِلَةٍ،
وَصَوَارِيخَ «شْتِينَجِر».. مِيْدُدُ بِهَا الْأَبْرِيَاءَ الَّذِينَ يَتَدَخَّلُ الْعَرَبِيُّ الطَّيِّبُ مِنْ أَجْلِ
إِنْقَاذِهِمْ وَحِمَايَتِهِمْ!.. وَهَكَذَا تَتَحَوَّلُ الْمُوَاجَهَةُ بَيْنَ الْعَرَبِيِّ الْمُدَافِعِ عَنِ حَقُوقِ
الْإِنْسَانِ فِي الْعَالَمِ وَيَبْنَ الشُّيُوعِيَّةِ الْأَحْمَرِ الشَّرِيْرِ، إِلَى مُوَاجَهَةٍ مُخْتَدِمَةٍ مَعَ
«الْعَدُوِّ الْإِسْلَامِيِّ الْأَخْضَرَ» الْجَدِيدِ الْقَدِيمِ!... وَبَعْدَ حَادِثِ تَفْجِيرِ
«أوكلاهوما» الشَّهِيرِ، تَوَلَّتْ «هولِيود» كَبْرَ تَسْرِيْبِ الْإِفْكِ الْعَظِيمِ مِنْ خِلَالِ
إِنْتَاكِهَا فِيلْمًا عُنَوَانُهُ «أَكَاذِيْبُ حَقِيْقِيَّةٌ»، حَيْثُ يُصَوِّرُ الْمُسْلِمِينَ كَمَجْمُوعَةٍ مِنْ
الْمُتَطَرِّفِينَ الْأَشْرَارِ الَّذِينَ يُنْفِذُونَ مُؤَامِرَةَ كُبْرَى لِتَفْجِيرِ مُفَاعِلِ نَوَوِيٍّ فِي فُلُورِيدَا.
وَيَصِلُ تَشْوِيْهُ صُورَةَ الْعَرَبِ إِلَى أَقْصَى دَرَجَاتِهِ فِي بَرَامِجِ الْأَطْفَالِ الَّتِي
يُقَدِّمُهَا التِّلْفِيزِيُّونَ الْأَمْرِيْكِيُّ حَيْثُ تُوحِي هَذِهِ الْبَرَامِجُ لِلْأَطْفَالِ بِأَنَّ الْعَرَبَ
قَوْمٌ أَسْرَارٌ وَمُغْفَلُونَ!... وَيَبْدُو هَذَا وَاضِحًا فِي أَفْلَامِ الرُّسُومِ الْمُتَحَرِّكَةِ، فَلَا
يُحَدِّثُ مُطْلَقًا أَنْ يَظْهَرَ فِي هَذِهِ الْأَفْلَامِ بَطْلٌ عَرَبِيٌّ يُمَكِّنُ أَنْ يُعْجَبَ بِهِ الْأَطْفَالُ
وَيَتَحَمَّسُونَ لَهُ!.. وَبَدَلًا مِنْ ذَلِكَ، فَأَتَتْهُمْ يُشَاهِدُونَ كَيْفَ أَنَّ الْأَشْرَارَ الْعَرَبَ
يُضَايِقُونَ أَبْطَاهِمَ الْمُفْضَلِينَ الَّذِينَ يَنْتَصِرُونَ عَلَى الْعَرَبِ فِي نَهَايَةِ الْأَمْرِ!..
وَغَالِيًا مَا يَقُومُ الْعَرَبُ «الْوَضْعَاءُ» بِأَسْرِ مَعْبُودِي هَوْلَاءِ الْأَطْفَالِ فِي أَفْلَامِ

التَلْفِزِيُّونَ وَيَهْدُدُونَ بِقَتْلِهِمْ^(١٦٧). وَهُوَ مَا يُتْرَكُ انْطِبَاعًا نَهَائِيًّا غَيْرَ مُرْشِحٍ فِي
وَجْدَانِ ذَلِكَ الْمُتَلَقِّيِ الْعَرَبِيِّ الصَّغِيرِ!

وَفِي مُحَاوَلَاتِهَا الْمُسْتَمَيَّةِ لِتَأْسِيسِ النَّاشِئَةِ فِي الْعَرَبِ عَلَى عَقِيدَةِ الْخَوْفِ
مِنَ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَتَشْكِيلِ انْطِبَاعَاتٍ سَلْبِيَّةٍ بِالْغَةِ الْحَسَّاسِيَّةِ عَنْهُمْ
وَرَافِضَةٍ لِكُلِّ مَا يَتَأْتَى مِنْ قَبْلِهِمْ!... وَتَأْتِي أَفْلَامٌ مِنْ قَبِيلِ حِكَايَاتِ «رَامبُو
يُقَاوِمُ الْإِرْهَابِ» فِي الرُّسُومِ الْمُتَحَرِّكَةِ.. حَيْثُ يَصُولُ «رَامبُو» وَيَجُولُ فِي
مَنْطَقَتِنَا الْعَرَبِيَّةِ، وَيَنْتَقِلُ بَيْنَ بَغْدَادَ وَالْقَاهِرَةَ وَتُونِسَ لِمُطَارَدَةِ الْفِدَائِيِّينَ
الْفِلَسْطِينِيِّينَ أَوْ «الْإِرْهَابِيِّينَ» كَمَا تَصْنِفُهُمْ سَلْسِلَةُ أَفْلَامِ الْكَارْتُونِ الَّتِي غَزَتْ
أَسْوَاقَ الْفِيدْيُو الْعَرَبِيَّةِ، وَالَّتِي انْتَشَرَتْ بَيْنَ الْكِبَارِ وَالصَّغَارِ رَغْمَ أَنَّهُ مُوجَّهٌ
بِالْأَسَاسِ لِلْأَطْفَالِ وَالْفَتْيَانِ!

وَمِنَ الْجَدِيدِ بِالذِّكْرِ، أَنَّ سَلْسِلَةَ أَفْلَامِ الْكَارْتُونِ هَذِهِ مُتَرْجِمَةٌ إِلَى اللُّغَةِ
الْعَرَبِيَّةِ، كَمَا أَنَّ غَالِبِيَّةَ مَوْضُوعَاتِهَا مُكَرَّسَةٌ لِمُطَارَدَةِ الْأَشْرَارِ، وَهُمْ عِبَارَةٌ عَنْ
مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْفِدَائِيِّينَ الْفِلَسْطِينِيِّينَ!... يَتَوَدُّهُمْ «مُجْرِمٌ» مَجْهُولُ الْهُويَّةِ اسْمُهُ
«وور هاوك»؛ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةُ الَّتِي تَتَّخِذُ مِنَ الْعَالَمِ وَالْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ مَرْكَزًا
لِنَسَاطِطِهَا : تَقُومُ بِاخْتِطَافِ الْأَطْفَالِ الْأَبْرِيَاءِ، وَتَهْدُدُ بِقَتْلِهِمْ إِنْ لَمْ تَدْفَعْ
الْحُكُومَاتُ الْفِدْيَةَ الْمَطْلُوبَةَ؛ كَذَلِكَ، فَإِنَّ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةَ : تَقُومُ بِتَفْخِيخِ الْأَثَارِ
وَالْمَعَالِمِ الْحَضَارِيَّةِ فِي الْعَرَبِ مِثْلَ «تِمَالِ الْحَرِّيَّةِ» وَ«بُرْجِ إيفل»... وَتَهْدُدُ بِنَسْفِهَا

(١٦٧) فيكتور باسيل - الشرق يهب والغرب يأخذ ويحرف - مقالٌ بجريدةِ الْحَيَاةِ النُّنْدِيَّةِ -

إِذَا لَمْ تَتَمَّ الِاسْتِجَابَةُ لِطَالِبِهَا الْمَالِيَةِ الْمَلْحَةِ... الَّتِي تَحْتَاجُهَا مِنْ أَجْلِ إِقَامَةِ الْمَزِيدِ مِنْ مُعَسَّكَرَاتٍ وَمَرَكَزِ الْإِرْهَابِ فِي الْعَالَمِ!!.. لَكِنَّ الْبَطْلَ الْمُخْلِصَ «رَامْبُو»، الَّذِي وَضَعَ نَفْسَهُ فِي خِدْمَةِ الْبَيْتِ الْأَبْيَضِ - كَمَا يُفِيدُ سِيَاقُ الْفِيلْمِ : هُوَ الْكَفِيلُ دَائِمًا بِرَدِّ هَوْلَاءِ الْإِرْهَابِيِّينَ وَتَخْلِيصِ الْأَطْفَالِ مِنْ شَرِّهِمْ!.

وَفِي فِيلْمِ «الْقَطُّ الطَّائِرُ» الَّذِي أَنْتَجْتَهُ « ديزني » عَامَ ١٩٨٢م، تَدُورُ الْأَحْدَاثُ حَوْلَ كَوَكَبٍ فِي الْفَضَاءِ الْخَارِجِيِّ؟ جَمِيعُ سَكَانِهِ مِنَ الْقَطِّ!، حَيْثُ يَتَّصِلُ الْقَطُّ الطَّائِرُ الْعَجِيبُ بِعَالَمِ أَمْرِيكِيِّ شَابٍّ وَيَطْلُبُ مِنْهُ إِصْلَاحَ مَرْكَبَتِهِ الْمُعْطَلَّةِ، فَيُؤَافِقُ الْعَالَمُ بِشَرْطِ أَنْ يَسَاعِدَهُ الْقَطُّ فِي حَلِّ مُعَادَلَاتٍ عِلْمِيَّةٍ مُعَقَّدَةٍ سَتَفْضِي عَلَى الْمَجَاعَةِ فِي دَوْلِ الْعَالَمِ الثَّلَاثِ، فَيُؤَافِقُ الْقَطُّ؛ وَهَكَذَا، وَبَعْدَ سِلْسِلَةٍ مِنَ الْمَغَامِرَاتِ الطَّرِيفَةِ وَالْمُضْحَكَةِ!... يَنْجَحُ الْفِيلْمُ بِرَبْطِ الْمَشَاهِدِ رَبْطًا كَلْبِيًّا بِالْقَطِّ الْعَجِيبِ، ثُمَّ تَبْدَأُ الْمَفَارَقَةُ - الصَّدْمَةُ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا تَظْهَرُ فَجَاءَةٌ عُصَابَةٌ تُوصَفُ بِأَنَّهَا «خَطِيرَةٌ جِدًّا» تَسْعَى لِلْحُصُولِ عَلَى أَسْوَرَةِ الْقَطِّ السَّرِّيَّةِ كَيْ تَسَيِّرَ عَلَى الْعَالَمِ بِوِاسِطَةِ الْأَسْوَرَةِ!.. هَذِهِ الْعُصَابَةُ «الخطيرة»: هِيَ مِنَ الْعَرَبِ، وَتَحْمِلُ أَسْمَاءَ عَرَبِيَّةٍ هِيَ بِالتَّحْدِيدِ : «أَحْمَدُ - مُحَمَّدُ - زَكَرِيَّا - عَلِيٌّ!!». وَالْغَرِيبُ، أَنَّهُمْ جَاءُوا بِعَرَبٍ حَقِيقِيِّينَ يَتَحَدَّثُونَ اللَّهْجَةَ الْبَدْوِيَّةَ لِيَقُومُوا بِهَذَا الدَّورِ السَّرِيرِ!؛ وَقَدْ وَقَّتَ الْمُخْرَجُ ظُهُورَ هَذِهِ الْعُصَابَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِشَكْلِ يَجْعَلُ الْمَشَاهِدَ يَضُجُّ عُصْبًا مِنْهَا!، وَيَهْلُلُ فَرَحًا كُلَّمَا حَقَّقَ الْقَطُّ انْتِصَارًا عَلَيْهَا!!... وَهَكَذَا، تَتَطَوَّرُ الْأَحْدَاثُ مِنْ خِلَالِ سِلْسِلَةٍ مِنَ الْمَغَامِرَاتِ وَالْمَفَارَقَاتِ الطَّرِيفَةِ... حَتَّى تَنْتَهِيَ بِتَدْخُلِ الْجَيْشِ

الأمريكي، حيث يُلقب القَبْصُ عَلَى العُصَابَةِ العَرَبِيَّةِ، لِيَتَصَرَ كُلُّ مَنْ القَطُّ العَجِيبُ والعالم الأمريكي!.

وفي فيلم «كُنُوزِ المَلِكِ سُلَيْمَانَ» ١٩٨٤م، يَعِيشُ الطِّفْلُ «مَارِيُو» الَّذِي لَمْ يَتَجَاوَزْ العَاشِرَةَ مِنْ عُمُرِهِ، وَتَمَلَّكَهُ الأَحْلَامُ وَالهَوَاجِسُ المُخِيفَةُ!... وَلَا يَجِدُ أَحَدًا قَادِرًا عَلَى إِسْعَادِهِ سِوَى شَقِيقِهِ المَرَاهِقِ الوَسِيمِ «سِيمُون» الَّذِي لَا يَفْتَأُ يُسَلِّيه بِالحِكَايَاتِ الوَحْشِيَّةِ المُخِيفَةِ عَنِ الفُرْسَانِ المُسْلِمِينَ أَثْنَاءَ حُكْمِهِمْ لِأَسْبَانِيَا!..

وَكَذَلِكَ فِيلْمُ «عَلَاءِ الدِّينِ» ١٩٩٦م، الَّذِي تُسَهَّلُ مَشَاهِدُهُ بِصُورَةِ «هَلَالٍ» فِي الفَضَاءِ- وَالهَلَالُ هُنَا رَمْزٌ مَجَازِيٌّ لِلعَرَبِ وَالمُسْلِمِينَ- وَعَلَى الأَرْضِ مَشْهَدٌ لِقُدُومِ مَلِكِ اللُّصُوصِ وَاسْمُهُ «بِسْمِ اللّهِ!» وَمَعَهُ أَعْوَانُهُ الأَرْبَعُونَ حَرَامِي... وَالمَشْهَدُ مَضْحُوبٌ بِخَلْفِيَّةِ صَوْتِيَّةٍ لِأَغْنِيَةِ مُبْتَدَلَةٍ... وَمَعَ انْتِهَاءِ الأَغْنِيَةِ يَدْخُلُ أَفْرَادُ العُصَابَةِ إِلَى وَكْرِهِمْ- وَنُشِبُهُ مَسْجِدًا كَبِيرًا يَحْتَوِي فِي دَاخِلِهِ عَلَى مَسْرُوقَاتِ العُصَابَةِ!!.

وَفِي فِيلْمِ «رُعْبُ الإِرْهَابِ» ١٩٨٨م: تَقُومُ مَجْمُوعَةٌ لِيَبِيَّةٍ تَحْتَ قِيَادَةِ شَابٍّ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ بِالهَجُومِ المُسَلَّحِ عَلَى القَاعِدَةِ التَّوَوِيَّةِ فِي وِلَايَةِ «أَنْدِيَانَا» الأَمْرِيكِيَّةِ؛ وَعِنْدَمَا تَفْسَلُ حُطَّتُهُ: يَنْطَلِقُ فِي سَوَارِعِ المَدِينَةِ لِیُحَوِّهَا بِوَاسِطَةِ الصَّوَارِيخِ وَالمَدَافِعِ وَالرَّشَاشَاتِ إِلَى مَقْبَرَةٍ جَمَاعِيَّةٍ لِكُلِّ المَارَّةِ مِنَ الرُّضْعِ وَالأَطْفَالِ وَالنِّسَاءِ وَالشَّبَابِ وَالشُّيُوخِ، ثُمَّ يَلْجَأُ إِلَى حَرَمِ جَامِعَةِ أَنْدِيَانَا لِیَحْتَجِرَ هُنَالِكَ مَجْمُوعَةً مِنَ الطَّلَبَةِ وَطَالِبَاتِ، وَتَبْدَأُ مَذْبَحَةً جَدِيدَةً!.

وفي فيلم « مَنْ يَتَجَرَأُ يَفُزْ » ١٩٨٢م، يَسْتَعْلِ الْعَرَبُ وَالْمُسْلِمُونَ
أموالَهُمْ؛ لِتَحْرِيسِ شَابِّ إنْجِلِيزِيٍّ مُتَمَرِّدٍ لِحَطْفِ صَارُوخِ نَوَوِيٍّ. أما فيلم
« مَطْلُوبٌ حَيًّا أَوْ مَيِّتًا » ١٩٨٧م، فَهُوَ يُصَوِّرُ مُحَاوَلَةَ إِزْهَابِيٍّ يَمَنِيٍّ يُسَمَّى
«مَالِكِ رَحِيمٍ»!- هَكَذَا الْاسْمُ- لِاسْتِغْلَالِ الدَّارِسِينَ الْعَرَبِ فِي الْجَامِعَاتِ
الْأَمْرِيكِيَّةِ لِتَدْمِيرِ إِحْدَى الْقَوَاعِدِ النَّوَوِيَّةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ. وَفِي فِيلْمِ «تَحْتَ
الْحِصَارِ» ١٩٨٦م، الَّذِي يَقُومُ بِبُطُولَتِهِ أَحَدُ «الأُصُولِيِّينَ الْعَرَبِ»، يُسَمَّى
فِي الْفِيلْمِ «أَبُو لَادِنٌ»!، حَيْثُ يَسْعَى إِلَى تَجْنِيدِ وَتَحْيِيثِ أَمْرِيكَانٍ مِنْ أَصْلِ
عَرَبِيٍّ فِي وِلَايَةِ «ديترويت» الْأَمْرِيكِيَّةِ، وَتَدْرِيبِهِمْ عَلَى السَّلَاحِ وَالْقِيَامِ
بِعَمَلِيَّاتٍ ضِدَّ الْمَدَنِيِّينَ الْأَمْرِيكَانِ فِي الْمَطَارَاتِ وَالطَّائِرَاتِ، بَلْ يَصِلُ بِهِ
الْأَمْرُ إِلَى التَّفَكِيرِ فِي تَدْمِيرِ الْبَيْتِ الْأَبْيَضِ (١٦٨)!!!.

هَذَا، وَلَمْ تَسَلِّمِ النِّسَاءَ الْعَرَبِيَّاتُ مِنْ انْضَوَائِهِنَّ تَحْتَ مَظَلَّةِ الْإِزْهَابِ،
فَفَشِيَ فِيلْمُ «الْأَحَدِ الْأَسْوَدُ» ١٩٧٠م، تَأْتِي شَخْصِيَّةُ «داليا» وَهِيَ تُحَطِّطُ لِقَتْلِ
الْآلَافِ دُونَ أَدْنَى إِحْسَاسٍ آدَمِيٍّ؛ فَهِيَ لَا تَهْتَمُ بِالْبَشَرِ أَوْ بِحَيَاتِهِمْ، فَهِيَ
تُحَاوِلُ قَتْلَ عَشْرَاتِ الْآلَافِ مِنَ الْأَمْرِيكِيِّينَ لَلْفَتِ الْإِتْبَاهِ الْعَالَمِيِّ إِلَى قَضِيَّتِهَا.
الْغَرِيبُ، أَنْ دَالِيَا هَذِهِ مِنْ مَوَالِيدِ حَيْفَا لِأَبِ «أَلْمَانِيٍّ» وَأُمَّ فِلَسْطِينِيَّةٍ (١٦٩)!!!...

(١٦٨) نَقْلًا عَنْ: عَاطِفِ الْعُمَرِيِّ- أَصْحَابُ الْمَصْلَحَةِ فِي هَذَا الْإِزْهَابِ مَقَالٌ بِجَرِيدَةِ الْأَهْرَامِ
الْمِصْرِيَّةِ- ١٩٩٢م/٤/٢٢- نَقْلًا عَنْ: أَحْمَدِ زَيْن- هُولِيد.. صَهَايْنَةُ يَرْسَمُونَ
للأمريكان صورة العرب!!- 2001/09/25 - www.islamonline.net

(١٦٩) أَحْمَدُ رَأَفَتُ بِهِجَتِ- الشَّخْصِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ فِي السِّيْمَا الْعَالَمِيَّةِ- مَرْجِعٌ سَابِقٌ- ص ٢٨٠.
وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ لِنِسْبَةِ الْجِهَادِ الْفِلَسْطِينِيِّ إِلَى أَلْمَانِيَا النَّازِيَّةِ. وَقَدْ أَثَارَ هَذَا الْفِيلْمُ اسْتِثْنَاءً
عَدَدًا مِنَ النُّقَادِ.. وَهُوَ مَا حَدَا بِأَحَدِ النُّقَادِ الْمُنْصِفِينَ « بَارِكِ هِيُودَجِ جِيْتِسْ » إِلَى التَّسْأُؤْلِ:

وَخِلَالَ حِقْبَةِ التَّسْعِينِيَّاتِ، أَصْبَحَتْ صُورَةُ الإِرْهَابِ العَرَبِيِّ مُضْدَرًا كَبِيرًا لِلأَفْلامِ السِّينِيائِيَّةِ، حَيْثُ تَحَاوَلَ هَذِهِ النّهَاذُجُ مِنَ الأفْلامِ التَّنَقُّلَ بِأَحْدَاثِهَا الدِّمَوِيَّةِ بَيْنَ الوِلايَاتِ الأَمْرِيكِيَّةِ لِتَجْعَلَهَا جَمِيعًا فِي مُتَنَاوَلِ الإِرْهَابِ العَرَبِيِّ مِنْ خِلَالَ حَبْكَةِ وَاهِيَّةٍ مُفْتَعَلَةٍ، وَنَسِيحِ ضَبَابِيٍّ تَلْفِيْقِيٍّ يَضْرِبُ بَغَيْرِ مَوْضُوعِيَّةٍ بَيْنَ الحَقِيقَةِ وَالحَيَالِ!. فَفِي قِصَّةِ فِيلمِ «الشيخ الأحمر» تَدُورُ حَوْلَ مُهَنْدِسٍ «أَسْبَانِيٍّ» يُسَانِدُ «الثُّورَ فِي مُرَاكِشِ العاصِمَةِ العَرَبِيَّةِ ضِدَّ السُّلْطَانِ- الَّذِي هُوَ سُلْطَانُ عَرَبِيٍّ وَمُسْلِمٌ بِطَبِيعَةِ الحَالِ- الَّذِي كَانَ يُدِيرُ عَمَلِيَّاتِ المَذابِحِ ضِدَّ «المَسِيحِيِّينَ»!

وَمَعَ تَكثِيفِ الحَدِيثِ وَتَصَاعُدِ وَتِيرَةِ الجَدَلِ الصَّاحِبِ الَّذِي يَلْتَفُّ حَوْلَ نَظَرِيَّةِ تَصَادُمِ الحَضَارَاتِ لـ «هَنْتِينْجْتُون»، حَيْثُ نَلاحِظُ تَرَكَيزُ مَوْجَةٍ مِنَ الأفْلامِ وَالأَعْمَالِ الفَنِيَّةِ الَّتِي أُنتِجَتْ مَعَ بَدَايَاتِ عَامِ ٢٠٠٠م: عَلَى مَضَامِينَ وَخِطَابَاتٍ وَأَشْكَالٍ جَدِيدَةٍ مِنَ أَشْكَالِ المُواجَهَةِ الحَضَارِيَّةِ العَرَبِيَّةِ مَعَ العَالَمِ العَرَبِيِّ وَالإِسْلامِيِّ؛ وَتَعْلِيْقًا عَلَى هَذِهِ الظَّاهِرَةِ، تَقُولُ الكَاتِبَةُ وَالنَّاقِذَةُ البَرِيطَانِيَّةُ «ناتاشا وَالتَّر» مُشِيرَةً إِلَى أَحَدِ هَذِهِ الأَعْمَالِ: «إِنَّ الفِيلمَ تَعَمَّدَ إِظْهَارَ جَمِيعِ مَنْ ظَهَرَ فِيهِ مِنَ العَرَبِ كإِرْهَابِيِّينَ بِمَا فِيهِمُ الأَطِبَّاءُ وَالنِّسَاءُ وَالأَطْفَالُ، كَمَا تَعَمَّدَ إِخْفَاءَ الأَسْبَابِ الَّتِي تَقِفُ وَرَاءَ الرُّوحِ العُدْوَانِيَّةِ الَّتِي أَصَرَ الفِيلمُ عَلَى رَبْطِهَا بِكُلِّ مَا هُوَ عَرَبِيٌّ»؛ وَالدَّلِيلُ الوَحِيدُ الَّذِي حَاوَلَ

لَمْ لَا يُشِيرُ الفِيلمُ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ إِلَى شَرْعِيَّةِ نِضَالِ الشَّعْبِ الفِلَسْطِينِيِّ مِنْ أَجْلِ اسْتِعَادَةِ وَطَنِهِ السَّلْبِيِّ؟-
www.islamonline.net/arabic/arts/2001/09/article15.shtml

الفيلم إبرازُهُ كَسَبَ لِنَلِكِ الرُّوحِ العُدَوَائِيَّةِ وَصَفَتُهُ الكَاتِبَةُ بِشَأْنِهِ عَيْرُ مُفْنِعِ وَمُوغَلٌ فِي السَّنَدَاجَةِ، حَيْثُ تَمَثَّلَ فِي خَلْفِيَّةِ صَوْتِيَّةٍ مُسَجَّلَةٍ عَلَى شَرِيْطِ كَاسِيْتِ يَحْمُلُ الكَلِمَاتِ التَّالِيَةِ: «نُنَادِي كُلَّ مُسْلِمٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ أَنْ يُطِيعَ أَوَامِرَ رَبِّهِ بِقَتْلِ الأَمْرِيكِيِّينَ أَيْنَا وَجَدَهُمْ»!. وَلَقَدْ أَكَّدَتِ الكَاتِبَةُ أَنَّ الفِيلْمَ «جَاءَ كَمُحَاوَلَةٍ لِإِظْهَارِ العَرَبِ كَأَشْرَ أَعْدَاءِ يُوَاجِهُهُمُ العَرَبَ حَالِيًا» وَاخْتَمَّتِ الكَاتِبَةُ بِلَفْتَةٍ خَطِيرَةٍ يَنْبَغِي أَلَّا تُغَيَّبَ عَنَّا حِينَ قَالَتْ: «يَبْدُو أَنَّنَا قَادِرُونَ عَلَى تَنَاوُلِ الفَضَلَاتِ عَيْرِ الهَادِفَةِ لِحَيَاةِ البَشَرِ إِذَا كَانَتْ مُتَعَلِّقَةً بِالعَرَبِ؛ فَيَسِينَارِيُو الفِيلْمُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى تَذْكِيرِنَا بِأَنَّهُ: حَتَّى الأَطْفَالُ العَرَبِ يَجِبُ أَنْ يُدَانُوا لِأَخْطَاءِ أَرْكَبَهَا آبَاؤُهُمْ»^(١٧٠)!

وَالحَقِيقَةُ أَنَّهُ عَلَى الرَّعْمِ مِمَّا يَبْدُو الأَمْرُ فِي نَظْرِ البَعْضِ هَيِّنًا وَ«بَسِيْطًا».. وَلَيْسَ بِالأَخْطُورَةِ الَّتِي يَتَصَوَّرُهَا البَعْضُ الأَخْرُ!.. وَلَكِنَّ الأَسْتِرْسَالَ فِي تَجَاهُلِهَا وَعَدَمِ الأَكْتِرَاتِ النَّقْدِيِّ وَالتَّحْلِيلِيِّ بِهَا أَوْ التَّوَقُّفِ القَوْمِيِّ أَوْ الدِّيْنِيِّ عِنْدَهَا أَوْ حَتَّى الأَلْتِنَاتِ النَّقْدِيِّ إِلَيْهَا... إِنَّمَا يُعْمَنُ فِي تَكْرِيسِهَا وَتَفَاقُومِهَا بِالنَّظَرِ لِمَا مُخَدِّثُهُ مِنْ أَضْرَارٍ وَخَطَاطِرٍ فِي الأَجَلِ الطَّوِيلِ!... وَمَا تَرَكَّمَهُ مِنْ آثَارٍ سَلْبِيَّةٍ فِي عُمُقِ اللَّاوَعِي العَرَبِيِّ!... وَلَعَلَّ هَذَا يَفْرِضُ حَاجَتَنَا إِلَى مَوْقِفِ رَقَائِيٍّ وَمُؤَسَّسِيِّ جَمَاهِيرِيٍّ وَرُؤْيِيَّةٍ نَقْدِيَّةٍ مَسئُولَةٍ لِمُوَاجَهَةِ هَذَا الكَسْحِ الحَضَارِيِّ وَالقِيَمِيِّ «بَشْكَلٍ يُخْرِجُنَا مِنْ مَازِقِ سَيْطَرَةِ وَسَائِلِ الإِعْلَامِ وَالتَّرْفِيهِ العَرَبِيَّةِ

(١٧٠) فِي تَعْلِيْقِهَا النَّقْدِيِّ لِفِيلْمٍ مِنْ إِنتَاجِ هُولِيُوْدِ عَامِ ٢٠٠٠م؛ وَقَدْ نُشِرَ المَقَالُ فِي صَحِيفَةِ «الإِنْدِيْبِنْدِنْتِ البَرِيْطَانِيَّةِ» - مُتَرْجَمًا عَن جَرِيْدَةِ الأَهْرَامِ المِصْرِيَّةِ - فِي ٢٠/٨/٢٠٠٠م.

عَلَى مَنَافِذِ الْفِكْرِ الْإِنْسَانِيِّ بِطَرِيقَةٍ تُشَكِّلُ عَقَبَةً حَقِيقِيَّةً عَلَى طَرِيقِ التَّحَدِّيِّ أَوْ التَّكَافُؤِ الْحَضَارِيِّ!.

وَمِنَ الْمِهْمِ هُنَا أَنْ نُشِيرَ إِلَى الْحَجْمِ الْحَقِيقِيِّ لِلْكَارِثَةِ عِنْدَمَا يَأْتِي التَّشْوِيهُ الْفَنِّي أَوْ النَّقْدِيُّ مِنْ بَعْضِ الْأَفْلَامِ أَوْ الْأَفْلَامِ الْمَسْمُومَةِ فِي وَطَنِنَا الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ؛ وَأَنَا هُنَا سَأَكْتَفِي بِذِكْرِ نَمُودَجَيْنِ اثْنَيْنِ :

النَّمُودَجُ الْأَوَّلُ : الْفِيلْمُ التُّونِسِيُّ « آخِرُ فِيلْمٍ »، الَّذِي أُنتِجَ مُؤَخَّرًا، وَسَلَّطَتْ عَلَيْهِ أَضْوَاءٌ شَدِيدَةٌ فِي مَهْرَجَانِ قُرطاجِ شِتَاءِ ٢٠٠٦م. حَيْثُ يَتَرَكِّزُ مَوْضُوعُ الْفِيلْمِ - الَّذِي دَامَ قُرَابَةَ سَاعَتَيْنِ - فِي جُزْئِهِ الْأَكْبَرَ عَلَى كَيْفِيَّةِ تَخْطِيطِ مَجْمُوعَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ مُتَشَدِّدَةٍ لِاسْتِقْطَابِ الشَّابِّ الَّذِي يُعَانِي مِنْ مُشْكِلاتٍ مَعَ الْوَالِدِ بِحُكْمِ بَطَالَتِهِ قَبْلَ أَنْ تَبْدَأَ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةُ بِالتَّأثيرِ عَلَيْهِ بِكَلِمَاتٍ رَثَانَةٍ مِثْلِ «الْجِهَادِ» وَالْكَفَّارِ وَالشَّرْفِ» وَالْفِدَائِيِّ» وَ«شَهيدُ الْأُمَّةِ» وَذَلِكَ بَعْدَ مُشَاهَدَتِهِ لِفِيلْمٍ عَمَّا يُسَمَّى «القَاعِدَةُ»!.

النَّمُودَجُ الثَّانِي : وَهُوَ وَاحِدٌ مِنْ أَشَدِّ تِلْكَ النَّماجِجِ إِثَارَةٌ لِلْإِحْسَاسِ الْمُرِيرِ بِالْعَارِ! .. فَفِي مَعْرِضِ تَنَاوُلِهِ لِطَبِيعَةِ مَا يُقَدَّمُ عَنِ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ فِي السَّيْنَا الْعَالِمِيَّةِ يَقُولُ النَّاقِدُ السَّيْنَائِيُّ «مِدَحَتْ مَحْفُوظٌ»، الَّذِي يَقُولُ مُعَلِّقًا عَلَى فِيلْمِ «أَكَاذِيبُ حَقِيقِيَّةٌ» : هَاجَتْ الدُّنْيَا وَمَاجَتْ لِذَرَجَةٍ قَرَّرَتْ الشَّرِكَةَ الْمُوَزَّعَةَ لَهُ عَرَضِهِ مِنْ مِنَ الْأَصْلِ فِي الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ. هَذَا رَغَمَ أَنَّ جَمِيعَنَا يَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا قَالَهُ عَنِ الْعَرَبِ وَإِرْهَابِهِمْ! وَتَحَلُّفِهِمْ : هُوَ حَقَائِقُ نَعِيشُهَا يَوْمِيًّا فِي حَيَاتِنَا وَصُحُفِنَا وَحَتَّى أَفْلَامِنَا، وَأَنَا لَمْ نَعُدْ نَمْلِكُ ضِدَّ هَذَا

الفيلم وأمثاله سوى تكرر الدَّفْعِ بآننا لسنَّا جميعًا نماذجَ سَلْبِيَّةٍ- وَكَانَّا بِهَذَا الدَّفْعِ نُنْفِخُ الْعَالَمَ بِأَنَّ قُرُونًا طَوِيلَةً مِنَ الْخُرُوبِ وَالِدَّمَاءِ الْمُتَوَاصِلَةِ حَتَّى «عَبْدَ النَّاصِرِ» وَ«صَدَّامَ حَسِينِ» وَ«عُمَرَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ»: هِيَ أَفْعَالٌ وَأَشْخَاصٌ لَا تُخَصَّنَا كَعَرَبٍ. إِنَّ الْفِيلِمَ لَا تُوجَدُ فِيهِ سِوَى كَذِبِيَّةٍ وَحِيدَةٍ عَنِ الْعَرَبِ: هِيَ اعْتِقَادُهُ أَنَّهُمْ يَمْتَلِكُونَ تَقْنِيَّاتٍ مُتَقَدِّمَةً وَإِنَّهُمْ يَسْتَطِيعُونَ التَّهْدِيدَ بِإِفْنَاءِ مَدِينَةِ أَمْرِيكِيَّةٍ كُلِّ أُسْبُوعٍ»^(١٧١)!!!...

وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا- كَمَا يُوجِي بِذَلِكَ فِيلِمُ «أَرَايِسْكَ»- مَثَلًا: بِمَثَابَةِ «مَجْمُوعَاتِ» مُجْمَدِ التَّخْرِيْبِ وَالِاخْتِطَافِ وَالِاغْتِيَالِ، وَتَسْتَأْنِسُ بِالْحَيَانَةِ وَالْغَدْرِ وَعَدَمِ الْاسْتِسْلَامِ لِكُلِّ مَا هُوَ حَضَارِيٌّ». كَمَا أَنَّ الْفِيلِمَ يَعْكُسُ مَدَى عَدَمِيَّةِ الثَّقَافَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِاعْتِبَارِهَا ثَقَافَةً هَدَامَةً!... وَلَعَلَّ هَذَا يَمَّا يُشِيرُ إِلَى أَنَّ حُدُودَ التَّشْوِيهِ الْعَرَبِيِّ لِكُلِّ مَا يَمُتُّ إِلَى الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ بِصِلَةٍ!، لَا تَتَوَقَّفُ عِنْدَ مَاضِينَا وَحَاضِرِنَا فَحَسْبُ؛ وَإِنَّمَا فِي مُسْتَقْبَلِنَا «فَالْإِنْسَانُ الْعَرَبِيُّ وَالْمُسْلِمُ فِي حَاضِرِهِ وَمَاضِيهِ وَمُسْتَقْبَلِهِ: هُوَ فِي أَجْهَزَةِ الْإِعْلَامِ الْأَمْرِيكِيَّةِ: شَرِيْرٌ مُتَوَحِّشٌ غَارِقٌ فِي الْجِنْسِ، وَعَاشِقٌ لِلتَّخْرِيْبِ وَالْهَدْمِ وَإِسَالَةِ الدَّمَاءِ وَلَا

(١٧١) مِدْحَتُ مَحْفُوظ- دَلِيلُ الْأَفْلَامِ- أَعْسُطَس- الْقَاهِرَةُ- ١٩٩٨م- الْإِصْدَارُ الثَّانِي- ص ٣٢. وَهُوَ وَاحِدٌ مِنْ تِلْكَ النَّمَاذِجِ الَّتِي «تَحْمِلُ عِدَاءً أَصِيْلًا وَنَزَقًا لِكُلِّ مَا هُوَ إِسْلَامِيٌّ وَكَأَنَّ الْإِسْلَامَ تُحْدِيدًا هُوَ: الْمَسْئُولُ عَنِ جَمِيعِ الشَّرُورِ الَّتِي تُعْجُ بِهَا الدُّنْيَا، وَإِذَا كُنَّا تَعَوَّدْنَا عَلَى الْهَجَاءِ الْبَدِيءِ مِنْ قِبَلِ نَبِيلِ فَيَاضِ أَوْ مِدْحَتِ مَحْفُوظِ أَوْ وِفَاءِ سُلْطَانِ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةِ الَّتِي تَسْعَى لِتَشْوِيهِ الْإِسْلَامِ وَرُمُوزِهِ لِحِسَابِ الْعَرَبِ وَالصَّهْبُونِيَّةِ، وَلَا سِيَّمَا تِلْكَ الْمَرَاةَ الْأَخِيْرَةَ الَّتِي تُمَثِّلُ حَالَةَ مُتَفَرِّدَةٍ مِنَ الْعِدَاءِ لِلْإِسْلَامِ وَلِكُلِّ مَا هُوَ إِسْلَامِيٌّ بِشَكْلِ مَفْضُوحٍ وَمُطْلَقٍ بِمُنَاسَبَةٍ وَيُدُونِ مُنَاسَبَةً.

مُسْتَقْبَلُ لَهُ»^(١٧٣). بَلْ إِنَّ هَذَا الْمُسْلِمَ فِي الرُّوَايَاتِ الْعَرَبِيَّةِ لِأَسَاطِيرَ « أَلْفَ لَيْلَةٍ وَكَلِيلَةٍ » : شَخْصٌ كَسُوْلٌ لَا إِرَادَةَ لَهُ وَلَا هِمَّةَ عِنْدَهُ... «يَرْضَى بِقَدْرِهِ وَيَكْتَفِي بِفَقْرِهِ الْأَبَدِيِّ فِي ظِلِّ الْإِمْبْرَاطُورِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ»^(١٧٣)!!.

وَهَكَذَا، أَصْبَحْنَا مُطَالِبِينَ بِإِعْدَادِ كَوَادِرٍ وَتَسْخِيرِ مَوَاهِبِنَا طَاقَاتِنَا الْإِبْدَاعِيَّةِ النَّقْدِيَّةِ فِي تَقْيِيمِ مَوْقِفِ السَّيْنِمَا الْعَالَمِيَّةِ مِنَ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ؟ وَمِنْ الْإِسْلَامِ كَعَقِيدَةٍ وَحَضَارَةٍ وَتَارِيخٍ وَرُؤْيِيَّةٍ إِصْلَاحِيَّةٍ لِأَحْوَالِ الْعَالَمِ الْمُعَاَصِرِ... «فَهَذِهِ السَّيْنِمَا بَدَلًا مِنْ أَنْ تُسَاعِدَ عَلَى خَلْقِ جَوْ مِنْ التَّفَاهُمِ بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْعُلَمَاءِ الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ : أَكَدَّتْ مَعَ مَرُورِ الْإَيَّامِ أَنَّهَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَلْتَقِيَ بِالْأَمَالِ الْعَرَبِيَّةِ خَاصَّةً وَالْإِنْسَانِيَّةِ عَامَةً.. بَلْ زَرَعَتْ الشَّكَّ وَعَدَمَ الثَّقَّةَ وَالْحَوْفَ فِي النُّفُوسِ، وَأَفْسَدَتْ عَلَى الْإِنْسَانِيَّةِ بِشَكْلِ عَامٍّ أَمَلًا عَزِيزًا فِي أَنْ يَسُودَ التَّعَاوُنُ وَالتَّفَاهُْمُ مُخْتَلَفَ الْأَجْنَاسِ الْبَشَرِيَّةِ عَلَى اخْتِلَافِ انْتِهَاءَاتِهِمُ الْحَضَارِيَّةِ... بَلْ كَانَ عِمَادُهَا التَّعَصُّبَ وَالتَّشْوِيهَ وَالتَّرْيِيفَ وَالسُّخْرِيَّةَ بِشَكْلِ لَا يُبْرِّرُ الْاسْتِمْرَارَ فِي انْتِهَاجِ رَدِّ الْفِعْلِ السَّلْبِيِّ الْمُضْطَّرَبِ»^(١٧٤).

وَلِذَا، «فَإِنَّ النَّمَطَ الْعَرَبِيَّ كَمَا تُقَدِّمُهُ هَذِهِ الْأَفْلَامُ يَسْتَحِقُّ مِنَّا نَظْرَةً نَقْدِيَّةً»^(١٧٥). وَأَطْنُنَا لَسْنَا بِحَاجَةٍ لِأَكْثَرِ مِمَّا هُوَ حَاصِلٌ لِأَنَّ تَتَوَقَّفَ مَعَ أَنْفُسِنَا وَفَقَّةَ جَادَّةً وَمَسْئُولَةً، لِيُوضَعَ حَدٌّ لِهَذَا الْمَظَالِمِ الْعَرَبِيَّةِ بِحَقَّقَانَا؛ وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا

(١٧٣) رَجَاءُ النَّقَّاشِ - فِي مَقَالٍ لَهُ بِجَرِيدَةِ الْأَهْرَامِ الْمِصْرِيَّةِ - ٢٠٠١/١٠/٧م.

(١٧٣) أَحْمَدُ رَأْفَتُ بَهْجَتِ - الشَّخْصِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ فِي السَّيْنِمَا الْعَالَمِيَّةِ - مَرْجِعُ سَابِقٍ - ص ٣٤٩.

(١٧٤) أَحْمَدُ رَأْفَتُ بَهْجَتِ - الشَّخْصِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ فِي السَّيْنِمَا الْعَالَمِيَّةِ - مَرْجِعُ السَّابِقِ - ص ٨ - بِتَصْرُفٍ.

(١٧٥) الْعِبَارَةُ لِلنَّاقِدِ الْأَمْرِيكِيِّ «لُورَنْسِ مِيَشَاك» - نَقْلًا عَنْ : أَحْمَدُ رَأْفَتُ بَهْجَتِ -

الشَّخْصِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ فِي السَّيْنِمَا الْعَالَمِيَّةِ - مَرْجِعُ السَّابِقِ - ص ٤١٠.

مُطَالِبِينَ بِتَحْدِيدِ مَوْقِفِ أَكْثَرِ وُضُوحًا لَيْسَ مِمَّا تُنتِجُهُ «هُولِيُود» مِنْ أَعْمَالٍ مُسِيئَةٍ لِلذَّاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ، وَخُرْبَةً لِلذَّائِمَةِ الْإِيمَانِيَّةِ وَمُفْسِدَةً لِكُلِّ مَعْنَى نَبِيلٍ فِي الْإِنْسَانِ الْمَعَاصِرِ، وَمُهْدِرَةً لِحَقِّ الْإِنْسَانِ فِي حَيَاةِ كَرِيمَةٍ... لا.. لا أنا لا أَقْصِدُ ذَلِكَ فَحَسْبُ، إِنَّمَا أَرْمِي إِلَى لَفْتِ انْتِبَاهِ الْقَائِمِينَ عَلَى صِنَاعَةِ السَّيْنَا الْعَرَبِيَّةِ إِلَى ضَرُورَةِ فِعْلِ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَكُونَ مُحْتَرَمًا وَمُعْتَبَرًا بَيْنَ يَدَيِ رَبِّ وَكِتَابٍ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا!... ثُمَّ أَلَمْ يَأْنِ لِصِنَاعَةِ السَّيْنَا الْعَرَبِيَّةِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ غُرْفِ النَّوْمِ وَعَلْبِ اللَّيْلِ وَالْمَوَاحِرِ... وَأَنْ تَهْجَرَ فَنَّ الْمَتْعِ الْحَرَامِ وَالْأَفِشَاتِ الْفَرَّاشِ وَعَالَمِ الشَّهَوَاتِ الْمُخَلَّةِ بِالزَّمَانَاتِ الْإِيمَانِيَّةِ وَمَسْئُولِيَّاتِنَا الْأَسْتِخْلَافِيَّةِ، وَالْمُسْقَطَةِ لِقَارِنَا الْحَضَارِيِّ... لِتُنْتَبِهَ لِمَا يُحَاكُّ لَنَا مِنْ مَكَائِدَ وَمُؤَامِرَاتٍ.. وَمَا يَدُورُ بِنَا مِنْ دَوَائِرٍ... وَمَا يَتَهَدَّدُنَا مِنْ مَخَاطِرٍ وَتَحْدِيَّاتٍ؟... مَتَى سَنَكْفُفُ عَنْ هَذَا الْعَبَثِ وَذَلِكَ السَّخْفِ وَالْهَرَاءِ وَالْفَنَّ الرَّخِيسِ؟... مَتَى سَنَنْتَصِرُ لِتَارِيخِنَا وَهُوِيَّتِنَا؟ وَمَتَى سَنُكْفِرُ عَنْ خَطَايَا الْإِسَاءَةِ لِلْقِيَمِ الْإِسْلَامِيَّةِ - الَّتِي هِيَ فِي جَوْهَرِهَا قِيَمٌ إِنْسَانِيَّةٌ - وَتَجَاهُلِ تَفْعِيلِهَا بِشَكْلِ لَاتِقٍ فِي أَعْمَالِنَا الْفَنِّيَّةِ أَنْسِيَّافًا وَرَاءَ الرِّيحِ السَّرِيعِ الَّذِي يَصُرُّ أَكْثَرَ مِمَّا يَنْفَعُ؟!... مَتَى سَيَكُونُ الْفَنَّ مِرَاةَ لِحَضَارَتِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ الْعَظِيمَةِ!؟

سادساً : إطلالةٌ مِنَ النَّافِذَةِ الْإِعْلَامِيَّةِ عَلَى الْإِسْلَامِ فُوبِيَا!

ثَمَّةَ شَبَكَةٌ مِنَ التِّيَّارَاتِ الْيَمِينِيَّةِ ذَاتِ التَّوَجُّهِ الرَّافِضِ لِلثَّقَافَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ فِي عُمُومِ أُوْرُوْبَا وَالْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ، هَذِهِ الشَّبَكَةُ مِنْهَا الصُّحَافِيُّونَ وَالْكَتَّابُ وَالْأَكَادِمِيُّونَ وَالْفَنَّاوُنَ وَالسَّاسَةَ

والاقتصاديون وخبراء الدعاية وغيرهم!... والذين يتعمدون تقديم «صورة تصف العربي على أنه مخلوق يتصف بالأنانية» و«لا يعول عليه». كما أن صورة العربي في التلفزيون والسينما لا تقل عن صورته في الصحافة بشاعة، إذ يبدو مُتعطّشا إلى الانتقام، قاسيا، منحطًا، مهووسًا، يبتز الأمم المتحصّرة بواسطة النفط»^(١٧٦).

ولقد استطاعت وسائل الدعاية الغربية - سواء كانت لاهوتية أو علمانية - أن تجعل من استشعار الخوف واستدعائه وتعيّشه وتعاطيه: واحدًا من أهم طقوس الحياة المعتادة في المجتمع الغربي؛ ولقد تدرّج هذا الخوف في متواليّة تصعيدية ليضحى مع الأيام عقيدة شعبيّة وشريعة تُخبّوّه!.. ذلك بأن الخوف في الفكر الغربي: هو خوف استراتيجي؛ وهو بذلك أحد مقومات ووسائل الحياة الكريمة الخالية من المتاعب الحقيقية في الأجل الطويل!..

وبالنظر إلى الكيفية التي تتحكّم بها وسائل الإعلام الغربي في تشكيل وعي الآخرين وفهمهم، وخاصة فيما يتعلّق بالإسلام، نجد أنّها مسألة بالغة الإقلاق والإزعاج!.. حيث نجد على سبيل المثال أن «من أبرز القضايا التي يتم الخلط فيها عمدًا، بين الجهاد والإرهاب!، حيث «يحاوّلون ترسيخ فكرة أن الدين الإسلامي إرهابي بطبيعته، وأن كل مسلم إرهابي بيعاز من

(١٧٦) سامي مسلم - صورة العرب في صحافة ألمانيا الاتحادية - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - ١٩٨٦ - ط ٢ - ص ٢٣.

دينه»^(١٧٧). وَقَدْ أَذْهَلَنِي مُرَاسِلُ مَحَطَّةِ الـ C. N. N. الأَمْرِيكِيَّةِ الإِخْبَارِيَّةِ، وَهُوَ وَاقِفٌ فِي فِنَاءِ مَعْهَدِ دِينِي لِلأَطْفَالِ فِي إِحْدَى البُلْدَانِ العَرَبِيَّةِ... وَيَقُولُ: «هُنَا وَرَشَةٌ لِصِنَاعَةِ الإِرْهَابِ»^(١٧٨)!!.

وَهَكَذَا، فَإِنَّ وَسَائِلَ الإِعْلَامِ العَرَبِيَّةِ تَمْتَلِئُ بِالأَوْهَامِ وَالأَفْتِرَاءَاتِ المُؤَذِيَّةِ عَنِ العَرَبِ وَالمُسْلِمِينَ؛ فَبَعْضُ أَجْهَزَةِ الإِعْلَامِ الأَمْرِيكِيَّةِ وَخَبْرَاءُ الدَّعَايَةِ الصَّهَابِيَّةِ فِي العَرَبِ « يَتَعَمَّدُونَ إِظْهَارَ الإِسْلَامِ بِوَصْفِهِ دِينًا غَيْرَ مُتْسَامِحٍ وَمُتَطَرِّفًا، وَالدَّوَلِ ذَاتِ الغَالِبِيَّةِ المُسْلِمَةِ غَيْرِ جَدِيدَةٍ بِالثَّقَةِ. وَمَا يُثِيرُ السَّخَطَ خَاصَّةً: الإِحْسَاسُ بِأَنَّ تَعْيِيرَ «الإِرْهَابِ» وَ«مُنَاهِضَةَ الدِّيْمُقْرَاطِيَّةِ» يُسْتَخْدَمَانِ كَصَيْغَةٍ مُرَادِفَةٍ لِإِسْلَامٍ»^(١٧٩). وَنَكْتَفِي هُنَا بِالإِشَارَةِ إِلَى عَنَاوِينِ بَعْضِ الأَفْلَامِ الوَثَائِقِيَّةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَحْتَوِيَاتِهَا: «القُنْبَلَةُ الإِسْلَامِيَّةُ»، «سَيْفُ الإِسْلَامِ»، «الإِسْلَامُ المُلْتَهَبُ»، «خِنْجَرُ الإِسْلَامِ»، «نَارُ الإِسْلَامِ». وَكَذَلِكَ عَنَاوِينُ مَقَالَاتٍ فِي المَجَلَّاتِ وَالصُّحُفِ... مِثْلُ: «جُدُورِ العُضْبِ الإِسْلَامِيِّ»، «قُنْبَلَةُ الإِسْلَامِ المَوْقُوتَةُ»، «الصِّينُ أَيْضًا قَلِقَةٌ مِنَ الإِسْلَامِ»^(١٨٠).

(١٧٧) إبراهيم نافع - جنون الخطر الأخضر وحملة تشويه الإسلام - مقال تحليلي لكتاب له

تحت هذا العنوان - جريدة الأهرام القاهرية - ٢٠٠٤/٩/٢م.

(١٧٨) نضلاً عن: قناة الجزيرة القطرية - ٢٠٠٦/٩/٦م.

(١٧٩) جورج كاكفنون - الإسلام والإعلام الأميركي - مقالٌ بجريدة الحياة اللندنيَّة -

١٩٩٤/١١/١٠م.

(١٨٠) جاك شاهين - المصلحة من تشويه صورة العربي والمسلم في إعلامهم؟ - مقالٌ بجريدة

الحياة اللندنيَّة - ١٩٩٤/١٢/١٢م. وأنظر: نادية سالم - صورة العرب والإسرائيليين في

الصحافة الأمريكية - ص ٢١ - ٢٢.

وَيَعْتَقِدُ الْكَاتِبُ وَالْحَبِيرُ السُّوَيْسِرِيُّ «فيرنر فان جينت»^(١٨١) أَنَّ اهْتِمَامَ الرَّأْيِ الْعَامِّ فِي الْعَرَبِ بِالْإِسْلَامِ عُمُومًا جَاءَ فِي مَرَحَلَةٍ مُتَأَخَّرَةٍ، وَلَمْ يَكُنْ اهْتِمَامًا مَشُوبًا بِالشُّوْقِ لِمَعْرِفَةِ الْمَزِيدِ عَنْهُ، وَلَكِنَّهُ كَانَ اهْتِمَامًا مَحْفُوفًا بِالْخَوْفِ وَالْحَذَرِ وَالْعُمُوضِ، وَبِالتَّالِي : سَبَقَتْهُ صُورَتُهُ السَّلْبِيَّةُ عِنْدَ الْحَدِيثِ عَنْهُ، وَأَصْبَحَ السُّوَيْسِرِيُّونَ - مِثْلَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأُورُوبِيِّينَ - يَتَعَامَلُونَ مَعَهُ كَعَدُوٍّ، دُونَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ سَابِقُ تَجْرِبَةٍ شَخْصِيَّةٍ مَعَهُ؛ وَقَدْ سَاهَمَ فِي ذَلِكَ : ظُهُورُ الْإِسْلَامِ فَجَاءَةً فِي وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ كَخَطَرِ دَاهِمٍ، تَمَامًا بَعْدَ انْتِهَاءِ الْحَرْبِ الْبَارِدَةِ فِي بَدَايَاتِ تَسْعِينِيَّاتِ الْقَرْنِ الْمَاضِي .

وَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى دَوْلَةٍ فِي حَجْمِ « رُوسِيَا » تَسْحَقُ الشَّيْشَانُ سَحَقًا لِمُجَرَّدِ مُطَالَبَتِهِمْ بِالْإِسْتِقْلَالِ، وَلَكِنَّ الْإِعْلَامَ الْغَرِبِيَّ لَا يُسَلِّطُ الضُّوْءَ إِلَّا عَلَى الْعَمَلِيَّاتِ الْفِدَائِيَّةِ لِلشَّيْشَانِ... فَيَنْطَبِعَ الْخَيَالُ الْغَرِبِيُّ بِانْطِبَاعَاتٍ غَيْرِ مُرِيحَةٍ عَنِ الشَّيْشَانِ... وَشَيْئًا فَشَيْئًا يَنْتَقِلُ الشَّيْشَانُ فِي اللَّاوعِي الْغَرِبِيِّ مِنْ مُجَرَّدِ مُقَاوِمِينَ لِلْخُرُوجِ مِنْ دَائِرَةِ الْهَيْمَنَةِ الرُّوسِيَّةِ وَتَقْرِيرِ مَصِيرِهِمْ وَفَقًّا لِمُعْطِيَاتِهِمْ الْحَضَارِيَّةِ وَفِيهِمْ الدِّيْنِيَّةُ... إِلَى مَجْمُوعَةِ عُصَابَاتٍ مِنَ الْمُتَطَرِّفِينَ الْخَارِجِينَ عَلَى الْعَدَالَةِ وَالْإِرْهَابِيِّينَ الْوَاجِبِ إِبَادَتِهِمْ...! بَزَعَمِ أَتْمُهُمْ يُرِيدُونَ إِقَامَةَ دَوْلَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ أُصُولِيَّةٍ فِي شَرْقِ أُرُوبًا بِأَنْجَاهِ الْعَرَبِ لِتَتَّصَلَ بِأُصُولِيَّةِ الْبُوسْنَةِ وَالهَرَسْكَ وَكُوسُوفَا... وَلِتَطْرُقَ بَعْدَ ذَلِكَ : أَبْوَابُ عَرَبِ أُرُوبًا!!

(181) <http://www.swissinfo.org/ara/front/detail.html?siteSect=105&sid=7261215&cKey=1163603511000>

وَلَقَدْ أَدَّى تَعَالِي مَوْجَةِ التَّيَّارِ الإِسْلَامِيِّ وَتَنَامِي مَدَّةِ الصَّحْوِيِّ بِسْكَلٍ
 قَدْ لَقَتْ نَظَرَ دَوَائِرِ الفِعْلِ الاسْتِرَاتِيْجِيِّ العَرَبِيِّ: إِلَى وَضْعِ الظَّاهِرَةِ الإِسْلَامِيَّةِ
 فِي سِيَاقِ مُشْعِرٍ بِالْحَطَرِ وَالْحَوْفِ وَالنُّفُورِ وَالكَرَاهِيَّةِ كُلَّمَا ذُكِرَ الإِسْلَامُ عُمُومًا؛
 وَقَدْ أَدَّى هَذَا الأَمْرُ إِلَى عَوْدَةِ الإِسْلَامِ مِنْ جَدِيدٍ مَجَالَ طَرْحِ حَيَوِيٍّ بَيْنَ يَدَيِ
 تَحْدِيَّاتٍ جَدِيدَةٍ... وَلَقَدْ ازْدَادَ تَرْكِيْزُ الإِعْلَامِ العَرَبِيِّ مُنْذُ تَصَاعُدِ أَنْشِطَةِ
 الحَرَكَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي المَنْطَقَةِ العَرَبِيَّةِ مُنْذُ سَبْعِيْنِيَّاتِ القَرْنِ العِشْرِيْنِ عَلَى
 اسْتِخْدَامِ تَعْبِيرِ «الإِسْلَام» مُقْتَرِنًا دَائِمًا بِاسْمِ «المُنْظَّمَاتِ الإِرْهَابِيَّةِ»،! وَذَلِكَ
 لِلإِيْحَاءِ بِأَنَّ هَذِهِ الأَعْمَالَ الإِرْهَابِيَّةَ المُوهُومَةَ تَدْخُلُ فِي إِطَارِ تَعَالِيمِ الإِسْلَامِ،!
 فِي الوَقْتِ الَّذِي لَمْ يَسْتَعْمِدْ فِيهِ الإِعْلَامُ العَرَبِيُّ تَعْبِيرَ النُّصْرَانِيِّ - مَثَلًا - مَقْرُونًا
 بِاسْمِ المُنْظَّمَاتِ العَرَبِيَّةِ وَالأُوْرُوْبِيَّةِ... وَالتِّي أَعْمَلَتِ القَتْلَ وَالدَّبْحَ فِي الأَبْرِيَاءِ
 مِنَ المُسْلِمِيْنَ فِي غَيْرِ مَكَانٍ مِنَ العَالَمِ العَرَبِيِّ وَالإِسْلَامِيِّ - وَالشَّوَاهِدُ أَكْثَرُ مِمَّا
 تُحْصَى فِي هَذَا السِّيَاقِ.....!.

فَفِي عَدَدِهَا الصَّادِرِ بِتَارِيْخِ ١٦ / ٤ / ١٩٧٩م كَانَتْ صُورَةٌ وَمَوْضُوعٌ
 الغلافِ لمَجَلَّةِ «TIME» الأَمْرِيْكِيَّةِ: عِبَارَةٌ عَن مُؤَدِّنٍ وَكَأَنَّهُ يَدْعُو إِلَى
 الصَّلَاةِ، وَقَدْ كَتَبَ عُنْوَانُ بِحَطِّ لَافِتٍ «عَوْدَةُ المُجَاهِدِ»، وَقَدْ تَنَاوَلَ المَقَالِ
 بِالدَّخْلِ ظَاهِرَةَ المَدِّ الإِسْلَامِيِّ وَالصَّحْوَةَ التِّي تَدْبُ فِي العَالَمِ الإِسْلَامِيِّ،
 وَوَصَفَ المَقَالِ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ بِأَنَّهَا «تُمَثِّلُ رُوحَ التَّعَصُّبِ وَالعَوْدَةَ إِلَى هَمْجِيَّةِ
 القُرُونِ الوُسْطَى». وَهُنَا يَبْدُو الحَلْطُ التَّارِيْخِيُّ وَاصْحَاحًا فِي مَدَى تَحْدِيدِ مَصْدَرِ
 تِلْكَ الهَمْجِيَّةِ: وَهُوَ العَرَبُ ذَاتِهِ فِي الحَقِيْقَةِ!.

وَفِي كَانُونِ الْأَوَّلِ عَامِ ١٩٧٩ م، تَحْتَ عِنَاوَانِ «الانْفِجَارِ الْإِسْلَامِيِّ»، قَالَ الْبَاحِثُ الْأَمْرِيكِيُّ «مَائِكَلُ وَالتَّرز»: «إِنَّ مَا يَحْدُثُ فِي إِيْرَانِ وَالْفَلْبِينِ وَفِلَسْطِينِ؟ يَرْجِعُ إِلَى الْإِسْلَامِ»، مُضِيْفًا: «إِنْ هَذِهِ الْأَحْدَاثُ، صِدْدُ الْعَرَبِ وَأَمْرِيكَا، وَمُحَرِّكُهَا الْأَوَّلُ: هُوَ الْإِسْلَامُ»^(١٨٢).

وَبِمُجَرَّدِ تَلَاثِييِ الْحَرْبِ الْبَارِدَةِ، انْتَبَرَى الَّذِينَ كَانُوا فُرْسَانَ الْكِتَابَةِ أَيَّامَ السُّوفِيَّتِ لِلْهُجُومِ عَلَى الْإِسْلَامِ^(١٨٣). وَفِي تَعْلِيْقِهِ عَلَى هَذِهِ الظَّاهِرَةِ، يَقُولُ «يَكُولَاسُ فُونْ هُوْفَمَانُ» الصُّحْفِيُّ فِي جَرِيْدَةِ «وَاشْتُنْ بُوْسْت»: «لَمْ تَنْشَوْهُ سُمْعَةً جَمَاعَةً دِينِيَّةً أَوْ ثِقَافِيَّةً أَوْ قَوْمِيَّةً، وَيُحِطُّ مِنْ قَدْرِهَا بِشَكْلِ مَرْكَزٍ وَمُنْظَمٍ كَمَا حَدَّثَ لِلْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِيْنَ»^(١٨٤).

وَفِي ٢٣/١٠/٢٠٠٤، كَشَفَتْ صَحِيْفَةُ «الدَّيْلِي تِلْغْرَافِ» النَّقَابَ - وَعَلَى لِسَانِ ضَابِطٍ أَمْرِيكِيٍّ عَنْ أَنَّ شَخْصِيَّةَ «الزَّرْقَاوِي» قَدْ جَرَى تَضَخِيْمُهَا وَاسْتِخْدَامُهَا كَأَطَارٍ وَمُبَرَّرٍ لِلْأَعْمَالِ الْأَمْرِيكِيَّةِ الْوَحْشِيَّةِ، وَأَنَّ شَخْصِيَّةَ «الزَّرْقَاوِي» كَانَتْ مُجَرَّدَ أَكْذَوِيَّةٍ تَمَّ تَصْنِيْعُهَا لِتُوَدِّيَ دَوْرَيْنِ مُحَوْرِيَيْنِ: دَاخِلِيًّا وَخَارِجِيًّا، إِذْ إِنَّ السِّيَاسَةَ الْأَمْرِيكِيَّةَ بِحَاجَةٍ دَائِمًا لِطَارِدَةِ شَرِيْرٍ!. وَأَضَافَ الضَّابِطُ: «كُنَّا نَدْفَعُ لِرِجَالِ الْعُصَابَاتِ وَالْمُجْرِمِيْنَ عَشْرَاتِ الْأَلْفِ مِنْ

(١٨٢) نَقْلًا عَنْ: مَعَالِي عَبْدِ الْحَمِيدِ حَمُودَةَ - بَحْثُ مَنَشُورِ جَرِيْدَةِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ - مَرْجِعٌ سَابِقٌ - ص ٧.

(١٨٣) نَقْلًا عَنْ: مَجَلَّةُ الْمُجْتَمَعِ الْكُوَيْتِيَّةِ - الْعِدْدُ ١٢٤٣ - ١٦ / ١١ / ١٤١٧ هـ - ص ٤٥.

(١٨٤) نَقْلًا عَنْ: سَلِيْمَانَ قَنَاوِي - الدَّرَاسَاتُ الْعِلْمِيَّةُ تَوَكَّدُ أَنَّ الصُّورَةَ قَاصِرَةٌ سَطْحِيَّةٌ - بَحْثُ مَنَشُورِ ضَمْنِ كِتَابِ «صُورَةُ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِيْنَ» لِمَجْمُوعَةِ بَاحْثِيْنَ - سَلْسَلَةُ كِتَابِ الْمَعْرِفَةِ - السُّعُودِيَّةِ - ١٤٢٤ هـ - ص ١٥.

الدولارات للقيام بأعمالٍ وحشيّةٍ ضدّ مدنيّين، ومن ثمّ لصق هذه الأعمالِ بـ «الزرقاويّ»، لقد كُنّا نخشى الرأى العامّ وما زلنا لا نستطيع الاعتراف بقوّة المقاومة العراقيّة، إلاّ أنّنا بمُستطاعنا الاعتراف بقوّة شخصيّة مجرّمة لتبرّر لنا أمام الرأى العامّ آية أخطاءٍ نفترّفها».

وفي الثالث من تشرين الأوّل ١٩٩٤م، عرضت شبكة C. B. S TV من خلال برنامجهما الأشهر « I On Amerca عَيْنٌ عَلَى أمريكا» حلقةً قدّمها الصحفيّ «ستيفن إمرسن» عن الإسلام- كخطرٍ سياسيٍّ مُحْدِقٍ وَايَسٍ كَديْنٍ! وادّعى مُقدّم البرنامج: أنّ الأموال التي يجمّعها العرب والمسلمون في الولايات المتّحدة هي من أجل «الحرب المقدّسة» في أمريكا وأيضاً في الشرق الأوسط. وفي الشهر ذاته، عاد «إمرسن» في برنامجٍ جديدٍ أسّمه «الجهاد في أمريكا» وهو شريطٌ وثائقيٌّ اختيرت لقطاته المصوّرة بعنايةٍ لتُعطي العرب والمسلمين صورة «الأخر المعادي»؛ ورغم أنّ «إمرسن» يقول بأنّ لا علاقةً للغالبية الساحقة من العرب والمسلمين في الولايات المتّحدة بالنشاطات الراديكاليّة، فإنّ صورة «المسلم القبيح» التي يذيعها تتناقض بشكلٍ صارخٍ مع ما يقوله.

في تمّوز ٢٠٠٥م، أدلى «مايكل جرام»، أحد مُقدّمي البرامج الحوارية في إذاعة «دبليو أم إيه إل» الأمريكيّة، في أحد برامجه بتصرّياتٍ قال فيها: إنّ «الإسلام منظمّة إرهابيّة» و«الإسلام في حربٍ مع أمريكا» و«المشكلة ليست في التطرّف.. الإسلام هو المشكلة»! وأضاف: «نحن في حربٍ مع منظمّة إرهابيّة تُدعى الإسلام»!

وفي آب ٢٠٠٥م أيضاً، اعتبرت « إدوارد لتواك » مديراً المركز القومي للدراسات الإستراتيجية والدولية بواشنطن: أنه « لا فرق بين الإسلام والإرهاب»، وذلك في مداخلة له بمؤتمر أقيم بمدينة « نريك » بشمال النرويج؛ وقال: « كلنا يتكلم عن الإرهاب على أنه عدونا الكبير، وعلينا أن نتذكر أن الإرهاب هو مجرد وسيلة. إن عدونا هو: الإسلام، الإسلام العنيف»^(١٨٥)!

وفي تعليقها على ظاهرة ماذن المساجد التي انتشرت في عموم ألمانيا، تقول مجلة « نيوزويك الأمريكية»: « إن هذه الماذن هي عبارة عن مسامير تضرب أوهام المجتمع الألماني بأنه متجانس عرقياً ومسيحي الثقافة»^(١٨٦). وتشير المجلة نفسها إلى أن إدارة وسائل الإعلام الألمانية تنظر إلى الديانات الخاصة بالأقليات باعتبارها « طوائف خطيرة».! إن الكثير من المثقفين والمفكرين الألمان- بمن فيهم مديرو وسائل الإعلام يرغبون في إعطاء حكومتهم السلطة لتقرير هياتهم بما أسمته المجلة «كل الأخطار المحتملة»؟! وترى الـ« نيوزويك » أن الإسلام أصبح في نظر النخبة في الغرب- ولا سيما

(١٨٥) نُقِلَ عَنْ: مُعْتَزَّ الحَطِيبِ- الإسلام بوصفه ديناً إرهابياً!- مرجع سابق.
 (١٨٦) في تحقيق لها عن المسلمين في ألمانيا- ٢٠٠٤/١/٢٠م. وذكرت المجلة حسب إحصاء أرشيف الإسلام في سويسرا- أن مائة وواحد وأربعين مسجداً بماذن في ألمانيا، مُفَارَكَةٌ مع سبعة وسبعين في العام ٢٠٠٢م، مع وجود مائة وأربعة وخمسين مسجداً آخر يُعْتَرَفُ بإنشائها...! هذا في الوقت الذي توجد فيه أعداد كبيرة من الكنائس النصرانية الفارغة لقلّة المؤمنين بها.

فِي فِرَنسَا وَأَلْمَانِيَا : «رَمَزًا لِأَيْدِيُولُوجِيَّةٍ جَدِيدَةٍ عُدُوَائِيَّةٍ ضِدَّ النِّسَاءِ وَضِدَّ
العَرَبِ» وَفِي أَلْمَانِيَا «يَبْدُو هُنَاكَ تَأْيِيدٌ شَعْبِيٌّ صَحِّحٌ لِاسْتِهْدَافِ الْمُسْلِمِينَ»^(١٨٧).

وَفِي كُلِّ الْأَحْوَالِ يَبْقَى هَذَا الْجَدَلُ الْفِكْرِيُّ حَوْلَ «الإِسْلَامِ فُوبِيَا» بَعِيدًا عَمَّا
ازْتَسَخَ بِأَذْهَانِ وَقَنَاعَاتِ الْعَامَّةِ مِنْ أَفْكَارٍ مَغْلُوطَةٍ وَصُورٍ نَمَطِيَّةٍ مُشَوَّهَةٍ
وَأَنْطِبَاعَاتٍ خَاطِئَةٍ وَأَفْكَارٍ سَلْبِيَّةٍ مُسَبَّغَةٍ دُونَ عَنَاءِ التَّمَحِيصِ وَالتَّحْقِيقِ وَالتَّبَيُّنِ
وَالاسْتِيْضَاحِ! ... وَهُوَ مَا يَجْعَلُ الْأَصْوَاتَ الرَّافِضَةَ لِالإِسْلَامِ فُوبِيَا قَلِيلَةً الْفَائِدَةَ
وَبَطِينَةً التَّأْثِيرَ وَالفَاعِلِيَّةَ قِيَاسًا بِحَجْمِ تَأْثِيرِ الْأَتْجَاهِ التَّخْوِيفِيِّ كَمَا وَكَيْفًا! ...

هَذَا، وَلَا تَزَالُ الصُّورُ الْمُتَوَهَّجَةُ وَالْمَوَاضِعُ الْمُثِيرَةُ : مَادَّةٌ أُسَاسِيَّةٌ لِلشَّاشَةِ
الصَّغِيرَةِ، فَالْكُرُهُ لِلْعَرَبِيِّ وَاضِحٌ جَدًّا فِي نَفْسِيَّةِ الْمُشَاهِدِينَ. وَيَتَعَمَّدُ الْمُتَجَوِّنَ
تَصْوِيرَ الْعَرَبِيِّ عَلَى أَنَّهُ «عُورٌ» وَمِثَالٌ لِلشَّخْصِ الْآخَرَ الْمُخْتَلِفِ أَوْ الْمُتَخَلِّفِ! .
وَيُضْفُونَ عَلَيْهِ صِفَةً شَيْطَانِيَّةً نَازِعِينَ عَنْهُ إِنْسَانِيَّتَهُ^(١٨٨). وَ «مُنْذُ سَنَةِ ١٩٨٣ م
حَتَّى يَوْمِنَا هَذَا، اسْتَمَرَ أَكْثَرَ مِنْ ثَمَانِينَ مُسَلْسَلًا مِثْلَ «الْأَمْرِيكِيِّ الْحَالِمِ»،
«مَاجِنُومِ»، وَ «مُهَمَّةٌ مُسْتَحِيلَةٌ» وَ «جَوَاسِيسِ» بِإِعْطَاءِ الصُّورَةِ السَّلْبِيَّةِ عَنِ
العَرَبِيِّ وَالْمُسْلِمِ.

وَفِيمَا يَلِي عَرَضٌ لِتِكْرَارِ ظُهُورِ مُصْطَلَحِ «الإِسْلَامِ وَفُوبِيَا» فِي بَعْضِ
الصُّحُفِ الْبَرِيطَانِيَّةِ وَالْأَمْرِيكِيَّةِ، لِلوُقُوفِ عَلَى مَدَى تَطَوُّرِ الْمُصْطَلَحِ
وَتَدَاعِيَاتِهِ فِي مِحِيطِ الْمُجْتَمَعَاتِ الْعَرَبِيَّةِ خِلَالَ الْفَتْرَةِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ عَامِي

(١٨٧) بَعْدَهَا الصَّادِرُ فِي ٢٠/١/٢٠٠٤ م.

(١٨٨) جَاك شَاهِين - الصُّورَةُ النَّمَطِيَّةُ لِلْعَرَبِيِّ فِي التَّلْفِزِيُونِ الْأَمْرِيكِيِّ - مَقَالٌ بِجَرِيدَةِ الْحَيَاةِ
اللُّنْدِينِيَّةِ - ٩/١٠/١٩٩٣ م.

٢٠٠١م، ٢٠٠٦م. وَهِيَ الْفَتْرَةُ الَّتِي ابْتَدَأَتْ تَقْرِيْبًا بِأَحْدَاثِ أَيْلُولِ مُرُورًا
بِالاجْتِيَا حِ الْغَرْبِيِّ لِكُلِّ مِنْ أَفْغَانِسْتَانِ وَالْعِرَاقِ وَانْتِهَاءً بِمُحَاوَلَاتِ الْإِيْقَاعِ
بِكُلِّ مِنْ السُّودَانِ وَسُورِيَّةِ وَإِيْرَانِ فَضْلًا عَنِ التَّحَرُّشَاتِ الَّتِي تَنْتَهِي بِدَوْلِ
تُمَثِّلُ بِالنُّسْبَةِ لِلْمُسْلِمِيْنَ الْعَصَبِ وَالسَّنَدِ!...

الصَّحِيفَةُ	السَّنَةُ	٢٠٠١م	٢٠٠٢م	٢٠٠٣م	٢٠٠٤م	٢٠٠٥م	٢٠٠٦م
التايمز البريطانية	١٢	١٢	١٣	٣٤	٤٤	٩٢	
الجارديان البريطانية	١٤	٢٩	٢٠	٥٠	٤٤	٣٨	
الإندينت البريطانية	٢٢	١٥	١١	٣٧	٤٢	٣٠	
تورتنو ستار الكنديَّة	٣	٣	١	١١	١٨	٣٨	
نيورك يايمز الأمريكية	٢	٢	٣	٧	٤	١٠	
واشنطن بوست الأمريكية	٢	٣	٢	٢	٥	٥	

جَدْوَلُ رَقْمِ (١)

وَتُسَيِّرُ بَيَانَاتُ الْجَدْوَلِ السَّابِقِ إِلَى كَثَاْفَةِ الطَّرْحِ الْإِعْلَامِيِّ فِي كُلِّ مِنْ
بَرِيْطَانِيَا وَكَنْدَا، بَيْنَمَا هُوَ أَقْلٌ فِي الْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيْكِيَّةِ. كَمَا يَلَاْحِظُ أَنَّ

مَسْأَلَةٌ «الإسلام فُوبيا» في تَصَاعُدِ مُسْتَمِرٍّ!... ما يَعْكِسُ مَدَى إِنْشِغَالِ
 الصُّحَافَةِ بِهَا. وَلَكِنَّ العَرِيبَ حَقًّا، أَنَّ «نيورك يايمز» و«واشنطن بوست»
 رَغَمَ أَحْدَاثِ أَيْلُولِ وَتَدَاعِيهَا لَمْ تَطْرُحْ «الإسلام فُوبيا» بِقَدْرِ كَثَافَةِ الطَّرْحِ فِي
 الصُّحَافَةِ الِبرِيطَانِيَّةِ!

وَبِالنَّظَرِ إِلَى أَنَّ ثِقَافَةَ الصُّورَةِ أَشَدُّ وَقَعًا فِي النَّفْسِ مِنْ ثِقَافَةِ الكَلِمَةِ، فَإِنَّ
 حَرَكََةَ الفَنِّ عُمُومًا- وَالفَنِّ التَّشْكِيلِيَّ بِخَاصَّةٍ- ذَاتَ تَأْثِيرٍ عَمِيقٍ فِي النِّسِيجِ
 الثَّقَافِيِّ العَرَبِيِّ؛ وَلِذَلِكَ، فَإِنَّا سَنَخُصُّ بِالدُّكْرِ وَاحِدًا مِنْ أَبْرَزِ المَنْسُوبِينَ
 الأَمْرِيكَانِ إِلَى الفَنِّ، وَالَّذِي تَجَاوَزَتْ شُهْرَتُهُ حُدُودَ الوِلايَاتِ المْتَحِدَةِ
 وَأورُوبَا.. يُدْعَى «دُوج مازلت»، حَيْثُ تُوزَعُ رُسُومَاتُهُ عَلَى مِائَاتِ الجَرَائِدِ فِي
 أَمْرِيكََا وَالعَالَمِ، وَلَا سِيَّمَا فِي «واشنطن بوست» و«نيويورك تايمز»، فَلَقَدْ نَشَرَ
 هَذَا المَعْتُوهُ فِي ٢٣ / ١٢ / ٢٠٠٢ م رَسْمًا يَسْخَرُ فِيهِ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ، حَيْثُ
 صَوَّرَ رَجُلًا يَرْتَدِي ثِيَابًا عَرَبِيَّةً اسْمُهُ «مُحَمَّد»، يَقُودُ شَاحِنَةً مُحَمَّلَةً بِصَوَارِيحِ
 نَوَوِيَّةٍ، وَقَدْ كُتِبَ تَحْتَ الرَّسْمِ: «مَاذَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ...؟»

وَفِي عَامِ ٢٠٠٣ م، رَسَمَ فَنَّاوَنُ مِنْ مُسْتَوِطِنِي مَدِينَةِ الجَلِيلِ الفِلَسْطِينِيَّةِ
 المُحْتَلَّةِ صُورًا مُشِينَةً لِلرَّسُولِ العَظِيمِ الكَرِيمِ عَلَى نَحْوِ غَيْرِ مَسْبُوقٍ، وَبِطَرِيقَةٍ
 بَشِعَةٍ مِنْ مَن قَلَبَ الأَدَبَ وَفَسَادِ الذُّوقِ وَالأَخْلَاقِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَنْطَوِي
 عَلَيهَا شَخْصِيَّةٌ فَنَّاوَنٍ أَوْ إِنْسَانٍ سَوِيٍّ يَحْتَرِّمُ نَفْسَهُ...؟!^(٥)

(٥) كَانَتْ هَذِهِ الرَّسُومُ أَشَدَّ بَشَاعَةً مِنَ الصُّورِ الَّتِي نَشَرْتَهَا الصَّحِيفَةُ الدَانِمَارَكِيَّةُ. وَإِنَّ
 الرُّوحَ وَالخَلْفِيَّةَ الفَنِّيَّةَ وَالإِيحَاءَ وَأَدْوَاتِ الجَرِيمَةِ وَدَوَافِعَهَا الأَمْر... نَعَزُّزُ فِكْرَةَ وُجُودِ دَوْرٍ
 صَهْبُونِيٍّ وَرَاءَ مَا حَصَلَ مِنَ الصَّحِيفَةِ الدَانِمَارَكِيَّةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الصُّحُفِ الأورُوبِيَّةِ!...

وَفِي بَعْضِ الْمَجَلَّاتِ الْمَوْجَّهَةِ لِلأَطْفَالِ وَلِلْعَامَّةِ، وَالَّتِي تَصُدَّرُ فِي مَدِينَةِ
«لاس فيجاس» الأَمْرِيكِيَّةِ تُوجَدُ سُخْرِيَّةٌ مِنْ شَخْصِ الرَّسُولِ ﷺ بِطَرِيقَةِ
تَغْرِسِ فِي أَدْهَانِ الأَطْفَالِ وَعَامَّةِ النَّاسِ: التَّنْفِيرِ مِنَ الإِسْلَامِ وَنَبِيِّهِ ﷺ، وَنُصُورُ
المُسْلِمِ فِي صُورَةِ العَرَبِيِّ البُدَائِيِّ الإِرْهَابِيِّ^(١٨٨)! ...!

وَهَكَذَا تَتَعَاظَمُ حَالَاتُ التَّخْوِيفِ وَالاسْتِعْدَاءِ الأُمِّيِّ عَلَى الإِسْلَامِ،
وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ النِّفَخَاتِ الإِعْلَامِيَّةِ الحَبِيثَةِ الَّتِي يَزُفُهَا أَوْلَئِكَ المَافُونُونَ مِمَّنْ
يَتَمَلَّكُونَ بِأَيْدِيهِمُ الأَيْمَةَ مُقَدَّرَاتِ الإِعْلَامِ العَالَمِيِّ وَيُهَيِّمُونَ عَلَى مَنَافِذِهِ...
مِنْ حَيْثَانِ اليَهُودِ وَمُتَصَهِّبِي العَرَبِ...! حَيْثُ نُدْرِكُ مَدَى عُمُقِ وَخَطُورَةِ
حَمَلَةِ التَّحْرِيزِ المَحْمُومَةِ هَذِهِ وَحَمَاقَاتِهَا المَجْنُونَةِ، الَّتِي لَمْ تَهْدَأْ أَبَدًا، بَلْ إِنَّمَا
«تَتَسَّعُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، وَمُتَمَدَّةٌ مِنْ أَوْكَارِ المُسْتَوَظِنِينَ اليَهُودِ المُتَعَصِّبِينَ فِي
فِلَسْطِينَ، حَتَّى قَاعَاتِ « الكُونْجُرس » الأَمْرِيكِيِّ، مُرُورًا بِمَقَالَاتِ فَجَّةِ
وَطَافِحَةِ بِالتَّشْوِيشِ المُتَعَصِّبِ الحَاقِدِ عَلَى صَفَحَاتِ كُبْرِيَاَتِ الصُّحُفِ
الأَمْرِيكِيَّةِ، خُصُوصًا: مَقَالَاتِ الكَاتِبِ الأَمْرِيكِيِّ اليَهُودِيِّ ذَائِعِ الصِّبْتِ
«رُوزَنْتَال ROZENTAL» فِي صَحِيفَةِ « نِيُوبُورْكَ تَايْمز »، الَّتِي لَا تَقِلُّ تَعَصُّبًا
عَنْ أَفْكَارِ أَكْبَرِ الحَاخَامَاتِ اليَهُودِ، بَلْ رُبَّمَا تَعْلُو عَلَى حَمَاقَاتِ «شَارُون»
وَ«نَتْن يَاهُو»^(١٩٠).

189) <http://nosra.islammemo.cc/onenew.aspx?newid=2136>

١٩٠) صلاح الدين حافظ - الحملة على الإسلام - جريدة الأهرام المصرية - ١٩٩٧ / ٧ / ٩ .

وَمَا يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ عَدَالَةِ الإِعْلَامِ العَرَبِيِّ فِي تَعَامُلِهِ مَعَ الظَّاهِرَةِ الإِسْلَامِيَّةِ
بِوَجْهِ عَامٍّ، أَنَّهُ بَيْنَمَا كَانَتْ الصُّورَةُ النَّمَطِيَّةُ عَنِ الإِسْلَامِ فِيهَا مَصْىً، تُشِيرُ إِلَى أَنَّ
الإِسْلَامَ دِينَ المَلذَّاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالشَّهَوَاتِ الجِنْسِيَّةِ وَتَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ
مِنْ افْتِرَاءَاتِ مَوْصُولَةٍ بِمَتَاعِ هَذِهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا...! تَحَوَّلَتْ آلَةُ الإِعْلَامِ العَرَبِيِّ عَنِ
هَذَا السِّيَاقِ بِزَاوِيَةِ مَائَةٍ وَثَمَانِينَ دَرَجَةٍ، حَيْثُ ظَهَرَ الإِسْلَامُ فَجَاءَةً عَلَى أَنَّهُ دِينُ
الِاتِّحَارِ وَالتَّفَجِيرَاتِ وَالقَتْلِ وَكِرَاهِيَةِ الآخَرِينَ... حَتَّى لَقَدْ قِيلَ عَنِ الإِسْلَامِ
عَلَى شاشَاتِ التَّلْفَزَةِ الفِرَنْسِيَّةِ بِأَنَّهُ «دِينٌ يُسَجِّعُ الأَطْفَالَ عَلَى المَوْتِ لِيَعْتَدُوا فِي
أَحْضَانِ الرَّبِّ»^(١٩١).

وَحِينَ قَدَّمَتِ BBC بَرْنَامَجًا عَنِ الإِسْلَامِ وَالفُنُونِ الإِسْلَامِيَّةِ، عَمَدَتْ
وَاحِدَةً مِنَ الكَاتِبَاتِ إِظْهَارَ مَوْقِفِ الإِسْلَامِ مِنَ المَوْضُوعِ فَقَالَتْ: «إِنَّ التَّعْبِيرَ
الأَفْضَلَ عَنِ الإِسْلَامِ هُوَ: طَالِيَان!».

كَمَا أَنَّ هُنَاكَ آلافُ المَوَاقِعِ عَلَى الشَّبَكَةِ الدَّوَلِيَّةِ لِلْمَعْلُومَاتِ - بَعْضُهَا
بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ تَسْهَمُ بِشَكْلِ كَبِيرٍ فِي تَفَاقُمِ مُشْكِلَةِ «الإِسْلَامِ فُويَا» بِمَا يُشْبِهُ
الحَرْبَ الحَقِيقِيَّةَ!... حَيْثُ تُوجَدُ حَمَلَةٌ مُنَظَّمَةٌ لِلهُجُومِ عَلَى الإِسْلَامِ عَنِ طَرِيقِ
الشَّبَكَةِ الدَّوَلِيَّةِ لِلْمَعْلُومَاتِ الدَّوَلِيَّةِ Internet تَبْلُغُ تَكْلُفَتُهَا نَحْوَ المِليَارِ
دُولَارٍ سَنَوِيًّا؛ وَيَأْتِي ذَلِكَ فِي سِيَاقِ حَمَلَةٍ تَسْوِيهِيَّةٍ قُوَامُهَا أَكْثَرُ مِنْ عَشْرَةِ آلافِ
مَوْقِعٍ إِكْتِرُونِيٍّ بِمُخْتَلَفِ اللُّغَاتِ مُتَخَصِّصَةٍ فِي الهُجُومِ عَلَى الإِسْلَامِ وَتَتَنَوَّعُ

(١٩١) عَبَّاسُ بِيضُونُ - الإِزْهَابُ بِلا وَجْهِ، لَكِنِ العَنَصْرِيَّةُ تَخْفِي وَجْهَهَا - مَقَالٌ بِجَرِيدَةِ
السَّفِيرِ اللِّبْنَانِيَّةِ - ٢١ أَيْلُولِ ٢٠٠١م.

أَسْأَلُهَا مَا بَيْنَ الْقَذْفِ وَالسَّبِّ فِي الْإِسْلَامِ وَالْإِفْتِرَاءِ عَلَى الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ
وَالرَّسُولِ ﷺ وَتَشْوِيبِهِ صُورَةَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَالْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ وَتَحْرِيفِ
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالتَّعَسُّفِ وَالْإِبْتِسَارِ فِي تَفْسِيرِ مَعَانِيهِ! ...

وَلَقَدْ خَلَقْتَ مُعَالَجَاتُ الْإِعْلَامِ الْعَرَبِيِّ لِمَا يَسْمَى فِي الْعَرَبِ الْآنَ بِـ
«الْحَالَةِ أَوْ الْمَسْأَلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ»: جَوْأً مَشْحُونًا بِالتَّوَثُّرِ وَالْإِنْفِعَالِ وَالْحَسَاسِيَّةِ،
وَمَزِيدًا مِنَ التَّحْرِيبِ عَلَى الْعَرَبِ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَأَجَبَتْ الْمَخَافَ مِنْ
«الْإِرْهَابِ الْعَرَبِيِّ» وَمِنْ «الْخَطَرِ الْإِسْلَامِيِّ»^(١٩٧). وَلَقَدْ صَارَ الْخَوْفُ مِنَ
الْإِسْلَامِ وَالْحَسَاسِيَّةِ الْمُرْطَظَةِ إِزَاءَهُ: أَحَدُ أَتْرَازِ التَّفَالِيعِ وَالطُّقُوسِ التَّقَافِيَّةِ فِي
الْمُجْتَمَعِ الْعَرَبِيِّ الْمُعَاصِرِ، فَتَكَامَلَتْ مِنْ نَمِّ دَوَاعِي ذَلِكَ الرُّعْبِ الْمَوْهُومِ؛ وَلَمْ
يَعُدْ لَدَى جُلِّ الْعَرَبِيِّينَ مِنْ تَفْسِيرِ لِلْإِسْلَامِ سِوَى أَنَّهُ إِمْبْرَاطُورِيَّةٌ شَرِّيرَةٌ فِي
حَالَةِ حَرْبٍ دَائِمَةٍ مَعَ النِّظَامِ الْعَالَمِيِّ الْجَدِيدِ! إِذْ إِنَّ هُنَالِكَ حَالَةً مُخَلَّقَةً مِنَ
الْإِسْهَالِ الْإِعْلَامِيِّ الشَّدِيدِ حَوْلَ «الْإِسْلَامِ فُوبِيَا»، وَقَدْ كَانَ مِنْ أخطرِ مَا
نَجَمَ عَنْ تِلْكَ الْحَالَةِ: تَوْسِيعَ دَائِرَةِ الْوَهْمِ الْخَوَافِيِّ مِنَ الْإِسْلَامِ بِصُورَةٍ
أَضْحَتْ مَثَارَ أَهْتِمَامِ الْعَالَمِ، فَأَخَذَتْ بَعْضُ مِنَ الدُّوَلِ، مِثْلِ: الْيَابَانِ وَكُورِيَا
الْجُنُوبِيَّةِ وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ بُبْدِي مَخَافِهَا مِنْ تَدَاعِيَاتِ «الْإِسْلَامِ فُوبِيَا» بِمُنَاسَبَةٍ
وَبِعْغْرِ مُنَاسَبَةٍ! بَلْ لَقَدْ أَصَابَ الْبَلَاءُ تِلْكَ الْقَارَةَ الَّتِي كَانَتْ تُوصَفُ بِأَنَّ
شُعُوبَهَا أَكْثَرَ الْمُجْتَمَعَاتِ الْعَرَبِيَّةِ تَوْسُطًا وَاعْتِدَالًا فِي نَظَرِهَا إِلَى الْإِسْلَامِ وَإِلَى

(١٩٧) رغيد الصلح- العربي البشع وانفجار مركز التجارة العالمي- مقالٌ بجريدة الحياة

اللندنيَّة- ١٩٩٣/٣/٢٩م.

العرب والمسلمين، إنها أمريكا اللاتينية التي أخذت تتفعل بتيار التخويف من الإسلام الذي يجتاح المجتمعات الغربية... ومما يصدق على هذا الاتجاه التّضليلي ما نشرته صحيفته «اليونيفرسال» البرازيلية دراسة عن الإسلام، مُشيرة إلى أنه «دين عنفٍ وفتالٍ، وأنه انتشر بحدّ السيف»^(١٩٣).

وتبدي الكاتبة البريطانية «مادلين باتنينغ» دهشتها لذلك الخوف غير المُبرر من الإسلام، الذي يصفه بعضُ الكتابِ بـ «الوحش» الذي - والقول لمادلين: يُغذيه خوفٌ من أن يُسيطر المسلمون على العالم وعلى بريطانيا، علماً أن نسبهم فيها ٣٪ فقط^(١٩٤). وتورد الكاتبة حالات التشويه التي ظهرت في الإعلام في صورة تُعكس مدى التأثير التخويفي من الإسلام ليبلغ درجة التكهن والتنبؤ!.. وتختتم الكاتبة مقالها بأن «المجتمع بات بحاجة لأدوات تشريعية قانونية لمنع التحريض على الكراهية الدينية، ومواجهة الفئات التي تسيء للآخرين تحت غطاء حرية التعبير»!

فمثلاً، نشرت صحيفة أمريكية رسماً كاريكاتورياً يُصور النبي محمد ﷺ وهو يجرُ عربةً محملةً بالقنابل^(١٩٥)!! فهل يُمكن اعتبار هذا الهوس والهراء حُرّية تعبير؟! فتأمل مغزى هذا الذي يُقال في شأن نبيّ يقول الله ﷻ فيه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ سورة الأنبياء/ ١٠٧. فإذا كان نبيّ الرحمة هذه صورته في الإعلام الغربي... فكيف بصورة أتباعه..؟! ولذلك، فإن

(193) www.islammemo cc/NEWS/one_news.asp IDnews=128945

(١٩٤) نقلًا عن: فتاة الغربية الفضائية - حلقة من برنامج «السلطة الرابعة» - ٢٠٠٤/٩/٧م.

(١٩٥) نقلًا عن: جريدة الأهرام القاهريّة- ٢٠٠٤/٩/٢م.

الْحَدِيثُ الْغَرِيبُ فِي «الْإِسْلَامِ فُونِيَا» : قَدْ طَالَ وَسَيَطُولُ إِلَى أَجْلِ غَيْرِ مُسَمَّى!...

سَابِعًا : أَرْزَمَةُ رُسُومٍ أَمْ أَرْزَمَةُ قِيمٍ وَمَفَاهِيمٍ؟!...

فِي شَهْرِ أَيْلُولِ ٢٠٠٥م، نُشِرَتْ رُسُومٌ مُسَيَّبَةٌ لِسَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صَحِيفَةِ «جِيُولَانْدِز بُوَسْتِن» الدَّانِيَارِكِيَّةِ؛ وَمِنَ الْجَدِيدِ بِالذِّكْرِ أَنَّ الصَّحِيفَةَ الدَّانِيَارِكِيَّةَ قَدْ دَابَّتْ مُنْذُ عَامِ ٢٠٠٣م عَلَى إِثَارَةِ مَخَافٍ قُرْآنِيَّةٍ مِنَ الْإِسْلَامِ . كَمَا أَنَّهَا دَوَّرًا أُسَاسِيًّا فِي تَأْسِيسِ مَرْكَزِ أبحاثٍ فِي الدَّانِيَارِكِ عَلَى غِرَارِ مَرَاكِزِ أبحاثِ الْمُحَافِظِينَ الْجُدُودِ فِي أَمْرِيكََا وَبَعْضِ الْبِلَدَانِ الْأُورُوبِيَّةِ!...

وَمِنَ الْمُهْمِّ هُنَا، التَّقْرِيرُ بِأَنَّ هَذِهِ الرُّسُومَ لَمْ تَكُنْ مُجَرَّدَ عَارِضٍ شَيْطَانِيٍّ يُدَاعِبُ خَيَالًا مَرِيضًا لِرَسَامٍ مَغْمُورٍ لَدَيْهِ اسْتِعْدَادٌ ذَاتِيٌّ لِتَقْبُلِ كُلِّ شَيْءٍ سَيِّئٍ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ دُونَهَا تَمْحِصٍ أَوْ تَبْتُّبٍ أَوْ تَمْيِيزٍ - شَأْنُهُ فِي ذَلِكَ شَأْنِ غَالِبِيَّةِ الْغَرِيبِينَ وَحَسْبُ، بَلْ إِنَّ هَذِهِ الرُّسُومَ كَانَتْ عِبَارَةً عَنِ خُلَاصَةِ مُسَابَقَةِ عَامَّةٍ طُرِحَتْ بَيْنَ قُرَاءِ الْجَرِيدَةِ، لِلتَّعْبِيرِ عَنِ وُجْهِةِ نَظَرِهِمْ إِزَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَّ أَحَدَ عَشَرَ رَسْمًا قَدْ فَازَ بِالمُسَابَقَةِ، وَقَدْ تَقَرَّرَ نُشْرُ الرُّسُومِ الْفَائِزَةِ! وَلَعَلَّ هَذَا إِنْ دَلَّ، فَإِنَّهَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الرُّسُومَ هِيَ : بِمِثَابَةِ تَعْبِيرٍ عَنِ مَدَى الْجَهْلِ وَالْخَوْفِ الْمَرَضِيِّ مِنَ الْإِسْلَامِ وَرَسُولِهِ ﷺ!.

وَمِنَ الْغَرِيبِ، أَنَّ جَرِيمَةَ الرُّسُومِ وَنَشْرِهَا لَمْ تَتَفَجَّرْ وَلَمْ تُثْرَ وَقْتُ نَشْرِهَا، وَلَعَلَّ هَذَا مَا أَغْرَى صَحِيفَةَ «جِيُولَانْدِز بُوَسْتِن» بِالْإِمْعَانِ فِي الْإِسَاءَةِ إِلَى الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى ﷺ بِتَوْسِيعِ رُفْعَةِ النُّشْرِ وَإِعْرَاءِ غَيْرِهَا بِنَشْرِ الرُّسُومِ!... فَمَا

حَدَّثَ - عَلَى حَدِّ وَصْفِ أَحَدِ الْمُرَاقِبِينَ : «كَانَ حَلْقَةً مِنْ سِلْسِلَةِ تَحْيِيْشِ الْعَرَبِ بِأَنْجَاهِ «الإِسْلَامُ فُوْبِيَا»^(١٧٧)؛ وَلَيْسَ أَدَلُّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَنَّهُ فِي صَيْفِ ٢٠٠٦مَ، نَقَلَتْ وَكَالَاتُ الْأَنْبَاءِ وَمَحَطَّاتُ التَّلَفُّزَةِ خَبْرًا مُثْبِتًا حَوْلَ شَرِيْطِ فَيْدِيُو صَوْرَتُهُ شَيْبِيَّةُ حَزْبِ الشَّعْبِ الدَّانِمَارِكِيِّ، وَمِنْهَا مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْفَنَّاَنِينَ تُطْلِقُ عَلَى نَفْسِهَا «رَابِطَةُ الدَّفَاعِ عَنِ الدَّانِمَارِكِ»!؛ وَلَقَدْ عَرَضْتُ قَنَاءَةً «تِي فِي ٢» الدَّانِمَارِكِيَّةَ مَقَاطِعَ مِنْ شَرِيْطِ الْفَيْدِيُو : أَظْهَرْتُ شَابًّا مِنْ حَزْبِ الشَّعْبِ الدَّانِمَارِكِيِّ يَتَمَمَّصُ شَخْصِيَّةَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ وَيُظْهِرُهُ عَلَى شَكْلِ جَمَلٍ يَشْرَبُ الْبِيْرَةَ!، وَإِرْهَابِيَّ يُجَلِّلُ يُهَاجِمُ كُوبِنَهَاجِنَ»^(١٧٨).

وَلَقَدْ تَعَرَّضْتُ الْمُنْظَمَاتُ وَالْمُؤَسَّسَاتُ الْإِسْلَامِيَّةُ بِالدَّانِمَارِكِ إِلَى ضَعُوطٍ عَنِيفَةٍ مِنْ قِبَلِ الْحُكُومَةِ وَالذَّوَانِرِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ الدَّانِمَارِكِيَّةِ، وَذَلِكَ بُغْيَةً إِقْنَاعِيًّا بِإِعْلَانِ قَبُولِ اعْتِدَارٍ مِنَ الصَّحِيفَةِ لَطِيَّ هَذِهِ الصَّفْحَةِ، بَدَّ أَنْ الْاعْتِدَارَ لَمْ يَحْدُثْ مِنَ النَّاحِيَّةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ الْعَمَلِيَّةِ، بِدَلِيلِ أَنَّ هَذِهِ الْمَحَطَّةَ قَدْ دَابَّتْ عَلَى التَّحْرِيزِ - وَإِنْ حَدَّثَ الْاعْتِدَارُ، فَلَمْ يَكُنْ بِالشَّكْلِ اللَّائِقِ^(١٧٩)!

(١٩٦) نَقْلًا عَنْ : جَرِيْدَةُ الْوَطَنِ الْقَطْرِيَّةِ - الْأَرْبَعَاءُ ١/٢٠٠٦/٢٠٠٦.

(197) www.ikhwan-jor.org/ikhwannews/ikh_006/news_47.htm

(❖) مِنْ هَذِهِ الضُّعُوطِ : وَقَفَّ الْمَعُونَاتُ وَالذَّمَمُ الْمَالِيُّ، وَفَرَضَ قُبُودٌ عَلَى تَمْوِيلَاتِ هَذِهِ الْمُنْظَمَاتِ وَأَنْشِطَتِهَا الدِّيْنِيَّةِ، وَأَمْكَانِيَّةٌ تَعَرَّضَ بَعْضُهَا لِلإِعْلَاقِ أَوْ مُصَادَرَةِ الْأَنْشِطَةِ تَحْتِ زَعْمِ إِثْرَتِهَا لِلتُّطْرُفِ وَالْعُنْفِ وَتَأْلِيْبِهَا الْمُسْلِمِينَ ضِدَّ الدَّانِمَارِكِيِّينَ وَغَيْرِ الْمُسْلِمِينَ - نَقْلًا عَنْ صَحِيفَةِ الْوَطَنِ السُّعُودِيَّةِ - الْعِدَدُ (١٩٥٢) السَّنَةِ السَّادِسَةِ - الْخَمِيْسُ ٣ مَحْرَمِ ١٤٢٧هـ - الْمَوْافِقُ ٢ فَبْرَايِرِ ٢٠٠٦مَ.

هذا، وَقَدْ أَقَرَّتْ دَوْلٌ وَمُؤَسَّسَاتٌ وَجَمَاعَاتٌ غَرَبِيَّةٌ الصَّحِيفَةَ عَلَى ذَلِكَ التَّوَجُّهِ الفَاشِسْتِيَّ ضِدَّ الإِسْلَامِ وَنَبِيِّهِ ﷺ وَأَتْبَاعِهِ!... فَدَافَعَتْ عَنْهَا بِكُلِّ تَعَصُّبٍ وَشَرَّاسَةٍ!... لَيْسَ ذَلِكَ فَحَسْبُ، بَلْ وَصَلَ الأَمْرُ إِلَى حَدِّ تَهْدِيدِ الدَّوَلِ الإِسْلَامِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ فِيهَا لَوْ تَظَاهَرَتْ ضِدَّ هَذِهِ الرُّسُومِ!؛ فَعَلَى سَبِيلِ المِثَالِ، نَجِدُ الرَّئِيسَ الأَمْرِيكِيَّ «جُورْج بُوْش الإِبْنِ» يُطالِبُ الحُكُومَاتِ الإِسْلَامِيَّةَ مَنَعَ شُعُوبِهَا مِنَ التَّظَاهُرِ ضِدَّ الإِسْأَاءِ المُوجَّهَةِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ!!!.

وَقَدْ أَخْلَفَتْ «أَزْمَةُ الرُّسُومِ» أَصْدَاءَ دَوَّتْ بِهَا أَرْحَاءَ العَالَمِ أَجْمَعَ مَا بَيْنَ مُؤَيِّدٍ وَمُعَارِضٍ وَمُتَحَفِّظٍ؛ وَاتِّسَاقًا مَعَ تَيَّارِ الإِسْأَاءِ وَالتَّشْوِيهِ وَالاِفْتِرَاءِ: انْبَرَتْ عِدَّةٌ صُحُفٍ غَرَبِيَّةٍ فِي إِعَادَةِ نَشْرِ الصُّوْرِ المُسِيئَةِ لِمَقَامِ سَيِّدِنَا النَّبِيِّ ﷺ، مِثْلُ صَحِيفَةِ «فَرَانْسُ سُوَار» الفَرَنْسِيَّةِ وَغَيْرِهَا فِي أُورُوبَا!... وَلَكِنَّ الأَمْرَ بَدَأَ بِشَكْلِ مُتَمَيِّزٍ فِي فَرَنْسَا بِاعْتِبَارِهَا صَاحِبَةَ التَّوْجُّهِ الدِّيْمُغْرَافِيِّ الإِسْلَامِيِّ الأَوْسَعِ فِي الوَلَايَاتِ المُتَّحِدَةِ الأَمْرِيكِيَّةِ وَغَرْبِ أُورُوبَا؛

وَتُوَكِّدُ صَحِيفَةُ «فَرَانْسُو سُوَار» أَنَّهَا لَا تُخْفِي نَوَايَا عُنُصْرِيَّةً أَوْ مُعَادِيَّةً لِلإِسْلَامِ، وَنَدَّدَتْ بِهَا وَصَفَتْهُ «عَدَمَ التَّسَامُحِ الَّذِي يَتَمَيِّزُ بِهِ الإِخْوَانُ المُسْلِمُونَ وَسُورِيًّا وَالجِهَادُ الإِسْلَامِيُّ وَوُزْرَاءُ الخَارِجِيَّةِ العَرَبِ وَمُنْظَمَةُ المُؤَمَّرِ الإِسْلَامِيِّ، الَّذِينَ دَعَوْا مُوَاطِنِي المُجْتَمَعَاتِ الدِّيْمُغْرَاطِيَّةِ وَالعَالَمِيَّةِ إِلَى التَّنْذِيدِ بِالرُّسُومِ الكَارِيكاتُورِيَّةِ الَّتِي اعْتَبِرَتْ مُسِيئَةً لِلإِسْلَامِ»^(١٩٨).

١٩٨) نُقْلًا عَنْ: صَحِيفَةُ الوَطَنِ السُّعُودِيَّةِ - العَدَدُ (١٩٥٢) السَّنَةِ السَّادِسَةِ - الخَمِيسُ ٣

مَحْرَمُ ١٤٢٧هـ المُوَافِقُ ٢ فَبْرَايِرُ ٢٠٠٦م.

وَلأَبْدُ مِنَ الإِشَارَةِ إِلَى «سِيرَج فوبر»، نائِبِ رَئِيسِ تَحْرِيرِ مَجَلَّةِ «فرانس سوار»، المَعْرُوفِ بِعَدَوَاتِهِ الشَّدِيدَةِ لِلعَرَبِ وَلِلْمُسْلِمِينَ، الَّذِي أوعَزَ إِلَى إِدَارَةِ الجَرِيدَةِ بِنَشْرِ الرُّسُومِ المُسَيَّئَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، مُعَلِّلاً ذَلِكَ بِ«حُرِّيَّةِ التَّعْبِيرِ» - هَذَا المُصْطَلَحِ الَّذِي وَإِنْ كَانَ حَقًّا نَسِيبًا فِي العَرَبِ أَوْ فِي العَالَمِ.. بَيَدَ أَنَّهُ حَقٌّ أُرِيدَ بِهِ باطِلٌ وَهَيْتَانٌ وَإِفْكَ مُفْتَرَى لَا عَلاَقَةَ لَهُ لَا بِالْحَقِّ وَلَا بِالْحَقَائِقِ.

وَمِنَ الجَدِيدِ بِالْكَرِّ أَنَّ هَذَا الصُّحْفِيَّ الصَّهْيُونِيَّ قَد دَابَّ عَلَى النَّيْلِ مِنْ كُلِّ شَخْصِيَّةٍ فِرْنَسِيَّةٍ مُعْتَدِلَةٍ تَقِفُ إِلَى جَانِبِ حُقُوقِ وَقَضَايَا العَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ... حَيْثُ كَانَ مَثَلًا عَلَى رَأْسِ حَمَلَةِ التَّشْهِيرِ بِ«جَاك شوميناد»^(٥)، الرَّجُلُ الَّذِي دَائِمًا يُؤَكِّدُ عَلَى أَنَّ الحِفاظِ عَلَى اسْتِقْرَارِ وَأَمْنِ مُنْطَقَةِ الشَّرْقِ الأَوْسَطِ بِالتَّنْسِيقِ مَعَ كُلِّ دَوْلٍ مَجْلِسِ التَّعاوُنِ الحَلِيجِيِّ؛ وَيَرَى أَنَّ عَلَى الإِتِّحَادِ

(٥) «جَاك شوميناد كاتِبٌ وَسِياسِيٌّ فِرْنَسِيٌّ، اسْتَهْرَ بِعَدَالَةِ مَواقِفِهِ السِّياسِيَّةِ وَلا سِيا مَ تَجَاهَ العَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ، خاضَ ائْتِخاباتِ الرِّئاسَةِ الفِرْنَسِيَّةِ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ. أَحَدُ المَفْكرينَ البارزينَ المَطالِبينَ بِنظامِ عَالِمي جَدِيدِ، عَرَفَ بِتَحْمَسِهِ فِي ابداءِ رَأْيِهِ بِكُلِّ مَوْضُوعِيَّةٍ فِي حِوارِ الحَضارَاتِ خِلالَ لِقائِهِ العَدِيدَةِ بِأورُوبَا وَأَميرِكا. عارِضَ غزِو العِراقِ وَطالبَ بِانسِحابِ فُورِي لِقِواتِ الاِحتِلالِ مِنْهُ، داعِيا إِلَى التَّخْلِيقِ عَنِ صِراعِ الحَضارَاتِ وَاسْتِبدالِهِ بِالحِوارِ بَيْنَ الأديانِ وَالثِّقافاتِ لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ ذَلِكَ أَنْ يُؤدِّيَ إِلَى انْجِازِ مِشارِيعِ مِشْرَكَةٍ فِي غايَةِ الأهِمِيَّةِ لِمِستَقبَلِ البِشَرِيَّةِ، وَأَصَدَرَ العَدِيدَ مِنَ الكِتابِ التَّحليلِيَّةِ مِنْ بَيْنِها كِتابُهُ الأَخِيرَ بِعِنوانِ «رُوزِفلِت- دِيعُول- مُونِي كِيفِ نِواصِلِ كِفا حَمِّهم؟». عَمِلَ مُحاضِرًا بِمَعْهَدِ شيلِرِ العالِمِيِّ لِحوارِ الحَضارَاتِ فِي أَغْلبِ عِواصِمِ أورُوبَا وَوَأَشْطُن. رَئِيسَ حِركةِ التَّضامِنِ وَالتَّقدُّمِ بِفِرْنَسا. وَيَدِيرُ شومينادَ فِي بَاريسِ الفِرعِ الفِرْنَسِيِّ لِلْمِجَلَّةِ الأَميرِكاةِ «انْتِجِنسِ اِكزِكتيفِ رِيفيو» الَّتِي أَسَّسَها وَيَدِيرُها رِجُلُ الاِقتِصادِ الأَميرِكيِ المَعْرُوفِ «لِيندُونِ لارُوش». وَلَقَدْ بَدَأَ عَرَبِيًّا أَنْ تَقِفَ غالِيبِيَّةَ النَّبِياتِ الِيسارِيَّةِ مِنْ أَرْمَةِ الرُّسُومِ مَوْقِفًا مَشْكورًا، حَيْثُ قَدَّرَتْ وَرَاعَتْ مِشاعِرَ المُسْلِمِينَ وَدافَعَتْ عَنْهُمْ وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ ١٩٩.

الأوروبيّ الأيّنساق وراء المخططات المعادية للخليج وللعرب وللمسلمين حين يتعامل مع هذه الدول الصديقة؛ وأنه ينبغي أن يكون لفرنسا بالذات رسالة ريادية في سن سياسة تجاه العرب من شأنها أن تساعد على تجاوز أزمة الرسوم، وعدم الوقوع في مخططات حرب الحضارات التي ينظر لها «هنتينجتون».

ومن جهتها، أقدمت صحيفة «لوفيجارو» الفرنسية على نشر الرسوم الكاريكاتورية التي كانت صحيفة «جيولاندز بوستن»، بل إن الصحيفة الفرنسية قد تعدت نشر رسم كاريكاتوري خاص بها على صفحتها الأولى يعدّ الأشدّ إساءة للإسلام ومعتقداته. وتجاوزت الصحيفة الفرنسية هذه الحدود حين كتبت جملة بالخط العريض فوق هذا الرسم، معلقةً بأنه «لدينا الحق في وضع صور كاريكاتورية تُعبر عن الذات الإلهية»!!

وفي أسبانيا، أعيد نشر الرسوم الكاريكاتورية في صحيفة «آ بي ثي» اليمينية، وصحيفة «ايل بيروديكو» اليسارية. ولقد أرفقت هذه الصحيفة الأخيرة الرسوم بتعليق، كتبت فيه «من المنطقيّ: أن تُثير الرسوم الكاريكاتورية استياء بعض المسلمين!؛ ولكن من غير المنطقيّ أن تسعى عن طريق قراءة حرفية ولا إنسانية للقرآن.. بغرض تهديد مُمتهمي التّهكم ومحاولة القضاء عليهم»

وفي إيطاليا، اختارت صحيفة «لا ستامبا»، نشر الكاريكاتور الذي أثار أكبر قدر من الاستياء في العالم الإسلامي، ويظهر فيها شخص يُقصد به النبي ﷺ مُرتدياً عمامة على شكل قُبْلَةٍ أشعل فتيلها!! أما صحيفة «إيل كوريري ديلا سيرا» الأكثر انتشاراً بين الصحف الإيطالية، فقد نشرت رسمين سيئين للإسلام أيضاً. وقد أرفق الرسان مع مقالة طويلة لمحرر مسلم، مُعْتَبِراً فيها الرسوم «تنم عن ذوق مُريب»!

وفي سويسرا، نشرت صحيفة «بليك» الشعبية يوم ٣١/١/٢٠٠٦م: اثنين من الرسوم موضع الخلاف. كذلك صحيفة «لا تريبون دو جنيف» نشرت الرسوم كاملة في عددها الصادر في ٢/٢/٢٠٠٦م. وقال رئيس تحرير الصحيفة «دومينيك فون بورغ» مُعلِّقاً: «إن هذه القضية تُصوِّر الصدام بين ثقافة شديدة العالمية مثل ثقافتنا، وثقافة أخرى محورها الديانة». مُضيفاً: «يُمكننا تفهّم مشاعر المسلمين، لكننا في دولة تعددية، ومن حقنا أن نفعل ما نفعله»

وفي هولندا، نشرت صحيفة «دي فولكس كِرانت» التقدمية و«دي تلغراف» الشعبية و«إن آر سي هاندلسبلاد» رسماً أو أكثر أو أعادت نشر صفحة «جيولاندز بوستن» المعنية بالمسألة. وكانت الصحيفة المحافظة الألمانية الكُبرى «دي فيلت» قد نشرت في صفحتها الأولى أحد الرسوم، وقد اختارت رسم العمامة على شكل قُبْلَةٍ، فيما أوردت أربعة رسوم أخرى في صفحاتها الداخلية. وقد عبّر «هندريك تسورنر» المُتحدِّث باسم نقابة الصحفيين الألمان عن معارضته نشر الرسوم. وذكر بأن آداب الصحافة

الألمانية تحظر المقالات أو الصور التي من شأنها الإساءة إلى ما سماه « المشاعر الدينية أو الأخلاقية لمجموعة من الأشخاص ».

وفي ألمانيا، نشرت صحيفة « دي فيليت » على صفحتها الأولى هذا، وقد حَلَّت النشرة الأمريكية الأسبوعية « استراتيجك ألرت »^(١٩٩) قائلة بأن « صحيفة « جيولاندز بوستين » الدانماركية، التي نشرت الرسوم المخزية : ترتبط بمعهد سييوس الدانماركي، الذي يُعتبر امتدادًا دانماركيًا لخط « جورج شولتز » منظر المحافظين الجدد ». وأن الأحداث المتسلسلة تؤكد بأن نشر الرسوم جاء حلقه مبرمجة في مسلسل تكريس حرب الحضارات بما يُخدم نظريات ومصالح هذه الجماعة العنصرية المتطرفة.

ولقد بدا أمر الرسوم وتداعياتها - بالنسبة لصحيفة « نيوز ويك » مثيرًا، حيث جاء غلافها معنونًا بعنوان رئيس ضخم يقول : « الإسلام والحريّة .. هل كتبت عليهما الاضطدام ؟ »^(٢٠٠).

(١٩٩) العدد الصادر في ٢٠٠٦/٢/١٦ م. والصحيفة معارضة لخط غلاة المحتفظين الجدد...
(٢٠٠) العدد الصادر في ١٤/فبراير ٢٠٠٦ م. وقد جاء هذا العنوان بخلفية علم نرويجي يحترق في مدينة نابلس الفلسطينية المحتلة.



وَمِنَ الْجَدِيرِ بِالذِّكْرِ أَنَّهُ بَعْدَ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ أَيْلُولِ ٢٠٠١ م،
 اجْتَمَعَ رَئِيسُ الْحُكُومَةِ الدَّانِمَارَكِيَّةِ « نِيروب رسْموسن » بِمُمَثِّلِي الصُّحُفِ
 وَوَسَائِلِ الإِعْلَامِ فِي بِلَادِهِ وَنَصَحَهُمْ بِأَنْ يَجْتَنِبُوا الْمَسَّ بِمُقَدَّسَاتِ الإِسْلَامِ
 وَكَرَامَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَذَلِكَ حِينَ قَرَأَ افْتِتَاحِيَّاتِ نَارِيَّةٍ وَمُتَجَاوِزَةً لِلْحَقَائِقِ
 وَمُحَرِّضَةً عَلَى الْكِرَاهِيَّةِ وَالْحَقْدِ عَلَى أَعْمَدَةِ بَعْضِ هَذِهِ الصُّحُفِ، وَالتَّرَمَّتْ
 هَذِهِ الصُّحُفُ بِخَطِّ الِاعْتِدَالِ وَابْتَعَدَتْ عَنِ إِثَارَةِ الأَحْقَادِ وَإِذْكَاءِ
 الْكِرَاهِيَّةِ مَا عَدَا صَحِيفَةَ «جِيُولَانْدِز بُوَسْتِن» الَّتِي كَتَبَ رَئِيسُ تَحْرِيرِهَا
 يَوْمَ ٢٠ نَوْفَمْبَرِ ٢٠٠١ م يَقُولُ حَرْفِيًّا بِأَنَّ « أَحْدَاثَ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ
 أَيْلُولِ » تُؤَكِّدُ بِوُضُوحٍ صِحَّةَ نَظْرِيَّةِ «هَتْتِينْجُتُون» الرَّائِعَةِ الْقَائِلَةِ :
 بِصُرُورَةِ التَّصَادُمِ بَيْنَ المَثَلِ العُلْيَا لِلْحُرِّيَّاتِ فِي العَرَبِ وَبَيْنَ النِّظَرَةِ القَادِمَةِ
 مِنَ القُرُونِ الوُسْطَى لِلإِسْلَامِ».

وَقَوْلُ نَشْرُهُ « إستراتيجيك أَلرت » بِأَنَّ تَوْسِيعَ حَمَلَةِ نَشْرِ الرُّسُومِ
إِلَى أَغْلَبِ الْبِلْدَانِ الْأُورُوبِيَّةِ : كَانَ مُبْرَجًا بِالتَّعَاوُنِ بَيْنَ الْمُؤَسَّسَةِ الْوَطَنِيَّةِ
مِنْ أَجْلِ الدِّيْمُقْرَاطِيَّةِ «(N. E. D)» الْأَمْرِكِيَّةِ وَبَيْنَ الْمُنْظَمَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ «
صَحَافِيُونَ بِلا حُدُود» الَّتِي سَانَدَ النَّاطِقُ بِاسْمِهَا « روبر مينار » نَشْرَ
الرُّسُومِ رَافِعًا شِعَارَ «حُرِّيَّةِ الرَّأْيِ، وَكَذَلِكَ مُنْظَمَتُهُ : هِيَ الَّتِي تَتَلَقَّى
مُسَاعَدَاتٍ مَالِيَّةٍ مِنْ « أوتو رايش»^(*)

وَلَقَدْ ذَهَبَ كُلُّ مَنْ « ميشال جوبير » وَزَيْرُ خَارِجِيَّةِ فِرْنَسَا الْأَسْبُقِ
وَ« كِرِسْتِيَان روي » مُدِيرُ الْمَعْهَدِ الدَّوَلِيِّ بِمَدِينَةِ « رمبولي » الْفَرَنْسِيَّةِ : إِلَى
تَأْيِيدِ التَّحْلِيلَاتِ الَّتِي تُؤَكِّدُ عَلَى أَنَّ « هُنَاكَ أَطْرَافًا عُنْصَرِيَّةً مُتَسَلِّلَةً إِلَى
بَعْضِ وَسَائِلِ الْإِتِّصَالِ الْأُورُوبِيَّةِ هِيَ الَّتِي تُحْطَطُ وَتُقَرَّرُ كَيْفَ تَقْدَمُ
صُورَةَ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ خِلَالِ تَشْوِيهِ مَوَاقِفَ أَوْ ثَوَابِتِ السُّعُودِيَّةِ
مَثَلًا وَالْحَلِيجِ فِي أَذْهَانِ وَخَيَلَاتِ الرَّأْيِ الْعَامِّ الْأُورُوبِيِّ لِأَغْرَاضِ
مَصْلَحِيَّةٍ وَأَيْدِيُولُوجِيَّةٍ مَعْرُوفَةٍ»^(**)! ...

وَتُؤَكِّدُ ذَلِكَ نَشْرُهُ « إستراتيجيك أَلرت » الَّتِي ذَهَبَتْ إِلَى أَنَّ فِكْرَةَ
الرُّسُومِ وَإِعَادَةَ نَشْرِهَا تُخْضَعُ لِعَمَلِيَّةِ مُدَارَةٍ بِ« الرِّيْمُوت كَنْتْرُول » مِنْ

(*) أَحَدُ الْأَثْرِيَاءِ الْمُقْرَبِينَ مِنَ الْمُحَافِظِينَ الْجُدُدِ، وَالَّذِي عَمَلَ مُسْتَشَارًا لـ« جورج شولتز » وَزَيْرِ
الخَارِجِيَّةِ الْأَسْبُقِ. وَكَانَ « رايش » : هُوَ الَّذِي هُنْدَسَ سِلْسِلَةَ الْأَنْقِلَابَاتِ الْفَاشِلَةِ ضِدَّ
الرَّئِيسِ الْفِنْزُوبِي « هوغو شافيز »

(٢٠١) نَقْلًا عَنِ صَحِيفَةِ الْوَطَنِ السُّعُودِيَّةِ - بتاريخ ١٣/٢/٢٠٠٢م.

- قَبْلِ أَوْسَاطٍ مَشْبُوهَةٍ... لَهَا مَصَالِحٌ جَهَنَّمِيَّةٌ فِي إِثَارَةِ الْفِتْنَةِ الْكُبْرَى بَيْنَ
الإِسْلَامِ وَالْعَرَبِ، وَأَهْدَافٌ هَذِهِ الْأَوْسَاطِ - حَسْبِهَا وَرَدَ بِالنَّشْرَةِ - هِيَ :
- ١- تَعْمِيمٌ إِذْكَاءِ الْحَقْدِ ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ بِإِظْهَارِهِمْ هَمَجًا وَبِرَابِرَةً جُدَّدًا... لَا
يُمْكِنُ اعْتِبَارُهُمْ بَشَرًا أَحْرَارًا فِي عَالَمِ الْعَوْلَمَةِ!...
- ٢- تَغْذِيَةُ الْكِرَاهِيَةِ ضِدَّ الْجَالِيَّاتِ الْمُسْلِمَةِ الْمُقِيمَةِ فِي بِلْدَانِ الْإِتِّحَادِ الْأَوْرُوبِيِّ
وَاسْتِغْلَالُ كُلِّ رُدُودٍ فَعَلَهَا عَلَى الرَّسُومِ لِأَحْدَاثِ انْتِشَاقِ خَطِيرٍ بَيْنَ هَذِهِ
الْجَالِيَّاتِ وَبَيْنَ الْحُكُومَاتِ الْأَوْرُوبِيَّةِ، مِمَّا يَدْعُو فِي الْمُسْتَقْبَلِ إِلَى الْحَدَرِ مِنْهَا
وَمِنْ أُنْبَائِهَا وَتَعْزِيزِ إِجْرَاءَاتِ عَزْلِ الْمُسْلِمِينَ وَمُقَاوَمَةِ مُمَارَسَاتِهِمُ السَّلْمِيَّةِ
لِشَعَائِرِ دِينِهِمْ!...
- ٣- تَخْطِيطُ بَعْضِ الْجِهَاتِ الْعَالَمِيَّةِ بِوَسِيطَةِ أَعْوَانِهَا لِاخْتِرَاقِ الْمَظَاهِرَاتِ
الْعَفْوِيَّةِ فِي بَيْرُوتَ وَدِمَشْقَ لِأَحْرَاقِ مَقَرَّاتِ الْبَعَثَاتِ الدَّبْلُومَاسِيَّةِ وَإِشْهَادِ
الرَّأْيِ الْعَامِّ الْعَالَمِيِّ عَلَى سُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ الْغَوْغَائِيِّ حَتَّى فِي بِلْدَانِهِمْ!.
- ٤- التَّمْهِيدُ بِوَسِيطَةِ الْحَرْبِ النَّفْسِيَّةِ لِعَمَلِيَّةِ جَرِّ بَعْضِ الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ
وَالْإِسْلَامِيَّةِ لِلْمُوَاجَهَةِ وَالْإِصْطِدَامِ مَعَ الْعَرَبِ وَمَنْ تَمَّ اسْتِثْمَارُ الذَّرَائِعِ
لِلتَّدْخُلِ فِي شُؤْنِهَا أَوْ عَزْوِهَا عَلَى الطَّرِيقَةِ الْعِرَاقِيَّةِ فِي الْمَدَى الْمَنْظُورِ!...
- ٥- إِيقَافُ الْمَدِّ الْإِسْلَامِيِّ الشَّعْبِيِّ وَالرَّسْمِيِّ... وَتَعْوِيقُ حَرَكَةِ تَيَّارِ الصَّخْوَةِ
الْإِسْلَامِيَّةِ فِي عُمُومِ الْعَالَمِ... وَمُحَاوَلَةُ التَّضْيِيقِ عَلَيْهِ بِشَتَّى الطَّرِيقِ...
وَإِحْبَاطُ مَشْرُوعَاتِهِ وَتَشْوِيهِهِ بِإِنْجَازَاتِهِ... وَتَفْخِيحِ عِلَاقَاتِهِ بِمُؤَسَّسَاتِ
الدُّوَلِ الرَّسْمِيَّةِ!...

٦- تَخْرِيجُ طَابُورٍ مِنَ الْمُتَّقِينَ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ يُؤَيِّدُونَ هَذَا التَّوَجُّهَ الرَّافِضِ
لِلْمَشْرُوعِ الْإِسْلَامِيِّ بِحُجَّةِ الدَّفَاعِ عَمَّا يُسَمَّى «الْقِيمُ الْعَالَمَانِيَّةُ» وَعَنْ
حُرِّيَّةِ التَّعْبِيرِ وَالْحَدَاثَةِ وَمُكَافَحَةِ التَّطَرُّفِ وَالْإِزْهَابِ... لِيَكُونَ هَؤُلَاءِ :
طَلَاعَ التَّبَشِيرِ بِالْمُسْتَقْبَلِ كَمَا يَرَاهُ الْمُحَافِظُونَ الْجُدُدُ فِي عُمُومِ أُرُوبًا
وَأَمْرِيكََا!... وَمِنَ الْجَدِيدِ بِالذِّكْرِ، أَنَّ الصَّحِيفَةَ الْأُسْبُوعِيَّةَ الْمُسْتَقِلَّةَ
«شَيْحَان»^(٢٠١٦). الَّتِي تَصْدُرُ بِالْأُرْدُنِّ : قَدْ نَشَرَتْ ثَلَاثَةَ رُسُومٍ كَارِيكاتُورِيَّةٍ
مِنْ تِلْكَ الَّتِي نَشَرْتَهَا «جِيُولَانْدِز بُوَسْتِن»، وَدَعَتِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَقَالَتِهَا
الْاِفْتِاحِيَّةِ إِلَى «التَّعْقُلِ»! وَتَسْأَلُ رَئِيسَ التَّحْرِيرِ «جِهَادُ الْمُؤْمِنِي» خَالِطًا
الْأُورَاقَ بِبَعْضِهَا فِي افْتِاحِيَّتِهِ الَّتِي صَدَّرَهَا بِعُنْوَانِ «يَا مُسْلِمِي الْعَالَمُ
تَعَقَّلُوا» : «أَيُّهَا يُسَيِّءُ لِلْإِسْلَامِ أَكْثَرَ مِنَ الْآخِرِ : أَجْنَبِيَّ يَجْتَهِدُ فِي رَسْمِ
الرَّسُولِ أَمْ مُسْلِمٌ يَتَأَبَّطُ حِزَامًا نَاسِفًا يَنْتَجِرُ فِي حَفْلِ عُرْسٍ بِعَمَانٍ أَوْ أَيِّ
مَكَانٍ آخَرَ؟!!» وَبَسْتَرَسَلُ «الْمُؤْمِنِي» فِي تَلْفِيْقِهِ وَتَعْمِيمِهِ مُتَسَائِلًا : «
أَيُّهَا يُسَيِّءُ الْعَالَمَ لِلْإِسْلَامِ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ : رُسُومٌ كَارِيكاتُورِيَّةٌ أَمْ
مَشْهُدٌ وَاقِعِي لِعَمَلِيَّةِ ذَبْحِ رَهِينَةٍ بِالسَّيْفِ أَمَامَ الْكَامِرَاتِ عَلَى وَقَعِ هُتَافِ
اللهِ اكْبَرُ؟»

وَفِيهَا ذَهَبَ الْإِعْلَامِيُّ الْأَوَّلُ فِي فِرْنَسَا «فَلِيْمَنْغِ رُوس» إِلَى اعْتِبَارِ رُدُودِ
أَفْعَالِ الرُّسُومِ الْمُشِينَةِ «بِأَنَّهَا نَشْهُدُ صِدَامَ حَضَارَاتٍ بَيْنَ الدِّيْمُقْرَاطِيَّاتِ
الْعَرَبِيَّةِ الْعَالَمَانِيَّةِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ». ذَهَبَ الْكَاتِبُ الصُّحْفِيُّ «هَانَسِ

(٢٠٢) الْعَدَدُ الصَّادِرُ يَوْمَ الْخَمِيْسِ - الْمَوَافِقُ ٢٠١٦/٢/٢م.

كريستيان أندرسون» - وَهُوَ أَحَدُ الْعُقَلَاءِ هُنَاكَ، وَالَّذِينَ حَدَّرُوا «فِيلِمِينغ» مِنْ نَشْرِ الرُّسُومِ - إِلَى الْإِفْرَارِ بِأَنَّ الْمُجْتَمَعَاتِ الْعَرَبِيَّةَ « تَعِيشُ حَالَةً مِنَ الطُّمُولَةِ الْحَضَارِيَّةِ. إِنَّ الْقَضِيَّةَ لَيْسَتْ «الْعَالَمَانِيَّةُ ضِدَّ الْإِسْلَامِ، فَالِنَّبِيِّ، بِالنَّسْبَةِ لِلْمُسْلِمِينَ : هُوَ بَشَرٌ تَلَقَّى الْوَحْيَ الْإِلَهِيَّ مُبَاشَرَةً مِنْ اللَّهِ . بَيْنَمَا نَحْنُ نَنْظُرُ إِلَى أَنْبِئَانَا عَلَى أُمَّهْمُ شُخُوصٍ تَارِيخِيَّةٍ بَاهِتَةً لَا تَتَّفِقُ مَعَ حُقُوقِ الْإِنْسَانِ فِي مُجْتَمَعِ التَّقْنِيَّةِ الْمُتَقَدِّمَةِ! وَالْحَقِيقَةُ، أَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَعِيشُونَ دِينَهُمْ، بَيْنَمَا نَحْنُ لَسْنَا كَذَلِكَ! . وَهُمْ تَمَسَّكُوا بِدِينِهِمْ عَبْرَ تَقَلُّبَاتِ تَارِيخِيَّةٍ لَا حَصْرَ لَهَا... وَنَحْنُ نَحْلِيئَانَا عَنْ دِينِنَا مُنْذُ زَمَانٍ...»^(٢٠٣). هَذِهِ هِيَ الْحَقِيقَةُ الَّتِي تَتَحَاشَاهَا غَالِبِيَّةُ الْعَرَبِيِّينَ مَعَ كُلِّ أَسْفٍ فَلَا يَنْطِقُ بِهَا إِلَّا نَفَرٌ قَلِيلٌ فِي مُوَاجَهَةِ جِيُوشِ دِعَائِيَّةِ جَرَارَةٍ!... وَقَدْ اعْتَبَرَ « دافيد جريس»^(٢٠٤) الْعِلَاقَةَ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْعَرَبِ أَنَّهَا « بِمَثَابَةِ حَرْبٍ بَارِدَةٍ جَدِيدَةٍ!؛ وَقَدْ شَبَّهَ مَنْ يَرْفُضُونَ الدَّفَاعَ عَنِ الرُّسُومِ الَّتِي نَشَرْتَهَا صَحِيفَةُ « جِيُولَانْدِز بُوَسْتِن » بِالَّذِينَ كَانُوا يَسْعَوْنَ إِلَى تَهْدِئَةِ خَوَاطِرِ الْأُمَّحَادِ السُّوْفِيَّيِّينَ أَثْنَاءَ تِلْكَ الْحَرْبِ، أَوْ يَتَغَزَّلُونَ بِهِ»^(٢٠٥). ...!

٢٠٣) روبرت فرسك - مراسل الشرق الأوسط في صحيفة الإندبندنت البريطانية -

http://www.masyaf.com - ٢٠٠٦/٥/٩م.

٢٠٤) أستاذ تاريخ الحضارات بجامعة بوسطن والمُضَوِّعُ والبَاحِثُ النَّاشِطُ فِي مَعْهَدِ مَنْظَمَةِ «جُون أولين» الَّتِي تُمَوِّلُ أَغْلَبَ الْأَعْمَالِ الدِّعَائِيَّةِ لِلْمُحَافِظِينَ الْجُدُدِ. وَرئيسُ مَرْكَزِ «سيبوس» الدَّائِمَارِكِيِّ لِلدِّرَاسَاتِ؛ وَهُوَ مَرْكَزٌ مَعْنِيٌّ بِدِرَاسَاتِ تَخْدُمُ فِكْرَ التِّيَّارِ الْمُحَافِظِ فِي كُلِّ مِنْ أَوْرُوبَا وَأَمْرِيكَا وَإِسْرَائِيلِ.

٢٠٤) من افْتِتَاحِيَّةِ صَحِيفَةِ « اكزكتف انتلجنس ريفيو » بَعْنَوَانِ: مَنْ يُنْظَمُ جَوْقَةُ صِرَاعِ

الحضارات ٥- نُقْلًا عَنْ: جريدة الثورة السوريَّة - الإثْنين ٢٠٠٦ / ٣ / ٦ -

http://thawra.alwehda.gov.sy/_archive.asp?FileName=74826966200603

وَمُؤَخَّرًا، نَشَرَتِ الْمَجَلَّةُ الْأُسْبُوعِيَّةُ الْهَزَلِيَّةُ الْفِرَنْسِيَّةُ «شارلي إبدو»
رُسُومًا كَارِيكاتُورِيَّةً جَدِيدَةً مُسَيِّئَةً لِلنَّبِيِّ الْكَرِيمِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَلِلْجَالِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ
الْفِرَنْسِيَّةِ، حَيْثُ صَوَّرَتِ الْمُسْلِمِينَ فِي فِرَنسَا عَلَى أَنَّهَا «مَجْمُوعَةٌ إِرْهَابِيَّةٌ»!..
وَتَرَامُنَا مَعَ النَّظَرِ فِي الْقَضِيَّةِ الَّتِي رُفِعَتْ ضِدَّ الصَّحِيفَةِ، نَشَرَتِ صَحِيفَةُ
«ليبراسيون» الْفِرَنْسِيَّةُ مُجَدِّدًا تِلْكَ الرُّسُومَ الْكَارِيكاتُورِيَّةَ، وَبَرَّرَتْ خُطُوتَهَا
هَذِهِ بِكُوفِهَا «تَضَامُنًا مَعَ «تشارلي إبدو». وَكَتَبَتِ الصَّحِيفَةُ بِافْتِتَاحِيَّتِهَا: «فِي
بِلَادِ «فُولْتِير»: مِنْ حَقِّنَا انْتِقَادُ الدِّيَانَاتِ»^(٢٠٥).

ثَامِنًا : بَيْنَ تَعْلِيمِ الْخَوْفِ وَتَعْلِيمِهِ

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنَ الصُّورَةِ الْإِيجَابِيَّةِ نَسَبِيًّا عَنِ الْإِسْلَامِ فِي مُقَرَّرَاتِ
الدَّرَاسَةِ فِي بَعْضِ الْبِلْدَانِ الْأُورُوبِيَّةِ... يَدَّ أَنْ مَنَاهِجَ بَعْضِ هَذِهِ الْبِلْدَانِ: قَدْ
بَدَأَ مُتَأَثِّرًا بِالْبِلْدَانِ الْأُخْرَى وَلَا سِيَّامَا فِي تَنَاوُلِهِ الْحُرُوبَ الصَّلِيبِيَّةَ، حَيْثُ نَلَمَسُ
مَدَى الْمَغَالِطَاتِ التَّارِيخِيَّةِ الرَّامِيَّةِ إِلَى تَحْمِيلِ نَا مَسْئُولِيَّتِهَا، مَعَ رِبْطِهَا فِي الْوَقْتِ
ذَاتِهِ بِأَحْدَاثِ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ أَيْلُولِ!

وَلَكِنَّ كَانَتْ هُنَاكَ صُورَةٌ مُشَوَّهَةٌ عَنِ الْإِسْلَامِ تَسُودُ قِطَاعًا عَرِيضًا
مِنَ الدَّوَائِرِ الْأَكَادِيمِيَّةِ وَالتَّعْلِيمِيَّةِ فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ مُجْمَلًا... وَلَكِنَّ الْأَمْرَ لَمْ
يَعُدْ مُقْتَصِرًا عَلَى التَّصَوُّرِ الْخَاطِئِ أَوْ التَّصَوُّرِ الْمُرْتَبِّفِ لِبَعْضِ الظَّوَاهِرِ
الْإِسْلَامِيَّةِ فَحَسْبُ، بَلْ يَتَعَدَّاهُ لِيَشْمَلَ الْإِسْلَامَ فِي مُجْمَلِهِ. وَإِنَّ هُنَاكَ قِطَاعًا

04131532- وَكَانَ «غريس» قَدْ قَالَ هَالِ هَذَا الْكَلَامَ أَيْضًا عَبْرَ مَوْجَاتِ الْإِذَاعَةِ

الدَّائِمَارَكِيَّةِ فِي مُنْتَصَفِ فَبْرَايِرِ ٢٠٠٦م.

٢٠٥) قناة الجزيرة القطرية- الأربعاء ١٤٢٨/١/٢٠ هـ - الموافق ٢٠٠٧/٧/٢٠ م.

كبيراً من النظم التعليمية والمناهج في الجامعات والمدارس الغربية يؤثّر أشدّ التأثير على الصورة التي تُكوّنها الأجيال عن الإسلام كدينٍ وحضارةٍ وقيمٍ وغيره!.. ويكفي أن نسوق هذا المثال لنُدلّل على دورِ كُتُبِ الأطفالِ ومناهجِ الدّراسةِ في تشكيلِ العقليّةِ الخائفةِ من الإسلامِ الكارهةِ للمُسلمين... يقول « هنري كارتلاج » أحدُ كبارِ السّاسةِ الأمريكيّين في العقدِ الثّالثِ من القرنِ العشرين: بأنّ نفسيتَهُ: قد تشكّلت في جوفِ من المجافاةِ أو العداءِ للمُحمّديّين Mohammedians، بسببِ كِتَابَيْنِ قرأهما، وهُو في التّاسعةِ والعاشرةِ من عمُرِهِ؛

ففي الولاياتِ المتّحدةِ الأمريكيّةِ، تصفُ بعضُ المقرّراتِ الدّراسيّةِ «الوجودَ الإسلاميّ بالنسبةِ للمسيحيّين الأوروبيّين مصدرَ قلقٍ وخوفٍ، حتّى عندما لم يعد الإسلامُ مصدرَ تهديدٍ، فإنّ المسيحيّين استمروا بوجهةِ النّظرِ العدائيّةِ للعالمِ الإسلاميّ». وأنّ الإسلامَ « يُجبرُ الآخرينَ على الدّخولِ فيه»^(٢٠٦). وتعرّضُ الكُتُبُ المدّرسيّةُ الأمريكيّةُ الصّراعَ «العربيّ الصّهيونيّ» على أنّه « صراعٌ بينَ الخيرِ والشرِّ، باعتبارِ أنّ «إسرائيل» مُجسّدُ الخيرِ، أمّا العربُ فيجسّدون الشرَّ؟! كما استخدّمتُ هذه الكُتُبُ أسلوباً تحقيرياً في وصفِ

(٢٠٦) نقلًا عن: أحمد بن عبد الله البنيان - صورة العرب والمسلمين في الكتب الدراسية في أمريكا - ضمن أوراق مؤتمر « صورة الثقافة العربية الإسلامية في كتب التاريخ المدرسية في أوربا » المنعقد بالقاهرة خلال الفترة من الأحد ١٢/١٢/٢٠٠٤ إلى الثلاثاء ١٤/١٢/٢٠٠٤ -
http://www.islamonline.net/arabic/arts/2005/01/article06_08.shtml

حَضَارَةُ الْعَرَبِ»^(٢٠٧). وَيُوجِّهُ عَامًّا نَجْدُ الصُّورَةِ الْعَامَّةَ لِلْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ فِي

مُقَرَّرَاتِ الدِّرَاسَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ لَا تَبْعُدُ كَثِيرًا عَنِ الْأَنْطِبَاعَاتِ التَّالِيَةِ :

١- الْعَرَبُ يَكْرَهُونَ الْعَرَبَ وَيُسْكَلُونَ خَطَرًا.. وَالْمُسْلِمُونَ يَكْرَهُونَ النَّصَارَى.

٢- الْعَرَبُ أَعْدَاءُ الْعَالَمِ وَمُثِيرُو الْحُرُوبِ...

٣- الْعَرَبُ أَثْرِيَاءُ كِبَارٌ يَشْتَرُونَ أَمْرِيكَا، وَيَتَسَبَّبُونَ فِي ارْتِفَاعِ الْأَسْعَارِ^(٢٠٨)

٤- الْمُسْلِمُونَ « سَفَاحُونَ»، «إِرْهَابِيُونَ»، «مُحَارِبُونَ»، «مُتَطَرِّفُونَ»،

«مُغْتَصِبُونَ»، «مُضْطَهَدُونَ لِلْمَرْأَةِ». وَالْفِلَسْطِينِيُّونَ «يُحَاوِلُونَ تَدْمِيرَ

إِسْرَائِيلَ وَإِغْرَاقَهَا فِي الْبَحْرِ» وَ «مُفَجَّرُونَ طَائِرَاتٍ» وَ «إِرْهَابِيُونَ»^(٢٠٩).

وَفِي دِرَاسَةٍ مَسْحِيَّةٍ^(٢١٠) لِأَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِينَ كِتَابًا مَدْرَسِيًّا فِي بَرِيطَانِيَا،

تَلَاخَظُ أَنَّ هُنَاكَ مَيْلًا فِي الْكُتُبِ لِرَبْطِ الْإِسْلَامِ بِالْإِرْهَابِ بِشَكْلِ غَيْرِ مُبَاشِرٍ،

(٢٠٧) مارسل بوازار- الإسلام اليوم - ص ٢٧- نقلًا عن: محمود عبدالكريم - المخاطر التربوية لوسائل التعليم والتربية في العَرَب - مجلة الفكر الجديد - بيروت- العددان ١١ - ١٢ السنة الرابعة- شباط ١٩٩٦م /شعبان ١٤١٦هـ -

darislam.com/home/alfekr/data/feker1112/13.htm. الْمُقْصُودُ بِحَضَارَةِ

الْعَرَبِ هُنَا هُوَ: الْحَضَارَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ وَالْإِسْلَامُ وَالْمُسْلِمُونَ.

(٢٠٨) سليمان قناوي- الدراسات تؤكد أن الصورة قاصرة سطحية- مرجع سابق-ص ١٣.

(٢٠٩) علاء بيومي، دُعاء سعودي- جهود حثيثة لتحسين الصورة - بحث منشور ضمن

كتاب «صورة العرب والمسلمين» لمجموعة باحثين - مرجع سابق- ص ٤٥. ولئن كانت

هناك صور إيجابية عن العرب والمسلمون في مناهج التعليم الغربية. بيد أنها نادرة تكاد

تكون منعدمة.!

(٢١٠) عبد المحسن بن سالم الإقليمي- صورة العرب والمسلمين في الكتب الدراسية في

بريطانيا- ضمن أوراق مؤتمر «صورة الثقافة العربية الإسلامية في كتب التاريخ

المدرسية في أوروبا» المنعقد بالقاهرة خلال الفترة من الأحد ١٢/١٢/٢٠٠٤ إلى الثلاثاء

وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ التَّلَازُمِ فِي صُورَةِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ فِي سِيَاقَاتِ
الْحَرْبِ وَالْعُنْفِ وَالإِرْهَابِ!؛ وَيَطْهَرُ مِنْ هَذِهِ الكُتُبِ مَدَى حِرْصِ مُؤَلِّفِهَا
عَلَى التَّخْوِيفِ مِنَ الإِسْلَامِ بِشَكْلِ مَلْحُوظٍ!؛

وَقَدْ أَشَارَتْ تَقَارِيرُ مُؤْتَمَرِ الإِتِّحَادِ الوَطَنِيِّ لِلْمُعَلِّمِينَ فِي بَرِيطَانِيَا : أَنَّهُ إِلَى
جَانِبِ الخَوْفِ مِمَّا وَصَفُوهُ بِـ « إِسْلَامُ فُويَا » ، فَقد لَاحِظُوا تَزَايِدَ التَّمْيِيزِ فِي الرِّوَابِ
لِلْمُعَلِّمِينَ مِنَ الأَقْلِيَّاتِ العَرَبِيَّةِ الأُخْرَى . كَمَا نَبَّهَ هَؤُلَاءِ المُمَثِّلُونَ إِلَى أَنَّ جَمَاعَاتِ
وَأَحْزَابِ يَمِينِيَّةٍ ، مِثْلَ : الحِزْبِ الوَطَنِيِّ البَرِيطَانِيِّ ، وَالجَبْهَةِ الوَطَنِيَّةِ ، يَسْتَعِلُّونَ التَّوَتُّرَ
فِي المُجْتَمَعِ البَرِيطَانِيِّ لِتَمْرِيرِ رِسَالَتِهِمُ الَّتِي تُحَرِّضُ عَلَى الكَرَاهِيَّةِ (٣١١) .

وَفِي تَجَلٍّ آخَرَ لِنتائجِ هَذَا التَّرَاكُمِ الخَوَافِيِّ مِنَ الإِسْلَامِ ، حَدَّرَ زُعمَاءُ
نِقَابَاتِ المُعَلِّمِينَ فِي بَرِيطَانِيَا مِنْ ارْتِفَاعِ مَدِّ الخَوْفِ مِمَّا وَصَفُوهُ بِـ « الإِسْلَامُ
فُويَا » فِي المَدَارِسِ البَرِيطَانِيَّةِ ، وَذَلِكَ عَقَبَ « نَفْجِرَاتِ لَنْدَنِ » ، الَّتِي وَقَعَتْ فِي
السَّابِعِ مِنْ مَيَّوْزِ ٢٠٠٥ م . وَأَوْصَحَ مُمَثِّلُونَ عَنِ مُعَلِّمِي المَدَارِسِ ، فِي المُؤْتَمَرِ
الَّذِي أُنْعَقَدَ بِرِعايَةِ الإِتِّحَادِ الوَطَنِيِّ لِلْمُعَلِّمِينَ فِي مَدِينَةِ « توركِي » جَنُوبِ
بَرِيطَانِيَا : « أَنْ عَدَدًا مِنَ المُسْلِمِينَ صَارُوا يَعْيشُونَ تَحْتَ ضَغْطِ مُتَزَايِدٍ مِنَ
التَّعْصَبِ العُنْصُرِيِّ !... وَكَانَ الأَمِينُ العَامُّ لِالإِتِّحَادِ المُعَلِّمِينَ قَدْ ذَكَرَ أَنَّ هُنَاكَ
ارْتِفَاعًا فِي عَدَدِ الحَالَاتِ المُسَجَّلَةِ لِلسَّبَابِ وَالتَّحَرُّشِ الشَّفَهِيِّ ضِدَّ التَّلَامِيذِ

المُسْلِمِينَ بِالْمَدَارِسِ...! وَمَصَى قَائِلًا: « إِنْ عَدَدًا مِنْ هَذِهِ الْحَالَاتِ : كَانَتْ أَكْثَرَ عِدَاءً، حَيْثُ تَمَّ الْإِعْتِدَاءُ أَوْ الْبَصُقُ عَلَى الْبَعْضِ لِأَنَّهُمْ قَدْ بَدَوْا مُسْلِمِينَ!! »
 وَفِي فِرْنَسَا، تُقَدَّمُ الْكُتُبُ الدَّرَاسِيَّةُ لِلطَّالِبِ النَّبِيِّ مُحَمَّدًا « عَلَى أَنَّهُ مُحَارِبٌ
 وَكَيْسَ رَجُلٌ سَلَامٌ ». كَمَا يُشَارُ إِلَى الْإِسْلَامِ فِي بَعْضِ مُقَرَّرَاتِ التَّارِيخِ فِي
 أُسْبَانِيَا بِأَنَّهُ « دِينَ الْقَتْلِ وَالْإِزْهَابِ! ».

كَذَلِكَ، مِنْ نَمَازِجِ الصُّورِ الْمَشْهُوَّةِ الَّتِي تُقَدَّمُ لِلتَّلَامِيذِ عَنِ الْإِسْلَامِ فِي
 فِرْنَسَا^(٢١٢) : أَنْ « الْإِسْلَامُ يُعْيِقُ التَّطَوُّرَ وَالتَّقَدُّمَ، فِيمَا أُسْتَيْقِظُ الْعَرَبُ بِفَضْلِ
 إِسْرَائِيلِ! ». أَمَّا الْمَعَارِكُ الَّتِي نَشَبَتْ بِسَبَبِ الْإِحْتِلَالِ الصَّهْيُونِيِّ الْبَغِيضِ
 لِفِلَسْطِينَ.. فَإِنَّهَا كَانَتْ فِيهَا يُزَعَمُ : « ذَاتَ طَابِعٍ عُنْصُرِيٍّ مِنْ جَانِبِ الْعَرَبِ!
 وَنَجَمَ عَنْهَا بِلَايَا مُتَفَاكِمَةً وَمَعَارِكُ خِيَصَتْ بِتَعَصُّبٍ عَرَبِيٍّ إِسْلَامِيٍّ لَمْ يَأْلُفْهَا
 عَالِمُنَا الْمُتَحَضَّرُ ». ! وَبَوَاجِهِ عَامٌ، فَإِنَّ مَوْسَسَاتِ التَّعْلِيمِ وَمَنَاهَجَهَا تَنْبِيهُنَّ بِمَا
 اسْمَاهُ « خَلْدُونِ الشَّمْعَةَ » بِ « النَّزْعَةِ الْمُرْكَزِيَّةِ الْأَوْرُوبِيَّةِ »، الَّتِي تَحْرِصُ عَلَى
 نَمْدَجَةِ صُورَةِ الْآخَرِ عَنِ طَرِيقِ مَا يُسَمَّى فِي بَرِيطَانِيَا، مَثَلًا، بِ « الْأَبْلَسَةِ »،
 أَيْ « تَحْوِيلِ صُورَةِ الْآخَرِ إِلَى رَمَزٍ لِلشَّرِّ الْمُطْلَقِ »^(٢١٣).

٢١٢) سليمان قناوي- الدراسات العلمية تؤكد أن الصورة قاصرة سطحية -مرجع سابق - ص ٢٥.

٢١٣) خلدون الشمعة - النزعة المركزية الأوروبية .. تصنع الآخر الإبلتس - بحث منشور

ضمن كتاب « صورة العرب والمسلمين » لمجموعة باحثين - مرجع سابق - ص ٦٣.

وفي أسبانيا، تُعرَّفُ المقرَّراتُ الدِّرَاسِيَّةُ التَّشَدُّدَ فَتَقُولُ: بِأَنَّ «التَّشَدُّدَ هُوَ إِحْدَى خِصَائِصِ الإِسْلَامِ، رَغْمَ أَنَّ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ لَا يَتَّفِقَانِ مَعَ التَّشَدُّدِ الدِّيْنِيِّ»^(٢١٤).

وَتَقْدَمُ كُتُبُ التَّارِيخِ الإِيطَالِيَّةُ مَفْهُومَ الْجِهَادِ فِي الإِسْلَامِ بِطَرِيقَةٍ سَلْبِيَّةٍ، وَكَذَا شَخْصِيَّةَ الرَّسُولِ ﷺ، الَّذِي يُقَدِّمُ كَرَجُلٍ حَرْبٍ! كَمَا أَنَّهُ- وَتَحْتَ تَأْثِيرِ الْحَمَلَةِ الإِعْلَامِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الْعَنِيفَةِ ضِدَّ الإِسْلَامِ: يُطْرَحُ الْجِهَادُ فِي كُتُبِ التَّارِيخِ الْمُدْرَسِيَّةِ دَائِمًا عَلَى أَنَّهُ الْحَرْبُ الْمُقَدَّسَةُ الَّتِي يُحْتَمُّ الإِسْلَامُ عَلَى أَتْبَاعِهِ الْقِيَامَ بِهَا ضِدَّ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ لِإِزْغَامِهِمْ قَهْرًا عَلَى الدُّخُولِ فِي هَذَا الدِّيْنِ؛ وَلَعَلَّ هَذَا يَتَّضِحُ مِنْ خِلَالِ اسْتِعْمَالِ مُصْطَلَحَاتٍ مِثْلَ «التَّوَسُّعِ الإِسْلَامِيِّ» وَ«السَّيْطَرَةِ الإِسْلَامِيَّةِ عَلَى الْعَالَمِ». حَيْثُ نَجَدُ فِي الْكِتَابِ الْمَقْرَّرِ عَلَى الصَّفِّ الثَّانِي مِنَ الْمَرْحَلَةِ الْإِبْتِدَائِيَّةِ: أَنَّهُ «مِنْ وَاجِبَاتِ الْمُسْلِمِ أَنْ يَقُومَ بِنَشْرِ دِينِ الإِسْلَامِ وَلَوْ بِالْقُوَّةِ»

وَفِي إِسْرَائِيلَ، نَجَدُ الْمَنَاهِجَ التَّعْلِيمِيَّةَ تَسْعَى «لِتَجْرِيدِ الْعَرَبِ مِنْ إِنْسَانِيَّتِهِمْ، وَقَدْ أَفْلَحَتْ السُّلْطَاتُ الْمُخْتَصَّةُ فِي تَرْسِيخِ صُورَةٍ نَمَطِيَّةٍ لَدَى الإِسْرَائِيلِيِّينَ عَنْهُمْ بِاعْتِبَارِهِمْ عُدُوَانِيَّينَ مُتَخَلِّفِيْنَ مُجْرِمِيْنَ خَاطِفِيْنَ قَدْرِيْنَ

(٢١٤) بهيج مُلَا حويش - ملامح الصورة واضحة ولكنها غير مفهومة - بحث منشور ضمن كتاب «صورة العرب والمُسْلِمِيْنَ» لمجموعة باحثين - المرجع السابق - ص ١١١.

وَمُبَادِرِينَ دَوْمًا نَحْوَ التَّدْمِيرِ»^(٣١٥)!... هَذَا فِي مُقَابِلِ تَصْوِيرِ الْغَرِيبِيِّ فِي صُورَةِ
الْمُتَحَضِّرِينَ صَانِعِي السَّلَامِ!...

وَلَقَدْ أَظْهَرَتْ نَتَائِجُ التَّحْلِيلِ أَنَّ الْكُتُبَ الدِّرَاسِيَّةَ فِي إِسْرَائِيلَ : رَبَطَتْ
بَيْنَ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ وَالْعُنْفِ، وَرَبَطَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّيْفِ، مُؤَكِّدَةً أَنَّ انْتِشَارَهُ
تَمَّ بِالسَّيْفِ. وَمَضَتْ فِي ادِّعَائِهَا أَنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ هُوَ دِينُ السَّيْفِ!..

وَفِي هَذَا السِّيَاقِ عَرَضَتْ بَعْضُ الْكُتُبِ صُورًا اِدَّعَتْ أَنَّهَا تُبَيِّنُ ارْتِبَاطَ
الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ بِالْعُنْفِ، فَعَرَضَ أَحَدُ الْكُتُبِ صُورَةَ لِمَسْجِدٍ مُدْجَجًا بِهَا صُورَةَ
أُخْرَى لِمَا يُوصَفُ بِـ«الْجَيْشِ الْإِسْلَامِيِّ» وَأَسْفَلَ الصُّورَةَ شِعَارَ الْحَرْبِ عِنْدَ
الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ «سَيْفَيْنِ يَتَوَسَّطُهُمَا هَيْلَالٌ مِنْ أَعْلَى، ثُمَّ يُورَدُ الْكِتَابُ
تَعْلِيلًا عَلَى الصُّورَةِ الْوَارِدَةِ جَاءَ فِيهِ : « الْإِسْلَامُ دِينُ الْمُحَارِبِينَ ».

وَتَأَكِيدًا عَلَى الرِّبْطِ بَيْنَ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ وَالْعُنْفِ اسْتُخْدِمَتْ كَلِمَةُ
«الْحَمَلَاتِ الْحَرْبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ»^(٣١٦) بَدَلًا عَنْ مُصْطَلَحِ « الْفُتُوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ »
لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ هُنَاكَ «اِحْتِلَالًا إِسْلَامِيًّا». وَلَقَدْ وَرَدَ فِي نُصُوصِ بَعْضِ
الْكِتَابِ: أَنَّ « عَمَلِيَّاتِ الْاِحْتِلَالِ الْإِسْلَامِيِّ كَانَتْ تُمَثَّلُ أَكْبَرَ الْحَمَلَاتِ الْحَرْبِيَّةِ
فِي تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ، فَلَمْ يَشْهَدْ مِثْلَهَا الْعَالَمُ مُنْذُ عَهْدِ الْإِسْكَانْدَرِ الْمَقْدُونِيِّ فِي
الْقَرْنِ الرَّابِعِ قَبْلَ الْمِيلَادِ! ». وَكَانَتْ تِلْكَ الْحَمَلَاتِ بِمِثَابَةِ اجْتِيَاكِ عَسْكَرِيٍّ

٢١٥) إيلي بُودييه - الصَّرَاغُ الْغَرِيبِيُّ الْإِسْرَائِيلِيُّ فِي كُتُبِ التَّارِيخِ الْمَدْرَسِيَّةِ الْإِسْرَائِيلِيَّةِ
(١٩٤٨- ٢٠٠٠م) - ترجمة: وليد أبو بكر - مَنَشُورَاتِ الْمَرْكَزِ الْفَلَسْطِينِيِّ
لِلدِّرَاسَاتِ الْإِسْرَائِيلِيَّةِ «مدار» - ٢٠٠٦ - نَقْلًا عَنْ:

www.islamweb.net/ver2/archive/readArt.php?lang=A&id=135927

٢١٦) انظر: ب. إحياء، م. هرياز - تاريخ شعب إسرائيل - تل أبيب - ١٩٧٢م - ص ٥.

هَدَفُهُ : الاِخْتِلاَلُ»^(٢١٧). وَبِتَمُّ ذَلِكَ مِنْ خِلالِ تَشْوِيهِ مَفْهُومِ الْجِهَادِ مِنْ نَاحِيَةِ، وَتَقْدِيمِ الْفُتُوْحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى أَنَّهَا أَعْمَالٌ عُنْفٌ تَقْتَرِبُ مِنَ الْإِرْهَابِ، وَذَلِكَ عَنِ طَرِيقِ الرِّبْطِ بَيْنَ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ وَالسَّيْفِ وَالْإِرْهَابِ»^(٢١٨).

ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْكُتُبَ الدَّرَاسِيَّةَ تُؤَكِّدُ عَلَى أَنَّ الْمُسْلِمِينَ يُقَسِّمُونَ الْعَالَمَ إِلَى مُؤْمِنِينَ وَكُفَّارٍ، وَأَنَّ « الْمُسْلِمِينَ قَدْ قَسَمُوا سُكَّانَ الْعَالَمِ إِلَى مَجْمُوعَتَيْنِ هُمَا : دَارِ الْإِسْلَامِ، وَهُمْ الْمُسْلِمُونَ. وَالثَّانِيَّةُ دَارِ الْحَرْبِ وَهُمْ سِوَاهُمْ مِنَ الْبَشَرِ »^(٢١٩). وَلَمْ يُوَضِّحْ مُؤَلِّفُو هَذِهِ الْكُتُبِ أَنَّ أَصْلَ عَلاَقَةِ الْمُسْلِمِينَ بِغَيْرِهِمْ : هِيَ السَّلْمُ وَكَيْسَ الْحَرْبِ!

إِنَّ هَذَا التَّكْثِيفَ الشَّعُورِيِّ الْعِدَائِي ثَجَاهَ تَخْوِيفِ الْعَرَبِيِّينَ مِنَ الْإِسْلَامِ قَدْ جَعَلَهُمْ يَحْتَفِظُونَ فِي وَعْيِهِمْ الْجَمَاعِيِّ عَلَى امْتِدَادِ التَّارِيخِ بِصُورَةٍ مُحَرَّفَةٍ عَنِ الْإِسْلَامِ بِوَصْفِهِ دِينَ التَّعَصُّبِ وَالْحَقْدِ وَالتَّخَلُّفِ وَاحْتِقَارِ الْعِلْمِ، وَمُحَارَبَةِ الْمُجْتَمَعَاتِ الْمُتَحَضَّرَةِ... دِينَ لَا يَمْلِكُ الْعَاطِفَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ السَّلْبِيَّاتِ وَالصِّفَاتِ الَّتِي تَنْفُرُ مِنْهَا فِطْرَةُ الْإِنْسَانِ!.. كَمَا أَنَّ هُنَاكَ إِضْرَارًا سِيَاسِيًّا عَلَى نَقْلِ هَذِهِ الصُّورَةِ إِلَى الْأَجْيَالِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ خِلالِ مَنَاهِجِ التَّعْلِيمِ لِكَيْ تَنْزَعَ هَذِهِ الرُّؤْيَى الْمَغْلُوطَةَ فِي وَعْيِ هَذِهِ الْأَجْيَالِ،

(٢١٧) انظر: لجنة التاريخ في المدارس الحكومية الدينية - من جيل إلى جيل: دروس في التاريخ - وزارة المعارف - تل أبيب - ١٩٩٤م - ٢٠١٠/٢.

(٢١٨) المرجع السابق - ٢٠١٠/٢

(٢١٩) انظر: لجنة التاريخ في المدارس الحكومية الدينية، من جيل إلى جيل: دروس في التاريخ - مرجع سابق - ٢٠١٥/٢.

وَمِنْ ثَمَّ تَرْبِيَّتُهَا عَلَى كَرَاهِيَةِ الْإِسْلَامِ وَالنَّظَرِ بِأُزْدَرَاءٍ إِلَى الْمُسْلِمِينَ؛ ذَلِكَ فَضْلاً عَنْ أَنَّ مَنَهَجَ تَعْلِيمِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ فِي أَلْمَانِيَا وَعَظِيرَهَا مِنَ الدَّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ... مَلِيءٌ بِالْأَخْطَاءِ وَالتَّشْوِيهِ وَالتَّحْرِيفِ... ذَلِكَ أَنَّ مَسْئُولِي الْكِنَائِسِ يَسْعَوْنَ إِلَى تَرْبِيَّةِ أَجْيَالٍ مِنَ النَّصَارَى مُتَأَثِّرِينَ بِالْعَقْلِ الْجَمْعِيِّ لِلْغَرْبِ، وَيَحْمِلُونَ وَجْهَاتِ نَظَرِ الْكَنِيسَةِ لِلْإِسْلَامِ.

هَذَا، وَإِذَا كَانَ ثَمَّةَ مُحَاوَلَاتٍ يَأْتِسُّهُ لِلانْضِبَاطِ الْعِلْمِيِّ وَالتَّوَازُنِ فِي عَرْضِ الصُّورَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ مَعْقُولَةً إِلَى حَدِّ مَا.. فَلَيْسَ ذَلِكَ بِمُسْتَطَاعٍ، إِذْ إِنَّ هُنَاكَ خَلْطاً وَلَبْساً لَا بَحَالَ لِإِزَالَتِهِ تَحْتَ صَغْطِ الْمَوْرُوثِ التَّارِيخِيِّ وَالتَّكْثِيفِ الدَّعَائِيِّ الَّذِي يَذْهَبُ بِأَمَلِ تَحْسِينِ الصُّورَةِ أُدْرَاجَ الرِّيَاحِ؛ وَهَكَذَا، بَاتَ الْخَوْفُ مِنَ الْآخِرِ وَقِتَالُهُ هُوَ الْحَلُّ الْوَحِيدَ لِلْعَيْشِ وَالِاسْتِمْرَارِ فِي الْحَيَاةِ؛ كَذَلِكَ فَإِنَّ تَحْدِيدَ الْعَدُوِّ هُوَ: الْهَاجِسُ الْأَسَاسِيُّ الَّذِي يَجِبُ تَعْلَمُ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَجْلِ إِبَادَتِهِ...! وَعَلَى صَعِيدِ آخِرٍ، نَجِدُ هُجُومًا كَاسِحًا عَلَى مَنَاهِجِ التَّعْلِيمِ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ، بِاعْتِبَارِهَا- عَلَى حَدِّ قَوْلِهِمْ: تُشْجَعُ عَلَى التَّطَرُّفِ وَالْعُنْفِ وَالْإِزْهَابِ...!

خَامِسًا: التَّخْوِيفُ مِنَ الْإِسْلَامِ بِالتَّفْخِيخِ السِّيَاسِيِّ

لَمْ يَعدُ ثَمَّةَ بَحَالَ لِحُسْنِ الظَّنِّ فِيهَا يَشْرَعُ الْعَرَبُ بِشَأْنِهِ مِنْ تَكْثِيفِ الدَّعْوَةِ وَتَشْدِيدِ الْمَطَالِبِ بِشَأْنِ نَشْرِ الدِّيْمُقْرَاطِيَّةِ وَالْإِصْلَاحِ فِي الْعَالَمِينَ الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ،! وَأَعْتَقِدُ أَنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ يُشَاطِرُونَنِي تِلْكَ الشُّكُوكَ، يُؤْمِنُونَ بِأَنَّهَا لَا تَنْبُعُ مِنْ رَغْبَةٍ إِنْسَانِيَّةٍ مُخْلِصَةٍ فِي التَّرْكِيزِ الْإِصْلَاحِيِّ عَلَى الْحَالَةِ الْعَرَبِيَّةِ

وَالْإِسْلَامِيَّةَ بِالذَّاتِ، وَلَا سِيَّمَا أَنَّ هُنَاكَ حَالَاتٍ أُخْرَى غَيْرَ عَرَبِيَّةٍ وَلَا
إِسْلَامِيَّةٍ هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ أَكْثَرُ حَاجَةٍ لِلإِصْلَاحِ مِنْ غَيْرِهَا...!

وَإِنِّي لَعَلِّي يَقِينٍ مِنْ أَنَّ الْعَرَبَ لَدَيْهِ إِصْرَارٌ عَجِيبٌ عَلَى إِبْقَاءِ بَعْضِ
الْحُكُومَاتِ الدِّيْكَتَاتُورِيَّةِ الْمُسْتَبِدَّةِ وَالْقَمْعِيَّةِ فِي مَحَافِلِنَا السِّيَاسِيَّةِ، لِإِمْكَانِيَّةِ
إِنْتِاجِ أَكْبَرَ قَدْرٍ مِنَ الْعُنْفِ وَالْعُنْفِ الْمُضَادِّ فِي الْمِنْطَقَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ،
فَتَرْدَادُ مِنْ تَمَّ وَتَبْرَهُ الْإِنْفِعَالِ .. وَتَبْدُو الْمِنْطَقَةُ، مِنْ جِهَةٍ، غَيْرَ مُسْتَقْرَّةٍ
سِيَاسِيًّا وَعَسْكَرِيًّا وَغَيْرَ مُهَيَّأَةٍ تَنْمُوِيًّا... فَتَسْتَهْلِكُ ذَاتَهَا وَتَشْغَلُ بِنَفْسِهَا
عَنِ الْمَسَارَاتِ الطَّمُوحَةِ لِلْمَشْرُوعِ الصَّهْيُونِيِّ!، أَوْ تَبْدُو كَذَلِكَ فِي حَالَةٍ مِنْ
عَدَمِ الْأَهْلِيَّةِ الْحَضَارِيَّةِ الَّتِي تُتَبَحُّ لَهَا مُضَارَعَةُ التَّحَدِّيَاتِ عَلَى السَّاحَتَيْنِ
الْإِقْلِيمِيَّةِ وَالدَّوْلِيَّةِ! أَوْ تَبْدُو مَحَطَّ لَوْمٍ وَنَقْدٍ وَمُؤَاخَذَاتٍ مِنْ جَانِبِ
الْمُهَيَّاتِ الْمَعْنِيَّةِ بِحَقُوقِ الْإِنْسَانِ، هَذِهِ الْأَخِيرَةُ الَّتِي تَدُورُ غَالِبِيَّتُهَا فِي فَلَكِ
مُخَابِرَاتِي غَرْبِيٍّ لَهُ غَابَاتُهُ وَأَهْدَافُهُ وَمَشَارِيعُهُ الْأَمْنِيَّةُ فِي بُقْعَتِنَا الْعَرَبِيَّةِ
وَالْإِسْلَامِيَّةِ...! وَلَعَلَّ هَذَا يَمَّا يُعَدُّ ذَرِيعَةً لِلتَّدْخُلَاتِ السِّيَاسِيَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ
الْعَرَبِيَّةِ وَقَتَّ لُرُومِهَا- وَمَا الْعِرَاقُ وَأَفْغَانِسْتَانُ وَرُبَّمَا سُورِيَا أَوْ إِيرَانَ
وَالسُّودَانَ وَالصُّومَالَ عَتَا بِبَعِيدٍ! أَوْ رُبَّمَا لِإِبْقَاءِ بَعْضِ الْخِطَابَاتِ
الْإِسْلَامِيَّةِ ذَاتِيًّا فِي حَالَةٍ مِنَ التَّوَتُّرِ وَالْإِنْفِعَالِ وَالتَّشْجِجِ فَتَبْقَى مَعَهَا
مُبَرَّرَاتُ الْحَسَاسِيَّةِ الْقُطْرِيَّةِ أَوْ الْخَارِجِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ مَشْرُوعِهَا الَّذِي يَبْدُو فِي
وَسَطِ هَذَا الصَّحِيحِ عَلَى غَيْرِ حَقِيقَتِهِ وَمَشُوبًا بِالْمُغَالَطَاتِ،! وَلَا سِيَّمَا حِينَ
يُخْتَزَلُ هَذَا الْخِطَابُ فِي نَبْرَتِهِ الْعَنِيفَةِ الَّتِي تُسَوِّغُ الْخَوْفَ الْعَالَمِيَّ مِنْهُ... وَمِنْ

ثُمَّ، تَتَحَمَّ ضَرُورَةُ التَّصَدِّي لَهٗ وَالْقَضَاءِ عَلَيْهِ، بِإِعْتِبَارِهِ عَدُوًّا مُشْتَرَكًا
لِلْأَنْظِمَةِ الْقُطْرِيَّةِ وَقُوَى الْإِسْتِكْبَارِ الْعَرَبِيِّ عَلَى السَّوَاءِ...!!

وَقَدْ لَا تَكُونُ مُتَجَاوِزِينَ الْحَقَائِقَ، حِينَ نَذْهَبُ إِلَى أْبَعَدِ مِنْ مُجَرَّدِ ذَلِكَ،
فَنَقُولُ : إِنَّ الْعَرَبَ يَبْدُو أَكْثَرَ حِرْصًا عَلَى إِبْقَاءِ التَّحَدِّي الْإِسْلَامِيِّ - بِطَبَعَتِهِ
الْمُزَوَّرَةِ الْمُزَيَّفَةِ أَوْ الْمُصْطَنَعَةِ، قَائِمًا كَشَوْكَةٍ فِي ظَهْرِ الْحُكُومَاتِ الَّتِي تَرَى
مَصَالِحَهَا بَعِيدًا عَنِ دَائِرَةِ الْهَيْمَنَةِ الْعَرَبِيَّةِ، ! بِحَيْثُ تُوَدِّي هَذِهِ الْحَالُ فِي النَّهَائِيَّةِ
إِلَى اسْتِنزَافِ الْأَتْجَاهِينَ كَلَيْهَا!... فَغَالِيَةُ تَيَّارَاتِ الصَّحْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ...
تُسْتَهْلِكُ فِي مَوَاجِهَاتٍ غَيْرِ مَحْسُوبَةٍ فِي مُجْمَلِهَا مَعَ السُّلْطَاتِ الْعَالَمِيَّةِ... بَلْ
غَيْرِ جَدِيَّةٍ فِي ضَوْءِ الْإِعْتِبَارَاتِ الْحَضَارِيَّةِ وَالتَّحَدِّيَّاتِ الْأُخْرَى الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى
جَهْدٍ هُوَلاءٍ فِي مَجَالَاتٍ أُخْرَى عَدِيدَةٍ أَكْثَرَ أَهْمِيَّةٍ وَأَوْلَوِيَّةٍ...! وَهِيَ بِذَلِكَ
تُضَيِّعُ فُرْصَةَ عَرْضِ التِّيَّارِ الْوَسْطِيِّ لِمَشْرُوعِهِ الْحَضَارِيِّ!...

وَهُنَا لَا بُدَّ مِنَ الْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّهُ مِثْلَمَا تَدْفَعُ الشُّعُوبُ الْعَرَبِيَّةُ وَالْإِسْلَامِيَّةُ
فَائِزَةَ التَّكَالِيفِ الْبَاهِظَةِ لِلْفَسَادِ السِّيَاسِيِّ مِنْ دَمِهَا هِيَ.. وَطَاقَتِهَا هِيَ..
وَرَصِيدِهَا هِيَ... فَإِنَّ التِّيَّارَ الْإِسْلَامِيَّ الْوَسْطِيَّ كَذَلِكَ هُوَ الَّذِي يَدْفَعُ فَائِزَةَ
الْحَطِيئَةِ الْحَرَكِيَّةِ لِتَيَّارَاتِ الْغُلُوِّ وَالْعُنْفِ فِي مَنْطِقَتِنَا... فَتَمُوتُ بِذَلِكَ فُرْصُ
الظُّهُورِ الْإِسْلَامِيِّ فِي وَسْطِيَّتِهِ الْوَحْيِيَّةِ، الَّتِي يَخَافُ الْعَرَبُ أَيضًا مِنْ مُجَرَّدِ
ظُهُورِهَا.. لِأَنَّهَا فِي أَجْنَدَتِهِ تُمَثِّلُ خَطَرًا أَشَدَّ مِنْ تَيَّارَاتِ الْعُنْفِ الَّتِي يُخَوِّفُ بِهَا
مُجْتَمَعَاتِهِ وَيَسْتَجْلِبُ بِهَا حُطُوطَ الثَّرْوَةِ وَالسُّلْطَةِ وَالْقُوَّةِ... بَلْ وَتَوَافُرُهَا

مُبَرَّراتٍ وَسَوَانِحَ صَرَبِ الظَّاهِرَةِ الإِسْلامِيَّةِ مُجْمَلَةً - حَيْثُ يَعْتَبِرُهَا العَرَبُ
تَحَدِّيًا حَضارِيًّا لا يَعْرِفُ الهَدَرَ....!

أَمَّا الحُكُوماتُ المُسْتَبَدَّةُ، عَلى الرِّغَمِ مِنْ أَنها حِينَ تَسْتَنْفِدُ مُدَّةَ خِدْمَتِها
وَيَجِيءُ أوانُ تَقاعُدِها، بِحَيْثُ لَمْ يَعدْ ثَمَّةَ حاجَةٌ غَرِيبَةً فِيها.. تَتَوافَرُ مِنْ نَمِّ
مُبَرَّراتٍ إِزاحتِها، وَاسْتِبدالِها غالِبًا بِمَنْ هُمْ أَكثَرُ قُدْرَةً عَلى الخِدْمَةِ فِي الحَقْلِ
السِّياسِيِّ وَالأُمْنِيِّ العَرَبِيِّ،! فَإِنَّ التَّيَجَةَ المُوقَّتَةَ لاسْتِبدالِها : إِنما تَتَمَثَّلُ فِي
فُلُولِ الفارِينَ بِمَبادِيهِمْ وَأفكارِهِمْ إِلى بَينَتِهِ أُخْرى أَكثَرَ أَمْنًا..! فَالعَرَبُ يُدْرِكُ
جَيِّدًا : أَنَّهُ حِينَ يَبْلُغَ الاسْتِبدالُ وَالقَمْعُ وَالاضْطِهادُ مَدَى مُعَيَّنًا فِي بَعْضِ
بِلادِنا العَرَبِيَّةِ وَالإِسْلامِيَّةِ، بِحَيْثُ تَزْدادُ مَعَهُ مَوْجاتُ هِجْرَةِ الظَّاهِرَةِ
الإِسْلامِيَّةِ إِلى العَرَبِ طَلَبًا لِحَقِّ اللُّجُوءِ السِّياسِيِّ الَّذِي تُبَيِّحُهُ القَوانِينُ
العَرَبِيَّةُ، فَإِنَّ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ تَفيدُ مِنْها دَوائِرُ صُنْعِ القَرارِ العَرَبِيِّ بِطَرِيقَةٍ فِيها
انْتِهازِيَّةٌ شَدِيدَةٌ، إِذْ إِنَّ مُجْرَدَ وُجُودِ الإِسْلامِيِّينَ بِصُورَةٍ عامَّةٍ هِا فِي الدِّيارِ
العَرَبِيَّةِ يُعَدُّ مَبْعَثَ خَوْفٍ وَحَذَرٍ وَتَرَقُّبٍ غَرِيبٍ،! وَلا سِما مَعَ التَّكْثِيفِ
الحِثْوانِيِّ المُرْعَبِ مِنَ الحالَةِ الإِسْلامِيَّةِ عَبْرَ مَنابِرِ الإِعلامِ العَرَبِيِّ، ذَلِكَ الَّذِي
تُحَرِّكُهُ، وَتُزِيدُ مِنْ تَأثيرِهِ بِصُورَةٍ مُلْفِتَةٍ : تِلْكَ القُوَى الصَّهْيُونِيَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ فِي
الحِفاءِ لِتُكْرِيسَ حالَةَ الخِوافِ العَرَبِيِّ مِنَ الإِسْلامِ؛

وَالقَواعِ يَقُولُ بِأَنَّ اللاجِئِينَ السِّياسِيِّينَ فِي العَرَبِ يُسْتَعْلَوْنَ عَلى أَبْشَعِ ما
يَكُونُ الاسْتِغْلالُ وَالانْتِزاعُ دُونَ أَنْ يَكُونَ لَدَى مُعْظَمِهِمْ دِرايَةٌ بِهذا
الاسْتِغْلالِ الإِعلامِيِّ وَالسِّياسِيِّ... الَّذِي مِثْلُما يَسْهَمُ فِي تَكْرِيسِ الانْطِباعِ

الغربية بأنَّ المجتمعات العربية والإسلامية : مُتَمَعَات قَهْرٍ وَعُنفٍ وَقَلْبٍ
وَفَوْضَى!... فَإِنَّهُ يُشِيرُ كَذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْإِسْلَامَ يُشَكِّلُ جُزْءًا مُهِمًّا فِي هَذِهِ
الْمُشْكِلَةِ!؛ حَيْثُ إِنَّ هُنَاكَ حَالَةً مِنَ الزَّيْفِ تَتَعَشَّى الْعَقْلَ الْعَرَبِيَّ بِصُورَةٍ
تَعَكِّسُ بِشَكْلٍ أَوْ بآخِرٍ تُفِيدُ بِأَنَّ الْإِسْلَامَ يُمَجِّدُ الدِّيْكَتَاتُورَ!. وَلَقَدْ كَشَفَ «
فُوكُوِيَامَا» - كَمَا أَسْلَفْنَا - عَن بَعْضِ مَا لَدَيْهِ مِنْ حُبِّ مَشُوبٍ بِالسَّدَاجَةِ،
عِنْدَمَا اعْتَبَرَ الْإِسْلَامَ فِي سِيَاقِ التَّحَدِّيِ الْعَرَبِيِّ : بِأَنَّهُ «إِسْلَامٌ» «صَدَامَ
حُسَيْنٍ»! هَذَا «الْإِسْلَامُ الصَّدَامِي» يَقُولُ عَنْهُ «فُوكُوِيَامَا»: « شَهِدْتُ مَهَايَةَ
الْحَرْبِ الْبَارِدَةِ فِي أُرُوبَا مُحَدِّثًا سَافِرًا لِلْغَرْبِ مِنْ قِبَلِ الْعِرَاقِ الَّذِي يُشَكِّلُ
الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ عَامِلًا هَامًا فِي تَكْوِينِهِ الْأَيْدِيُولُوجِيَّ»^(٢٢٠)!. وَهَكَذَا أَصْبَحَتْ
«حَالَةُ الْبَعْثِ» هِيَ الْوَاجِهَةُ الْأَيْدِيُولُوجِيَّةُ لِلْإِسْلَامِ بِزَعْمِ « فُوكُوِيَامَا»!؛
وَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَكُنْ مُسْتَعْرَبًا أَنْ يَصِفَ الْأُصُولِيَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ عَلَى أَنَّهَا : تَشَابَهَتْ إِلَى
حَدِّ عَمِيقٍ مَعَ الْفَاشِيَّةِ..! هَكَذَا!.

(٢٢٠) فرانسيس فوكوياما - نهاية التاريخ - مرجع سابق - ص ٦١. وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ صَدَامَ
حُسَيْنٍ مَجْرَدَ نُمُودِجٍ يَتَوَارَدُ عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ فِي أَدْبِيَاتِ مَفْكَرِي الْغَرْبِ. فَلَدَيْهِمْ كَثِيرٌ
مِمَّا يُمْكِنُ أَنْ يَقُولُوهُ... وَلَكِنْ تَرْتِيبَاتِ الْمَطْبِخِ السِّيَاسِيِّ الْعَرَبِيِّ، وَمِرَاعَاةِ الْمَصَالِحِ
الْإِسْتِرَاطِيَّةِ - الَّتِي يَمْعَلُونَ لِأَجْلِهَا - الَّتِي تَتَحَقَّقُ مَعَ وُجُودِ بَعْضِ الْأَنْظُمَةِ الْمُسْتَبَدَّةِ..
قَدْ اقْتَضَتْ التَّرْكِيزَ عَلَى الْحَالَةِ الْبُعْثِيَّةِ.

أبيض

الفصل الثالث

قراءة في معادلة «الإسلام فوبيا»

إنَّ رِوَاذَ الْمَدْرَسَةِ الصَّرَاعِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ يُدْرِكُونَ جَيِّدًا أَنَّ تَشْوِيهِ صُورَةَ الْعَرَبِ وَالْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، لَنْ يَجْنِي سِوَى انْتِشَارِ الْمَزِيدِ مِنَ الْكِرَاهِيَّةِ. وَأَنَّ هَذِهِ الْكِرَاهِيَّةَ لَنْ تُؤَلِّدَ سِوَى الْمَزِيدِ مِنَ الْكِرَاهِيَّةِ الْمُضَادَّةِ، وَأَنَّ الْعُنْفَ لَنْ يُؤَلِّدَ سِوَى الْمَزِيدِ مِنَ الْعُنْفِ الْمُضَادِّ... إِيَّاهُمْ يَعْرِفُونَ الطَّرِيقَ إِلَى أَهْدَافِهِمْ بِصُورَةٍ جَيِّدَةٍ وَبَارِعَةٍ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ اسْتِمْرَارِهِمُ الدَّعْوِ فِي الْعَمَلِ عَلَى إِيجَادِ أَسْبَابٍ وَمُبَرَّرَاتٍ بَقَاءَ فَتِيلِ الصَّرَاعِ الْحَضَارِيِّ مُشْتَعِلًا،! الْمُهْمُ لَدَيْهِمْ هُوَ : حُصُولُ الْخَوْفِ مِنَ الْآخِرِ. لِكَيْ تَتَسَنَّى مُبَرَّرَاتٍ وَأَسْبَابُ وَبَوَاعِثُ الصَّرَاعِ مِنْ أَجْلِ الْبَقَاءِ.. وَهُوَ مَا يَعْنِي إِزَالَةَ أَسْبَابِ الْخَوْفِ بِإِقَالَةِ ذَلِكَ الْآخِرِ وَإِفْنَائِهِ!...

وَلَقَدْ بَدَأَ وَاضِحًا مَدَى حِرْصِ الْمَوْسَسَاتِ الْغَرْبِيَّةِ الْمَعْنِيَّةِ بِتَفْقُدِ وَرْصِدِ الظَّاهِرَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ عَلَى الْإِفَادَةِ مِنْ «الإسلام فوبيا»، بِشَكْلِ مُغْرِقٍ فِي الْإِنْتِهَازِيَّةِ النَّفْعِيَّةِ الْحَسِيْسَةِ الَّتِي تُحْدُمُ النَّزْعَةَ الْغَرْبِيَّةَ الْمَهُوْسَةَ بِالصَّرَاعِ، الَّذِي يَرُونَهُ لِأَزْمًا لِاسْتِمْرَارِ الْحَيَاةِ!...

وَلِأَجْلِ ذَلِكَ، فَقَدْ لُوْحِظَ تَعَمُّدُ اخْتِرَالِ الْحَالَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي تِلْكَ التِّيَّارَاتِ الَّتِي تَمِيلُ إِلَى الْعُلُوِّ وَالتَّطَرُّفِ وَالْعُنْفِ...! الْأَمْرُ الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ تَتَوَافَرَ فِي خِصْمِهِ فَرْصُ تَفْعِيلِ رَخْمِ الْحَمَلَةِ الْمَحْمُومَةِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَرَسُولِهِ

وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ بِالْجُمْلَةِ تَحْتَ طَائِلَةِ «مُكَافَحَةِ الإِرْهَابِ» - ذَلِكَ الْمُصْطَلَحُ الَّذِي أُعِدَّ خِصِيصًا لِمُوَاجَهَةِ الظَّاهِرَةِ الإِسْلَامِيَّةِ الْمُتَنَامِيَّةِ فِي أَصْقَاعِ الْعَالَمِ وَبِقَاعِهِ... وَإِنَّ أَشَدَّ مَا يُؤَسَفُ لَهُ: أَنْ تُسَوَّقَ هَذِهِ الصِّفَةُ وَتُرَدِّدْهَا أَجْهَرَةً إِعْلَامِيَّةً عَرَبِيَّةً وَبَعْضُ الْمُتَقَفِّينَ الْعَرَبِ... وَتُجْتَرَّ بِأَرْتِيَاكِ مَرَضِيٍّ مُعَبِّرٍ عَنْ حَالَةِ تَبَعِيَّةٍ لِلْإِمْرِيَالِيَّةِ وَالصَّهْيُونِيَّةِ مَعًا^(٣١١). وَفِيهَا يَلِي نَوْجُزٌ بَعْضًا مِنْ أَهْدَافِ تِلْكَ الْحَمَلَةِ:

- تَجْدِيدُ وَإِحْيَاءُ حَالَةِ الْخَوْفِ مِنَ الْآخِرِ فِي أَعْمَاقِ النَّفْسِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَذَلِكَ لِإِكْسَابِ الْهَجُومِ الْعَرَبِيِّ عَلَى الْحَالَةِ الإِسْلَامِيَّةِ زَحْمًا مُنَاسِبًا مِنْ الْمَشْرُوعِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْعَسْكَرِيَّةِ.

- عَسْكَرَةُ الْأَجْوَاءِ السِّيَاسِيَّةِ.. وَالظُّرُوفِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ بِمَا يُشْبِهُ حَالَةَ الطَّوَارِيءِ.. وَبِمَا يَتَمَشَّى وَطَبِيعَةَ الْحَالَةِ النَّفْسِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُتَهَيِّئَةِ آتِيًا لِحَوْضِ صِرَاعٍ مَعَ الْآخِرِ الإِسْلَامِيِّ، وَالْمُؤَذِّنَةِ بِإِعْلَانِ الْحَرْبِ عَلَيْهِ لِدَرِّ خَطَرِهِ الْمَزْعُومِ. - أَنْ تَفْعِيلَ «الإِسْلَامِ فُوبِيَا» يُعْطِي زَحْمًا مُنَاسِبًا وَمُصَدِّقِيَّةً لِلتَّكْهَنَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُؤَسَّسَةِ عَلَى هَوَاجِسِ تَهْدِيدَاتِ الْبَقَاءِ وَخُرَافَاتِ التُّدْرَةِ الَّتِي تُوشِكُ فُرْصَ الْحَيَاةِ تَحْتَ سَطْوَتِهَا أَنْ تَتَبَدَّدَ وَتَتَبَخَّرَ وَتَتَلَاشَى وَتُزْوَلَ!!

- إِمْكَانُ حَشْدِ أَكْبَرَ قَدْرٍ مِنْ الطَّاقَةِ الْحَرْبِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ اللَّازِمَةِ لِحَسْمِ الصِّرَاعِ بِصُورَةٍ إِجْبَابِيَّةٍ، بِحَيْثُ يُمَكِّنُ أَنْ تَحْسِمَ هَذِهِ الطَّاقَةُ الْعَسْكَرِيَّةُ الصِّرَاعَ

(٢٢١) علي عقله عرسان - العداء للتضامن العربي - مقال بجريدة البيان الإماراتية - الأحد

١٣ ذي الحجة ١٤٢٠ هـ الموافق ١٩ مارس ٢٠٠٠.

مُبَكَّرًا لِصَالِحِ الْغَرْبِ دُونَ خَسَائِرِ.. وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ الْإِرْهَابِ وَالتَّخْوِيفِ
بِهَالَةِ الْقُوَّةِ الْمُسَلَّحَةِ!

- إختزال الوجود الإسلامي المخطي بالرضا والقبول الغربي في ذلك
النموذج التقليدي المهجن بالعلمانية- سواء كان في شكل دولة أو جالية أو
جماعة أو تيار أو غيره من الكيانات الموزونة بمعايير الرؤية الغربية المعشوشمة
للاعتدال والوسطية والتسامح...! وهذا مما يُعطي تبريرًا ومصدقية مجآئية
لصالح التيار المعادي للنموذج الإسلامي الحقيقي!

- وعلى جانب آخر، فإن ما يراود من وراء توظيف الظاهرة الإسلامية
لخدمة أغراض المشروع الغربي: هو التخفيف من حدة الاحتقان الديني
الغربي والإحباطات المتوالية نتيجة قلق التوافر الكنسي على منظومة دينية
تتيح لهذا المجتمع قدرًا معتبرًا من السعادة ولو إلى حين،! إذ إن بروز الإسلام
كخيار إنساني في ظل هذا الزخم المعلوماتي الذي لا تلبث الأوهام أمام
مكاشفاته أن تتبدد فتجلبو الحقائق، ويعلو الحق وينبلج فجر الهداية الإسلامية
على العالم الغربي ليس في مجرد الحياة الدنيا فحسب، بل في مجال تقنيات
القيم- قيم الحياة والحضارة في ظلال إيمان يؤمن حياة طيبة وأخرة مأمونة من
الخسائر...! كل ذلك يعرض دين الكنيسة- وليس دين المسيح عليه السلام-
للضياح الذاتي وتبدد سلطان الكهنوت الغربي..!

أسباب ومبررات الإسلام فوبيا

هذا، وتندرج ظاهرة «الإسلام فوبيا» بدافع حزمة من العوامل
والأسباب والمقومات، التي يستند بعضها إلى حقائق وأدلة وقائع ..

وَبَعْضُهَا الْآخِرِ إِلَى أَوْهَامٍ وَالتَّبَاسُاتِ وَجَهَالَاتٍ ... وَبَعْضُهَا إِلَى سُبُهَاتٍ
 وَأَحْقَادٍ وَمُفْتَرَيَاتٍ...!! وَلَكِنْ فِي كُلِّ حَالٍ يَبْدُو أَنَّ « الظَّاهِرَةَ الَّتِي لَعِبَتْ
 الدَّوْرَ الأَكْبَرَ فِي تَحْدِيدِ طَبِيعَةِ النَّظَرَةِ الأُورُوبِيَّةِ إِلَى الشَّرْقِ : هِيَ التَّمَرُّكُزُ
 حَوْلَ الذَّاتِ. وَهِيَ صِفَةٌ طَبِيعِيَّةٌ فِي الأُورُوبِيِّينَ، كَانَتْ مَوْجُودَةً دَائِمًا،
 وَلَكِنَّهَا اتَّخَذَتْ الآنَ فِي ظِلِّ الإِمْرِيَالِيَّةِ الأُورُوبِيَّةِ صِبْغَةً تَتَسَمُّ بِالزُّدْرَاءِ
 الواضِحِ لِلآخِرِينَ»^(٢٢٢).

وَعَلَى آيَةٍ حَالٍ، إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَتَحَرَّى وَجْهَ الحَقِّ : فَهَذَا يُمَكِّنُ أَنْ
 نَتَوَسَّلَهُ؟ ... دَعُونَا ابْتِدَاءً نَبْحَثُ فِيهَا إِذَا كَانَ لِهَذِهِ الظَّاهِرَةِ مَا يُبَرِّرُهَا مِنْ
 النَّاحِيَةِ الأَخْلَاقِيَّةِ وَالعِلْمِيَّةِ المُجَرَّدَةِ النَّزِيهَةِ أَمْ لا..؟ هَذَا، وَقَدْ لَاحَتْ لَنَا مُجْمَلًا
 مِنْ الأَسْبَابِ المُتَعَلِّقَةِ بِظَاهِرَةِ «الإِسْلَامِ فُوبِيًا»، نَعْرِضُ لَهَا فِيهَا يَلِي:

أولاً : أسبابُ تَتَعَلَّقُ بِغَيْرِ المُسْلِمِينَ

بِالنَّسْبَةِ لِغَيْرِ المُسْلِمِينَ فِي الشَّرْقِ، يَنْبَغِي أَنْ نَتَكاشَفَ بِالحَقَائِقِ مَعَ
 رُفَقَاتِنَا مِنْ المُوَاطِنِينَ غَيْرِ المُسْلِمِينَ فِي بِلَادِ العَرَبِ وَالمُسْلِمِينَ، وَالَّذِينَ أَبْدُوا
 تَقْصِيرًا مَعِيًّا وَتَقَاعُصًا وَتَرَاحِيًا غَيْرَ مُبَرَّرٍ عَنِ مُجَرَّدِ الإِسْهَامِ فِي رَدِّ الأَعْتِبَارِ
 لِلإِسْلَامِ كَعَقِيدَةٍ وَحَضَارَةٍ وَأُمَّةٍ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَحْيُوا بِأدْفًا مِنْ أَحْضَانِهَا.. وَلا
 أَوْسَعَ مِنْ صَدْرِهَا.. وَلا أَوْرَفَ مِنْ ظِلَالِهَا...! وَلَقَدْ بَدَأَ الأَمْرُ مَرِيبًا وَعَجِيبًا
 أَنْ يَنْهَضَ بَعْضُ نَفَرٍ مِنَ المُنْصِفِينَ العَرَبِيِّينَ دِفَاعًا عَنِ الإِسْلَامِ وَرَسُولِ

(٢٢٢) محمد عمارة- الإسلام في عيون غربية: بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء- دار
 الشروق- القاهرة- ٢٠٠٥م- ص ٦٤، ٦٥.

الإسلام، بَيْنَمَا نَصَارَى الْعَرَبِ لَمْ يُحْرَكُوا سَاكِنًا سَوَاءً فِي مُعَانَاةِ « الْإِسْلَامِ فُوبِيَا» أَوْ فِي سِيَاقِ الرُّسُومِ الْمُشَيِّئَةِ وَالْمُسَيِّئَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَوْ تَصْرِيحَاتِ بَابَا الْفَاتِيكَان... وَكَأَنَّ هَذَا النَّبِيَّ لَمْ يُوصِ بِهِمْ وَكَأَنَّ الْإِسْلَامَ لَمْ يَرَعَهُمْ وَيَعْتَنِي بِهِمْ وَيَوْفُرُ هُمْ أَسْبَابَ الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ هُمْ وَالْمُسْلِمِينَ سَوَاءً بِسَوَاءٍ... وَكَأَنَّمَا صَادَفَتْ الْأَحْدَاثُ وَالْمَوَاقِفُ هَوَى لَدَيْهِمْ!!...

فَلَوْ كَانَ الْإِسْلَامُ مُخَيَّفًا بِحَقِّ مَا بَقِيَ لغيرِ الْمُسْلِمِينَ مُنْذُ قَدِيمٍ فِي الشَّرْقِ مِنْ عَرِقٍ يَنْبُضُ بِالْحَيَاةِ! وَلِذَلِكَ فَنَحْنُ نُحْمَلُ الْمَوَاطِنِينَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي الْعَالَمِينَ الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ جُزْءًا مِنْ مَسْئُولِيَّةِ انْتِشَارِ ظَاهِرَةِ «الْإِسْلَامُ فُوبِيَا» فِي الْعَرَبِ بِهَذِهِ الصُّورَةِ الْفَجَّةِ! لِمَا لَدَيْهِمْ مِنَ الْإِمْكَانِيَّاتِ الْمَادِّيَّةِ وَالْمَكَانِيَّةِ الْأَدْبِيَّةِ لِفِعْلِ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ التَّدْلِيلُ عَلَى رَدِّ الْجَمِيلِ...! فَهَذَا رَأَوْا مِنَ الْإِسْلَامِ كَيْ يَلْفَى مِنْهُمْ هَذَا الْجُحُودَ وَالتَّنْكَرَ وَالْحُذْلَانَ...!!؟

أَمَّا غَيْرُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعَرَبِ؛ فَعَلَى الرَّغْمِ مِنَ الثَّوْرَةِ الْمَعْلُومَاتِيَّةِ الَّتِي بَلَغَتْ بِالْمُجْتَمَعَاتِ الْعَرَبِيَّةِ حَدَّ الْأَمْتِلَاءِ وَالتَّحْمَةِ الْمَعْرِفِيَّةِ.. بَيِّدَ أَنْ كَثِيرًا مِنَ الْعَرَبِيِّينَ تَبْدُو عَلَيْهِمْ أَعْرَاضُ جَهْلٍ مُثِيرٍ لِلْقَلْقِ بِالْإِسْلَامِ كَعَقِيدَةٍ وَمَنْهَجِ حَيَاةٍ وَحَضَارَةٍ...! وَالْمَثَلُ السَّائِرُ يَقُولُ: «الْمَرْءُ عَدُوٌّ مَا يَجْهَلُ»!.

لَكِنَّ الْعَرَبِ فِي الْأَمْرِ، أَنَّ هُنَاكَ فِي الْعَرَبِ حَالَةٌ مِنَ الْجَهْلِ الْإِرَادِيِّ بِالْإِسْلَامِ، هَذِهِ الْحَالَةُ يَصِفُهَا الْبَعْضُ بِقَوْلِهِ إِنَّ أَهْلَ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ فِي الْعَرَبِ «لَا يُرِيدُونَ أَنْ يَعْرِفُوا شَيْئًا عَنْ مُتَّهَمِيهِمْ، يُرِيدُونَ أَنْ يَكُونَ الْعُنْفُ

الانحاري والتعسفي وصمة دين بكامله وقوم بكاملهم منذ كانوا إلى أن صاروا وإلى الأبد»^(٣٣).

وكذلك، الرؤيَّة المربَّبة للغرب نجاه الحالات الإسلاميَّة في شرق أوروبا، قد كشفت عن أبعاد التدخُّل العسكري الغربي، الذي انشَدَ بدافع التعصُّب المشوب بالخوف من وهم ميلاد كيانٍ أصوليٍّ جديدٍ أشدَّ خطراً والتصاقاً بأوروبا من ذلك الكائن هنالك في البلدان العربيَّة والإسلاميَّة..! إنَّ الغربَ ينظرُ إلى الحالة البوسنيَّة وما شابهها على أنَّها طابورٌ خامسٌ للعالم الإسلاميِّ في قلبِ أوروبا..!!

والحقيقة، أنَّ ثمةَ حساسيَّة دينيَّة غربيَّة مبنيَّة على أوهم وافتراضاتٍ غيرِ واقعيَّة.. وسوء ظنٍّ مُفرطٍ يفتقرُ إلى البراهين النظرية والدلائل العمليَّة...؟! فقد ارتفعت نسبة من ينظرون للإسلام نظرة عامَّة سلبية في أواخر عام ٢٠٠٢م وخلال عام ٢٠٠٣م، لتصل إلى ٣٨ ٪، كما شهدت نسبة الأمريكيين - الذين يرون أنَّ الإسلام يُشجِّع العنف - ازدياداً مُضطرباً منذ أحداث أيلول، إذ بلغت ٣٤ ٪ في سبتمبر ٢٠٠٣ مقارنةً بنسبة ٢٣ ٪ في أكتوبر ٢٠٠٢م وبنسبة ١٤ ٪ فقط في يناير ٢٠٠٢م، بمعنى أنَّها زادت بمعدَّل ٩-١٠ ٪ تقريباً كلَّ عام^(٣٤).

(٢٢٣) نقلاً عن: عباس بيضون - الإرهاب بلا وجه لكن العنصرية تخفي وجهها - مقال بجريدة السفير اللبنانية - ٢١ أيلول - سبتمبر ٢٠٠١.

(٢٢٤) تقرير عن استطلاعات رأي الشعب الأمريكي تُجاه الإسلام والمسلمين - كبير وُقُد اعتمد التقرير الراهن على إحصاءات الرأي التي وفرها مركز «بول ريبورت» المعني بتتبع توجهات الرأي العام الأمريكي. نقلاً عن: www.pollingreport.com.

وَلَعَلَّ هَذِهِ الانطباعَاتِ الْمَبْنِيَّةَ عَلَى الْجَهْلِ وَقَلَّةِ الدَّرَايَةِ - وَالَّتِي لَا يُعَدَّرُ أَصْحَابُهَا بِهَا، وَلَا سِيَّما فِي سِياقِ ذَلِكَ الرَّحْمِ الْمَعْلُومَاتِي الْمَاهِلِ الَّذِي يَشْهَدُهُ الْعَالَمُ الْعَرَبِيُّ بِصِفَةٍ خَاصَّةٍ - هِيَ نَتِيجَةُ الْعَالَمَانِيَّةِ الصَّفْرَاءِ وَالْوَعْظِ الْكَنَسِيَّ الْأَصْفَرِ... بَلْ نَتِيجَةُ الثَّقَافَةِ الصَّفْرَاءِ الَّتِي تُسَوِّدُ بِهَا صَفْحَاتِ الْعَدِيدِ مِنَ الصُّحُفِ وَالِدَوْرِيَّاتِ الْعَرَبِيَّةِ... وَالَّتِي تُمَثِّلُ أَهَمَّ أَسْبَابِ التَّوَجُّسِ وَالْحَسَاسِيَّةِ تُجَاهَ كُلِّ مَا يَمُتُّ إِلَى الْإِسْلَامِ بِصِلَةٍ - بِهَا فِي ذَلِكَ مَوْجَاتِ الْهَجْرَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ إِلَى أُرُوبًا وَالْعَرَبِ بِصِفَةٍ عَامَّةٍ؛ فَالشَّابُّ الَّذِي يُقْبَلُ عَلَى الْغَرْبِ وَهُوَ يَطْوِي بَيْنَ جَوَانِحِهِ فَضْلاً عَنْ أَحْلَامِ الْحَرْيَةِ وَطُمُوحَاتِ الثَّرْوَةِ وَرَفَعِ الْمُسْتَوَى الْاجْتِمَاعِيِّ: الْعَقِيدَةُ وَالْقِيَمَ وَالْتَقَالِيدَ الْإِسْلَامِيَّةَ أَيْضًا...! تِلْكَ الْحِزْمَةُ الْأَخِيرَةُ الَّتِي تَعْتَبَرُهَا كَثِيرٌ مِنَ الدَّوَائِرِ الْعَرَبِيَّةِ أَحَدَ أَهَمِّ مَصَادِرِ الْخَطَرِ عَلَى الْقِيَمِ وَالِدِّيْمُوقْرَاطِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَذَلِكَ بِتَقْدِيرِ احْتِمَالَاتِ الْمَدِّ الْأُصُولِيِّ نَحْوَ الْعَرَبِ، وَلَا سِيَّما أَنَّ ثَمَّةَ نَشَاطٍ مَلْحُوظًا فِي حَرَكَةِ التَّسَرُّبِ الْحَضَارِيِّ فِي الْمُوَسَّسَةِ الْعَرَبِيَّةِ تَشْهَدُ نَمُوًّا مُضْطَرِّدًا لِصَالِحِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، حَيْثُ تُقَدَّرُ بَعْضُ الدَّوَائِرِ.. أَنَّ فِي أَمْرِيكََا وَحَدَّهَا يُشْهَرُ حَوَالِي خَمْسِينَ أَلْفَ شَخْصٍ إِسْلَامُهُمْ كُلُّ عَامٍ!.

وَلَأَنَّ السَّوَادَ الْأَعْظَمَ مِنَ الشُّعُوبِ الْعَرَبِيَّةِ تَفْتَقِرُ لِمَعْرِفَةِ الْحَدِّ الْأَدْنَى مِنَ الطَّبِيعَةِ النَّفْسِيَّةِ وَالْتَرَكِيبِيَّةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ التَّقْلِيدِيَّةِ لِلْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ، الَّذِينَ أَصْبَحُوا بِحُكْمِ الْوَاقِعِ مُوَاطِنِينَ عَرَبِيِّينَ،! بَلْ وَتُعَانِي مِنْ نَقْصٍ وَتَشَوُّهِ فِي مَعَارِفِهَا بِعَادَاتِنَا وَتَقَالِيدِنَا وَقِيَمَاتِنَا وَمُورُوثِنَا الثَّقَافِيِّ وَخُصُوصِيَّاتِنَا الْعَقْدِيَّةِ وَالْحَضَارِيَّةِ... فَإِنَّا بِالتَّالِي نَبْدُو أَمَامَهُمْ أَنَا سَا مُسْتَغْلَقِينَ غَامِضِينَ...؟ ثُمَّ أَنَّهُ

بَدَلًا مِنْ أَنْ يَكُونَ السُّلُوكُ الْعَرَبِيُّ إِزَاءً سَدَّ هَذِهِ الْفَجْوَةَ الْمَعْرِفِيَّةَ الْعَرَبِيَّةَ هُوَ الْإِقْتِرَابَ وَالْقِرَاءَةَ الْوَاعِيَةَ الرَّاشِدَةَ الْفَاهِمَةَ... لِحَظْنَا مَزِيدًا مِنَ الْقِرَاءَاتِ السَّطْحِيَّةِ الْخَاطِئَةِ... وَزِيَادَةً فِي غَرِيزَةِ الْفُضُولِ، لِدَرَجَةٍ تَصِلُ إِلَى حَدِّ تَطَرُّفِ الرِّغْبَةِ فِي مَعْرِفَةِ مَا يَدُورُ خَلْفَ وَدَاخِلِ كَوَالَيْسِ هَوْلَاءِ الْعَرَبِ - خَلْفَ الْحِجَابِ تَحْدِيثِيًّا... بَلْ تَنَامَتْ هَذِهِ الرَّغْبَةُ وَتَطَوَّرَتْ وَتَزَامَنْتْ مَعَ إِخْفَاقِ الْإِنْسَانِ الْعَرَبِيِّ فِي قُدْرَتِهِ عَلَى مَعْرِفَةِ مَا يَبْدُو لَهُ مَجْهُولًا.. كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَبَبًا فِي جَعْلِ الْإِنْسَانِ الْعَرَبِيِّ أَرْضًا شَدِيدَةَ الْخُصُوبَةِ لِغَرْسِ بَدْوِ الْخَوْفِ فِي نَفْسِهِ!

وَهَكَذَا يَتَطَوَّرُ الْخَوْفُ لِيَبْنِيَ سُدُودًا مِنْ مَشَاعِرِ الْحَذَرِ، الَّتِي سَرَعَانَ مَا تَتَحَوَّلُ إِلَى حَالَةٍ مَرَضِيَّةٍ، تَلِكُ الَّتِي تُوصَفُ بِـ«عَرَبِ فُويَا» أَوْ «إِسْلَامِ فُويَا»^(٢٢٥). وَهَذَا مِمَّا يَحْمِلُنَا جُزْءًا مِنْ مَسْئُولِيَّةِ «الْإِسْلَامِ فُويَا»!

وَلَعَلَّ حَالَةَ الْأُمِّيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْحَضَارِيَّةِ الَّتِي تَتَغَشَّى الْعَقْلِيَّةَ الْعَرَبِيَّةَ، وَفِي أَمْرِيكَ بِالذَّاتِ، عَنْ عَالِمِنَا الشَّرْقِيِّ : هِيَ الَّتِي تَجْعَلُنَا أَكْثَرَ خَوْفًا وَتَرْقُبًا وَقَلَقًا عَلَى مُسْتَقْبَلِ الْعِلَاقَاتِ الْمُلْتَهَبَةِ بَيْنَ الْحَضَارَاتِ وَبَعْضِهَا الْبَعْضِ، وَلَا سِيَّمَا حِينَ تُوشِكُ مَقُولَةٌ : إِنَّ فِتْنَةً قَلِيلَةً هِيَ الَّتِي تَتَحَكَّمُ فِي مُقَدَّرَاتِ الْأُمُورِ، وَفِي تَقْرِيرِ الْمَصِيرِ السِّيَاسِيِّ وَالْعَسْكَرِيِّ لِلْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ؛ فَالْحَقِيقَةُ أَنَّ لَا نُرِيدُ أَنْ نُصَدِّقَ مَا يُقَالُ حَوْلَ مَا يَكْتَنِفُ الْحَيَاةَ الْعَامَّةَ دَاخِلَ الْمُجْتَمَعِ الْأَمْرِيكِيِّ مِنْ أُنَانِيَّةٍ مُفْرِطَةٍ.. قَدْ جَعَلَتْ رَجُلَ الشَّارِعِ الْعَامِّ لَا يَهْتَمُّ إِلَّا بِذَاتِهِ

(٢٢٥) سعيد السُّبُكِي - جريدة الوطن السعودية - العدد (٥٢٥) السنة الثانية - الجمعة ٢٤ ذي

الحِجَّة ١٤٢٢هـ الموافق ٨ مارس ٢٠٠٢م.

وَسَهْوَاتِهِ... فَإِنَّ هَذَا كُلَّهُ مَا يُؤَرِّقُ كُلَّ رَاغِبٍ فِي حَيَاةٍ كَرِيمَةٍ لِهَذَا الْعَالَمِ بَعِيدًا
عَنْ دَائِرَةِ التَّأثيرِ الدَّعَائِيِّ المُخِيفِ الَّذِي تُرَكِّزُ عَلَيْهِ الصَّهْيُونِيَّةُ العَرَبِيَّةُ.
وَعَلَى جَانِبٍ آخَرَ، تُحْمَلُ الكَاتِبَةُ البَرِيطَانِيَّةُ « مادلين بانتينغ » مَسْؤُولِيَّةَ
الخُرُوجِ مِنْ دَائِرَةِ نَجَاهِلِ الإِسْلَامِ عَلَى عَاتِقِ أَوْلَيْكَ الَّذِيْنَ يَصُوغُونَ النِّقَاشَ
حَوْلَهُ فِي هَذِهِ البِلَادِ، كَمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْمَلُوا عَلَى تَعْمِيقِ المَعْرِفَةِ بِهَذَا الدِّينِ
وَنِضَالِهِ لِتَطْوِيرِ نَفْسِهِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى مُحَاوَلَةِ نَجْنِبِ التَّشْوِيهِ الَّذِي لِحَقِّهِ فِي
وَسَائِلِ الإِعْلَامِ»^(٢٢٢).

ثَانِيًا : أسباب تتعلق بأصحاب التَّوَجُّهَاتِ العَالَمَانِيَّةِ

فِي الحَقِيقَةِ، هُنَاكَ رَحْمٌ عَالِمَانِيٌّ فِي بِلَدَانِنَا... مَعْنِيٌّ بِتَسْخِيرِ قُوَانَا العَقْلِيَّةِ
وَطَاقَاتِنَا الإِبْدَاعِيَّةِ فِي مَجَالَاتٍ بَعِيدَةٍ تَمَامًا عَنِ المِيدَانِ الحَقِيقِيِّ لِلتَّحَدِّيِ
الحَضَارِيِّ، الَّذِي نَتَعَرَّفُ مِنْ خِلَالِهِ عَلَى حَقِيقَةِ حَاجَاتِنَا الحَضَارِيَّةِ فِي مُحْتَلَفِ
وُجُوهِ الحَيَاةِ؛ بَلْ إِنَّ أَصْحَابَ التَّوَجُّهَاتِ العَالَمَانِيَّةِ لَا يَرَوْنَ خَيْرًا لَنَا : سِوَى
أَنْ نُكْرَّرَ نَحْنُ العَرَبَ وَنُحَاكِيهِ بِغَيْرِ سَبَبٍ وَوَسِيلَةٍ...! مَعَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ
بِالتَّنْوِيرِ وَالإِبْدَاعِ وَالمُجَارَبُونَ المُحَاكَاةَ وَالتَّقْلِيدَ عَلَى مَسْرَحِنَا الحَضَارِيِّ
الإِسْلَامِيِّ، فَإِذَا مَا اعْتَرَضَهُمْ أَحَدٌ بِمُدَاخَلَةٍ ضَافُوا زَرْعًا، وَكَالُوا لَهُ مَا يَكْفُلُ

(٢٢٢) الكَلَامُ لِلكَاتِبَةِ فِي صَحِيفَةِ الغَارِدِيَانِ البَرِيطَانِيَّةِ « مادلين بانتينغ » بِمَقَالِهَا « قَضِيَّةُ
الإِسْلَامِ فَوْبِيَا أَوْ الخَوْفِ مِنَ الإِسْلَامِ فِي بَرِيطَانِيَا ». فِي مَعْرِضِ اسْتِهْجَانِهَا لِلهُجُومِ
العَيْبِ الَّذِي شَنَّهُ « وِيل كَامِينِس » عَلَى الإِسْلَامِ فِي صَحِيفَةِ « الدِّبْلِي تِيلِيغِرَاف » - قَنَاءُ
العَرَبِيَّةِ الفَضَائِيَّةِ - حَلْفَةٌ مِنْ بَرْنَامَجِ « السُّلْطَةُ الرَّابِعَةُ » - الثَّلَاثَاءُ ٧ سَبْتَمَبْرِ ٢٠٠٤م،
٢٢ رَجَبِ ١٤٢٥ هـ.

رَدَعَهُ وَرَجَرَهُ بِنِعْوَتِ التَّطَرُّفِ وَالْإِزْهَابِ...! وَالْوَاقِعُ فِي الْعَرَبِ ، أَنْ «هُنَاكَ
بَرَجَمَاتِيَّةٌ عَالَمَانِيَّةٌ تَتَجَاوَزُ الْإِسْلَامَ بِكَثِيرٍ، وَرُبَّمَا هَذَا شَيْءٌ مُتَعَمَّدٌ لِإِسْهَابِ فِي
حَدِيثِ تَزْيِثَةِ الْإِسْلَامِ مِنَ الْإِزْهَابِ» بِقَصْدٍ وَضَعِهِ فِي دَائِرَةِ الْاِتِّهَامَاتِ!،
فَيَنْقَى التَّحْرِيفُ عَلَى الْإِرْهَابِ مُرْتَبِطًا بِالتَّحْرِيفِ عَلَى الْإِسْلَامِ لِإِبْقَاءِ
الصُّورَةِ فِي اللَّاؤُوعِي الْعَرَبِيِّ كَمَا هِيَ، بَلْ لِتَكْشِيفِهَا وَتَضْيِيقِهَا حَتَّى لَا تُتَّاحَ
لِلْعَقْلِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ النَّزِيهَةِ أَيُّ مُنَاسَبَةٍ لِتَمَارَسِ فِيهَا أَرْجِحَتِهَا الَّتِي قَدْ تُتَّبَعُ لَهَا
اسْتِجْلَاءَ حَقَائِقِ الْأُمُورِ وَبَيِّنَاتِ الْمَوَاقِفِ وَالْأَحْدَاثِ...!!

وَلَقَدْ أَدَّى الْعُلُوُّ الْعَالَمَانِيُّ الْمُسْتَفْزُؤُ إِلَى رَدِّ فِعْلِ إِسْلَامِيٍّ مُضَادٍّ لَهُ فِي
الْاِتِّجَاهِ، وَلَكِنَّ الْمُلَاحَظَةَ أَنَّ صَوْتَ الْإِسْلَامِيِّينَ يَبْدُو مُنْفَعِلًا وَمُتَشَنِّجًا بِحُكْمِ
الصَّغْطِ الْعَالَمَانِيِّ السُّلْطَوِيِّ عَلَيْهِ فِي غَالِبِيَّةِ بِلْدَانِنَا الْعَرَبِيَّةِ وَالْمُسْلِمَةِ. حَيْثُ
تَعَمَّدَ وَسَائِلَ الْإِعْلَامِ إِلَى تَسْلِيْطِ الْأَضْوَاءِ عَلَى الظَّاهِرَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِاعْتِبَارِهَا
القُوَى الْأَرْضِيَّةِ الْوَحِيدَةِ الْمُعَادِيَّةِ لِلْحِدَاثَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْعَالَمَانِيَّةِ... وَالْعَامِلَةُ فِي
كُلِّ اتِّجَاهٍ مُضَادٌّ لِلْمَصَالِحِ الْعَرَبِيَّةِ!

وَعَلَى جَانِبٍ آخَرَ، نَجِدُ أَنَّ حَالَةَ الْاِسْتِبْدَادِ السِّيَاسِيِّ الْعَالَمَانِيِّ فِي بَعْضِ
بِلْدَانِ عَالَمِنَا الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ... قَدْ حَدَثَ بِكَثِيرٍ مِنْ أَصْحَابِ الْأَصْوَاتِ
الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُحْتَقِقَةِ فِي بِلَادِهَا.. وَالنَّاشِطِينَ فِي مَجَالِ الْعَمَلِ الْأَهْلِيِّ إِلَى الْهِجْرَةِ
وَطَلَبِ حَقِّ اللُّجُوءِ السِّيَاسِيِّ إِلَى الدَّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ... وَهَؤُلَاءِ رُبَّمَا عَلَبَ الْاِنْفِعَالَ
وَالْتَشَنُّجَ عَلَى خِطَابِ بَعْضِهِمْ تَحْتَ صَّغْطِ الْمُلَاحَقَاتِ الْأُمْنِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الْعَالَمَانِيَّةِ.. مِمَّا يُعْطِي انْطِبَاعًا غَيْرَ مُرِيحٍ عَمَّا يَمْتُّ إِلَى الْإِسْلَامِ بِصِلَةٍ!، وَلَا سِيَّمَا

إذا كان الخطاب الإعلامي الغربي حريصاً على ربط ذلك الخطاب الانفعالي دائماً بالإسلام كعقيدة وحضارة!

وعلى جانب آخر، نجد أنه على الرغم من اختلاف حيثيات الحكم على الآخر، فإن الذائرة الغربية ما زالت تحمل عن الإسلام والمسلمين انطباعات خاطئة وأفكاراً مشوهة وسلبية...! ولكن بالبحث في الأسباب الموضوعية لذلك، نجد إلى جانب كم من المطروحات الغربية المغلوطة تارة والمغالطة تارة أخرى... فإن هناك من الدراسات الإسلامية التي تقع في فخ من الأخطاء المنهجية، المتمثل بعضها في تعليل «الإسلام فورياً» استناداً إلى ذكريات الحروب الصليبية... وكاننا نحن الذين قمنا بشنّها على الغرب!

ففي فرنسا، مثلاً، نجد كثيراً من المثقفين من أصل عربي، والذين ينحدرون من أصل جزائريّ بخاصة - يساهمون في أذكاء فتنة «الإسلام فورياً»، وذلك من خلال ممارسة التدليس والدجالة الإيديولوجية، ويقومون بدور «العرافين» في حياة الفرنسيين الولعين بسماع أساطير «الإسلام فورياً»!.. وذلك من خلال محاولة إقناعهم « بأن ما جرى في الجزائر حبة التسعينيات يوشك أن يحدث في فرنسا، من إرهاب ومجازر واغتيال للمثقفين العالميين..!

ولقد بدا تأثير مثل هذه المقولات العالمية الشرقية في الغرب بشكل مثير للقلق!.. يقول أحد العلماء الفرنسيين: إن « الخوف من الإسلام السياسي هو الذي يؤدي إلى وصم فئة من المسلمين.. والفتيات المحجبات بفرنسا كآتهن

يُمَثِّلْنَ تَهْدِيدًا حَقِيقًا لانسجامنا الاجتماعي. إِنَّ هُنَاكَ « مُسْلِمِينَ يُسَهِّلُونَ الإسلام فويبا» أَكْثَرَ مِنْ « مُسْلِمِينَ إِسْلَامُوفِيِّينَ ». ! إِذْ إِنَّ هُنَاكَ آرَاءَ قَوِيَّةً تَقُولُ بِأَنَّ « بَعْضَ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ وَالإِسْلَامِيَّةِ المَعْرُوفَةِ بِعَالَمَانِيَّتِهَا المُنْتَرَفَةِ تُطَالِبُ بَعْضَ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ مِثْلَ فِرْنَسَا بِأَهْمِيَّةِ إِعْلَانِ مَنَعِ المَظَاهِرِ الإِسْلَامِيَّةِ لِلْمُسْلِمِينَ وَمِنْهَا حِجَابُ المُسْلِمَاتِ»^(٢٢٧). وَبِنَاءٍ عَلَى ذَلِكَ، لَا نَجِدُ بَعْضَ النُّخَبِ الفِرْنَسِيَّةِ ذَاتِ «الثقافة المسلمة» أَيَّ حَرَجٍ فِي بِنَاءِ سِيرَةِ سِيَاسِيَّةٍ أَوْ إِعْلَامِيَّةٍ، عَنَ طَرِيقِ تَرْوِيجِ صُورَةٍ مَهِينَةٍ لِلإِسْلَامِ فِي فِرْنَسَا، وَعَنَ طَرِيقِ التَّهْوِيلِ مِنْ خَطَرِ الأَصُولِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَاعْتِبَارِهِ التَّهْدِيدَ الأَكْبَرَ لِلوَطَنِيَّةِ»^(٢٢٨). ثُمَّ إِنَّ قِيَامَ بَعْضِ المُتَّفِقِينَ

(٢٢٧) نقلًا عَنَ: مَجَلَّةُ البَيَانِ اللُدُنِيَّةِ - العدد ١٩٦ - ذُو الحِجَّةِ ١٤٢٤هـ / يَنَايِر - فَبْرَايِر ٢٠٠٤م.

(٢٢٨) الكلام لعالم الاجتماع الفرنسي «فانسن جيسير»، في حوار أجرتها معه صحيفة التجديد المغربية - ٢٢ - ١ - ٢٠٠٤م. ويعلق «جيسير» على الظاهرة العالمية الطنانة بهذا الكلام الفارغ، بقوله: «إننا في وضعية استعمارية جديدة، حيثُ تقوم نخب من بعض الأهالي بالتعاون مع السلطات الاستعمارية، بإدانة ما يزعمونهُ: «الخطر الوطني المسلم. ففرنسا لم تنس بعد الحالة التاريخية لظاهرة «الأهالي»، وتُحِبُّ أَنْ تَشَاهِدَ «عَرَبَهَا» يَشُوهُونَ سَمْعَةَ العَرَبِ الأَخْرِينِ، وَيَقْضُونَ أَوْقَاتَهُمْ فِي الحَدِيثِ عَمَّا يُسَمَّى «التهديد الإسلامي». وَفِي تَقْدِيرِي، هَذِهِ النُّخَبُ العَرَبِيَّةُ «المسهلون للإسلام فويبا» هم مخلوقات تهفو إلى ترقية سياسية واجتماعية. وهي لا تمثل سوى نفسها فقط. وَفِي هَذَا الصِّدِّ، يَحَاوِلُ بَعْضُ = الصِّحَافِيَّينَ الجَزَائِرِيِّينَ اللَّاخْتِيَّينَ إِلَى فِرْنَسَا الحِصُولَ عَلَى حَيَاةٍ مَهِينَةٍ مُتَخَذِينَ مِنْ فِرَاغَةِ التَّهْدِيدِ الإِسْلَامِيِّ رَأْسَ مَالِهِمْ وَأَسَاسَ تِجَارَتِهِمْ. فَهَمَّ يَصْدُرُونَ فِي تَصَرُّفَاتِهِمْ عَنِ انْتِهَازِيَّةٍ وَلَيْسَ عَنِ اقْتِنَاعٍ رَاسِخٍ». وَالوَاضِحُ مِنْ سِيَاقِ الكَلَامِ أَنَّهُ حِينَ يَتَحَدَّثُ عَنِ أَلْتِكِ الدِّجَالِيْنَ، فَإِنَّمَا يَنْعَتُهُمْ بِالمُسْلِمِينَ أَوْ يُنْخَبُ فِرْنَسِيَّةً مِنْ أَصْلِ عَرَبِيٍّ وَذَاتِ ثِقَافَةٍ مُسْلِمَةٍ، عَلَى سَبِيلِ التَّعْجُّبِ مِنْهُمْ، وَلَيْسَ عَلَى وَجْهِ التَّحْقِيقِ، وَإِنْ صَحَّتْ تَسْمِيَتُهُمْ، فَهَمَّ طَابُورُ خَامِسٌ مَنْسُوبٌ لِلإِسْلَامِ، وَوَكَلَاءٌ لِخِصُومِهِ يَتَعَيَّشُونَ بِلَمُزِهِ وَالهجوم الخبيث على أهله!

وَالصُّحَافِيِّنَ الْعَرَبِ بِإِذْكَاءِ فِتْنَةِ هَذَا «الإِسْلَامِ فُوبِيًا» بِقَصْدٍ أَوْ بِدُونِ قَصْدٍ، وَذَلِكَ حِينَ تَحَدِّثُهُمْ عَنِ الإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ بِقَسْوَةٍ وَعُنفٍ وَبِدُونِ دِقَّةٍ أَوْ تَحَرُّرٍ لِلْأَمَانَةِ وَالْمَصْدَاقِيَّةِ^(٢٢٩). إِنَّمَا يَسْهَمُ بِشَكْلِ أَوْ بِأَخْرَافٍ فِي تَفَاقُمِ مُشْكَلَةِ هَذِهِ «الْفُوبِيَا»!

فَهَلْ مِنَ الْأَمَانَةِ وَالْوَفَاءِ، بَلْ هَلْ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ تَحْدُوَ الْحُصُومَةَ مَعَ أَصْحَابِ الْمِيُولِ الإِسْلَامِيَّةِ بِالتَّيَارَاتِ الْعَالَمَانِيَّةِ إِلَى تَكْرِيسِ هَذَا الْخُوفِ الْعَرَبِيِّ الْمُؤَسَّفِ لَيْسَ مِنَ الإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَحَسْبُ، بَلْ وَتَخْوِيفِ عَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ مِمَّا أَسْمَوْهُ بِتَيَّارِ الإِسْلَامِ السِّيَاسِيِّ..!! وَمِمَّا هُوَ شَائِعٌ فِي الْأَوْسَاطِ الْمُعَادِيَةِ لِلْإِسْلَامِيِّينَ - إِنْ لَمْ تَكُنْ مُعَادِيَةً لِلْإِسْلَامِ ذَاتِهِ، سَوَاءً أَكَانَ ذَلِكَ دَاخِلَ الْعَالَمِ الإِسْلَامِيِّ أَمْ خَارِجَهُ - : « إِيْقَاءُ تَهْمَةِ الْعَدَاءِ لِلدِّيْمُقْرَاطِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ عَلَى الإِسْلَامِيِّينَ بِصِفَةِ عَامَّةٍ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ دُخُولِهِمْ طَرَفًا فِي الْمُنْتَظَمِ السِّيَاسِيِّ الْقَانُونِيِّ، إِنْ فِي مَوْجِعِ السُّلْطَةِ أَوْ الْمَعَارِضَةِ^(٢٣٠). وَهُوَ اتِّهَامٌ خَطِيرٌ، لِمَا يَحْمِلُهُ مِنْ رِسَالَةٍ تَحْرِيزِيَّةِ اسْتِعْدَائِيَّةِ وَتَرْهِيْبِيَّةِ شَدِيدَةٍ سِوَاءً لِلْحُكُومَاتِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْوَكَالَةِ.. أَوْ لِلْعَرَبِ ذَاتِهِ.!

(٢٢٩) سعيد بن سعيد العلوي - مستقبل الإسلام في ضوء التحديات المعاصرة - من مُحَاضِرَةٍ أَلْقَاهَا بِالْمَرْكَزِ الْعَالَمِيِّ لِدِرَاسَاتِ وَأَبْحَاثِ الْكِتَابِ الْأَخْضَرِ - يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ ١٣ / ١٠ / ٢٠٠٤م - بِتَصَرُّفٍ.

(٢٣٠) راشد الغنوشي - الإسلاميون هم أبرز المنادين بالديمقراطية - جريدة الشرق الأوسط - السعديَّة - الاثني ١٧ / ١١ / ٢٠٠٣م.

ثالثاً : أسباب عامة

(١) يَنْظُرُ الْغَرْبُ إِلَى الْحَرَكَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى أَنَّهَا عَدُوُّهُ التَّقْلِيدِيّ...؟ رَبِّمَا ذَلِكَ لِكُونِهَا مُجَسَّدُ الْعَلَاقَةِ الْحَيَّةِ بَيْنَ الْمُوَاطِنِ الْمُسْلِمِ وَبَيْنَ قِيَمِهِ وَمَبَادِيئِهِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْأَصِيلَةِ!! وَمِنْ ثَمَّ فِدَوَاتِرُ الْإِعْلَامِ الْغَرْبِيِّ حَرِيصَةٌ عَلَى صَبِّ الْحَالَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْقَالِبِ الَّذِي يُوْحِي بِأَنَّهُ لَا فَرْقَ مُطْلَقًا بَيْنَ مَا نَرَاهُ مِمَّا يُوصَفُونَ بِهِ «الْمُتَطَرِّفِينَ» أَوْ «الْإِزْهَابِيِّينَ الْإِسْلَامِيِّينَ» أَوْ «الْإِسْلَامِيِّينَ الْجِهَادِيِّينَ» وَبَيْنَ الشُّعُوبِ الْمُسْلِمَةِ، وَاخْتِزَالِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ فِي سُلوِكِ قَلْبَةٍ مُعَالِيَّةٍ لَا تُذَكَّرُ فِي سِيَاقِ الْوَسْطِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي يَنْصُوي تَحْتَهَا الْمُسْلِمُونَ عَلَى مَخْتَلَفِ تَيَارَاتِهِمُ الرَّسْمِيَّةِ وَالْأَهْلِيَّةِ سِوَاءٍ بِسِوَاءٍ.

(٢) وَالْحَقِيقَةُ، أَنَّ هُنَاكَ أَوْضَاعًا ثَقَافِيَّةً مُشَوَّهَةً عَنِ الْإِسْلَامِ وَشَعَائِرَهُ بِصُورَةٍ تَنْمُّ عَنْ إِصْرَارٍ عَلَى تَكْوِينِ انْطِبَاعَاتٍ خَاطِئَةٍ مُتَعَمَّدَةٍ وَمُفْتَعَلَةٍ لِتَحْقِيقِ أَهْدَافٍ سِيَاسِيَّةٍ وَمَكَاسِبَ دِينِيَّةٍ...! وَلَعَلَّ مِنْ أَبْرَزِ مَا يُكْرَسُ « الْإِسْلَامُ فُويَا » ظَاهِرَةٌ مَا يُسَمَّى بِـ « أَقْبَاطِ الْمَهْجَرِ » الَّذِينَ يُرَوِّجُونَ لِذَعَايَاتِ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ مُغْرَضَةٍ حَوْلَ اضْطِهَادِهِمْ وَمُعَانَاتِهِمْ مِنَ التَّمْيِيزِ وَالتَّضْيِيقِ عَلَى الْحُرِّيَّاتِ الدِّينِيَّةِ فِي الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ وَلَا سِيَّمَا مِصْرَ، نَاهِيكَ عَمَّا يَحْتَلِطُ بِذَلِكَ مِنْ إِفْحَامِ الْإِسْلَامِ فِي الْمَوْضُوعِ، وَأَنَّهُ سَبَبُ الْمَشْكَلاتِ وَأُسُّ الْقَلَاقِلِ وَالتَّوْثُرَاتِ... وَغَيْرِ ذَلِكَ افْتِرَاءَاتٍ تَكْشِفُهَا الْمَوَاقِفُ وَتُعَرِّبُهَا الْحَقَاقِقُ...! كُلُّ ذَلِكَ لَهُ دَوْرٌ كَبِيرٌ فِي تَشْوِيهِ صُورَةِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَتَكْوِينِ انْطِبَاعَاتٍ عَرَبِيَّةٍ غَيْرِ مُرِيحَةٍ عَنْهُمْ!...

٣) وَيَذْهَبُ مُحَلُّونَ إِلَى أَنَّ مَا انْطَبَعَ فِي أَذْهَانِ الْعَرَبِيِّينَ بِعَامَّةٍ وَالْأَمْرِيكِيِّينَ مِنْ صُورٍ غَيْرِ مُشْرَقَةٍ لِلْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ إِنَّمَا يُعَوِّدُ إِلَى عَدَمِ حُضُورِ الْعَرَبِ أَدْبِيًّا وَثَقَافِيًّا، فِي حَيَاةِ الْأَمْرِيكِيِّينَ الْمَعَاصِرِينَ..

٤) أَنَّ عَدَمَ امْتِلَاكِ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ سِوَاءٍ فِي أَوْرُوبَا وَأَمْرِيكَا أَجْهَزَةً إِعْلَامِيَّةً قَادِرَةً وَمُؤَثَّرَةً تَدْفَعُ عَنْهُمْ الشُّبُهَاتِ وَتُقَدِّدُ مَا يُلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ اتِّهَامَاتٍ وَمُفْتَرِيَّاتٍ غَرَبِيَّةٍ عَالَمَانِيَّةٍ وَدِينِيَّةٍ قَدْ جَعَلَ الصَّوْتِ الْعَرَبِيَّ وَالْإِسْلَامِيَّ خَفِيضًا مُتْرَوِيًّا حَسِيرًا لَا يُبْلَغُ بَعْضُ أَهْدَافِهِ - إِنْ بَلَغَهَا إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ!... الْأَمْرُ الَّذِي يُكْرَسُ مِنْ تَأْثِيرِ دَوَائِرِ وَأَجْهَزَةِ الْإِعْلَامِ الصَّهْيُونِيَّةِ أَوْ الصَّهْيُونِصْرَانِيَّةِ أَوْ النَّازِيَّةِ الْجَدِيدَةِ...

٥) يَبْدُو أَنَّ الصَّهْيُونِيَّةَ الْعَالَمِيَّةَ قَدْ أَفْلَحَتْ فِي تَفْخِيخِ الْعَقْلِيَّةِ الْغَرَبِيَّةِ بِالْخَوْفِ مِنَ الْآخِرِ أَيَّمَا فَلَاحٍ، وَلَا سِيَّيَا فِي سِيَاقِ الْاسْتِغْلَالِ السَّلْبِيِّ لِظَاهِرَةِ الْعَمَلِيَّاتِ الْاسْتِشْهَادِيَّةِ. وَبَدَلًا مِنْ أَنْ يُفْهَمَ الْمَغْرَى الْحَضَارِيَّ لِتِلْكَ الْعَمَلِيَّاتِ، الَّتِي يَبْدُلُ فِيهَا الْاسْتِشْهَادِيُّ نَفْسَهُ لِيَحْيَا الْآخَرُونَ حَيَاةَ حُرَّةٍ كَرِيمَةً.. وَلِلْحَدِّ مِنَ التَّعَوُّلِ الصَّهْيُونِيِّ الْغَرَبِيِّ عَلَى الْقَضِيَّةِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ.. وَكَأَنَّهَا رِسَالَةٌ رَدَعٌ لِلْآخِرِ - الْمُمْعِنِ فِي عُدْوَانِهِ وَعُغْفَوَانِهِ...! رِسَالَةٌ تَقُولُ بَأَنَّهَا لَا تُرِيدُ أَكْثَرَ مِنْ حُقُوقِنَا، فَمَهْمَا تَقَدَّمَتْ تَقْنِيَّاتُ اسْلِحَتِكُمْ... فَالْدُّنَا مَا هُوَ أَمْضَى مِنْهَا فَتَكَا وَأَشَدُّ تَأْثِيرًا...! لَعَلَّ ذَلِكَ النَّمُودَجَ الْحَضَارِيَّ الْاسْتِشْهَادِيَّ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ مَادَّةَ شَهِيَّةٍ لِآلَةِ الدَّعَايَةِ وَالتَّشْوِيهِ... حَيْثُ

يَضْحَى ذَرِيعَةً صَهْيُونِيَّةً لِتُخْوِفَ الْمُجْتَمَعَاتِ الْعَرَبِيَّةَ مِنَ النَّمُودَجِ
الإسلاميِّ، ولتُكْرِيسَ عُقْدَةَ الْخَوْفِ الْعَرَبِيِّ مِنَ الْإِسْلَامِ.

٦) الْخَوْفُ الْمُتَعَشِّشُ فِي الْعَقْلِيَّةِ الْإِدَارِيَّةِ لِلْمُؤَسَّسَةِ السِّيَاسِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، الَّتِي
تَعِيشُ حَالَةً ضَاغِطَةً مِنَ الْخَوْفِ الدَّائِمِ مِنَ الْآخِرِ الْقَادِمِ مِنْ أَعْلَى
الْبِحَارِ.. وَالْخَوْفِ مِنْ آخِرِ الدَّاخِلِ الَّذِي يَهْدُدُّ بِالْحَرْبِ الْأَهْلِيَّةِ...
وَالْخَوْفِ مِنْ تَبَدُّدِ فُرْصِ الْحَيَاةِ فِي ظِلِّ قُوَّةِ الْآخِرِ الْخَارِجِيِّ...؟! هَذَا
الِاتِّجَاهُ « قَدْ عَبَّرَتْ عَنْهُ الْإِدَارَاتُ الْأَمْرِيكِيَّةُ بِالْخَوْفِ الدَّائِمِ مِنْ امْتِلَاكِ
الْآخِرِ قُوَّةً تَهْدُدُ التَّفُوقَ الْأَمْرِيكِيَّ، وَهِيَ تَعْبِيرَاتٌ دِينِيَّةٌ ذَاتُ أَثَرٍ تَوْرَاتِيٍّ
بِلُبُّوسٍ سِيَّاسِيٍّ... » (٣٣)!

٧) حِينَمَا حَصَلَتْ أَنْفِجَارَاتُ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ أَيْلُولٍ فِي كُلِّ مِنْ « نِيُورِكِ »
وَ« وَاشْنُطُنْ » : اخْتَفَى الْعُقْلَاءُ وَظَهَرَ الْحَمَقَى مُمْتَطِينَ تَعَصُّبَهُمْ...
وَتَسَارَعَ رَاكِبُو الْمَوْجَةِ مِنَ الْعَرَبِيِّينَ وَوُكَلَاءِهِمْ!... فَنَسَبُوهَا بِسُرْعَةٍ لِدِينِ
مُحَمَّدٍ... وَحَمَلُوهَا لِأُمَّةٍ بِأَسْرِهَا، وَتَجَرَّي الْآنَ مُحَاسِبْتُهَا عَلَى وَزْرِ لَمْ تَقْتَرِفْهُ..
وَإِثْمٍ لَمْ تَجْتَرِحْهُ.. « لَقَدْ فَفَزَ مَنْ يُسَمَّوْنَ بِالْمُحَلِّلِينَ وَالْمُنْظَرِينَ إِلَى
السَّاشَاتِ التَّلْفَازِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَتَحَدَّثُوا بِإِسْهَابٍ عَنِ « الْإِزْهَابِ
الْإِسْلَامِيِّ » وَتَرَبَّطُوا بِالْإِسْلَامِ بِالْعُنْفِ... لِأَنَّهُ دِينٌ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِمْ انْتَشَرَ
بِالسَّيْفِ، وَلِأَنَّهُ فِي رَأْيِهِمْ يَدْفَعُ مُعْتَنِقِيهِ إِلَى الْإِنْتِحَارِ وَقَتْلِ الْآخَرِينَ،
وَبِذَلِكَ يَكُونُ « الْإِسْلَامُ فُؤُبِيًّا » قَدْ خَرَجَ مِنْ صَفْحَاتِ الْكُتُبِ وَسُطُورِ

(٣٣) سعدون المشهاني - أمريكا، إسرائيل، التماثل والتشابه في الولادة والسلوك -

صحيفة التجديد العربي - الأحد ٢٧ مارس ٢٠٠٥.

الصُّحُفِ إِلَى السَّوَارِعِ وَالْحَوَارِي لِتَبْدَأَ أَكْبَرَ مُطَارِدَةٍ جَمَاعِيَّةٍ لِلْمُسْلِمِينَ، لَمْ يَشْهَدِ الْعَرَبُ مِثْلَهَا مُنْذُ الْعُصُورِ الْوُسْطَى»^(٢٣٣). هَذِهِ الْمَطَارِدَاتُ تَتِمُّ إِجْرَاءُهَا بِطَرِيقٍ غَيْرِ تَقْلِيدِيَّةٍ وَخَارِقَةٍ لِأُصُولِ وَقَوَاعِدِ حُقُوقِ الْإِنْسَانِ وَكَرَامَتِهِ وَأَدَمِيَّتِهِ!...

١) وَلَقَدْ اعْطَتْ أَحْدَاثُ أَيْلُولٍ فُرْصَةً ثَمِينَةً لِأَصْحَابِ «التَّوَجُّهَاتِ الْاسْتِبْعَادِيَّةِ وَالْمُعَادِيَّةِ لِمُسْلِمِي أَمْرِيكَا لِتُصَوِّرَ مُسْلِمِي الْعَرَبِ بِصِفَةِ عَامَّةٍ وَمُسْلِمِي أَمْرِيكَا بِصِفَةِ خَاصَّةٍ عَلَى أُمَّتِهِمْ جَمَاعَاتُ تَرْفُضُ الْإِنْدِمَاجَ فِي الْمَجْتَمَعَاتِ الْغَرْبِيَّةِ، وَتَحْمِلُ قِيَمًا مُنَافِيَةً لِقِيَمِ الْحُرِّيَّةِ وَالتَّعَدُّدِيَّةِ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَرْفُضُ فِيهِ الْاسْتِبْعَادِيُونَ فِكْرَةَ دَمْجِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَجْتَمَعَاتِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْ أَسَاسِهِ، بَلْ إِنَّ أَفْكَارَ الْاسْتِبْعَادِيِّينَ قَادَتْ فِي أَحْيَانٍ كَثِيرَةٍ إِلَى التَّمْيِيزِ ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْإِعْتِدَاءِ عَلَيْهِمْ»^(٢٣٤).

٢) الْمَنَاجِحُ التَّعْلِيمِيَّةُ، مَلِيئَةٌ بِالْمَغَالِطَاتِ وَالتَّشْوِيهِ وَالْإِفْتِرَاءِ وَالتَّخْوِيفِ الْمُرْعَبِ مِنَ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ.

٣) الْفَهْمُ الْمَغْلُوطُ لِفَرِيضَةِ الْجِهَادِ فِي الْإِسْلَامِ سِوَاءُ فِي الْمَجْتَمَعَاتِ الْغَرْبِيَّةِ أَوْ الْمَجْتَمَعَاتِ الشَّرْقِيَّةِ. مَعَ أَنَّ لَا نَدْرِي مَاذَا يُمْكِنُ أَنْ نَصِفَ بِهِ الْعَمَلِيَّاتِ الْعَسْكَرِيَّةَ الْغَرْبِيَّةَ وَالْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ عَبْرَ أَطْوَارِ التَّارِيخِ، إِذَا كَانَ الْجِهَادُ حَظَرًا...!؟

(٢٣٣) زوهات كوياني - تأثير الدوغمائية والفضوية على الحركة الكردية -

www.knntv.net/arabic/arabic_news/zuhat-28-03-05-٢٠٠٥/٣/٢٨

(233) See for example: Paul Statham, Resilient Islam, Harvard International Review, Cambridge, Fall 2004, Vol. 26-3, p. 54.

وَلَعَلَّ مِنْ أَهَمِّ الْأَسْبَابِ الْكَامِنَةِ وَرَاءَ تَنَامِي « الْإِسْلَامِ فُوبِيَا » : تَشَتَّتْ
الْجُهُودُ الْمَعْنِيَّةُ بِحُقُوقِ الْجَلَالِيَّاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْعَرَبِ، وَعَنْفَوِيَّةُ رُدُودِ الْأَفْعَالِ
إِزَاءَ الْأَسْتِفْزَازَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُسَيِّئَةِ لَنَا وَلِنَبِيِّنَا ﷺ وَلِقُدْسَاتِنَا، وَالْمَقِيدَةَ لِحَرَكَةِ
الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ! ... ذَلِكَ، فَضْلاً عَمَّا نَلْمَسُهُ مِنْ تَرَخٍ سِيَاسِيٍّ وَاضِحٍ مِنْ جَانِبِ
بَعْضِ حُكُومَاتِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ... الَّتِي تَقِفُ مَوْقِفًا لَا تُحْسَدُ عَلَيْهِ - وَرَسُولُ
الرَّحْمَةِ يُسْتَمُّ وَيُسَبُّ وَيُخَوَّفُ مِنْهُ وَيُنْفَرُ وَيُبَغِّضُ فِيهِ بِلَا دَاعٍ سِوَى أَنَّنَا قَوْمٌ
مُتَفَرِّقُونَ وَضِعْفَاءُ لَا شَوْكَةَ لَنَا! ...

وَفِي الْحَقِيقَةِ، أَنَّ الْعَرَبَ، بِمَا فِيهِ الْوَلَايَاتُ الْمُتَّحِدَةَ، تَتَمَلَّكُهُ تَصَوُّرَاتٌ
وَأفكارٌ وَأَنْطِبَاعَاتٌ عَنِ الْحَالَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ غَيْرِ وَاقِعِيَّةٍ بِالْمَرَّةِ،! وَقَدْ تَكُونُ
هَذِهِ الْحَالَةُ فِي مُجْمَلِهَا مُصْطَنَعَةً... وَفِيهَا مُبَالِغَةٌ وَتَهْوِيلٌ شَدِيدَانِ،! لِدَرَجَةِ أَنَّ
قِطَاعَاتٍ عَرِيضَةً مِنَ الْمُجْتَمَعَاتِ الْعَرَبِيَّةِ لَا تَرَى فِي الْمُجْتَمَعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ
عُمُومًا إِلَّا « تَنْظِيمًا إِسْلَامِيًّا وَاحِدًا يَشْمَلُ الْعَالَمَ كُلَّهُ! »!! هَذَا التَّنْظِيمُ الْعَالَمِيُّ
تَحْرِصُ مَرَاكِزُ إِدَارَةِ الصَّرَاحِ فِي الْعَرَبِ عُمُومًا إِلَى تَصْوِيرِهِ كَيَانًا أُسْطُورِيًّا -
مِنْ جِهَةِ امْتِلَاكِهِ قُدْرَاتٍ كَبِيرَةٍ مِنَ النَّاحِيَةِ الْمَالِيَّةِ وَالتَّنْظِيمِيَّةِ وَالْفَنِيَّةِ!!... وَأَنَّ
هَذَا التَّنْظِيمَ يَخْضَعُ بِأَكْمَلِهِ لِقِيَادَةِ أُسْطُورِيَّةٍ، وَقَدْ تَكُونُ خَيَالِيَّةً!.. كَلَّذُ ذَلِكَ
لَا مَكَانَ تَمْرِيرِ الْمَشْرُوعِ التَّخْوِيفِيِّ مِنْ تِلْكَ الثَّغْرَةِ الْخَارِقَةِ لِلَاوَعِيِّ أَوْ
اللاشعورِ الْعَرَبِيِّينَ، وَمِنْ ثَمَّ إِيجَادِ الْمُبَرَّرِ لِحُشْدِ كَافَّةِ الْإِمْكَانِيَّاتِ الْلازِمَةِ لِتِلْكَ
الْحَمَلَاتِ الْحَرْبِيَّةِ الْمُتَكَرِّرَةِ بِأَتْجَاهِ ذَلِكَ الْخَطَرِ الْمُفْتَعَلِ! ...

آثارُ وَنَتَائِجُ التَّخْوِيفِ مِنَ الإِسْلَامِ

لِئِنْ تَسَارَعَ إِلَى بَدْيَتِنَا، أَنْ التَّشْوِيهِ العَرَبِيِّ للإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ مَدْفُوعٌ بِحَسَاسِيَّةٍ وَنُفُورٍ وَكَرَاهِيَّةٍ شَدِيدَةٍ... وَمَشْدُودٌ عَمَلِيًّا بِاتِّجَاهِ أَهْدَافٍ وَغَايَاتٍ عَدِيدَةٍ... يَأْتِي مِنْ ضَمَنِهَا: التَّخْوِيفِ مِنَ الإِسْلَامِ!... وَلَكِنْ بَعْضُ النَّظَرِ عَنِ مَدَى وَجَاهَةِ وَوَاقِعِيَّةِ هَذَا الإِتِّجَاهِ العَرَبِيِّ المَحْمُومِ، يَنْبَغِي ابْتِدَاءَ التَّقْرِيرِ: بِأَنَّ هَذَا الهَوَسَ التَّخْوِيفِي، إِنَّمَا سَيَكْبُدُ البَشَرِيَّةَ خَسَائِرَ هَائِلَةً بِقِيَمَةِ وَجُودِهَا الإِنْسَانِي المَحْتَرَمِ!؛ أَي أَنْ ذَلِكَ سَوْفَ يَحْوُلُ دُونَ فَهْمِ الإِسْلَامِ فَهْمًا جَيِّدًا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَكُونَ سَبَبًا فِي نَجَاةِ العَرَبِيِّينَ وَالعَالَمِ كُلِّهِ مِنْ حَالَةِ الإِتِّحَارِ الحَضَارِيِّ الَّتِي تُورِّقُهُمْ وَتُعَكِّرُ عَلَيْهِمْ صَفْوَةَ حَيَاتِهِمْ وَتُعَمِّقُ مِنْ هُمُومِهِمُ الاجْتِمَاعِيَّةِ وَمُشْكَلاتِهِمُ السِّيَاسِيَّةِ وَالاِقْتِصَادِيَّةِ وَفَوْقَ كُلِّ ذَلِكَ مُشْكَلاتِهِمُ الرُّوحِيَّةِ،! بَلْ قَدْ يُكَلِّفُهَا غَضَبًا إِهْلِيًّا لَا طَاقَةَ لَهَا بِهِ...! وَلا سِيَّيَا أَنْ المُبَرَّاتِ العَرَبِيَّةِ فِي تَشْوِيهِه الإِسْلَامِ غَيْرُ مَنْطِقِيَّةٍ مِنْ نَاحِيَةِ القِيَمِ العَقْدِيَّةِ وَالأَخْلَاقِيَّةِ وَالحَضَارِيَّةِ... وَإِنْ كَانَ لَهَا مَا يُبَرِّرُهَا عَلَى صَعِيدِ التَّهْدِيدِ المَبَاشِرِ للإِحْدَادِ وَالإِبَاحِيَّةِ وَالدَّعَاةِ المُقَنَّتِ وَالفَسَادِ العَابِرِ لِلقُومِيَّاتِ وَالحَضَارَاتِ... الَّذِي كَمَا يُغْضِبُ المَسِيحَ ﷺ وَرَبَّ المَسِيحِ.. فَإِنَّهُ يُبَيِّرُ الحَسْرَةَ وَالأَسَى فِي نَفْسِ كُلِّ إِنْسَانٍ حُرٍّ شَرِيفٍ - وَإِنْ لَمْ تَنْفُرْ مِنْهُ الكَنِيسَةُ العَرَبِيَّةُ، الَّتِي لَمْ تَكُنْ وَفِيَّةً لِلْمَسِيحِ ﷺ مِثْلَمَا وَفَاهُ الإِسْلَامُ وَكَرَّمَهُ وَحَافَظَ عَلَى ثِرَاتِهِ وَعَقِيدَتِهِ دُونَ تَزْيِيدٍ أَوْ مُغَالَاةٍ أَوْ تَطْرُفٍ...!

وَإِنَّ مَوْجَةَ التَّخْوِيفِ مِنَ الإِسْلَامِ - بِاعْتِبَارِهِ قَاعِدَةَ العُنْفِ وَالإِزْهَابِ الدَّوْلِيِّ فِي نَظَرِ غَالِبِيَّةِ المُوَسَّسَاتِ العَرَبِيَّةِ - مَا زَالَتْ مُسْتَمِرَّةً بِقُوَّةٍ وَمَاضِيَّةً

بِإِضْرَارٍ وَتَعَنَّتْ وَتَعَصَّبَ شَدِيدٍ...! يُقَابِلُهَا قُصُورٌ بِالْغُ مِنْ الْمَعْيِينِ بِالْمُسْتَوْلِيَّةِ
فِي بِلَادِ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ^(*)...!؛ وَأَيْضًا فِي بِلَادِ الْعَرَبِ؛ فَالَّذِي يَجْرِي الْآنَ :
أَنَّ الرَّأْيَ الْعَامَّ الْأَمْرِيكِيَّ يَتَلَقَّى الْعِلْمَ بِالْإِسْلَامِ مِنْ طَرَفٍ وَاحِدٍ.

وَلَعَلَّ مِنْ أخطرِ مَا يُمكنُ أَنْ نَلْمَسَهُ بِسَهُولَةٍ فِي سِيَاقِ التَّخْوِيفِ مِنَ
الْإِسْلَامِ، هُوَ : تِلْكَ الْحَالَةُ الْحَيَثَةُ الَّتِي تَتَمَثَّلُ فِي مُحَاوَلَاتِ اخْتِلَالِ الْإِرَادَةِ
الْإِسْلَامِيَّةِ وَالتَّوَطُّنِ فِيهَا وَتَحْرِيكِهَا أَلْيَا وَذَاتِيًّا... مِنْ خِلَالِ مُهَدَّنَاتِ
الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ وَحُقُوقِ الْإِنْسَانِ وَالْحُرِّيَّاتِ وَدَعَاوَى الْإِصْلَاحِ إلخ...! مَعَ
الْحِفَاطِ عَلَى مَظْهَرِيَّاتِ وَسُكُلِيَّاتِ اسْتِقْلَالِيَّةِ تَافِهَةٍ وَفَارَعَةٍ مِنْ مَحْتَوَاهَا؛ وَقَدْ
لَا يَدْرِكُ الْعَرَبُ أَنَّ فِي عَمَلِيَّةِ التَّخْوِيفِ مِنَ الْإِسْلَامِ نَقْضًا لِقَوَانِينِ الْعُمَرَانِ
وَلِسَنَنْ الْوُجُودِ؛ وَلَا سِيَّيَا أَنَّ هَذَا التَّخْوِيفَ يَعْكُسُ مِنْ مَعَانِي وَدَلَالَاتِ الرَّغْبَةِ
الْحَمَقَاءِ وَالْإِرَادَةِ الْخَرَقَاءِ الرَّامِيَّةِ إِلَى تَغْيِيبِ وَعِي الْإِنْسَانِيَّةِ بِذَاتِيَّتِهَا الْخُلُقِيَّةِ
وَالْقِيَمِيَّةِ وَالْحَضَارِيَّةِ الْمُؤْمَنَةِ النَّبِيلَةِ...! وَالتِّي سَيَّرَتَّبُ عَلَى غِيَابِهَا هَذَا:
تَقْلِيلُ - إِنْ لَمْ نَقُلْ أَنْعِدَامَ فُرْصِ اسْتِقَامَةِ الْبَشَرِيَّةِ عَلَى طَرِيقِ الْهُدَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ
وَالْحَيْرِ وَالْفَلَاحِ الْحَقِيقِيِّ!... وَهُوَ مَا يُثِيرُ الْقَلَقَ عَلَى مُسْتَقْبَلِ الْوُجُودِ
الْإِنْسَانِيِّ تَحْتِ صَغْطِ تِلْكَ التَّأثيرَاتِ الضَّارَّةِ هَيْمَنَةِ ثَقَافَةِ الصَّرَاعِ عَلَى مَسِيرَةِ
الْإِنْسَانِ فِي وَاقِعِنَا الْمَعَاصِرِ؛

(*) وَإِنَّا فِي سِيَاقِ الْإِسَاءَةِ إِلَى الذَّاتِ الْعَلِيَّةِ وَلِلرَّسُولِ ﷺ وَالنَّبِيَّاءِ اللَّهُ وَالْهَجُومِ عَلَى الْإِسْلَامِ
بِهَذِهِ الصُّورَةِ الْبَغِيضَةِ ... يَحِقُّ لَنَا أَنْ نَسْأَلَ: مَاذَا لَوْ أُسَيِّئُ لِشَخْصٍ رَئِيسِ دَوْلَةٍ عَرَبِيَّةٍ أَوْ
مُسْلِمَةٍ؟ هَلْ سَتُقَابِلُ الْإِسَاءَةَ بِالصَّمْتِ وَالتَّمَاسِ الْأَعْدَارِ وَالتَّفَاضِي وَالرَّدِّ الْمَنَاعِ مِثْلَمَا هُوَ
حَادِثٌ أَمْ سَتَقُومُ الدُّنْيَا وَلَا تَقْعُدُ.

وَإِنِّي لِأَتَسَاءَلُ : الْمَصْلَحَةَ قَلْبِي فِي الشَّرْقِ أَوْ الْغَرْبِ .. يُمَكِّنُ أَنْ تُقْلَى
شَحْنَاتُ الْكِرَاهِيَةِ وَالْعِدَاءِ لِلْإِسْلَامِ تَحْتَ تَأْثِيرَاتِ دِعَائِيَّةٍ وَإِعْلَامِيَّةٍ مَوْهُومَةٍ ..
وَتَحْتَ ضُغُوطَاتِ نَفْسِيَّةٍ كَاذِبَةٍ وَنَزْعَةٍ سِيَاسِيَّةٍ مُعْرِقَةٍ فِي النَّفْعِيَّةِ الْحَاقِدَةِ
وَالْإِبْتِزَازِيَّةِ وَالْإِنْتِهَازِيَّةِ الْحَاسِدَةِ نُجَاهَ عَقِيدَةٍ وَرِسَالَةٍ حَضَارِيَّةٍ كَمْ أَمَدَّتْ
الْإِنْسَانِيَّةَ بِسِرٍّ وَجُودِهَا وَبِقِيَمَةِ حَيَاتِهَا...؟! هَلْ مِنْ مَصْلَحَةِ الْغَرْبِ حَقًّا
تَشْوِيهُهُ الْإِسْلَامَ وَالتَّخْوِيفُ مِنْهُ؟ هَلْ هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ الْمَسِيحُ الَّذِي يَزْعُمُونَ
الْإِنْتِسَابَ إِلَيْهِ..؟

وَمَاذَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَهُ مَوْفِقُ الْمَسِيحِ ﷺ لَوْ شَهِدَ مَا تَشْهَدُهُ الْبَسْرِيَّةُ فِي
وَاقِعِنَا الْمُعَاصِرِ..! أَيُظَنُّ أَحَدٌ أَنَّهُ كَانَ سَيِّبَارِكُ أَزْدِرَاءَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَالْإِسَاءَةَ إِلَيْهِ
وَالهُجُومَ عَلَيْهِ... ذَلِكَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يُمَجَّدُ فِيهِ « بَرَاهِمًا » وَ« فِشْنُو »
وَ« بُوذَا »... وَيُنْظَرُ إِلَيْهِمْ بِتَقْدِيرٍ وَاحْتِرَامٍ شَدِيدَيْنِ..؟! هَلْ كَانَ سَيِّحْتَفِي
بِعِبَادَةِ الْبَقَرِ.. وَيَزْدَرِي عِبَادَةَ اللَّهِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ..؟! أَمْ كَانَ سَيِّبَارِكُ
أَعْمَالَ الْقِمَمِ وَمُدَاوَلَاتِ الْغُرْفِ الْمُغْلَقَةِ الَّتِي لَا شُغْلَ لَهَا وَلَا هَاجِسَ سِوَى
الْمَكْرِ وَالْكَيْدِ لِحِضَارَةٍ وَأُمَّةٍ لَيْسَ لَهَا مِنْ ذَنْبٍ سِوَى ابْتِلَائِهَا بِحَفْنَةٍ مِنْ غُلَاةِ
الْعَالَمِيِّينَ وَأَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ عَلَى حَدِّ سِوَاءٍ؛ وَقَدْ شَاءَ اللَّهُ لَهَا أَنْ تَتَمَوَّضَعَ
بِمُوجَهَةِ حَفْنَةٍ أُخْرَى مِنَ الْمُفَكِّرِينَ الْخَوَاةِ الْعَشَّاشِينَ.. وَالسَّاسَةِ الْعَرَبِيِّينَ
الْمُقَامِرِينَ... الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ رُسُلُ الْعِنَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ بِالنَّصْرَانِيَّةِ! وَيَشْهَدُ اللَّهُ
بِحُكْمِ أَنْ الْمَسِيحَ بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَمِنْ أَعْمَالِهِمُ الْإِفْسَادِيَّةِ فِي مُخْتَلَفِ وُجُوهِ الْحَيَاةِ

الإنسانية لغيرهم؛! وَلَعَلَّ هَذَا مِمَّا يُؤَكِّدُ أَنَّ الَّذِي عَلَيْهِ الْغَرْبُ الْآنَ مِنَ الدِّينِ:
هُوَ دِينُ الْكَنِيسَةِ وَلَيْسَ دِينُ الْمَسِيحِ ﷺ!

وَلِذَلِكَ، يَنْبَغِي أَلَّا يَكُونَ الْغَرْبُ مُرَادًا لِرِسَالَةِ الْمَسِيحِ ﷺ فِي وَعِينَا
الْحَضَارِيِّ، إِذْ إِنَّ هَذِهِ الرِّسَالَةَ- عَلَى مَا لَنَا مِنْ مَحْفُظَاتِ إِزَاءِ مَا جَدَّ
عَلَيْهَا وَمَا التَّبَسُّهَا مِنْ تَرْيِيفٍ وَتَحْرِيفٍ- أَشْرَفَ وَأَكْرَمَ مِنْ أَنْ يَنْتَسِبَ
إِلَيْهَا قَوْمٌ مَهْوُوسُونَ بِالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ.. قَدْ شَوَّهُوا رِسَالَةَ الْمَسِيحِ
ﷺ وَخَانُوهُ فِي أَمَانَتِهِ الْعَقْدِيَّةِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا!! يَقُولُ ﷻ:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ
مُتَّهَدٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ * ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى
ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً
وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا
حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾
الحديد/ ٢٧:٢٦.

وَفِيهَا بَلِي سَنَعْرِضُ لِحِمْلَةٍ مِنَ الْأَثَارِ الْمُرْتَبَّةِ عَلَى حِمْلَةِ «الْإِسْلَامِ فُونِيَا»، وَذَلِكَ
عَلَى النَّحْوِ التَّالِيِ :
أولاً : آثَارُ سَلْبِيَّةٍ

(١) إِنْتِشَارُ جُرَائِمِ الْكِرَاهِيَّةِ ضِدَّ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ فِي عُمُومِ أَوْرُبَا
وَأْمْرِيكَا!.... فَلَقَدْ آتَتْ تِلْكَ الْحِمْلَاتُ الْمَشْهُومَةَ ثَمَارَهَا، حَيْثُ
اعْتَرَفَ التَّقْرِيرُ السَّنَوِيُّ لِمَكْتَبِ التَّحْقِيقَاتِ الْفِيدِرَالِيَّةِ حَوْلَ جَرَائِمِ

الكرهية في الولايات المتحدة، بأنَّ عددَ الجرائمِ المسجَّلةِ ضدَّ أشخاصٍ أو مؤسساتٍ أو شركاتٍ، والمُرْتَبِطَةِ بِالْعَقِيدَةِ الإِسْلَامِيَّةِ قَدْ ارتَفَعَ مِنْ ثَمَانٍ وَعَشْرِينَ حَالَةً عام ٢٠٠٠م إلى أَرْبَعِمِائَةٍ وَوَاحِدٍ وَثَمَانِينَ حَالَةً فِي عام ٢٠٠١م، أي بنسبةِ زيادةٍ حَوالِي ١٦٠٪. ولم يُجَدِّدِ التقريرُ عددَ هَذِهِ الحَالَاتِ الَّتِي وَقَعَتْ بَعْدَ أَحْدَاثِ الحَادِي عَشَرَ مِنْ أَيْلُول عام ٢٠٠١م، لَكِنَّهُ أشارَ إِلَى أَنَّ المُسْلِمِينَ أو الأَشْخَاصَ المُتَحَدِّينَ مِنْ أَصُولٍ عَرَبِيَّةٍ... قَدْ تَعَرَّضُوا لِجَرَائِمِ الكَرَاهِيَّةِ فِي العامِ المَاضِي بِشَكْلِ يَزِيدُ عَمَّا حَدَثَ فِي أَيِّ وَقْتٍ فِي المَاضِي، حَيْثُ كانوا أَقَلَّ الفِئَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ تَعَرَّضًا لِهَذِهِ الهَجَمَاتِ، وَالْمَحَ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ قَدْ يَكُونُ مُرْتَبِطًا بِأَحْدَاثِ أَيْلُول.

وَفِيما يَتَعَلَّقُ بِصُورَةِ الإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، تُوَضِّحُ الإِسْتِطْلَاعَاتُ المُخْتَلِفَةُ أَنَّ مَشَاعِرَ التَّمَيِّزِ وَالْعَدَاءِ ضِدَّ المُسْلِمِينَ تَنْتَشِرُ بِنِسْبَةٍ تَتَرَاوَحُ بَيْنَ ٢٠٪ وَ ٣٣٪ مِنَ الأَمْرِيكِيِّينَ، وَتَتَرَاوَحُ النِّسْبَةُ نَفْسُهَا بَيْنَ ٢٥٪ وَ ٤٠٪ فِي أَوْقَاتِ الأَزْمَاتِ (٣٣٤)!

وَعَلَى المُسْتَوَى السِّيَاسِيِّ، لَمْ تَكُنْ الإِدَارَةُ الأَمْرِيكِيَّةُ ذاتَ مَوْقِفٍ وَاضِحٍ إِزاءَ التَّفَرُّقَةِ بَيْنَ الإِسْلَامِ وَمَا تَنْسِبُهُ هِيَ لِبَعْضِ المُسْلِمِينَ مِنْ أَعْمَالٍ عُنْفٍ مِنَ النَّاجِيَةِ العَمَلِيَّةِ، حَيْثُ تُقَدِّمُ القِيَادَةُ السِّيَاسِيَّةُ

الأمريكية عُروضًا مُحَدَّدةً لِلتَّعَامُلِ مَعَ مَا يَتَعَرَّضُ لَهُ الْإِسْلَامُ
وَالْمُسْلِمُونَ مِنْ تَشْوِيهِهِ؛ فَفِي الْوَقْتِ الَّذِي حَرَصَتْ الْإِدَارَةُ عَلَى مَدِيحِ
الْإِسْلَامِ كَدِينٍ، وَالْفَضْلِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُعْتَقَدَاتِ «الْإِرْهَابِيِّينَ»:
اسْتَحْدَمَتِ الْإِدَارَةُ أَوْصَافًا مِثْلَ «الْإِسْلَامِيِّينَ الرَّادِيكَالِيِّينَ»
وَ«الْإِسْلَامِيِّينَ الْفَاشِيِّينَ»، كَمَا رَبَطَتْ بِشَكْلِ غَيْرِ وَاضِحٍ أَوْ مُحَدَّدٍ-
خَاصَّةً لَدَى الْمَوَاطِنِ الْأَمْرِيكِيِّ الْعَادِيِّ ضَعِيفِ الْمَعْرِفَةِ بِالْإِسْلَامِ- بَيْنَ
الْإِرْهَابِ وَالْإِسْلَامِ!!!.

وَعَلَى الْمُسْتَوَى الْاجْتِمَاعِيِّ، دَفَعَتْ الضُّغُوطُ السَّابِقَةُ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى
الْعُرْزَةِ أَوْ إِهْمَاءِ مَا وَصَفَهُ الْبَعْضُ «حُلْمِهِمُ الْأَمْرِيكِيِّ» طَوَاعِيَّةً، وَذَلِكَ
بِمُعَادَرَةِ الْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ، كَمَا دَفَعَتْ بَعْضَ ضِعَافِ النُّفُوسِ
إِلَى التَّسَاهُلِ فِيهَا يَتَّصِلُ بِإِسَاءَاتِ الْهُوِّيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ!...

وَعَلَى صَعِيدِ آخَرَ، فَقَدْ أَكَّدَتْ دِرَاسَةٌ أَجْرَتَهَا الْمُوَسَّسَةُ الْهُولَنْدِيَّةُ
لِاسْتِطْلَاعَاتِ الرَّأْيِ الْمَعْرُوفَةِ بِاسْمِ «لَا زَارِكْ جِرُوب»^(٢٣٥): أَنَّ «الْإِسْلَامَ
فُؤُوبِيًا» أَوْ الْخَوْفَ غَيْرَ الْمُبَرَّرِ مِنَ الْإِسْلَامِ: يُشَكِّلُ مَسَاحَةً كَبِيرَةً وَخَطِيرَةً
لَدَى الشَّعْبِ الْهُولَنْدِيِّ مُقَارَنَةً بِشُعُوبِ دَوْلِ أَوْرُوبِيَّةٍ أُخْرَى... وَقَالَتْ
الدِّرَاسَةُ: إِنَّ الْهُولَنْدِيِّينَ لَدَيْهِمْ مَخَافٌ مُثْمَلٌ ضِعْفَ خَوْفِ الشَّعْبَيْنِ
الْإِيطَالِيِّ وَالْإِسْبَانِيِّ مِنَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ.

(٢٣٥) نُضَلَّأُ عَنْ: جَرِيدَةِ الْوَطَنِ - السَّعُودِيَّةِ - الْعَدَدُ (١٥٩٣) - السَّنَةُ الْخَامِسَةُ - الثَّلَاثَاءُ ٢٩
ذُو الْحِجَّةِ ١٤٢٥هـ الْمَوْافِقُ ٨ فَبْرَايِرِ ٢٠٠٥م.

وأشارت الدرّاسة كذلك إلى أنّ نحوَ خمسةٍ وسبعينَ بالمائةٍ من هؤلاء الذين يجدون في المسلمين وانتشار الإسلام: تهديدًا حقيقيًا لهم!!! .
ويطالبون بسرعة تطبيق إجراءات «من شأنها حمايتهم من خطر المسلمين». وأوضحت الدرّاسة أنّ الإيطاليين والأسبان الذين يشعرون بالخوف والتهديد من الإسلام لا يمثّلون إلاّ نسبةً لا تتجاوز خمسةً وثلاثينَ بالمائةٍ من إجماليّ عددِ السّكان في كلا البلدين.

وفي العاصمة البلجيكية «بروكسل»، أصبحت الحياة اليومية للمسلمين في أوروبا صعبةً للغاية بعد الحادي عشر من أيلول. ولقد ازدادت نسبة المضايقات ضدّ نساءٍ مسلماتٍ مُحجّباتٍ بنسبة ٧٠٪ حسب تقرير صادر عن المحاد «هلسنكي» لحقوق الإنسان، كما أنّ الصّورة العامّة للمسلمين في بعض البلدان الأوروبيّة تظهرُ صورةً مشوّهةً عن المرأة المسلمة!

وعلى الصعيد ذاته، تأتي الحملة على الحجاب في بريطانيا: تدليلاً على الخوف المرصّي والتقليدي من المجهول؟!... إذ اعتبره مسئولون عديدون علامة انفصال اجتماعي ومثيراً لعدم الارتياح؟!... وقد راحوا يبرّرون إحساسهم بعدم الراحة كلّ تبع هواه؛ ولكنهم لم يخرجوا عموماً عن مدلول الخوف المرصّي من هذه الشعيرة الإسلامية!. وقد حملت دعوة وزير الخارجية البريطاني السابق «جاك سترو» مطلع أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠٠٦م النساء المسلمات المتوجّهات لمقرّ دائرته إلى رفع نقابهنّ، لأنّه «يشعُر بـ«الانزعاج» في

التَّحَدُّثِ لِشَخْصٍ لَا يَرَى وَجْهَهُ!». هذا، وَقَدْ لَقِيتَ هَذِهِ الدَّعْوَةَ
تَرْحِيبًا وَتَأْيِيدًا مِنْ جَانِبِ الْمَسْئُولِينَ فِي بَرِيطَانِيَا وَعَلَى رَأْسِهِمْ رَئِيسُ
الْوُزَرَاءِ، الَّذِي قَالَ : «إِنَّ مَسْأَلَةَ الْحِجَابِ قَدْ لَمَسَتْ خَوْفًا أَوْسَعَ
لَدَى الشَّعْبِ الْبَرِيطَانِيِّ»^(٢٣٦)! ...

وَلَقَدْ حَدَّثَنِي أَحَدُ أَقْرَبَائِي فِي مَدِينَةِ «لَنْدُن» أَنَّ سَيَّارَاتِ الْأَجْرَةِ
TAXI لَمْ يَعُدْ سَائِقُوهَا يَسْتَجِيبُونَ لِلْمُحَجَّباتِ حِينَ يَرِدْنَ الْإِنْتِقَالَ
إِلَى مَظَانِّ مَصَالِحِهِنَّ...!؛ وَلَقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ الْمَوَاقِفُ السَّلْبِيَّةُ
بَعْدَ تَصْرِيحاتِ «جَاك سِتْرُو» حَوْلَ الْحِجَابِ... وَالَّتِي أَيْدُهُ فِي
مَوْقِفِهِ رَئِيسُ الْوُزَرَاءِ «طُونِي بَلِير»! ...

وَلَقَدْ كَشَفَتْ دِرَاسَةٌ أُجْرِيَتْ عَلَى خَمْسِ مُدُنٍ أَوْروبيةٍ مُتَفَرِّقَةٍ تَتَمَيَّزُ
بِوُجُودِ كَثَافَةِ سُكَّانِيَّةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ حَيْثُ تَمَّ التَّوَصُّلُ إِلَى نَتَائِجِ هَامَّةٍ
تَبَيَّنَ مِنْ خِلَالِهَا : تَهْمِيشُ الْمُسْلِمِينَ مَعَ وُجُودِ الْأَحْكَامِ الْمُسَبَّقَةِ
وَالْحُصُومَةِ ضِدَّهُمْ، وَهَذَا سَائِدٌ فِي كُلِّ الدُّوَلِ الْأَعْضَاءِ فِي الْإِتِّحَادِ
الْأَوْروبي، وَقَدْ قَادَتْ هَذِهِ التَّفَرِّقَةُ ضِدَّهُمْ إِلَى إِقْصَائِهِمْ عَنِ النِّشَاطَاتِ
الْاِقْتِصَادِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ^(٢٣٧).

(٢٣٦) نُضَلَّ عَنْ قَنَاةِ الْجَزِيرَةِ - الأربعماء الموافق ١٨/١٠/٢٠٠٦م.

(٢٣٧) انظر: التقرير الصادر من المركز الأوروبي لمكافحة العنصرية والعداء للأجانب تحت عنوان
(أوضاع الجاليات الإسلامية في خمس مدن أوروبية - مجلة الأوروبية - العدد ٣٠ - نُضَلَّ
عَنْ: مَجَلَّةِ الْبَيَّانِ اللَّندِينِيَّةِ - العدد ١٩٦ - ذو الحجة ١٤٢٤هـ/يناير - فبراير ٢٠٠٤م.

لَقَدْ أَصْبَحَ الْمُسْلِمُونَ فِي بِلْدَانِ أُرُوْبِيَّةٍ عَدِيْدَةٍ... مَجَالاً لِلْمُقَامَرَاتِ
السِّيَاسِيَّةِ وَلِلْمُزَايَدَاتِ الْاِنْتِهَازِيَّةِ الْحِزْبِيَّةِ، وَلِجَلْبِ الْمُرِيدِ مِنَ الْمَكَاْسِبِ
الْاِنْتِحَابِيَّةِ عَلَى حِسَابِ الْاِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِيْنَ بِصِفَةِ عَامَّةٍ!... فَأَصْبَحَ
الرَّهَانُ عَلَى التَّخْوِيفِ مِنَ الْاِسْلَامِ وَعَلَى الْعُنْصُرِيَّةِ وَالتَّمْيِيزِ ضِدَّهُمْ :
رِهَانًا رَابِحًا لَدَى كُلِّ طَامِحٍ لِلْمَعْجِدِ السِّيَاسِيِّ... الَّذِي يُقَدِّمُ نَفْسَهُ
بِاعْتِبَارِهِ الْمُنْقَذَ الْقَادِمَ لِلْجَاهِرِ فِي الْبِلْدَانِ الْاُورُوْبِيَّةِ «الْمَذْعُوْرَةَ» مِنْ
خَطَرِ الْاِسْلَامِ وَ«عَزَوَاتِ» الْمُسْلِمِيْنَ...؟!

وَتُسَيِّرُ بَعْضَ الدَّلَائِلِ عَلَى مَدَى حَجْمِ الْقَلَقِ الْمَرْضِيِّ حِيَالِ الظَّاهِرَةِ
الْاِسْلَامِيَّةِ فِي الْعَالَمِ، وَفِي الْعَرَبِ بِخَاصَّةٍ اِلَى اَنْ قَسَّيْنَا اَلْمَانِيَا اِنْجِيلِيًّا بِالْعَا
مِنَ الْعُمُرِ ثَلَاثًا وَسَبْعِيْنَ سَنَةً : اُقْدَمَ عَلَى الْاِنْتِحَارِ بِحَرْقِ نَفْسِهِ، بَعْدَمَا
اَنْتَابَهُ شُعُوْرٌ بِالْحَوْفِ مِنْ اَنْتِشَارِ الْاِسْلَامِ وَاَزْدِيَادِ رُفْعَتِهِ وَتَنَامِي اَعْدَادِ
الْمُنْتَمِيْنَ اِلَيْهِ!. وَقَالَتْ مَجْلَةُ «فوكوس» الْاَلْمَانِيَّةُ: اِنْ الْقَسَّ قَدْ تَرَكَ خِطَابًا
لِزَوْجَتِهِ حَوْلَ الدَّفَاعِ وَرَاءَ قِيَامِهِ بِهَذَا الْفِعْلِ الْمَحِيْرِ مُعْرِبًا عَنْ خَشِيَّتِهِ مِنْ
تَنَامِي الْاِسْلَامِ وَاَنْتِشَارِهِ»(٢٣٨).

٢) اِيجَادُ الْمُبْرَّرَاتِ لِشَنْ الْحُرُوْبِ عَلَى بَعْضِ الْبِلْدَانِ الْمُسْلِمَةِ.. وَاِشْعَالُ
الْفِتَنِ وَالصَّرَاعَاتِ الدَّاخِلِيَّةِ فِيهَا بَيْنَهَا.

٣) الْحَوْفُ مِنَ الْاٰخِرِ وَالشُّعُوْرُ بِالصَّعْفِ الدَّاثِي. حَيْثُ تَرْتَبَ عَلَى ذَلِكَ،
وُجُوْدُ حَالَةٍ خَوْفٍ شَائِعَةٍ بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِيْنَ نَحْوَ الْغَرْبِ نَتِيْجَةً

التأثير العكسي والسلبى لـ «لإسلام فوبيا»؛ ولا شك أنه كلما انكشف ظهْر العرب والمسلمين عقدياً وسياسياً واقتصادياً وفكرياً كلما تعمقت حالة الخوف هذه في نفوسهم.. لدرجة أنها أصبحت عقدة عريضة ومُسلِمة.. وتبدو خطورة المسألة حين « يتحوّل هذا الأمر إلى حالة مرضية عندما يفقد المسلم ثقته بنفسه، ويتحوّل خوفه هذا إلى شعور بالضعف الدائم والهزيمة من الآخر»^(٢٣٩). وهذه الحالة: هي أحد مخلفات الشعور بالتقصير الحضاري من جانب المسلمين.. والتفريط في الواجبات الشرعية التي تُغري الغربيين بهم وبرسولهم وبتاريخهم وبالرموز الإسلامية عموماً...! ويعلق أحد المسلمين في الغرب على ذلك التأثير العكسي بقوله: «هناك «فوبيا» إسلامية مُنتشرة، إنني أحاول عدم إظهار ديانتي حتى لا أتسبب في استدعاء صوراً نمطية عنّا.. ولكنني ألوم نفسي بعدها.. إذ أشعر أنني ضعيف الإيمان وغير واثق بالله!!».

﴿ كما أن المجتمعات والأمم التي تبسها الوهن الحضاري والفكري واستبدّها العجز الثقافي: هي الأخرى تُحارب الآخر، لأنه يُشعرها دائماً بضعفها فتخاف التواصل معه خوفاً من أن يعزّو أفكارها ويخصد أفرادها؛ وبالنسبة إلينا، نجد فبعض الحركات الإسلامية تأخذ في تطير نفسها ضد كل أنواع الاتصال خوفاً من تعرّضها للاختراق الفكري

(٢٣٩) مرتضى معاش - التواصل مع الآخر.. تاصيل منهجية التعايش - مجلة النبأ - بيروت -

العدد(٤٧) - تموز ٢٠٠٠م.

وَالثَّقَافِي... وَانْدِسَاسِ أَفْكَارٍ وَرُؤْيَى تَعْتَبِرُهَا مُضِرَّةً بِأَهْدَافِهَا^(٢٤٠). وَهَذَا
إِحْسَاسٌ مَتَّصِحُّهُ بِالْمُؤَامَرَةِ أَكْثَرَ مِمَّا يَلْزَمُ لِتَقْدِيرِ حَجْمِ وَطَبِيعَةِ
التَّحْدِيَّاتِ الَّتِي تُوَاجِهُنَا وَكَيْفِيَّةِ التَّعَامُلِ مَعَهَا وَمُعَالَجَتِهَا بِالطَّرِيقَةِ
اللَّائِقَةِ!.

٥) جَاءَتْ أَيْضًا مُعَادَاةُ الْإِسْلَامِ، وَالْخَوْفُ مِنْهُ لِتَزِيدَ مِنَ الصَّغْطِ النَّفْسِيِّ
وَالْعَبْءِ الْمَادِّيِّ وَالْعَزْلِ الْاجْتِمَاعِيِّ بِالنَّسْبَةِ لِلْجَالِيَّاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي
الْعَرَبِ، لِأَنَّ مُحَاوَلَاتِ انْدِمَاجِهَا مِنْ خِلَالِ التَّوْطُّفِ فِي وَظَائِفِ
حُكُومِيَّةٍ أَوْ الْإِنْخِرَاطِ فِي الْأَنْشِطَةِ الْأَهْلِيَّةِ.. صَارَ أَمْرًا صَعْبًا؛

٦) ازْدِرَاءُ التَّقَالِيدِ وَالْخُصُوصِيَّاتِ الْحَضَارِيَّةِ لِلْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ بِشَكْلِ فِيهِ
عُنْصُرِيَّةٌ بَغِيضَةٌ...!

٧) تَكْرِيسُ الْمَفَاهِيمِ الَّتِي تَنْبِذُ الْمُقَاوِمَةَ الْمَشْرُوعَةَ فِي الدَّفَاعِ عَنِ النَّفْسِ
وَالْوَطَنِ وَالهُوِيَّةِ.. وَهَذَا بِدَوْرِهِ قَدْ تَسَبَّبَ فِي تَعْلِيْقِ الْجُهُودِ الرَّامِيَةِ لِحُلِّ
الْقَضَايَا الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ الْمُعَلَّقَةِ - وَلَا سِيَّامَا قَضِيَّتِي فِلَسْطِينَ وَكَشْمِيرَ؛
فَبَعْدَ أَنْ كَانَتْ قِطَاعَاتُ عَرِيضَةٍ مِنْ مُتَّقَفِي الْعَرَبِ مُؤْمِنَةً بِحَقِّ هَذَيْنِ
الشَّعْبَيْنِ فِي وَطَنِ وَدَوْلَةٍ مُسْتَقَلَّةٍ ذَاتِ سِيَادَةٍ، وَيَعْتَبِرُونَ أَنَّ الْقَضِيَّتَيْنِ
قَضِيَّتَانِ عَادِلَتَانِ تَسْتَحِقَّانِ التَّائِيدَ... لَمْ يَعدِ الْأَمْرُ كَذَلِكَ؛ إِذْ سَنَّتْ
الْحُكُومَاتُ الْعَرَبِيَّةُ قَوَانِينَ تَضَعُ الْمُقَاوِمَةَ الْمَشْرُوعَةَ فِي إِطَارِ الْجَرِيمَةِ
الْمُنْتَظَمَةِ، وَتَعْتَبِرُهَا إِزْهَابًا.. وَإِنَّ هَذَا بِالْقَطْعِ، لَهُ تَأْوِيرُهُ عَلَى مَسِيرَةِ التَّحَرُّرِ

(٢٤٠) انظر: التواصل مع الآخر.. تأصيل لمنهجية التعايش - مجلة النبأ - بيروت - العدد

٤٧: - تموز ٢٠٠٠م.

بَلْ وَيُكْرَسُ الاستِعْمَارَ - كما حَدَثَ فِي العِرَاقِ وَأفغانسْتان...! وَهَذَا
يعني مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى : تَصَاوُلُ الفُرْصِ القَانُونِيَّةِ لِأَصْحَابِ القَضَايَا
الاسْتِقْلَالِيَّةِ العَادِلَةِ... ذَلِكَ، عَلَي الرِّغْمِ مِنْ أَنَّ مُجْمَلَ الفَعَالِيَّاتِ
التَّنْظِمِيَّةِ العَرَبِيَّةِ وَالإِسْلَامِيَّةِ لَيْسَ لَهَا وُجُودٌ فِي العَرَبِ، وَلَا تُمَثَّلُ مِنْ
النَّاحِيَةِ العَمَلِيَّةِ أَيَّ تَهْدِيدٍ لِلْمَصَالِحِ العَرَبِيَّةِ المَبْشُورَةِ.

٨) صَارَ تَوْقِيفُ الأَشْخَاصِ المُشْتَبِهِ بِنَيْتِهِمْ أَوْ المُتَوَهَّمِ صُدُورَ أَعْمَالٍ إرهابِيَّةِ
مِنْهُمْ : طَقْسًا أَمْنِيًّا فِي عَدِيدٍ مِنَ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ... مَا أَدَّى إِلَى تَوْسِيعِ
قَاعِدَةِ الاِشْتِبَاهِ لِدرَجَةِ التَّفْتِيشِ فِي النِّوَايَا أَوْ لِجَرْدِ أدَلَّةِ ظَنِّيَّةِ أَوْ
انطِبَاعَاتِ شَخْصِيَّةِ غَيْرِ مُرِيحَةٍ عَنِ المُؤَسَّسَةِ أَوْ الشَّخْصِ المُسْتَهْدَفِ
مَادَامَ يُجْمَلُ مَلَامِحَ عَرَبِيَّةٍ أَوْ مَسُوحَاتِ إِسْلَامِيَّةٍ!...

٩) تَصَاوُلُ فُرْصِ المُوقُوفِينَ وَالْمُحْكُومِينَ لِأَسْبَابِ دِينِيَّةِ وَعِرْقِيَّةِ فِي التَّمَتُّعِ
بِحُقُوقِ قَانُونِيَّةِ عَادِلَةٍ فِي العَرَبِ.

١٠) الحِيلُولَةُ دُونَ انْدِمَاجِ المُسْلِمِينَ فِي المُجْتَمَعَاتِ العَرَبِيَّةِ وَالتَّقَاتِهِمْ دُونَ
خَلْفِيَّاتِ نَفْسِيَّةِ سَلْبِيَّةِ لَدَى العَرَبِيِّنَ عَنْهُمْ. وَهَذِهِ - فَضْلًا عَنْ أَضْرَارِهَا
الاجْتِمَاعِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ وَالْحَضَارِيَّةِ الوَاحِيْمَةِ... فَإِنَّهَا تُسَهِّمُ فِي تَعْطِيلِ
حَرَكَةِ الدَّعْوَةِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي البُلْدَانِ العَرَبِيَّةِ، إِذْ لَنْ يَتِمَّكَنَ المُسْلِمُ مِنَ
التَّعْبِيرِ بِشَكْلِ لَائِقٍ عَنِ مَعْدِنِهِ الحَضَارِيِّ الأَصِيلِ.. وَالإفْصَاحِ عَنِ
جَوْهَرِ القِيَمِ النَّبِيِّ يَنْتَوِي إِلَيْهَا!...

١١) مُعَانَاةُ الطُّلَابِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ نُفُورٍ وَكَرَاهِيَّةٍ وَتَوَجُّسٍ أَعْلَبِيَّةٍ زُمَلَايِهِمْ
الْغَرِيبِينَ فِي الْمَدَارِسِ وَالْجَامِعَاتِ، نَتِيجَةَ تَأْثِيرِ الْمَنَاهِجِ الدَّرَاسِيَّةِ الْمَشْوَهِةِ
لِلْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ...! الْأَمْرُ الَّذِي يُكْرَسُ عَزَلَتَهُمْ، وَيَحُدُّ مِنْ فُرْصِ
انْفِتَاحِهِمْ عَلَى الْآخَرِ بِشَكْلِ إِيْجَابِيٍّ مُثْمِرٍ...!

١٢) تَأْكُلُ خَرِيْطَةَ الْخُرَيْيَاتِ فِي الْمَجْتَمَعَاتِ الْغَرِيبَةِ.. وَتَسْوُّهُ قِيْمَهَا..
وَقَتْلَهَا بِزَعْمِ الدَّفَاعِ عَنْهَا مِنْ خِلَالِ إِصْدَارِ الْقَوَانِينِ الْاسْتِثْنَائِيَّةِ،
وَمُكَافَحَةِ مَا يُسَمَّى بِالْإِرْهَابِ، وَرَصْدِ حَرَكَةِ الْأَشْخَاصِ الْعَرَبِ
وَالْمُسْلِمِينَ وَالتَّجَسُّسِ عَلَيْهِمْ وَافْتِحَامِ خُصُوصِيَّاتِهِمْ الْعِبَادِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ
بِجُرْأَةٍ وَافْتِتَاتٍ...! فَضْلاً عَنِ الْقَوَانِينِ الْمُقَيَّدَةِ لِحَقِّ اللُّجُوءِ السِّيَاسِيِّ
وَاللَّهِجْرَةِ وَتَكْرِيسِ - بَلْ تَقْنِينِ سِيَاسَةِ الْكَيْلِ بِمِكَيَالَيْنِ مُجَاهِ كُلِّ مَا يَمُتُّ
إِلَى الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ بِصِلَةٍ...!

١٣) تَسَابُقُ بَعْضِ الْحُكُومَاتِ فِي الْبِلْدَانِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ نَحْوِ
الْإِصْطِدَامِ بِمُؤَسَّسَاتِ الصَّخْوَةِ وَالْعَمَلِ الدَّعْوِيِّ الْإِسْلَامِيِّ... وَقَمْعِهَا
وَتَصْفِيَّتِهَا دُونَ رَوِيَّةٍ أَوْ تَمَيُّيزٍ لِإِرْضَاءِ الْعَرَبِ!... وَالْإِثْبَاتِ مِصْدَاقِيَّتِهَا
لَدَى مَرْكَزِ الْهَيْمَنَةِ.. وَلِلْحُظُوءِ بِقَدْرِ أَكْبَرَ مِنْ الدَّعْمِ الْغَرِيبِيِّ لِهَذِهِ
الْحُكُومَاتِ - حَتَّى وَلَوْ كَانَتْ ظَالِمَةً مُسْتَبَدَّةً...!!

١٤) التَّصْيِيقُ عَلَى حَرَكَةِ الْعَمَلِ الْخَيْرِيِّ وَالتَّطَوُّعِيِّ فِي الشَّرْقِ أَوْ الْعَرَبِ
إِلَى دَرَجَةِ الْخُنْفِ بِحُجَّةٍ مُكَافَحَةِ الْإِرْهَابِ.

١٥) تَمَرِيقُ الْوَحْدَةِ الْوَطَنِيَّةِ فِي الْبِلْدَانِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ، وَتَكَرُّسُ التَّوَثُّرِ فِي الْحَيَاةِ السِّيَاسِيَّةِ... وَتَقْوِيصُ أَرْكَانِ الْمَشْرُوعِ الدِّيْمُقْرَاطِيِّ الْمُنْبَتِّقِ مِنْ الْفَهْمِ الْأَصِيلِ لِلْإِسْلَامِ، وَفَرَضُ النَّمُودَجِ الدِّيْمُقْرَاطِيِّ الْعَرَبِيِّ بِالْوَيْلِ وَالْتُبُورِ وَفَطَاغِ الْأُمُورِ...!

١٦) اَزْدِيَادُ تَأْثِيرِ الْمُوَسَّسَاتِ الصَّهْبُونِيَّةِ وَالتَّيَارَاتِ الْيَمِينِيَّةِ وَالشُّعْبِيَّةِ أَوْ الشُّعْبِيَّةِ الْمُتَطَرِّفَةِ عَلَى دَوَائِرِ صُنْعِ الْقَرَارِ الْعَرَبِيِّ... الْأَمْرُ الَّذِي أَدَّى فِي أَغْلَبِ الْأَحْيَانِ إِلَى تَرْكِيْزِ هَاجِسِ الْخَوْفِ مِنَ الْآخِرِ... مِمَّا أَدَّى وَيُوَدِّي إِلَى مُقَاوَمَةِ مَا يَسْمَى «الْإِزْهَابَ» بِالْإِزْهَابِ الْفِعْلِيِّ الْمُنْظَمِ!..

١٧) نُلَاْحِظُ أَنَّ تَوْسِيْعَ قَاعِدَةِ الْعُضْوِيَّةِ فِي الْإِتْحَادِ الْأُورُوبِيِّ قَدْ اَنْعَكَسَ سَلْبًا عَلَى الْخُضُورِ الْأَجْنَبِيِّ - وَتَحْدِيدًا الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ؛ وَهُوَ مَا زَادَ مِنْ فُرْصِ شُبُوعِ ظَاهِرَةِ «الْإِسْلَامُ فُوبِيَا» بِصُورَةٍ فِيهَا اِنْتِهَازِيَّةٌ شَدِيدَةٌ فِي آفَاقِ الْمَجْتَمَعَاتِ الْعَرَبِيَّةِ - وَتَحْدِيدًا فِي مُدُنِ أُرُوبَا الشَّرْقِيَّةِ؛ حَيْثُ أَصْبَحَ «الْخَوْفُ مِنَ الْآخِرِ»، تَحْدِيًا عَامًّا يُوَاجِهُهُ أُرُوبَا الْجَدِيدَةَ أَكْثَرَ مِمَّا يُوَاجِهُهُ سِوَاهَا!!؛

١٨) اِتِّسَاعُ الرُّفْعَةِ الْجْيُوسِيَّاسِيَّةِ لِـ«الْإِسْلَامُ فُوبِيَا» بِحَيْثُ تَجَاوَزَتْ الْعَرَبَ إِلَى الشَّرْقِ، كَالصَّبِينِ وَبَعْضِ دَوْلِ آسِيَا الْوُسْطَى وَشَرْقِ أَفْصَى أُرُوبَا فِيهَا يُعَدُّ عَوْلَةً لِـ«الْإِسْلَامُ فُوبِيَا»!!... وَلَقَدْ تُجَوِّزَتْ كَافَّةُ الْخَطُوطِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا سَبَقَ حَمْرَاءُ.. وَلَمْ يُعَدَّ ثَمَّةَ تَوَرُّعٌ وَلَا مَوْضُوعِيَّةٌ فِي مُعَالَجَةِ الظَّاهِرَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي صَارَتْ تُهَاجَمُ بِاجْتِرَاءٍ وَعَشْمٍ.. وَبِلَا

تَبْصُرٍ أَوْ هَوَادَةٍ أَوْ رَحْمَةٍ!..! لَمْ لَا وَحُكُومَاتُ الْعَرُوبَةِ وَالْإِسْلَامِ لَمْ تَتَّخِذْ مَوْقِفًا جَادًا حِيَالِ تِلْكَ الظَّاهِرَةِ، بَلْ بَارَكَ بَعْضُهَا مِنْ طَرْفِ خَفِيِّ حَمَلَةِ «الْإِسْلَامِ فُؤُوبِيًا»، لِأَنَّهَا فِي الْوَاقِعِ تَصُوبُ فِي خَانَةِ أَهْدَائِهِمُ الْقَاصِرَةَ وَغَايَاتِهِمُ الْمَحْدُودَةَ، إِذْ يَعْتَقِدُ الْبَعْضُ أَنَّ حَمَلَةَ «الْإِسْلَامِ فُؤُوبِيًا» هِيَ بِمَثَابَةِ تَصْفِيَةِ حِسَابَاتِ الْوَكَالَةِ مَعَ خُصُومِهِمْ مِنَ الْإِسْلَامِيِّينَ...!

(١٩) مِنَ الْمَثِيرِ لِلخَزْيِ وَالْأَسْفِ فِي آنٍ وَاحِدٍ: أَنَّ بَعْضَ مَنْ يُعْتَوَّنُ بِتَجْمِيلِ صُورَةِ الْإِسْلَامِ لَدَى الْعَرَبِ... لَا يَنْفَكُونَ عَنْ مُعَاوَرَةِ الْحَدِيثِ عَنِ سَاحَةِ الْإِسْلَامِ وَوَدَاعَتِهِ وَانْفِتَاحِهِ عَلَى الْآخِرِ وَتَقْدِيرِهِ هَذَا الْآخِرِ إِلَى حَدِّ الْإِسْرَافِ فِي الْمَوْلَاةِ غَيْرِ الْمَشْرُوعَةِ!.. وَأَنَّ هَذَا الْإِسْلَامَ لَا يُعَادِي أَحَدًا مُطْلَقًا، وَلَا يُكْفِرُ أَحَدًا مُطْلَقًا وَلَا.. وَلَا... إلخ... وَذَلِكَ دُونَ أَدْنَى ذِكْرٍ أَوْ تَبْيَانٍ مِنْ أَيِّ وَجْهِ لِمَوْضُوعِيَةِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَوِظَائِفِهِ الْحَضَارِيَّةِ فِي رَفْعِ نِيرِ الْاِسْتِعْبَادِ وَالظُّلْمِ وَالْاِسْتِبْدَادِ الْمُسْتَحْكِمِ مِنْ رِقَابِ الْأُمَّمِ الْمَغْلُوبَةِ عَلَى أَمْرِهَا.. وَفِي نَشْرِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالْحُرِّيَّةِ... لَا يُذَكَّرُ الْجِهَادُ فِي هَذَا السِّيَاقِ - اللَّهُمَّ إِلَّا حِينَ يُذَكَّرُ ضِمْنًا إِطَارِ الْمَفْهُومِ الدِّفَاعِيِّ عَنِ النَّفْسِ - وَبِطَرِيقَةِ تَبْرِيرِيَّةٍ مُثِيرَةٍ لِلرَّبِيَّةِ أَكْثَرَ مِنْهَا إِثَارَةً لِلْاِرْتِيَاحِ الْعَرَبِيِّ تَجَاهُنَا!... وَهُوَ مَا كَرَّسَ الْاِعْتِقَادَ الْعَرَبِيَّ، وَالسَّرْفِيَّ كَذَلِكَ!، بِأَنَّ الْجِهَادَ هُوَ بِالْفِعْلِ: «بُعْبُعٌ» أَوْ خَوَافَةُ الشُّعُوبِ الْعَرَبِيَّةِ بِحَقِّ وَحَقِيقَةٍ! مع أَنَّنَا لَوْ أَحْسَنَّا عَرَضَ بُضَاعَةِ الْجِهَادِ لَحَزْنَا قِسْطًا أَوْ فَرَ مِنَ الْاِحْتِرَامِ لِذَاتِنَا وَالتَّقْدِيرِ لِقَضَايَانَا وَمَوَاقِفِنَا فِي الْمَحَافِلِ الدَّوْلِيَّةِ!. وَالْحَقِيقَةُ، أَنَّنَا لَا نَدْرِي لِذَلِكَ الْقُصُورِ سَبَبًا مَشْرُوعًا أَوْ مُبْرَّرًا مَعْقُولًا

لِتَجَاهِلِهِ..؟! وَاعْلَلْ هَذَا إِنْ دَلَّ فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى خَلَلٍ فِي مَنْظُومَةِ الْإِعْتِقَادِ
 الْإِسْلَامِيِّ وَغَبْشٍ فِي تَصَوُّرِ كُلِّيَّاتِ الْحُكْمِ وَالْمَقَاصِدِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي مَا
 جَاءَ بِهَا النَّبِيُّ - كَمَا أَسْلَفْنَا - إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، بَلْ هُوَ سَقُوطٌ فِي فَحِّ
 الْمُعْطَلَةِ وَمُرْجئةِ الْعَصْرِ..! فَضْلاً عَمَّا يَعْكِسُهُ مِنْ أَفْتِنَاتٍ وَتَصَدُّرٍ بِحَظِّ
 مُتَوَاضِعٍ مِنَ الْأَهْلِيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ وَالخِبْرَةِ السِّيَاسِيَّةِ...
 وَقِلَّةِ الدَّرَاجَةِ بِسُنَنِ اللَّهِ فِي الْعِمْرَانِ الْإِنْسَانِي، وَفِي مُقَدِّمَتِهَا سُنَّةَ
 التَّدَاوُعِ، الَّتِي لَوْ أَمِطَ عَنْ حَقِيقَتِهَا اللَّثَامُ.. لَمَا تَكَلَّفْنَا هَذَا الْعَنْتَ وَتِلْكَ
 الْمَشَقَّةَ فِي التَّرْقِيعِ وَالتَّلْفِيقِ.. وَاهْمِينَ بَأَنَّا نُقَدِّمُ الخِدْمَاتِ الْجَلِيلَةَ لِلدِّينِ
 الْحَنِيفِ وَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ؛!

ثَانِيًا: آثَارُ إِجْبَابِيَّةٍ

- ١ - أزدِيَادٌ وَعَمِي الْمُسْلِمِينَ بِدِينِهِمْ، وَأزدِيَادٌ الْحِرْصِ عَلَى التَّمَسُّكِ بِشَعَائِرِ
 الْإِسْلَامِ وَالْإِعْتِرَازِ بِهَا.. وَالْإِنْكَابُ عَلَى التَّارِيخِ دِرَاسَةً وَفَهْمًا وَشُرُوعًا
 فِي بَرَجَّةِ اسْتِعَادَةِ الْفِعْلِ الْحَضَارِيِّ الْإِسْلَامِيِّ مِنْ جَدِيدٍ!.
- ٢ - أَنَّ ظَاهِرَةَ «الْإِسْلَامِ فُؤُبِيَا» قَدْ أَفْرَزَتِ الْمَوْسَسَاتِ الْغَرِبِيَّةَ مِنَ النَّاحِيَةِ
 الْأَخْلَاقِيَّةِ وَمَنْ حَيْثُ مَدَى الْمُصْدَاقِيَّةِ... وَمَحَصَّتْهَا وَمَيَّزَتِ الْحَاقِدَ
 وَالْمُشَكِّكَ أَوْ الْمُتَشَكِّكَ مِنْهَا وَالْمُعْتَدِلَ وَالْمُتَرَدِّدَ... بَلْ وَحَدَّدَتْ بِشَكْلِ لَمْ
 يَدْعُ بِجَمَالٍ لَلْبَسِ مَعَالِمِ خَرِيطةِ الْبِرَاءِ وَالْوَلَاءِ، الَّتِي عَلَى أَسَاسِهَا يَتِمُّ تَقْيِينُ
 التَّفَاعُلَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ مَعَ الْآخَرِ بِشَكْلِ لَا يُعْذَرُ مَعَهُ جَاهِلٌ أَوْ غَافِلٌ!..
- ٣ - أَنَّ رَدَّاتِ فِعْلِ الْغَرِبِيِّينَ نُجَاهَ «الْإِسْلَامِ فُؤُبِيَا» كَانَتْ بِمِثَابَةِ رَفْعِ لِلْوَاقِعِ
 بِلا رُتُوشٍ وَلَا غُمُوضٍ.. وَهُوَ مَا أَسْهَمَ فِي تَحْدِيدِ الْإِحْتِيَاجَاتِ

الدَّعْوِيَّة... وَتَقْدِيرِ مَا يُلْزَمُ فِي تَنْشِيطِ آيَّاتِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِهَا يَتَلَاءَمُ
وَإِفْرَازَاتِ الْأَحْدَاثِ وَتَقَلُّبَاتِهَا الْمُسْتَمِرَّةِ...!

٤- إدراكُ حَجْمِ الحِقْدِ وَالكَرَاهِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُنْظَمَةِ... جَعَلَ مِنْ صِفُوفِ
الْمُدَافِعِينَ عَنِ الْإِسْلَامِ أَكْثَرَ تَنْظِيمًا وَأَكْثَرَ وَعْيًا بِطَبِيعَةِ التَّحَدِّيَاتِ عَلَى
خَرِيطَةِ عَمَلِهِمْ.

٥- ازْدِيَادُ عَدَدِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْإِسْلَامِ، إِذْ أثارَ «الْإِسْلَامُ فُونِيَا» مَزِيدًا مِنْ فُضُولِ
الْعَرَبِيِّينَ لِدِرَاسَةِ الْإِسْلَامِ وَالتَّعَرُّفِ عَلَيْهِ بِطَرِيقَةٍ أَشْمَلَ وَأَوْسَعَ مِنْ
الطَّرِيقَةِ التَّقْلِيدِيَّةِ.

٦- شُرُوعُ الْعَدِيدِ مِنَ الْجَامِعَاتِ الْأَمْرِيكِيَّةِ وَالْمَدَارِسِ فِي تَنْفِيزِ فِكْرَةِ تَدْرِيسِ
الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ، الْأَمْرُ الَّذِي سَيَزِيلُ آيَّةَ تَشْوَهَاتِ وَالتَّبَاسُاتِ عَالِقَةَ
بِالْعَقْلِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَلَا سِيَّامَا الْأَمْرِيكِيَّةِ، وَلَوْ بِقَدْرٍ مَحْدُودٍ.. يُؤْمَلُ فِي اتِّسَاعِهِ
أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ...!

٧- وَقَدْ وَاكَبَ هَذَا الْمَكْسَبَ : أَنْ بَدَأَتْ بَعْضُ الْكَنَائِسِ الْأَمْرِيكِيَّةِ تَفْتَحُ
أَبْوَابَهَا لِلْمُسْلِمِينَ كَمَا يَذْهَبُوا إِلَيْهَا، وَتَتَحَدَّثُوا عَنْ تِجَارِيهِمْ وَعَنْ
الْإِسْلَامِ، وَيَشْرَحُوا هُنَاكَ تَعَالِيمَ الْإِسْلَامِ الْحَقِيقِيَّةِ؛ بَلْ إِنَّ بَعْضَ الْمَعَابِدِ
الْيَهُودِيَّةِ قَدْ فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا لِلْمُسْلِمِينَ لِيَذْهَبُوا وَيَشْرَحُوا هُنَاكَ تَعَالِيمَ
الْإِسْلَامِ. وَقَدْ تَرْتَبَ عَلَى تِلْكَ الْجُهُودِ : قِيَامُ كَنَائِسِ أَمْرِيكِيَّةٍ بِالِدِّفَاعِ عَنِ
الْمُسْلِمِينَ الْأَمْرِيكِيِّينَ بَعْدَمَا نَفَّهَمُوا حَقِيقَةَ الْإِسْلَامِ! وَوَصَلَ الْأَمْرُ إِلَى
حَدِّ قِيَامِ كَنَائِسٍ - تِجَارُورٍ مَرَاكِزِ إِسْلَامِيَّةٍ وَمَسَاجِدَ كَانَتْ قَدْ تَعَرَّضَتْ

لَاعْتِدَاءَاتٍ مِنْ جَانِبِ مُتَطَرِّفِينَ أَمْرِيكَانَ لَطَّخُوهَا بِالْأَلْوَانِ وَالشُّعَارَاتِ
الْمُعَادِيَةِ - بِالسَّعْيِ لِإِزَالَةِ هَذِهِ الشُّعَارَاتِ الْمُعَادِيَةِ لِلْمُسْلِمِينَ .

٨- الإقبال الكبير من جانب الأمريكان على دراسة الإسلام وقراءة
ترجمات لمعاني القرآن الكريم، حتى نفذت بالفعل نسخ مطبوعة من
القرآن ونسخ من كتب إسلامية كثيرة؛ وأصبح هناك تعاطف كبير،
لدرجة أن مؤسسة نسائية تضم قرابة خمسة آلاف سيّدة أمريكية :
أعلنت تخصيص يوم يرتدي فيه أعضاؤها الحجاب الإسلامي كنوع من
التضامن مع السيّدات المسلمات المحجّبات في أمريكا، وقد أفاد
المسلمون كثيراً من هذا التعاطف الرمزي الذي يعدّ محلّ اعتبار وتقدير
من جانبنا كمسلمين.!

٩- من الإيجابيات أيضاً أنه قبل الحادي عشر من أيلول، كان عندما يتصل
المسلمون بوزارة العدل أو الشرطة للإبلاغ عن قيام جماعة أو أحد
الأشخاص بأفعال عنصرية ضد الإسلام أو ضد المسلمين : لم يكونوا
يتحرّكون، ولكنهم الآن إذا تعرّض أيّ مسلم لأذى وقام بالتبليغ، فإنّ
الشرطة ووزارة العدل أصبحتا تهتمان ومُحقّقان في الأمر، وهذا حساسية
الموقف...! وقد تم فتح قسم في وزارة العدل للتحقيق في أيّ حادث
يتعلّق بأضرار تلحق بمسلمين، كما بدأ يعمل في هذا القسم أيضاً
مسلمون.!

١٠ - أيضاً، مِنَ الْمَكَاسِبِ : إقبالُ الغريبين على تعلّم الإسلامِ لمَعْرِفَةِ مَنْ هُمْ الْمُسْلِمُونَ وما هُوَ الإسلامُ...؟ وَقَدْ أَدَّى ذَلِكَ إِلَى إِسْلَامِ أَعْدَادٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْأَمْرِيكِيِّينَ، فَقَدْ لُوْحِظَ نَفَاذُ الْكُتُبِ الْعَرَبِيَّةِ وَنُسْخُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، مِمَّا يَدْفَعُ لِلْإِعْتِقَادِ بِازْدِيَادِ عَدَدِ الدَّاخِلِينَ فِي الْإِسْلَامِ مِنَ الْعَرَبِيِّينَ؛ وَمِنَ الْمَعْرُوفِ إِحْصَائِيًّا : أَنَّ حَمْسِينَ أَلْفَ أَمْرِيكِيٍّ، مَثَلًا، يَدْخُلُونَ سَنَوِيًّا فِي الْإِسْلَامِ - هَذَا قَبْلَ أَحْدَاثِ سِبْتَمْبَرِ. كَمَا أَنَّ الْمَرَاكِزَ وَالْمُؤَسَّسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةَ شَهِدَتْ بِدَوْرِهَا طَلَبَاتٍ مُتَزَايِدَةً تَهْتَمُّ بِالْتَعَرُّفِ إِلَى الْإِسْلَامِ... وَهَذَا يُفَسِّرُ فِي نَظَرِنَا سَبَبَ اعْتِنَاقِ الْعَدِيدِ مِنَ الْفِرَنْسِيِّينَ وَالْعَرَبِيِّينَ عُمُومًا لِلْإِسْلَامِ فِي الْآوَنَةِ الْأَخِيرَةِ، مُقَارَنَةً بِنَسَبِ الْإِعْتِنَاقِ مِنْ قَبْلُ. وَنَجِدُ مِنْ أَسْبَابِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ كَذَلِكَ : التَّأثيرُ الَّذِي خَلَفَهُ قِيَامُ الْعَدِيدِ مِنَ الْمَجَلَّاتِ الْفِرَنْسِيَّةِ بِتَخْصِيصِ مَلَفَاتٍ مُطَوَّلَةٍ وَقِيَمَةٍ عَنِ الْإِسْلَامِ...!

١١ - كَذَلِكَ، نَجِدُ أَنَّ الشُّعُورَ الْإِسْلَامِيَّ بِالْتَفَاوُتِ التَّقْنِيِّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَرَبِ، فَضْلًا عَنِ التَّغْيِيرِ الْمُتَسَارِعِ فِي أَنْهَاطِ الْقِيَمِ وَالْإِتِّجَاهَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ... وَالنَّاتِجِ عَنِ التَّطَوُّرِ الْمُذْهِلِ فِي مَجَالَاتِ الْإِتِّصَالَاتِ... كُلُّ ذَلِكَ وَعَظِيمُهُ : قَدْ وَضَعَ الْعَالَمَ الْإِسْلَامِيَّ الْمُعَاَصِرَ أَمَامَ مَحْدِّ حَقِيقِيٍّ... قَدْ دَعَاهُ بِدَوْرِهِ إِلَى التَّحَوُّلِ نَحْوِ التَّارِيخِ لِتَأْصِيلِ مَوْقِفِهِ تَأْصِيلًا شَرْعِيًّا، وَمُرَاجَعَةِ أَفْكَارِهِ فِي ضَوْءِ تِلْكَ الْمُتَغْيِرَاتِ الَّتِي أَوْجَدَتْ نَوْعًا مِنْ حَتْمِيَّةِ التَّأَوُّبِ وَالتَّلَاحُمِ الْحَضَارِيِّ بَيْنَ شُعُوبِ

العالم الإسلامي على مختلف الأصدّة... ليس لمُخاصمة التّقيّاتِ
العربيّة، ورفض آليّاتها الخطيرة، بل للتأكيد على ما ينبغي استيلاؤه
من قيم عقديّة وحضاريّة تُرشّد مسيرتنا نحو المشاركة الفاعلة في
صنع الحاضر، بل والمستقبل الإنسانيّ بوجه عام.

علاجات «الإسلام فويّا» ..!

إنّ منهج الإسلام في دفع التّهم وتبرئة السّاحة بما يمكن أن يظنّه الناس
في بعضهم البعض سواءً بطريق الخطأ: هي الإيضاح والتّبيين من منطلق الثّقة
بسلامة الموقف وحسن المقصد.. والقناعة بصلاحيّات ذلك المنهج لانتظام
الحلول النّاجمة لما يمكن أن يعرض لها من قضايا ومشكلات ليس لها
فحسب، وإنّما للإنسانيّة كلّها كذلك؛! الأمر الذي يفرض علينا ابتداءً أن
نتحرّر من ضغط الواقع ونحنّ بصدد عرض بضاعة الإسلام، وأن نتخلّى عن
تمثّل موقف المريب الذي يكاد يقول خذوني!! كذلك، يفرض ضرورة توافر
آليات توعويّة معيّنة بتحرير العرب والمسلمين من قيود الخوف الوهمي
المضادّ، الذي افتعلته قوى التّجنيّ والإجفاف العربيّ والشّرقيّ العالمانيّ على
الإسلام وأهله وذوي ذمّته..! وأن نعتى بتركيز طاقتنا خارج دائرة الخوف
من الآخر، وباتجاه الانفتاح عليه والتّحاور معه في ضوء ثوابتنا العقديّة
والقيميّة والحضاريّة، وليس ثوابتهم هم - كما هو حادث الآن! ذلك بأنّ

الانطلاق من الثواب الإسلامية سيُفينا ابتداءً من أن نصير سلوكياتنا نجاه ظاهرة «الإسلام فونيا» عبارة عن مجرد ردود أفعال... لن نتمكن في عمراتها من التعبير عن ذاتيتنا الحضارية وفق منهجيات الوحي الأمين بكل أريحية وأقتدار...! وترصد هنا جملة من النقاط التي تتمثل عوامل مُضادة لظاهرة التخويف من الإسلام في الشرق أو الغرب على السواء :

أولاً : إقامة خطاب إسلامي وسطي متوازن.. مُستند إلى وحي الله ﷺ وسنة رسوله ﷺ ، بحيث يرسم هذا الخطاب حدوداً دقيقة وواضحة بين المؤمنين به وبعضهم البعض ابتداءً، وبين المؤمنين به ومخالفهم بشكل عام انتهاءً؛ وذلك للكشف عن أحد وجوه التعاطي الإسلامي مع الآخر المذهبي والإيديولوجي والحضاري. ولعل التأكيد على البعد الإنساني العالمي في الرسالة الإسلامية سوف يعتقنا من أسر التقليدية سواء في طبيعة الخطاب الإسلامي أو في تجسيدات العملية والتعاملية مع النفس والآخرين...

فالأمل في هذا السياق : أن يتخلص الخطاب الإسلامي المعاصر من نبرات الانفعال والتشنج... التي كثيراً ما تفوت في عمراتها فرص هائلة لخدمة الإسلام، والكشف عن مذخور فضائله وشوائبه في جو من الهدوء والتأمل والاقناع...!

ثانياً : تقنين آلية إسلامية للتجديد الفكري والاجتهاد الفقهي والدعوي... ينبثق عملها من صميم الحاجات الإسلامية الماسة... التي تفرسها النوازل والمستجدات فيما يتصل بالعلاقة مع الآخر، ولا سيما أن

مَوْقِعَ الْآخِرِ عَلَى خَرِيْطَةِ كَثِيْرٍ مِّنَ الْحَرَكَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ : إِمَّا غَيْرُ مَوْجُوْدٍ
أَصْلًا، وَإِمَّا غَيْرُ مُحَدَّدٍ بِدِقَّةٍ وَوُضُوْحٍ؟! .. وَهَذَا نَتِيْجَةُ طَبِيْعِيَّةِ اللَّفْصُوْرِ فِي
التَّعَاطِيِ الْفَقْهِيِّ لِهَذَا الْجَانِبِ... وَلِمُعَادَاةِ الْبَعْضِ الْاجْتِهَادَ، وَلِلتَّوَجُّسِ مِنْ
التَّجْدِيْدِ فِي هَذَا الْمَجَالِ الْحَيَوِيِّ الْحَسَّاسِ، الَّذِي يَفْرُضُ نَفْسَهُ بِكُلِّ قُوَّةٍ عَلَى
وَاقِعِنَا الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ وَالْعَالَمِيِّ. وَهَذَا أَمْرٌ لَا مَجَالَ هُنَا لِلتَّغَايُضِ عَنْهُ، لِأَنَّهُ
يُكَلِّفُنَا الْكَثِيْرَ مِنَ الْعَنَتِ وَالْحَرْجِ كَأَمَّةٍ وَحَضَارَةٍ وَدَعْوَةٍ وَفِكْرَةٍ..!

وَلَعَلَّ هَذَا مَا يَقْتَضِيهِ وُجُوْدُ آلِيَّةِ إِسْلَامِيَّةٍ أُخْرَى.. مَعْنِيَّةٍ بِتَدْشِيْنِ مَشْرُوْعِ
حَضَارِيٍّ إِصْلَاحِيٍّ.. يَرْتَكِزُ عَلَى الْحَقَائِقِ وَالْمَفَاهِيْمِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْأَصِيْلَةِ لَا عَلَى
الْمُصْطَلَحَاتِ وَالشُّعَارَاتِ...! وَبَعِيْدًا عَنِ الْمُلَابَسَاتِ الظَّرْفِيَّةِ وَرُدُوْدِ الْأَفْعَالِ
الَّتِي تَتَفَتَّتُ فِي عَمْرَاتِهَا الثَّوَابِتُ وَتَنْجِرُ الْكُلِّيَّاتُ وَتَتَعَطَّلُ الْمُحَرِّكَاتُ
الْأَسَاسِيَّةُ.. فَيَتَعَلَّبُ الْمَشْرُوْعُ الْحَضَارِيُّ الْإِسْلَامِيُّ التَّجْدِيْدِيَّ فِي مَهْدِهِ!

ثَالِثًا : ضَرُوْرَةُ التَّأْكِيْدِ عَلَى إِبْرَازِ الصَّبْغَةِ الْأَهْلِيَّةِ فِي مَجَالِ النَّشَاطِ
الْفِقْهِيِّ وَالْفِكْرِيِّ الْإِسْلَامِيِّ، وَالنَّأْيُ كُلَّمَا أَمَكْنَ عَنِ الْمُنَاحِ السِّيَاسِيَّةِ، لِأَنَّ
الْفِعَالِيَّاتِ الرَّسْمِيَّةَ غَالِبًا مَا تَكُوْنُ مُقَيَّدَةً وَغَيْرَ مُتَمَتِّعَةٍ بِحُرِّيَّتِهَا وَأَرْجِحَتِهَا فِيمَا
يَتَعَلَّقُ بِعَرَضِ الْبُضَاعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَّا فِي إِطَارِ التَّصَوُّرِ الْحُكُوْمِيِّ فِي بَعْضِ
بِلْدَانِنَا الْعَرَبِيَّةِ وَالْمُسْلِمَةِ؛ ذَلِكَ التَّصَوُّرُ الَّذِي يَأْتِي فِي مُجْمَلِهِ لِيَعَكِسَ مَرْجِعِيَّةً
عَالَمِيَّةً... مَا يُعَدُّ تَشْوِيْهًِا لِلنَّمُوْدَجِ الْإِسْلَامِيِّ الَّذِي يَبْنِي أَنْ يَتَجَاوَرَ
السِّيَاسَاتِ الْحُكُوْمِيَّةَ الْقَطْرِيَّةَ- وَإِنْ بَقِيَ حَلَّ اعْتِبَارِهِ!

رابعا: ضُورَةُ قِيَامِ الشُّرَفَاءِ مِنَ الْأَقْبَاطِ وَنَصَارَى الشَّرْقِ بِحَمَلَةِ
تَوْعِيَةٍ فِي بِلْدَانِ الْعَرَبِ حَوْلَ مُشْكَلَةِ «الإسلام فُوبِيَا»، وَذَلِكَ لِإِزَالَةِ الْمَخَافِ
الْعَرَبِيَّةِ الْمَرْعُومَةِ نُجَاهَ الْإِسْلَامِ! وَتَوْضِيحِ الصُّورَةِ الْحَقِيقِيَّةِ وَتَجَلِيَةِ الْمَوْقِفِ
الْإِسْلَامِيِّ مِنَ الْآخِرِ.. وَلَا سِيَّما أَنَّهُمْ عَاشُوا التَّجْرِبَةَ بِتَدَاعِيَاتِهَا كَافَّةً، فَصَارُوا
أَوْثَقَ مَنْ يَنْهَضُ بِهَذِهِ الْقَضِيَّةِ رَدًّا لِلْجَمِيلِ الْإِسْلَامِيِّ عَلَى أَقْلٍ تَقْدِيرِ...!
وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ هَذِهِ النُّقْطَةَ بِالذَّاتِ تُثَمِّلُ اخْتِبَارًا حَقِيقِيًّا لِمَدَى وِلَاءِ هَؤُلَاءِ
لِحَضَارَةِ الْإِسْلَامِ؛ فَقَدْ رَأَيْنَا مَنْ يَخْرُجُ مِنَ الْعَرَبِيِّينَ مُدَافِعًا عَنِ الْعَرَبِ
وَالْمُسْلِمِينَ... دُونَ أَنْ تَرَى مِثْلًا وَفُودًا مِنَ الْكَنِيسَةِ الشَّرْقِيَّةِ قَامَتْ وَلَوْ بِرِحْلَةٍ
مُجَامَلَاتِيَّةٍ لِإِزَالَةِ الْمَخَافِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي تَزْدَادُ مَعَ كُلِّ يَوْمٍ نُجَاهَ الْإِسْلَامِ
وَالْمُسْلِمِينَ!! وَفِي حَدِيثِهِ يُعَلِّقُ الْمَفْكَرُ اللَّبْنَانِيُّ النَّصْرَانِيَّ «عَسَانَ ثُوْنِي» عَلَى
تِلْكَ الْإِشْكَالِيَّةِ بِقَوْلِهِ: « عَلَى مَسِيحِي الشَّرْقِ، بَدَلُ أَنْ يَهْمَسُوا أَنْفُسَهُمْ أَوْ
يُخْتَارُوا الْهَجْرَةَ الْجَمَاعِيَّةَ : أَنْ يَكْتَسِبُوا صِدْقِيَّتَهُمْ نُجَاهَ أُورُوبَا وَالْوِلَايَاتِ
الْمُتَّحِدَةِ عِبْرَ شَرْحِ الْإِسْلَامِ إِلَى الْعَرَبِ لَا الْعَكْسِ!. لَا يَجِبُ التَّفْكِيرُ فِي
مُوَاجَهَةِ صُعُودِ الْإِسْلَامِ، بَلْ إِجَادُ حُورَاتٍ مُتَعَدِّدَةَ الْحُجْمِ دَاخِلَ الْمُجْتَمَعَاتِ
التَّعَدُّدِيَّةِ». وَكَمَا يَقُولُ بَعْضُ رِجَالِ الدِّينِ: « إِنَّ الْمَزِيدَ مِنَ النَّصْرَانِيَّةِ يَقْرُبُنَا مِنَ
الْإِسْلَامِ وَلَا يُبْعِدُنَا عَنْهُ. هُنَاكَ قَلِيلٌ مِنَ الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ نَصْرَانِيٍّ عَرَبِيٍّ يَجِبُ أَنْ
نُعِينَهُ وَنُعَزِّزَهُ»^(٢٤١).

(٢٤١) نقلًا عن: صحيفة النهار اللبنانية - ١١/٥ / ٢٠٠٤.

خامسًا : ضُورَةُ نَحْيِ الحُكُومَاتِ عَن مُّلَا حَقَّةِ التَّبَارَاتِ

الإِسْلَامِيَّةِ الوَسْطِيَّةِ لِإِمْكَانِ صَخِّ الفِكْرِ الإِسْلَامِيِّ الصَّحِيحِ فِي شَرَايِنِ الحَيَاةِ دَاخِلِ المُجْتَمَعَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ؛ فَالحَقِيقَةُ، أَنَّ تَصْفِيَةَ الحِسَابَاتِ السِّيَاسِيَّةِ مَعَ الإِسْلَامِيِّينَ أَوْ غَيْرِهِمْ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ عَلَى حِسَابِ الإِسْلَامِ وَتَجْفِيفِ مَنَابِعِ الفِكْرِ الإِسْلَامِيِّ الصَّحِيحِ... بِحُجَجِ نَصِيْقِي الحِنَاقِ عَلَى التَّطَرُّفِ وَالإِرْهَابِ.. لا.. لا.. هَذِهِ مُقَامَرَةٌ رَخِيصَةٌ.. ﴿.. فُلْيَحْدَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَن أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ النور/ ٦٣-٦٤.

سادسًا : ضُورَةُ تَقْدِيرِ وَضْعِيَّةِ المُسْلِمِينَ فِي العَرَبِ كَأَقْلِيَّاتِ

وَجَالِيَّاتِ... وَإِنَّا هُنَا لَا أَدْعُو إِلَى التَّرْخُصِ فِي مَعْلُومٍ مِنَ الدِّينِ بِالصَّرُورَةِ، بَلْ أَنشُدُ تَقْدِيرًا فِقْهِيًّا خَاصًّا فِي صَوِّءِ الأَعْتِبَارَاتِ المُرْجَّحَةِ لِمَسَالَةِ عَلَى أُخْرَى فِي إِطَارِ المَصْلَحَةِ الإِسْلَامِيَّةِ العُلْيَا... بَعِيدًا عَنِ الأَنْفِعَالَاتِ وَالمُزَايِدَاتِ العَالَمَانِيَّةِ الَّتِي لَا تَقَعُ مِنَ الشَّرْعِ مَوْقِعَ الأَعْتِبَارِ العَمَلِيِّ؛

فَمَثَلًا، أَثَارَ قَانُونِ الحِجَابِ الفِرَنْسِيِّ الشَّهِيرِ ضَجَّةٌ كُبْرَى فِي الأَوْسَاطِ الإِسْلَامِيَّةِ وَالعَرَبِيَّةِ، وَحَمَلَ المَعَارِضُونَ لِلقَانُونِ الرِّئِيسِ الفِرَنْسِيِّ « شِيرَاك » عَلَى التَّرَاجُعِ عَن إِصْدَارِ القَانُونِ. لَكِنَّ هَذَا لَمْ يَمْنَعْ مِنْ وُجُودِ حَقِيقَةِ هَامَّةٍ، وَهِيَ : أَنَّ هُنَاكَ ٦٨٪ مِنَ الفِرَنْسِيِّينَ يُؤَيِّدُونَ صُدُورَ هَذَا القَانُونِ، وَإِنَّ عَدَمَ تَلْبِيَةِ رَغْبَتِهِمْ سَتَدْفَعُهُمْ بِالصَّرُورَةِ إِلَى الأَحْتِشَادِ فِي جِبْهَةِ اليمِينِ الفِرَنْسِيِّ المُتَطَرِّفِ، الَّذِي يَقُودُ

حَمَلَةٌ مَحْمُومَةٌ لِإِنَارَةِ «الإسلام فوبيا» بَيْنَ الْفِرَنْسِيِّينَ، بِدَعْوَى « أَنَّ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ أَنْ رَدَّهُمْ شَارِل مارتل سَنَةَ ٧٣٢م عَلَى أَعْقَابِهِمْ فِي مَوْقِعَةِ « بواتيه» قَدْ عَادُوا الْيَوْمَ لِعَزْوِ فِرْنَسَا مِنْ الدَّاخِلِ بَتَوَاطُؤِ الْيَمِينِ الدِّيْمُقْرَاطِيِّ»^(٢٤٢). وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ لَمْ نَسْمَعْ صَوْتًا لِمَجْمَعِ فِقْهِيٍّ أَصْدَرَ بَيَانًا يُوضِّحُ فِيهِ أَهْمِيَّةَ الْحِجَابِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَوْ مِنَ النَّاحِيَةِ الْخُلُقِيَّةِ أَوْ الْحَضَارِيَّةِ أَوْ حَتَّى الْحَقُوقِيَّةِ... بَلْ لَمْ نَسْمَعْ رَأْيًا يُفْصِّلُ الْحُكْمَ الشَّرْعِيَّ الْمَعَالِجَ لِلْمَسْأَلَةِ مِنْ حَيْثُ: مَدَى مَشْرُوعِيَّةِ ارْتِدَاءِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ فِي الْغَرْبِ الْحِجَابِ دُونَ غِطَاءِ الْوَجْهِ؟!.

سابعا : تَدَشِينُ أَلِيَّةِ إِعْلَامِيَّةٍ مُضَادَّةٍ.. تَعْمَلُ عَلَى التَّرْوِيجِ لِمَا يُمَكِّنُ أَنْ نُسَمِّيَهُ « الغرب فوبيا West Phobia » أو « أمريكا فوبيا amirka phobia»! وَذَلِكَ لِإِمْكَانِ وَضْعِ الْأُمُورِ الْعَالَمِيَّةِ فِي نِصَابِهَا الصَّحِيحِ، وَتَبْيَانِ مَنْ هُوَ أَجْدَرُ أَنْ يُخَشَى مِنْهُ الْعَالَمُ الْمُسْتَضْعَفُ...؟! ذَلِكَ الْعَالَمُ الَّذِي بَاتَ بِرِمَّتِهِ يَنْظُرُ إِلَى الْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ وَالْغَرْبِ نَظْرَةَ عِدَائٍ وَكِرَاهِيَّةٍ... حَيْثُ صَارَتْ الْقُوَّةُ الْهَائِلَةُ بِيَدِ جَمَاعَةٍ تَنْكَرَتْ لِإِنْدَاءَاتِ الْعَقْلِ.. وَرَاحَتْ تَضْرِبُ فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ دُونَ النَّظَرِ إِلَى الْعَوَاقِبِ وَالْآثَارِ الْوَحِيمَةِ... الَّتِي أَضْرَّتْ بِالْإِنْسَانِ.. وَأَضْرَّتْ بِالْبِيئَةِ وَبِالْكُونِ وَالْحَيَاةِ... بَلْ أَضْرَّتْ بِالتَّرَاثِ الْعَالَمِيِّ وَالْحَضَارِيِّ الْإِنْسَانِيِّ...!

ثامنا : ضَرُورَةُ الْأَلَّا يُقْتَصَرُ دَوْرُ الْمَرَاكِزِ وَالْمُنْظَمَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْقَائِمَةِ فِي الْغَرْبِ عَلَى خِدْمَةِ الْجَالِيَّاتِ الْمُسْلِمَةِ، وَخِدْمَةِ قَضَايَاهَا ذَاتِ

(٢٤٢) - نقلًا عن : صحيفة الحوار المتمدن - العدد: ٦٩٤ - ١٢/٢٦/٢٠٠٣.

الْخُصُوصِيَّةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ فَحَسَبَ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَتَجَاوَزَ هَذَا الدَّوْرَ تِلْكَ الْخُدُودَ
 الصَّيْفَةَ وَصُولاً إِلَى مَدِّ جُسُورِ الْخُوارِ وَالتَّوَاصُلِ مَعَ التَّنْظِيمَاتِ الْحُكُومِيَّةِ
 وَالْأَهْلِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَعَظِيمِهَا مِنَ الْكِياناتِ لِإِزْساءِ قَاعِدَةٍ مِنَ التَّعاوُنِ وَالتَّفاهُمِ
 الْبِناءِ!... حَيْثُ إِنَّ الْحاجَّةَ الْآنَ تَدْعُو إِلَى الْعَمَلِ الْمُشْتَرِكِ مِنْ أَجْلِ تَحْجَاوِزِ
 النِّظَرَةِ السَّلْبِيَّةِ الْمُوجَّهَةِ ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ، وَالَّتِي صَنَعَتْهَا بَعْضُ الدَّوائِرِ الْإِعلامِيَّةِ
 وَالسِّياسِيَّةِ الْمُغْرِضَةِ^(٢٤٣).

ثُمَّ إِنَّ ارْتِكاكَ نَشاطِ الْجالياتِ الْإِسلامِيَّةِ فِي الْغَرْبِ عَلَى خَلْفِيَّةِ الْقِيَمِ
 وَالرَّصِيدِ الْحَضارِيِّ الْإِصْلاحِيِّ الصَّخْمِ... يُمَكِّنُ أَنْ يَمُدَّها بِأَسبابِ
 التَّوَاصُلِ مَعَ الْمُجْتَمَعاتِ غَيْرِ الْإِسلامِيَّةِ الَّتِي تَتَعاشِرُ مَعها بِمُخْتَلَفِ
 شَرائِحِها- وَبِغَيْرِ مُضاعَفاتٍ سَلْبِيَّةِ أَوْ مُشْكِلاتِ أَوْ آثارِ جانيبِيَّةِ صَارَّةٍ! فَعَلَى
 الْمُسْتَوَى الْإِنْسائِيِّ، يُعْتَبَرُ التَّسامُحُ الْحَضارِيُّ بِمِثابَةِ الْقاعِدَةِ الْعامَّةِ الَّتِي يَبْنِي
 عَلَيْها الْمُسْلِمُونَ عَلاقَتِهِمْ بِغَيْرِهِمْ، وَهُوَ تَسامُحٌ يَنْطَلِقُ مِنَ الْإِيْمانِ بِوَحْدَةِ
 الْأَصْلِ الْإِنْسائِيِّ، وَبِالْقِيَمِ وَالْمِثْلِ الْعُلْيا الَّتِي يَدِينُ بِها الْبَشَرُ فِي كُلِّ عَصْرِ مِنْ
 عَصُورِ التَّارِيخِ، وَهِيَ قِيَمُ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالْحَيْرِ وَالْبِرِّ وَالْمَعْرُوفِ وَالْفَضِيلَةِ
 وَالْعِفَّةِ وَالصِّدْقِ وَالْأمانَةِ وَالِاسْتِقامَةِ وَالشَّجاعةِ وَالْمُرُوءَةَ وَنَجْدَةَ الْمَسْتغِيثِ
 وَنُصْرَةَ الْمَظْلُومِ... الخ؛

(٢٤٣) من تصريح لرئيس رابطة العالم الإسلامي: عبد الله التركي - انظر: العدد: ١٨٥٠ -

جريدة العالم الإسلامي - السعودية - الاثنين ٢ جمادى الثانية ١٤٢٥هـ.

وَعَلَى صَعِيدِ آخَرَ، فَإِنَّهُ عَلَى مُسْتَوَى تَبَادُلِ الْمَصَالِحِ وَالْمَنَافِعِ وَالتَّعَايُشِ بِمَفْهُومِهِ الشَّامِلِ الْعَمِيقِ، فَإِنَّ الْمُتَسَبِّبِينَ لِذِينِهِمُ الْحَقُّ، يَعْلَمُونَ جَيِّدًا أَنَّ الْعَمَلَ وَجْهٌ مِنْ وَجُوهِ الْعِبَادَةِ، وَأَنَّ السَّعْيَ فِي الْأَرْضِ تَكْلِيفٌ رَبَّانِيٌّ لِلْإِنْسَانِ، وَأَنَّ نَفْعَ الْعِبَادِ مَقْصِدٌ شَرِيفٌ مِنْ مَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَأَنَّ دَرَجَةَ الْمَفَاسِدِ مُقَدَّمٌ عَلَى جَلْبِ الْمَنَافِعِ، وَأَنَّ التَّعَاوُنَ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَالتَّحَرُّرَ وَالْمُصْلَحَةَ الْعَامَّةَ : فَرِيضَةٌ دِينِيَّةٌ، وَأَنَّ اكْتِسَابَ الْقُوَّةِ وَتَحْقِيقَ الرُّقِيِّ وَصُنْعَ التَّقَدُّمِ وَالتَّفَوُّقِ فِي الْعِلْمِ وَالتَّعَمُّقِ فِي الْمَعْرِفَةِ : هُوَ مِنْ مَقْتَضِيَّاتِ الْحَيَاةِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي يَنْشُدُهَا الْإِنْسَانُ السَّوِيُّ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ.

تاسِعًا : ضَرُورَةُ إِقَامَةِ حِوَارٍ مَعَ الْآخَرِ، لِإِمْكَانِ الْوُصُولِ إِلَيْهِ بِصُورَتِنَا الْحَضَارِيَّةِ الْأَصِيلَةِ الْمَجْرَدَةِ، فَلَعَلَّ « الْحَوَارَ مَعَ الْآخَرِ وَالْإِقْدَامَ عَلَيْهِ يُعْبَرُ عَنْ قُوَّةِ الْإِيمَانِ الَّذِي يَتَحَلَّى بِهِ الْمُسْلِمُ، وَثِقَتِهِ بِدِينِهِ وَنَفْسِهِ، خَاصَّةً إِذَا عَلِمْنَا أَنَّ الْإِسْلَامَ سَادَ وَانْتَشَرَ فِي الْعَالَمِ بِقُوَّةِ الْحُجَّةِ وَجِدِّيَّةِ الْحَوَارِ وَالْجِدَالِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ مَعَ الْآخَرِ؛ فَالْإِنْسَانُ يَمِيلُ بِفِطْرَتِهِ نَحْوَ الْحَقِّ وَالْجَمَالِ، وَيُحِبُّ الْعَدْلَ وَالْحُرِّيَّةَ وَالْأَخْلَاقَ الْحَمِيدَةَ... وَهَذَا مِمَّا يُبَسِّرُ بِهِ الْإِسْلَامَ : إِنَّمَا هُوَ ثَوَابِتَ عَقْدِيَّةٍ وَحَضَارِيَّةٍ كَمَا أَنَّهُ حَقَائِقُ عَمَلِيَّةٍ سِوَاءٍ سِوَاءٍ؛ فَلَا بُدَّ مِنْ تَجَاوُزِ عُقْدَةِ الْخَوْفِ الَّتِي حَوَّلَتْ مُجْتَمَعَاتِنَا إِلَى أَنْسَاقٍ مُسْتَعْلِقَةٍ عَلَى الْآخَرِ بِشَكْلِ قَدِّ كَرَسٍ مِنْ سُكُوكِهِ وَخَوَافِهِ نَجَاهِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ بِالْجُمْلَةِ! » إِنَّ « التَّحَرُّرَ مِنْ

الْحَوْفُ هُوَ : الطَّرِيقُ لِقَوَّةِ الْعَقْلِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى مُوَاجَهَةِ الْآخِرِ بِإِجَابِيَّةٍ وَإِقْنَاعٍ؛ فَالْعَقْلُ إِنَّمَا يَتَحَرَّرُ تَمَامًا عِنْدَمَا يَتَجَاوَزُ عَتَبَةَ الْحَوْفِ» (٢٤٤).

عاشِرًا : إِذَا صَحَّ اعْتِقَادُنَا بِأَنَّنا مَعْنِيُونَ بِهَيْدَايَةِ الْعَالَمِ إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَالْأَخْذِ بِيَدَيْهِ إِلَى اللَّهِ الْحَقِّ ﷻ، وَأَنَّ تَحْرِيرَ الْإِنْسَانِ كُلِّ الْإِنْسَانِ مِنْ أُنَانِيَّتِهِ إِلَى آفَاقِ إِنْسَانِيَّةٍ وَأَخْلَاقِيَّةٍ أَرْحَبَ، فَإِنَّ عَلَيْنَا وَاجِبَاتٍ دَعْوِيَّةً تُحْتَمُّ عَلَيْنَا التَّنَبُّهُ إِلَى أَهْمِيَّةِ نَبْذِ الثَّقَافَةِ الْمُخَادِعَةِ الَّتِي تَجْتَرُّنَا تَحْتَ صَغَطِ ظُرُوفِ نَفْسِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ إِلَى إِعَادَةِ إِنتَاجِ ظَاهِرَةِ الْجَيْتُو الْيَهُودِيِّ فِي الْمَجْتَمَعَاتِ الْغَرِبِيَّةِ، فَنَقْضِي عَلَى أَنْفُسِنَا بِأَنْفُسِنَا...! فَلَقَدْ عَلَّمَنَا الْإِسْلَامُ الْإِنْفِتَاحَ بِلَا تَسْيِبٍ وَالْإِنْدِمَاجَ بِلَا انْفِرَاطٍ، وَالْحَوَازَ مَعَ الْآخِرِ فِي إِطَارِ الثَّوَابِتِ الْإِبَانِيَّةِ وَالْحَضَارِيَّةِ... الَّتِي تَحْفَظُهُ وَإِيَانَا مِنْ تَجَاوُزِ أَصُولٍ وَأَعْرَافٍ وَحُدُودِ التَّعَامُلِ الْقَائِمِ عَلَى الْفَهْمِ وَالتَّقْدِيرِ وَالِاحْتِرَامِ الْمُبَادَلِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ غَيْرِنَا...

حادي عشر : إِجْبَادُ الْمُؤَسَّسَاتِ الثَّقَافِيَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ حَقًّا عَلَى صِيَاغَةِ الْوَعْيِ الْإِسْلَامِيِّ النَّاصِحِ - الْمُؤَسَّسَاتِ الَّتِي تُرَبِّي الْإِنْسَانَ الْمُسْلِمَ عَلَى مَبْدَأِ التَّسَامُحِ الْعَمِيقِ، وَتُعَدِّي الْأَجْيَالَ بِحُبِّ الْوَطَنِ، وَتُمْكِّنُ أُنْبَاءَهَا مِنْ اللُّغَةِ الْأُمِّ، وَتُطَلِّعُهُمْ عَلَى تَارِيخِنَا، خَاصَّةً فِي مَجَالِ الْإِنْجَازَاتِ الْحَضَارِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ لَهَا الْأَثَرُ الْكَبِيرُ عَلَى مَهْضَةِ أَوْرُبَّا وَالْعَرَبِ، وَلَكِنْ بِدُونِ مُبَالَغَةٍ وَإِسْفَافٍ، مَعَ الْإِشَارَةِ الْمُرَكَّزَةِ إِلَى تَارِيخِ الشُّعُوبِ الْآخَرَى، وَبَيَانِ نِقَاطِ الْإِشْرَاقِ فِي تَارِيخِ هَذِهِ الشُّعُوبِ، لِكَيْ نَخْرُجَ بِحَصِيلَةٍ تَارِيخِيَّةٍ عَالِمِيَّةٍ تُسَاعِدُنَا عَلَى

٢٤٤) محمد رضا محرم - تحديث العقل السياسي الإسلامي - مرجع سابق - ص ١١٦.

مُواجهَةَ التَّحَدِّيَّاتِ، وَتَمَكُّنًا مِنْ فَهْمِ الآخَرِ مِنْ مَنْظُورٍ إِبْجَابِيٍّ.. يَسْمَحُ
بِالتَّكَامُلِ الَّذِي مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَصْنَعَ مَجْتَمَعًا إِنْسَانِيًّا حَيًّا يَعِيشُ بِقِيَمِ الإِسْلَامِ-
وَإِنْ لَمْ يَدِنْ بِهِ..!

ثاني عشر: يَبْنِي التَّوَكُّيدَ عَلَى أَنَّ الحِفَاظَ عَلَى الهُوِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ لَا
يَتِمُّ مِنْ خِلَالِ العُزْلَةِ؛ فَقَدْ يَتَسَبَّبُ ذَلِكَ فِي مَزِيدٍ مِنَ العُقْدِ النَّفْسِيَّةِ الَّتِي تَحْلُقُ
التَّعَصُّبَ.. وَتُكْرَسُ الانْغِلَاقُ، وَتَقْتُلُ كُلَّ فُرْصَةٍ لِأَرْجِيَّةِ العَمَلِ الدَّعْوِيِّ
الرَّشِيدِ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ؛ فَإِنَّ الحِفَاظَ عَلَى الهُوِيَّةِ يَتِمُّ مِنْ خِلَالِ إِبْجَادِ
صِغَةِ لِلسَّرَاكَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ مَعَ المَجْتَمَعَاتِ الغَرِيبَةِ تَسْقُ مَعَ رُوحِ الشَّرْعِ
وَمَقَاصِدِهِ الحَضَارِيَّةِ وَتَوَجُّهَاتِهِ العَالَمِيَّةِ... لِأَنَّ هَذِهِ الشَّرَاكَةَ بِقَدْرِ مَا تُتِيحُ
فُرْصَةَ مَعْرِفَةِ الآخَرِ بِصُورَةٍ جَيِّدَةٍ وَوَاعِيَةٍ... فَإِنَّهَا تُتِيحُ كَذَلِكَ فُرْصَةَ اكْتِشَافِ
الذَّاتِ؛ وَبِالتَّالِيِ اكْتِشَافِ الهُوِيَّةِ كَقِيَمَةٍ وَتَعْرِيفُ وَتَحْدِيدُ دَقِيقٍ عَلَى خَرِيطَةِ
الوَعْيِ الإِسْلَامِيِّ بِقَصِيَّةِ الاسْتِخْلَافِ وَوِطَائِفِهِ الإِيمَانِيَّةِ وَمَسْئُولِيَّاتِهِ الحَضَارِيَّةِ
فِي هَذَا الوُجُودِ...! فَالحَقِيقَةُ، أَنَّ « اكْتِشَافَ الهُوِيَّةِ يَحْتَاجُ إِلَى الوَسْطِ المُتَنَوِّعِ
أَكثَرَ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَى الوَسْطِ المُتَجَانِسِ، مِنْ هُنَا نُشَدُّ عَلَى ضَرُورَةِ التَّوَاصُلِ مَعَ
الآخَرِ، وَذَلِكَ مَهْمَا كَانَ دِينُهُ وَوَلُونُهُ وَأَيْدِيوَلُوجِيَّتُهُ»^(٢٤٥).

ثالث عشر: ضَرُورَةُ التَّرْكِيزِ عَلَى إِنْهَاءِ وَتَمْيِيزِ الجَلَالِيَّاتِ المُسْلِمَةِ فِي
وُجُودِهَا الإِسْلَامِيِّ العِلْمِيِّ أَوْ التَّقْنِيِّ أَوْ التَّخَصُّصِيِّ الدَّقِيقِ... الَّذِي يَعْطِفُ

(٢٤٥) غالب حَسَن - الأقليات المسلمة في الغرب من العزلة إلى الاندماج - نقلًا عن:
209.61.210.137/uofislam/behoth/ - بِصُرْفِ بَسْبِيسِ.

نَحْوَهُ اهْتِمَامَ الْغَرْبِيِّينَ بِصُورَةِ إِجْبَائِيَّةٍ تَرْبِطُ تَمَوُّقَ هَذِهِ الْجَالِيَّاتِ بِعَقِيدَتِهَا، فَتَلَا سَى شَيْئًا فَشَيْئًا الْأَنْطِبَاعَاتِ الْغَرْبِيَّةِ الْخَاطِئَةُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ.

رَابِعُ عَشَرَ: ثُمَّ إِنَّا إِذَا كُنَّا مُطَالِبِينَ دَاخِلِيًّا وَخَارِجِيًّا بِتَصْحِيحِ

صُورَتِنَا بِلَا قَرِينَةٍ إِدَانَةٍ...؟! فَإِنَّا نُطَالِبُ الْغَرْبَ أَيْضًا بِتَصْحِيحِ صُورَتِهِ وَمَوَاقِفِهِ.. وَتَحْسِينِ سِيرَتِهِ وَالتَّكْفِيرِ عَنِ خَطَايَاهُ وَفَطَائِحِهِ وَبَشَائِعِهِ التَّارِيخِيَّةِ فِي حَقِّ الْإِسْلَامِ وَالْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ!... وَالْاِعْتِدَارِ عَمَّا ارْتَكَبَهُ فِي حَقِّنَا مِنْ حُرُوبٍ صَلِيبِيَّةٍ وَاسْتِعْمَارٍ وَعُدْوَانٍ عَلَى الْأَوْطَانِ وَالْحُرْمَاتِ وَالْمَمْتَلَكَاتِ... وَلَمْ يَزَلْ شَغْبُهُ وَاقِعًا وَلَمْ تَهْدَأْ وَتِيرَةٌ إِرْهَابِهِ فِي كُلِّ مَنْ الْعِرَاقِ وَأَفْغَانِسْتَانَ وَفِلَسْطِينَ وَلُبْنَانَ وَالسُّودَانَ وَإِلَاحِي مَنْطِقَةَ الْقُرْنِ الْإِفْرِيْقِيِّ حَتَّى كِتَابَةِ هَذِهِ السُّطُورِ!

خَامِسُ عَشَرَ: ضَرُورَةٌ تَدْشِينُ مَرْصِدٍ لِظَاهِرَةِ «الْإِسْلَامِ فُؤُبِيًّا»،

لِدِرَاسَتِهَا وَتَحْلِيلِهَا وَتَتَبُّعِ تَطَوُّرَاتِهَا وَتَقْيِيمِهَا وَالْعَمَلِ عَلَى إِنْشَاءِ آلِيَّةِ قَضَائِيَّةٍ دَوْلِيَّةٍ ضَمَّنَ فَعَالِيَّاتِ الْمُنْتَظَمَةِ الدَّوْلِيَّةِ لِلْأُمَّمِ الْمُتَّحِدَةِ.. نَحْوُلُ مَلَا حَقَّةَ مُرُوجِي «الْإِسْلَامِ فُؤُبِيًّا»، وَحَاكَمَتَهُمْ وَإِنْزَالَ بِهِمْ مَا يُنَاسِبُ هَذِهِ الْجَرِيْمَةَ مِنَ الْعِقَابِ الْمَادِّيِّ وَالْأَدْبِيِّ!... فَلَيْسَتْ أَكْذُوبَةٌ اهُوُلُو كُوسْتِ، وَلَا ذَرْعِيَّاتٌ مَا يُسَمَّى بِمُعَادَاةِ السَّامِيَّةِ أَعْلَى مِنْ سَمْعَةِ الْإِسْلَامِ أَوْ أَشْرَفَ مِنْ مَقَامِ النَّبِيِّ الْخَاتَمِ الْكَرِيمِ مُحَمَّدٍ ﷺ! وَحَتَّى عَلَى الْأَقْلِّ يُمَكِّنُنَا مُوَاجَهَةَ النِّفَاقِ السِّيَاسِيِّ وَالْمُجَامَلَاتِ الْفَارِغَةِ الَّتِي يُهَارِسُهَا قَادَةُ وَرَعْمَاءُ الْغَرْبِ مَعَ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ لِلْإِفْلَاتِ مِنَ الْإِحْرَاجِ الصُّحْفِيِّ،! فَبَيْنَمَا يُصْرِّحُ الرَّئِيسُ الْفِرَنْسِيُّ «شِرَاك» بِأَنَّ «الْإِسْلَامَ

فُونياً» أمرٌ مرفوضٌ، وَيَجِبُ مُحَارَبَتُهَا بِكُلِّ الْوَسَائِلِ الْفِكْرِيَّةِ وَالْقَانُونِيَّةِ الصَّرُورِيَّةِ. وَحُسْنِ الْحِطِّ أَنَّهَا مِنْ خُصُوصِيَّةِ أَقْلِيَّةٍ مِنَ النَّاسِ، وَلَنْ تَجْدُونِي مُطْلَقًا بَيْنَ هَذِهِ الْأَقْلِيَّةِ»^(٢٤٦)، نَرَاهُ هُوَ الَّذِي يُبْدِي مُوقِفًا أَكْثَرَ تَشَدُّدًا إِزَاءَ قَضِيَّةِ الْحِجَابِ بِاعْتِبَارِهِ خَطَرًا عَلَى عَالَمَانِيَّةِ فِرْنَسَا...! كَذَلِكَ، « بَلْ كِلْتَوْنِ الرَّئِيسِ الْأَمْرِيكِيِّ الْأَسْبَقُ، الَّذِي يُسْتَقْبَلُ بِالْحَفَاوَةِ وَالاحْتِرَامِ وَالتَّقْدِيرِ وَالتَّبَجِيلِ كُلَّمَا حَلَّ ضَيْفًا عَلَيْنَا...! نَجِدُهُ فِي أَحَدِ كُتُبِهِ يَصِفُ مَحَطَّةَ « هَارلم » لِلسَّكِّ الْحَدِيدِيَّةِ فِي مَدِينَةِ نِيُورِكِ بِأَنَّهَا قَدْ « تَحَوَّلَتْ مَعَ الْوَقْتِ إِلَى « مَكَّةَ » يَحْجُّ إِلَيْهَا الْمُتَعَامِلُونَ بِالْمُخَدَّرَاتِ، وَرِجَالُ الْعَصَابَاتِ، وَالْمَجْرُمُونَ مِنْ جَمِيعِ الْأَنْوَاعِ»^(٢٤٧). وَفِي آخِرِ أَيْلُولِ ٢٠٠٥م، عِنْدَمَا نُشِرَ انْتِي عَشَرَ رَسْمًا فِي الصَّحِيفَةِ الدَّانِمَارِكِيَّةِ الْمَشَارِ إِلَيْهَا سَابِقًا، حَيْثُ احْتَوَى أَحَدُهَا عَلَى صُورَةٍ لِلنَّبِيِّ الْكَرِيمِ وَالرَّسُولِ الْحَتَّامِ مُحَمَّدٍ ﷺ مُرْتَدِيًا عِمَامَةً عَلَى شَكْلِ قُنْبَلَةٍ.... ثُمَّ نَجِدُ الْمُسْتَشَارَ النَّمْسَاوِيَّ يَدِينُ بِشَكْلِ صَرِيحٍ مُلْصَقَاتٍ تُصَوِّرُ الرَّئِيسِينَ الْأَمْرِيكِيِّ « جورج بوش » وَالْفِرْنَسِيَّ « جاك شيراك » وَمَلِكَةَ بَرِيطَانِيَا « إِلِيزَابِيثِ الثَّانِيَّةِ » فِي وَضْعٍ جِنْسِيٍّ!

سَادِسُ عَشَرَ: صُرُورَةُ تَشْكِيلِ مَوْسَّسَاتِ ذَاتِ صِبْغَةٍ قَانُونِيَّةٍ تُمَثِّلُ فِي

مَجْمُوعِهَا التَّنْظِيمِيَّيَّ أَدَوَاتَ صَغَطٍ سِيَاسِيٍّ وَاجْتِمَاعِيٍّ مُنْظَمٍ وَفَاعِلٍ، وَمُرَاعَاةَ أَنْ تَكُونَ الْجَالِيَّاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْغَرْبِ ذَاتَ شَأْنٍ مِنَ النَّوَاحِي الْعِلْمِيَّةِ

(٢٤٦) نقلًا عن: جريدة الرياض السعودية - العدد: ١٣٠٩٧ - الجمعة ١١ ربيع الأول ١٤٢٥هـ.

(٢٤٧) بل كلينتون - بَيْنَ الْأَمَلِ وَالتَّارِيخِ فِي مَوَاجَهَةِ التَّحْدِيَّاتِ الْأَمْرِيكِيَّةِ لِلقَرْنِ الْحَادِي

والعشرين - ت: محمد جميل قصاص - 1997 - ص ١٠٤ - نقلًا عن: عبد المعطي

الدلاي - إِذَا تَحَضَّرَ الصَّلِيبِيُّونَ - www.saaaid.net/arabic/ar109.htm

والتَّعَنِّيَّة... وَأَنْ يَكُونَ هَذَا التَّوَاجُدُ نَوْعِيًّا لَا طَفِيلِيًّا!.. كَيْ يَدَعَمَ مَسِيرَةَ
الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَيَعَمِّقَ مِنْ تَأْثِيرِ الرُّوحِ الْحَضَارِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْأَصِيلَةِ
دَاخِلَ الْمُجْتَمَعَاتِ الْعَرَبِيَّةِ!.

سَابِعُ عَشَرَ: ضُرُورَةُ اتِّخَاذِ مَوْقِفٍ عَرَبِيٍّ وَإِسْلَامِيٍّ إِيْجَابِيٍّ يَدَعَمُ
الْوُجُودَ الْمُتَمَيِّزَ لِلْأَقْلِيَّاتِ الْمُسْلِمَةِ فِي الْعَرَبِ. فَقَدْ كَانَتْ الدَّانَارُكَ بِصَدَدِ
إِصْدَارِ « تَشْرِيعَاتٍ يَحْظُرُ الْقُرْآنُ فِي الدَّانَارُكَ... أَضْفَ إِلَى ذَلِكَ : التَّأَكِيدَ عَلَى
رَفْضِ وُجُودِ مَسْجِدٍ لِلْمُسْلِمِينَ؛ وَكَانَ الْحِزْبُ النَّازِي فِي الدَّانَارُكَ قَدْ حَخَّضَرَ
لِظَاهِرَةِ سَيَحْرُقُ فِيهَا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ مَعَ حَرْقِ الْعِلْمِ السُّعُودِيِّ الَّذِي يَحْمِلُ
شِعَارَ التَّوْحِيدِ»^(٢٤٨)!... وَلَكِنَّ رَدَّةَ فِعْلِ الشَّارِعِ الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ وَالْمُقَاتَعَةَ
الشَّعْبِيَّةَ فَضْلًا عَنْ سَحَبِ السَّفِيرِ السُّعُودِيِّ فِي «كُوبِنَهَايْن»: قَدْ حَالَتْ دُونَ
حُدُوثِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ... «قَدْ بَدَتِ الْبُعْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ
أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ» المائدة/ ١١٨ .

ثَامِنُ عَشَرَ: ضُرُورَةُ تَحْرُكِ مَوْسَّسَاتِ الْمُجْتَمَعِ الْأَهْلِيِّ فِي بِلَادِ
الْعَرُوبَةِ وَالْإِسْلَامِ، كَالنَّقَابَاتِ الْمِهْنِيَّةِ لِلْمُحَامِيْنَ وَالْمُهَنْدِسِيْنَ وَالْأَطْبَاءِ
وَالْإِعْلَامِيَّيْنَ وَغَيْرِهَا مِنَ الْاِتِّحَادَاتِ الْإِقْلِيمِيَّةِ، وَالتَّوَاصُلِ مَعَهُمْ بِشَرَحِ
رِسَالَةِ الْإِسْلَامِ وَحَقِيقَةِ مَوْقِفِهَا مِنَ الْآخَرِ، وَإِزْسَالِ مُذَكَّرَاتِ اِحْتِجَاجٍ إِلَى
نُظَرَائِهِمْ فِي الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ لِلتَّبْصِيرِ بِخَطُورَةِ « الْإِسْلَامِ فُويَا! ».

(٢٤٨) ناصر السهلي- سطحية التعامل مع عقلمنا... مرة أخرى وتلك الرسوم المشينة-

http://www.amin.org/look - ٣١ كانون الثاني ٢٠٠٦ .

الفصل الرابع

وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهِمْ

لَئِنْ كَانَ حُبُّنَا لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ قَدْ مَلَكَ عَلَيْنَا قُلُوبَنَا وَجَوَارِحَنَا وَنَالَ مِنْ مَشَاعِرِنَا وَأَحَاسِيسِنَا كُلَّ مَنَالٍ فَاتَّبَعْنَاهُ وَمَصَّيْنَا بِهِدْيِهِ وَسِرْنَا بِسِيرَتِهِ وَعَرَفْنَا بِهِ اللَّهَ ﷻ وَوَحَدَّنَاهُ.. ثُمَّ دَعَوْنَا بِدَعْوَتِهِ وَفَاءً لَهُ وَعِزْفَانًا بِجَمِيلِ نُبُوَّتِهِ فِينَا وَحَمَلِهِ رِسَالَةَ اللَّهِ إِلَيْنَا فَأَخْرَجْنَا بِهَا مِنَ الظُّلُمَاتِ النُّورَ... كُلُّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَا غَرَابَةَ فِيهِ بِمُقْتَضَى إِيْمَانِنَا بِهِ ﷻ. وَلَكِنَّ الآخِرِينَ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُشَاطِرُونَا هَذَا الْاِعْتِقَادِ أَوْ التَّوَجُّهَ الْإِيْمَانِيَّ... إِمَّا عِنَادًا وَمُكَابَرَةً وَاتِّبَاعًا لِأَهْوَائِهِمْ، وَإِمَّا حِمَاقَةً وَحِقْدًا وَحَسَدًا... وَإِمَّا جَهْلًا وَكَسَلًا وَتَرَاحِيًّا عَنِ التَّمَسُّكِ الْحَقِّ - وَالْحَقُّ أَبْلَجٌ!، وَإِمَّا خَوْفًا مِنْ ذَهَابِ الْجَاهِ وَالْمَجْدِ وَالسُّلْطَانِ... إِلَّا قَلَّةً قَلِيلَةً مِنْهُمْ: قَدْ أَبَى اللَّهُ ﷻ إِلَّا أَنْ تُقَرَّ بِهَذَا الْحَقِّ لِلْحَدِّ مِنْ أَوْهَامِ الْوَاهِمِينَ وَأَبَاطِيلِ الْمُبْطِلِينَ وَأَرَاغِيفِ الْمُرْجِفِينَ وَخَوْفِ الْخَائِفِينَ وَتَرَدُّدِ الْمَتَرَدِّدِينَ!...

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنْ الْإِسْلَامَ وَرَسُولَهُ لَيْسَا بِحَاجَةٍ لِتَأْكِيدِ جِدَارَتَيْهِمَا وَقُدْسِيَّتَيْهِمَا وَاسْتِحْقَاقِيَّتَيْهِمَا النَّبَوَّةِ مِنْ أَحَدٍ سِوَى اللَّهِ ﷻ!.. بَيِّدْنَا سَنَعَرِضُ فِي هَذَا السِّيَاقِ لِمَجْمُوعَةٍ مِنْ شَهَادَاتِ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ لِمَنْ شَاءَ الْاِسْتِثْنَاءِ أَوْ لِمَنْ تُعْجِبُهُمْ رُؤْيَةُ الْحَقِّ تَنْطَلِقُ بِهِ الْاِسْنَةُ الْمُنْصِفِينَ أَوْ الَّذِينَ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُظْهِرَ بِهِمْ

أَحَدٌ وَجُوهَ هَذَا الْحَقِّ رَعِمَ كَوْنِهِمْ غَيْرَ مُسْلِمِينَ!... مُتَّسِقِينَ فِي ذَلِكَ مَعَ قَوْلِ
 اللَّهُ ﷻ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ: «وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا» يُونُسُ / ٢٦ .
 وَإِنَّا مِنْ مُنْطَلَقِ إِيمَانِنَا بِأَنَّ الْآخِرِينَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُحْشَرُوا فِي سَلَّةٍ وَاحِدَةٍ،
 تَأْسِيسًا عَلَى التَّصَوُّرِ الْإِيمَانِيِّ لِطَبِيعَةِ الْمَعَامَلَةِ مَعَ الْآخِرِ الْكِتَابِيِّ غَيْرِ الْمُسْلِمِ، وَالَّتِي
 وَصَفَهَا الْوَحْيُ بِقَوْلِهِ: «لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ
 آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
 وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُوا
 مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ» آلِ عِمْرَانَ / ١١٢ - ١١٥ .

وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُؤْخَذَ فِي الْحُسْبَانِ الْمُسْلِمِ: أَنَّ هَذِهِ الْمُقُولَاتِ أَوْ الشَّهَادَاتِ
 هِيَ: مَحْضٌ وَجْهَاتٍ نَظَرٍ غَرِيبَةٍ، قَدْ تُحْطِطُهَا التَّعْبِيرَاتُ الدَّقِيقَةُ فِي سِيَاقِ
 وَصْفِ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ فِي تَوْصِيفِ الْإِسْلَامِ وَالظَّاهِرَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ بِوَجْهِ عَامٍّ؛ وَلَقَدْ
 آثَرْتُ أَنْ أَوْخَرَ هَذِهِ الْإِحَالَاتِ لِتَكَرُّسِ قَنَاعَةِ كُلِّ مُنْصِفٍ بِأَنَّ مَا نَحْنُ
 بِصَدْدِهِ مِنْ «الْحُوفِ الْإِسْلَامِيِّ Islam phobia» إِنَّمَا هُوَ: مَحْضٌ وَهُمْ وَهْرَاءِ
 وَافْتِرَاءٍ وَاجْتِرَاءٍ...!

يَقُولُ الْمَهَاتِمَا غَانِدِي: «أَرَدْتُ أَنْ أَعْرِفَ صِفَاتَ الرَّجُلِ الَّذِي يَمْلِكُ
 بِدُونِ نِزَاعِ قُلُوبِ مَلَائِكَةِ الْبَشَرِ.. لَقَدْ أَصْبَحْتُ مُقْتَنِعًا كُلَّ الْإِفْتِنَاعِ أَنَّ السَّيْفَ
 لَمْ يَكُنْ الْوَسِيلَةَ الَّتِي مِنْ خِلَالِهَا اِكْتَسَبَ الْإِسْلَامُ مَكَانَتَهُ، بَلْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ
 خِلَالِ بَسَاطَةِ الرَّسُولِ مَعَ دَقَّتِهِ وَصِدْقِهِ فِي الْوَعُودِ، وَتَفَانِيهِ وَإِخْلَاصِهِ
 لِأَصْدِقَائِهِ وَأَتْبَاعِهِ، وَشَجَاعَتِهِ مَعَ ثِقَتِهِ الْمُطْلَقَةِ فِي رَبِّهِ وَفِي رِسَالَتِهِ. هَذِهِ

الصِّفَاتِ هِيَ الَّتِي مَهَّدَتْ الطَّرِيقَ، وَتَحَطَّتِ الْمَصَاعِبَ - وَكَيْسَ السَّيْفِ. بَعْدَ انْتِهَائِي مِنْ قِرَاءَةِ الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ حَيَاةِ الرَّسُولِ : وَجَدْتُ نَفْسِي أَسْفًا لِعَدَمِ وُجُودِ الْمَزِيدِ لِتَعَرُّفِ أَكْثَرِ عَلَى حَيَاتِهِ الْعَظِيمَةِ»^(٢٤٩).

وَيَقُولُ الْأَدِيبُ الرَّوسِيُّ « لِيُونَ تُولُسْتُوي » : « وَمَا لَا رَبِّ فِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا كَانَ مِنْ عِظَامِ الرَّجَالِ « الْمُصْلِحِينَ » الَّذِينَ خَدَمُوا الْمُجْتَمَعَ الْإِنْسَانِيَّ خِدْمَةً جَلِيلَةً، وَيَكْفِيهِ فَخْرًا أَنَّهُ هَدَى أُمَّةً بِرُمَّتِهَا إِلَى نُورِ الْحَقِّ، وَجَعَلَهَا تَجْنُحُ لِلسَّكِينَةِ وَالسَّلَامِ وَتُؤَثِّرُ عَيْشَةَ الرَّهْدِ، وَمَنْعَهَا مِنْ سَفْكِ الدَّمَاءِ... وَفَتَحَ لَهَا طَرِيقَ الرُّقِيِّ وَالْمَدِينَةِ، وَهُوَ عَمَلٌ عَظِيمٌ لَا يَقُومُ بِهِ إِلَّا شَخْصٌ أَوْتِيَ قُوَّةً، وَرَجُلٌ مِثْلُ هَذَا جَدِيرٌ بِالاحْتِرَامِ وَالْإِكْرَامِ ». وَفِي حَدِيثِهِ، يُجِيبُ « تُولُسْتُوي » عَلَى حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ فِي خُطْبَةِ الْوَدَاعِ بِقَوْلِهِ : « قَرَأْتُ بِشَغْفٍ خُطْبَتَكَ الَّتِي أَعْجَبَنِي لِلغَايَةِ، وَهَا أَنَا أَتَعْجَلُ الرَّدَّ مُعْلِنًا سَعَادَتِي الْكَبِيرَةَ بِأَنَّ تَكُونَ لِي عِلَاقَةً مَعَ شَخْصٍ عَظِيمٍ مِثْلِكَ »^(٢٥٠).

وَفِي سِيَاقِ تَعْدِيدِهِ لِسَائِلِ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُ « تُولُسْتُوي » : « إِنْ حَيَاةَ مُحَمَّدٍ وَقُوَّةَ أَمَلِهِ، وَإِنَّ تَفْكِيرَهُ وَجِهَادَهُ وَوَبَّئْتَهُ عَلَى خُرَافَاتِ شَعْبِهِ وَخُرُوعَاتِ قَبِيلَتِهِ، وَإِنَّ شَجَاعَتَهُ وَجُرْأَتَهُ وَبَاسَهُ فِي لِقَاءِ مَا لَقِيَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَإِنَّ ثَبَاتَهُ وَبَقَاءَهُ ثَلَاثَةَ عَشَرَ عَامًا يَدْعُو بِدَعْوَتِهِ وَسَطَّ أَعْدَائِهِ وَخُصُومِهِ فِي قَلْبِ مَكَّةَ وَنَوَادِيهَا وَجَمَاعِ أَهْلِهَا... وَأَنَّ حُرُوبَهُ الَّتِي كَانَتْ

٢٤٩) مِنْ حَدِيثِهِ لَوْ مَعَ جَرِيدَةٍ « يَنْجِ إِنْدِيَا » عَنْ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ - نَقْلًا عَنْ :

<http://nosra.islammemo.cc/onenew.aspx?newid=928>

٢٥٠) نَقْلًا عَنْ :- www.aljazeera.net/NR/exeres/EF099418-B8E4-4AAC-8350-

8565C825199E

جُبُوشُهُ فِيهَا أَقَلُّ نَفِيرًا مِنْ عَدُوِّهِ... وَأَنَّ أَنَاتِهِ وَوَجَدَهُ حَتَّى يُحِرِّزُ النَّصْرَ،
وَأَنَّ تَطَّلُعَهُ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ وَتَأْسِيسِ الْعَقِيدَةِ بَعِيدًا عَنِ إِنْشَاءِ
الإِمْبْرَاطُورِيَّةِ وَإِقَامَةِ الْقَيْصَرِيَّةِ، وَأَنَّ نَجْوَاهُ الَّتِي لَا تَنْقَطِعُ مَعَ اللَّهِ، وَأَنَّ
قَبْضَ اللَّهِ إِيَّاهُ إِلَى جِوَارِهِ مَعَ نَجَاحِ دِينِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ... كُلُّ أَوْلَئِكَ : أَدَلَّةٌ عَلَى
أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَضْمُرُ خِدَاعًا أَوْ يَعِيشُ عَلَى بَاطِلٍ أَوْ ضَلَالٍ»^(٢٥١).

وَيُضَيِّفُ « تَوْلِستُوي » : « وَمَا لَا رَيْبَ فِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا كَانَ مِنْ عِظَامِ
الرَّجَالِ « الْمُصْلِحِينَ » الَّذِينَ خَدَمُوا الْمُجْتَمَعَ الْإِنْسَانِيَّ خِدْمَةً جَلِيلَةً، وَيَكْفِيهِ
فَخْرًا أَنَّهُ هَدَى أُمَّةً بِرُمَّتِهَا إِلَى نُورِ الْحَقِّ، وَجَعَلَهَا تَجَنُّحَ لِلسَّكِينَةِ وَالسَّلَامِ
وَتَوَثُّرُ عَيْشَةِ الزُّهْدِ، وَمَنَعَهَا مِنْ سَفْكِ الدَّمَاءِ... وَفَتَحَ لَهَا طَرِيقَ الرُّقِيِّ
وَالْمَدِينِيَّةِ، وَهُوَ عَمَلٌ عَظِيمٌ لَا يَقُومُ بِهِ إِلَّا شَخْصٌ أُوتِيَ قُوَّةً، وَرَجُلٌ مِثْلُ هَذَا
جَدِيرٌ بِالْإِحْتِرَامِ وَالْإِكْرَامِ. وَيَرَى « تَوْلِستُوي » أَنَّهُ قَدْ « نُسِبَ إِلَى النَّبِيِّ أُمُورًا
مُنْكَرَةً لَمْ تَحْطُرْ بِإِلَهِ، وَمُنَافِيَّةً عَلَى خَطِّ مُسْتَقِيمٍ لِرُوحِ تَعَالِيهِهِ وَمَبَادِيهِ »^(٢٥٢).

وَيَقُولُ الْمُسْتَشْرِقُ الْكَنْدِيُّ « زُويمر » (١٨١٣ - ١٩٠٠ م) : « إِنَّ مُحَمَّدًا
كَانَ وَلَا شَكَّ مِنْ أَعْظَمِ الْقَوَادِ الْمُسْلِمِينَ الدِّينِيِّينَ، وَيَصْدُقُ عَلَيْهِ الْقَوْلُ أَيْضًا
بِأَنَّهُ كَانَ مُصْلِحًا قَدِيرًا وَبَلِيغًا فَصِيحًا وَجَرِيئًا مَغْوَارًا، وَمُفَكِّرًا عَظِيمًا، وَلَا

(٢٥١) نَقْلًا عَنْ: مَجَلَّة: مِثْبَرِ الْإِسْلَامِ - الْمِصْرِيَّةِ - عَدَدُ آبْرِيلِ ١٩٧٣ - ص ١٥.

(٢٥٢) لِيُوْتَوْلِستُوي - حِكْمِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ - تَرْجَمَةُ: سَلِيمِ قَبْعِينِ - مِصْرِيَّةِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ -
القَاهِرَةِ - ١٩٨٧م - ص ١٠، ٥٧ وَمَا بَيْنَهُمَا.

يَجُوزُ أَنْ نُنْسِبَ إِلَيْهِ مَا يُنَافِي هَذِهِ الصِّفَاتِ. وَهَذَا قُرْآنُهُ الَّذِي جَاءَ بِهِ وَتَارِيخُهُ
يَشْهَدَانِ بِصِحَّةِ هَذَا الِادِّعَاءِ»^(٢٥٣).

وَيُؤَكِّدُ الْكَاتِبُ وَالْمُفَكِّرُ الْإِنْجِلِيزِي « بَرْنَارْدَشُو » (١٨١٧-١٩٠٢ م): «إِنَّ
الْعَالَمَ أُخْوَجَ مَا يَكُونُ إِلَى رَجُلٍ فِي تَفْكِيرِ مُحَمَّدٍ، هَذَا النَّبِيُّ الَّذِي وَضَعَ دِينَهُ دَائِمًا
مَوْضِعَ الاحْتِرَامِ وَالْإِجْلَالِ، فَكَانَ أَقْوَى دِينَ عَلَى هَضْمِ جَمِيعِ الْمَدِينَاتِ، خَالِدًا
خُلُودَ الْأَبَدِ؛ وَإِنِّي أَرَى كَثِيرًا مِنْ بَنِي قَوْمِي قَدْ دَخَلُوا هَذَا الدِّينَ عَلَى بَيْتِهِ، وَسَيَجِدُ
هَذَا الدِّينَ مُجَالَةً الْفَسِيحَ فِي هَذِهِ الْقَارَةِ (يعني أوروبا). إِنَّ رِجَالَ الدِّينِ فِي الْقُرُونِ
الْوُسْطَى، وَنَتِيجَةً لِلجَهْلِ أَوْ التَّعَصُّبِ، قَدْ رَسَمُوا لِذَيْنِ مُحَمَّدٍ صُورَةً قَاتِمَةً؛ لَقَدْ
كَانُوا يَعْتَبِرُونَهُ عَدُوًّا لِلْمَسِيحِيَّةِ، لَكِنِّي اطَّلَعْتُ عَلَى أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ، فَوَجَدْتُهُ
أَعْجُوبَةً خَارِقَةً، وَتَوَصَّلْتُ إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَدُوًّا لِلْمَسِيحِيَّةِ، بَلْ يَجِبُ أَنْ يُسَمَّى
مُنْقِذَ الْبَشَرِيَّةِ. وَفِي رَأْيِي، أَنَّهُ لَوْ تَوَلَّى أَمْرَ الْعَالَمِ الْيَوْمَ، لَوْفَّقَ فِي حَلِّ مُشْكَلاتِنَا بِمَا
يُؤَمِّنُ السَّلَامَ وَالسَّعَادَةَ الَّتِي يَرْتَوُونَ الْبَشَرَ إِلَيْهَا»^(٢٥٤).

وَيُجَاوِزُ الْمُسْتَشْرِقُ الْأَمْرِيكِيُّ « سِنَكْس » (١٨٣١-١٨٨٣ م) : «ظَهَرَ
مُحَمَّدٌ بَعْدَ الْمَسِيحِ بِخَمْسِمِائَةٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَكَانَتْ وَطِيفُتُهُ تَرْقِيَةً عُقُولِ الْبَشَرِ،
بِإِشْرَافِهَا الْأُصُولَ الْأَوَّلِيَّةَ لِلْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ، وَبِإِرْجَاعِهَا إِلَى الْإِعْتِقَادِ بِإِلَهِ
وَاحِدٍ، وَبِحَيَاةٍ بَعْدَ هَذِهِ الْحَيَاةِ... إِلَى أَنْ قَالَ : « إِنَّ الْفِكْرَةَ الدِّينِيَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ
أَحْدَثَتْ رُقِيًّا كَبِيرًا جِدًّا فِي الْعَالَمِ، وَخَلَّصَتْ الْعَقْلَ الْإِنْسَانِيَّ مِنْ قُبُودِهِ الثَّقِيلَةِ

٢٥٣) الدكتور زويمر - الشرق وعاداته - نُقِلَ عَنْ :

<http://nosra.islammemo.cc/onenew.aspx?newid=928>

٢٥٤) برنارد شو- مُحَمَّدٌ - عَنْ : nosra.islammemo.cc/onenew.aspx?newid=928

وَمِمَّا يُعْرَفُ أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ قَدْ أَحْرَقَتْهُ السُّلْطَاتُ الْبَرِيطَانِيَّةُ.

الَّتِي كَانَتْ تَأْسِرُهُ حَوْلَ الْهَيْكَلِ بَيْنَ يَدَيِ الْكَهَّانِ. وَلَقَدْ تَوَصَّلَ مُحَمَّدٌ - بِمَحْوِهِ
كُلِّ صُورَةٍ فِي الْمَعَابِدِ وَإِبْطَالِهِ كُلِّ تَمْثِيلٍ لَذَاتِ الْخَالِقِ الْمُطْلَقِ - إِلَى تَخْلِيصِ الْفِكْرِ
الْإِنْسَانِيِّ مِنْ عَقِيدَةِ التَّجْسِيدِ الْغَلِيظَةِ»^(٢٥٥).

وَيَقُولُ « مايكل هارت » : « إِنَّ اخْتِيَارِي مُحَمَّدًا، لِيَكُونَ الْأَوَّلَ فِي أَهَمِّ
وَأَعْظَمِ رِجَالِ التَّارِيخِ : قَدْ يُدْهِشُ الْقُرَّاءَ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ الْوَحِيدُ فِي التَّارِيخِ
كُلِّهِ الَّذِي نَجَحَ أَعْلَى نَجَاحٍ عَلَى الْمُسْتَوَيْنِ : الدُّنْيَوِيِّ وَالْدُّنْيَوِيِّ؛ فَهَنَّاكَ رُسُلٌ
وَأَنْبِيَاءٌ وَحُكَمَاءٌ بَدَّعُوا رِسَالَاتٍ عَظِيمَةً، وَلَكِنَّهُمْ مَاتُوا دُونَ إِتْمَامِهَا، كَالْمَسِيحِ
فِي الْمَسِيحِيَّةِ، أَوْ شَارِكِهِمْ فِيهَا غَيْرُهُمْ، أَوْ سَبَقَهُمْ إِلَيْهِمْ سِوَاهُمْ، كَمُوسَى فِي
الْيَهُودِيَّةِ، وَلَكِنَّ مُحَمَّدًا هُوَ الْوَحِيدُ الَّذِي أَتَمَّ رِسَالَاتَهُ الدُّنْيَوِيَّةَ، وَتَحَدَّدَتْ
أَحْكَامُهَا، وَأَمَنْتَ بِهَا شُعُوبٌ بِأَسْرَهَا فِي حَيَاتِهِ. وَلَا تَنْتَ أَفَامَ مَعَ الدِّينِ دَوْلَةً
جَدِيدَةً، فَإِنَّهُ فِي هَذَا الْمَجَالِ الدُّنْيَوِيِّ أَيْضًا : وَحَدَّ الْقَبَائِلَ فِي شَعْبِ،
وَالشُّعُوبَ فِي أُمَّةٍ، وَوَضَعَ لَهَا كُلَّ أُسُسِ حَيَاتِهَا، وَرَسَمَ أُمُورَ دُنْيَاهَا، وَوَضَعَهَا
فِي مَوْضِعِ الْإِنْتِطَاقِ إِلَى الْعَالَمِ. أَيْضًا فِي حَيَاتِهِ، فَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الرِّسَالَاتِ الدُّنْيَوِيَّةَ
وَالدُّنْيَوِيَّةَ، وَأَتَمَّهَا»^(٢٥٥).

وَفِي مَعْرُضِ تَنْوِيهِهِ بِالنَّجَاحِ الدَّعْوِيِّ الَّذِي حَقَّقَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجَالِ
نَشْرِ عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ خِلَالَ خَمْسَةِ عَشْرَ عَامًا - فِيمَا عَجَزَ عَنْهُ أَتْبَاعُ كُلِّ مِنْ
مُوسَى وَالْمَسِيحِ فِي أَلْفِ وَخَمْسِائَةِ سَنَةٍ! ... يَقُولُ الْإِمْبْرَاطُورُ الْفِرَنْسِيُّ

(٢٥٥) نَقْلًا عَنْ : <http://nosra.islammemo.cc/onenew.aspx?newid=928>

(٢٥٦) مايكل هارت- العُظَمَاءُ مِائَةٌ وَأَعْظَمُهُمْ مُحَمَّدٌ - نَقْلًا عَنْ :

<http://nosra.islammemo.cc/onenew.aspx?newid=928>

«نابليون بونابرت»: «لَقَدْ جَمَعَ مُحَمَّدٌ أَتْبَاعَهُ حَوْلَهُ، وَفِي سَنَوَاتٍ قَلِيلَةٍ: فَتَحَ مُسْلِمُوهُ نِصْفَ الْعَالَمِ... لَقَدْ كَانَ مُحَمَّدٌ رَجُلًا عَظِيمًا»^(٢٥٧). وَيَقُولُ الْعَلَامَةُ وَالْمُسْتَشْرِفُ الْأَلْمَانِيُّ «برتلي سانت هيلر» (١٧٩٣ - ١٨٨٤م): لَقَدْ «كَانَ مُحَمَّدٌ رَئِيسًا لِلدَّوْلَةِ وَسَاهِرًا عَلَى حَيَاةِ الشَّعْبِ وَحُرِّيَّتِهِ... وَكَانَ دَاعِيًا إِلَى دِيَانَةِ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ وَكَانَ فِي دَعْوَتِهِ هَذِهِ لَطِيفًا وَرَحِيمًا حَتَّى مَعَ أَعْدَائِهِ. وَإِنَّ فِي شَخْصِيَّتِهِ صِفَتَيْنِ هُمَا مِنْ أَجْلِ الصِّفَاتِ الَّتِي تَحْمِلُهَا النَّفْسُ الْبَشَرِيَّةُ: الْعَدَالَةُ وَالرَّحْمَةُ»^(٢٥٨).

وَيَقُولُ الْمُؤَرِّخُ الْإِنْجِلِيزِيُّ «ويلز»: «كُلُّ دِينٍ لَا يَسِيرُ مَعَ الْمَدِينَةِ فِي كُلِّ أَطْوَارِهَا: فَاضْرِبْ بِهِ عَرَضَ الْحَائِطِ؛ وَإِنَّ الدِّينَ الْحَقَّ الَّذِي وَجَدْتُهُ يَسِيرُ مَعَ الْمَدِينَةِ أَيْمًا سَارَتْ: هُوَ الْإِسْلَامُ. وَمَنْ أَرَادَ الدَّلِيلَ فَلْيَقْرَأِ الْقُرْآنَ وَمَا فِيهِ مِنْ نَظَرَاتٍ وَمَنَاهِجٍ عِلْمِيَّةٍ، وَفَوَائِنَ اجْتِمَاعِيَّةٍ... فَهُوَ كِتَابُ دِينٍ وَعِلْمٍ وَاجْتِمَاعٍ وَخُلُقٍ وَتَارِيخٍ... وَإِذَا طُلِبَ إِلَيَّ أَنْ أُحَدِّدَ مَعْنَى الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي أُحَدِّدُهُ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ: «الْإِسْلَامُ هُوَ الْمَدِينَةُ»^(٢٥٩). وَلَقَدْ انْبَعَثَتِ الْحَضَارَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ انْبِعَاثًا طَبِيعِيًّا مِنَ الْقُرْآنِ، وَتَمَيَّزَتْ عَنِ الْحَضَارَاتِ الْبَشَرِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ بِطَابَعِ الْعَدْلِ

257) In : abdelghani binamara & khalil temmar, mohammed... loccident temoigne

(٢٥٨) في كتابه «الشرقيون وعقائدهم - نُقْلًا عَنْ :

<http://nosra.islammemo.cc/onew.asp?newid=928>

(٢٥٩) نُقْلًا عَنْ : عَبْدُ الْمُنْعِمِ النَّمْرُ - الْإِسْلَامُ وَالْمِبَادِي الْمُسْتَوْرَدَةُ - الْهَيْئَةُ الْمِصْرِيَّةُ الْعَامَّةُ

للكتاب- القاهرة- ١٩٨٤م- ص ٨٤.

وَالْأَخْلَاقِ وَالتَّوْحِيدِ، كَمَا اتَّسَمَتْ بِالسَّاحَةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ وَالْأُخُوَّةِ الْعَالَمِيَّةِ»^(٢٦٠).
 وَيَقُولُ « ترتون »: وَإِذَا تَقَرَّرَ فِي الْأَذْهَانِ أَنَّ الْإِسْلَامَ صَرِيحٌ فِي النَّصِّ عَلَى
 وَجُوبِ مُعَامَلَةِ الذَّمِّيِّنَ بِالْحُسْنَى : أَمْكَنَ اعْتِبَارُ أَيِّ مُعَامَلَةٍ غَيْرِ هَذِهِ الْمُعَامَلَةِ
 حَدَثًا شاذًّا، لَيْسَ مِنَ الْأُصُولِ الثَّابِتَةِ فِي شَيْءٍ، لِأَنَّ هَذَا الْإِنْحِرَافَ لَا يَأْتِي مِنَ
 رُوحِ الدِّينِ بَلْ مِنْ دَوَافِعَ أُخْرَى سُوَاءُ»^(٢٦١).

وَتَقُولُ «لويجي رينالدي» : « .. لَمَّا شَعَرْنَا بِالْحَاجَةِ إِلَى دَفْعِ الْجَهْلِ الَّذِي
 كَانَ يُثْقَلُ كَاهِلِنَا، تَقَدَّمْنَا إِلَى الْعَرَبِ وَمَدَدْنَا إِلَيْهِمْ أَيْدِينَا لِأَنَّهُمْ كَانُوا الْأَسَاتِذَةَ
 الْوَحِيدِينَ فِي الْعَالَمِ»^(٢٦٢). وَيُضَيِّفُ «رُوم لاندو» : إِنَّا «حِينَ نَتَذَكَّرُ كَمْ كَانَ
 الْعَرَبُ بُدَائِيْنَ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ يُصْبِحُ مَدَى التَّقَدُّمِ الثَّقَافِيِّ الَّذِي أَحْرَزُوهُ خِلَالَ
 مَائَتِي سَنَةٍ، وَعَمَقَى ذَلِكَ التَّقَدُّمِ : أَمْرًا يَدْعُو إِلَى الذُّهُولِ حَقًّا!؛ ذَلِكَ بِأَنَّ عَلَيْنَا
 أَنْ نَتَذَكَّرَ أَيضًا : أَنَّ النَّضْرَانِيَّةَ اخْتِاجَتْ إِلَى نَحْوِ مِنْ أَلْفِ وَخَمْسِائَةِ سَنَةٍ لِكِي
 تُنْشِئَ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يُدْعَى حَضَارَةً مَسِيحِيَّةً. وَفِي الْإِسْلَامِ لَمْ يُوَلِّ كُلٌّ مِنَ الْعِلْمِ
 وَالدِّينِ ظَهْرَهُ لِلْآخِرِ، بَلْ كَانَ الدِّينُ بَاعِثًا عَلَى الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْحَضَارَةَ الْغَرْبِيَّةَ
 مَدِينَةً لِلْحَضَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ إِلَى دَرَجَةٍ نَعْجَزُ مَعَهَا عَنْ فَهْمِ الْأُولَى

(٢٦٠) نُضَلَّ عَنْ : أَنْوَرِ الْجُنْدِيِّ - أَحْطَرُ مَا تَوَاصَى بِهِ الْمُسْلِمُونَ عَبْرَ الْأَجْيَالِ - دَارُ الْأَعْتِمَامِ -
 الْقَاهِرَةُ د.ت - ص ١٦.

(٢٦١) أَسْ ترتون - أَهْلُ الذِّمَّةِ فِي الْإِسْلَامِ - تَرْجَمَةُ : حَسَنُ حَبْشِي - دَارُ الْمَعَارِفِ - مِصْرَ -
 ١٩٦٧ - ط ٢ - ص ٣٧.

(٢٦٢) نُضَلَّ عَنْ : أَنْوَرِ الْجُنْدِيِّ - مُقَدِّمَاتُ الْعُلُومِ وَالْمَنَاهِجِ - دَارُ الْأَنْصَارِ - الْقَاهِرَةُ - د.ت -
 ١٤١/٧.

إِذَا لَمْ تَتَمَّ مَعْرِفَةُ الثَّانِيَةِ»^(٢٦٣). وَيُضِيفُ آخَرَ : « نَحْنُ مَدِينُونَ لِلْمُسْلِمِينَ بِكُلِّ حَامِدٍ حَضَارَتِنَا فِي الْعِلْمِ وَالْفَنِّ وَالصَّنَاعَةِ... وَحَسْبُ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُمْ كَانُوا مِثَالًا لِلْكَمَالِ الْبَشَرِيِّ، بَيْنَمَا كُنَّا مِثَالًا لِلْهَمَجِيَّةِ»^(٢٦٤).

وَيَقُولُ الْعَلَامَةُ « بريفولت » : « مَا مِنْ نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِي الْأَزْدِهَارِ الْأُورُوبِيِّ إِلَّا يُمْكِنُ إِرْجَاعُ أَصْلِهَا إِلَى مُوْثِرَاتِ الثَّقَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِصُورَةٍ قَاطِعَةٍ، وَإِنَّ مَا يَدِينُ بِهِ عِلْمُنَا لِعِلْمِ الْعَرَبِ لَيْسَ فِيهَا قَدَمُوهُ لَنَا مِنْ كُشُوفِ مُدْهَشَةٍ وَنَظَرِيَّاتٍ مُبْتَكِرَةٍ، بَلْ إِنَّهُ مَدِينٌ بِوُجُودِهِ ذَاتِهِ... وَلَمْ يَكُنْ « يَبْكُونِ » إِلَّا رَسُولًا مِنْ رُسُلِ الْعِلْمِ وَالْمَنْهَجِ الْإِسْلَامِيِّ إِلَى أُوْرُوبَا الْمَسِيحِيَّةِ، وَهُوَ لَمْ يَمَلِّ قَطُّ مِنَ التَّصْرِيحِ بِأَنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ وَعُلُومَ الْعَرَبِ : هُمَا الطَّرِيقُ الْوَحِيدَةُ لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ»^(٢٦٥).

وَتَقُولُ الْمُسْتَشْرِقَةُ الْأَلْمَانِيَّةُ « زيفريد هونكه » (١٩١٣-١٩٩٩م) : « إِنْ هَذِهِ الْقَفْزَةُ السَّرِيعَةُ الْمُدْهَشَةُ فِي سُلْمِ الْحَضَارَةِ الَّتِي قَفَزَهَا أَبْنَاءُ الصَّخْرَاءِ، وَالَّتِي بَدَأَتْ مِنْ اللَّاشِيءِ : هِيَ جَدِيدَةٌ بِالْإِعْتِبَارِ فِي تَارِيخِ الْفِكْرِ الْإِنْسَانِيِّ... وَإِنْ أَنْتِصَارَتْهُمْ الْعِلْمِيَّةُ الْمَتَلَاخِقَةُ الَّتِي جَعَلَتْ مِنْهُمْ سَادَةً لِلشُّعُوبِ الْمُتَحَضَّرَةِ لِقَرِيدَةٍ فِي نَوْعِهَا، لِدَرَجَةٍ تَجْعَلُهَا أَعْظَمَ مِنْ أَنْ تُقَارَنَ بِغَيْرِهَا، وَتَدْعُونَا أَنْ نَقْفَ مُتَأَمِّلِينَ : كَيْفَ

(٢٦٣) رُوم لَانْدُو- الْإِسْلَامُ وَالْعَرَبُ- تَرْجَمَةٌ : مُنِيرُ الْبُعْلَبَكِيِّ- دَار الْعِلْمِ لِلْمَلَائِيْن-

بِيْرُوْت- ١٩٧٧م- ط: ٢- ص ص ٩، ٤٦.

(٢٦٤) الْكَلَامُ لِـ « هِنْرِي شَامْبُون » نَقْلًا عَنْ : عَبْدُ الْمُنْعِمِ النَّعْمُر- الْإِسْلَامُ وَالْمَبَادِئُ الْمُسْتَوْرَدَةُ-

مَرْجِع سَابِق- ص ٨٤.

(٢٦٥) رُوْبِلْت بْرِيفُولْت فِي كِتَابِهِ : بِنَاءُ الْإِنْسَانِيَّةِ- نَقْلًا عَنْ : أُوْرُو الْجُنْدِي- مُقَدِّمَاتُ الْعُلُومِ

وَالْمَنْهَاج- دَارُ الْأَنْصَارِ- الْقَاهِرَةَ- ٧١٠/٤.

حَدَّثَ هَذَا؟!، إِنَّهُ الْإِسْلَامِ الَّذِي جَعَلَ مِنَ الْقَبَائِلِ الْمُتَفَكِّكَةِ شَعْبًا عَظِيمًا، آخَتْ بَيْنَهُ الْعَقِيدَةُ، وَهَذَا الرُّوحِ القَوِيّ القَتِيّ: شَقَّ العَرَبُ طَرِيقَهُمْ بَعَزِيمَةً قَوِيَّةً تَحْتَ قِيَادَةِ حَكِيمَةٍ وَضَعَ آسَاسَهَا الرُّسُولُ بِنَفْسِهِ... أَوَلَيْسَ فِي هَذَا الْإِيْمَانِ تَفْسِيرٌ لِدَلِّكَ البَعْثِ الجَدِيدِ؟! وَالوَاقِعُ أَنَّ «رُوجر بِيكُون» أَوْ جَالِيلِيو» أَوْ «دافنشي» لَيْسُوا هُمُ الَّذِينَ أَسَّسُوا البَحْثَ العِلْمِيَّ.. إِنَّهَا السَّبَّاقُونَ فِي هَذَا المِضْمَارِ كَانُوا مِنَ العَرَبِ الَّذِينَ لَجَّوْا- بِعَكْسِ زُمَلَانِهِمُ المَسِيحِيِّينَ- فِي بَحْثِهِمْ إِلَى العَقْلِ وَالمُلاحَظَةِ وَالتَّحْقِيقِ وَالبَحْثِ المُسْتَقِيمِ، لَقَدْ قَدَّمَ المُسْلِمُونَ أَثْمَنَ هَدِيَّةٍ، وَهِيَ: طَرِيقَةَ البَحْثِ العِلْمِيِّ الصَّحِيحِ، الَّتِي مَهَّدَتْ أَمَامَ العَرَبِ طَرِيقَهُ لِمَعْرِفَةِ أَسْرَارِ الطَّبِيعَةِ وَتَسَلُّطِهِ عَلَيْهَا اليَوْمَ... وَعَلَى الرَّعْمِ مِنْ إِحْرَاقِ كُتُبِ ابْنِ سِينَا فِي مَدِينَةِ بَازِلَ بِحَرَكَةٍ مَسِيحِيَّةٍ عَدَائِيَّةٍ، فَإِنَّ كُتُبَ التَّرَاثِ العَرَبِيِّ لَمْ تُخْتَفِ مِنْ رُفُوفِ المَكْتَبَاتِ وَجُيُوبِ الأَطْبَاءِ، بَلْ ظَلَّتْ مَحْفُوظَةً بِسَرِقٍ مِنْهَا السَّارِقُونَ مَا شَاءَ لَهُمْ أَنْ يَسْرِقُوا»^(٢٦٦). هَذَا، وَتَضَيَّفُ «هُونكَه» أَنَّهُ قَدْ «اتَّسَعَتِ الهُوَّةُ بَيْنَ الحِضَارَةِ العَرَبِيَّةِ الشَّامِحَةِ وَالمَعْرِفَةِ السَّطْحِيَّةِ فِي أُورُوبَا الَّتِي كَانَتْ تَرَى أَنَّ مِنَ الكُفْرِ وَالصَّلَالِ القَوْلَ بِأَنَّ الأَرْضَ كَرَوِيَّةً»^(٢٦٧).

وَتَقُولُ المُسْتَشْرِقَةُ «هُونكَه»: «وَلَقَدْ بَحَثْتُ فِي التَّارِيخِ عَنْ مَثَلٍ أَعْلَى لِهَذَا الإِنْسَانِ، فَوَجَدْتُهُ فِي النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ... وَهَكَذَا وَجَبَ أَنْ يُظَهَرَ الحَقُّ وَيَعْلَمُوا،

(٢٦٦) زيغريد هُونكَه - شَمْسُ اللّهِ تَسْطُعُ عَلَى العَرَبِ - ترجمة: هاروق بيضون - المكتب

التجاري للطباعة - بيروت - دت - ص، ١٤٨، ٢٦٩، ٢٥٤، ٣١٥.

(٢٦٧) زيغريد هُونكَه - شَمْسُ اللّهِ تَسْطُعُ عَلَى العَرَبِ - المرجع السابق - ص ٣٧٠.

كَمَا نَجَحَ مُحَمَّدٌ الَّذِي أَخْضَعَ الْعَالَمَ كُلَّهُ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ»^(٢٦٨)؛ «إِنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ
وَلَا شَكَّ: أَعْظَمُ دِيَانَةٍ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ سَمَاحَةً وَإِنصَافًا. نَقُولُهَا بِلَا تَحْيِيزٍ،
وَدُونَ أَنْ نَسْمَحَ لِلْأَحْكَامِ الظَّالِمَةِ أَنْ تُلَطِّخَهُ بِالسَّوَادِ، وَإِذَا مَا نَحْنُ هَذِهِ
الْمُغَالَطَاتِ التَّارِيخِيَّةِ الْإِثْمَةَ فِي حَقِّهِ، وَالْجَهْلَ الْبَحْتِ بِهِ، فَإِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَتَقَبَّلَ
هَذَا الشَّرِيكَ وَالصَّدِيقَ، مَعَ ضَمَانِ حَقِّهِ فِي أَنْ يَكُونَ كَمَا هُوَ...»^(٢٦٩).

وَيَقُولُ السَّيْرُ «سِيدِيو»: «لَمْ يَشْهَدْ الْمُجْتَمَعُ الْإِسْلَامِيُّ مَا شَهِدَتْهُ
أُورُوبَا مِنْ تَحْجُرِ الْعَقْلِ، وَشَلَلِ التَّفْكِيرِ، وَجَدَبِ الرُّوحِ وَمُحَارَبَةِ الْعِلْمِ
وَالْعُلَمَاءِ، وَيَذْكَرُ التَّارِيخُ أَنَّ اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ عَالِمٍ قَدْ أُحْرِقُوا أَحْيَاءً! وَلَا
جِدَالَ فِي أَنْ تَارِيخَ الْإِسْلَامِ لَمْ يَعْرِفْ هَذَا الاضْطِّهَادَ الشَّنِيعَ الْحَرِّيَّةِ الْفِكْرِ، بَلْ
كَانَ الْمُسْلِمُونَ مُتَفَرِّدِينَ بِالْعِلْمِ فِي تِلْكَ الْعُصُورِ الْأُورُوبِيَّةِ الْمُظْلِمَةِ، وَلَمْ يَحْدُثْ
أَنْ انْفَرَدَ دِينَ بِالسُّلْطَةِ، وَمَنْحَ مُحَالِفِيهِ فِي الْعَقِيدَةِ كُلِّ أَسْبَابِ الْحَرِّيَّةِ كَمَا فَعَلَ
الْإِسْلَامُ»^(٢٧٠). وَيَعْرِضُ «سِيدِيو» لِصُورِ رَدِّ الْجَمِيلِ لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى الطَّرِيقَةِ
الْغَرَبِيَّةِ فَيَقُولُ: «لَقَدْ دَيْسَتْ بِالْأَقْدَامِ تِلْكَ الْمَدِينَةُ الْعَظِيمَةُ فِي الْأَنْدَلُسِ!

٢٦٨) زيغريد هونكّه - شَمْسُ اللَّهِ تَسْطُعُ عَلَى الْغَرْبِ - المرجع نفسه - ص ٤٦٥.

٢٦٩) زيغريد هونكّه - الله ليس كذلك - ترجمة: غريب محمد غريب - مؤسسة بافاريا

الألمانية، دار الشروق المصرية، مجلة النور الكويتية - ١٤١٦هـ - ص ١٠١.

٢٧٠) نُقْلًا عَنْ: حَسَّانِ شَمْسِي بَاشَا هَكَذَا كَانُوا... يَوْمَ كُنَّا - ص ٨٢ - نُقْلًا عَنْ:

وَمَاذَا؟ لِأَنَّهَا نَشَأَتْ مِنْ أُصُولٍ رَفِيعَةٍ، وَمِنْ طِبَاعٍ شَرِيفَةٍ، نَعَمٌ مِنْ رِجَالِ
الإِسْلَامِ. إِنَّ الْمَدِينَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ لَمْ تَتَنَكَّرْ يَوْمًا لِلْحَيَاةِ»^(٢٧١).

وَيَقُولُ « جوستاف لوبون»: «إِنَّ حَضَارَةَ الْعَرَبِ الْمُسْلِمِينَ قَدْ
أَدْخَلَتْ الْأُمَّمَ الْأُورُوبِيَّةَ الْوَحْشِيَّةَ فِي عَالَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ؛ فَلَقَدْ كَانَ الْعَرَبُ
أَسَاتِدَتِنَا... فَهُمُ الَّذِينَ مَدَّنُوا أُورُوبَا مَادَّةً وَعَقْلًا وَأَخْلَافًا، وَالتَّارِيخُ لَا
يَعْرِفُ أُمَّةً أَنْتَجَتْ مَا أَنْتَجُوهُ... إِنَّ أُورُوبَا مَدِينَةٌ لِلْعَرَبِ بِحَضَارَتِهَا...
وَالْحَقُّ أَنَّ أَتْبَاعَ مُحَمَّدٍ كَانُوا يَدِينُونَا بِأَفْضَلِيَّةِ حَضَارَتِهِمُ السَّابِقَةِ، وَإِنَّا لَمْ
نَتَحَرَّرْ مِنْ عَقْدَتِنَا إِلَّا بِالْأَمْسِ!. وَإِنَّ الْعَرَبَ هُمْ أَوَّلُ مَنْ عَلَّمَ الْعَالَمَ كَيْفَ
تَتَفَقَّحُ حُرِّيَّةُ الْفِكْرِ مَعَ اسْتِقَامَةِ الدِّينِ... فَهُمُ الَّذِينَ عَلَّمُوا الشُّعُوبَ
النَّضْرَانِيَّةَ- وَإِنْ شِئْتَ فَقُلْ: حَاوَلُوا أَنْ يُعَلِّمُوها التَّسَامُحَ الَّذِي هُوَ أَثْمَنُ
صِفَاتِ الْإِنْسَانِ... وَلَقَدْ كَانَتْ أَخْلَاقُ الْمُسْلِمِينَ فِي أَدْوَارِ الْإِسْلَامِ الْأُولَى
أَرْفَى كَثِيرًا مِنْ أَخْلَاقِ أُمَّمِ الْأَرْضِ قَاطِبَةً...»^(٢٧٢). وَتَأْتِي شَهَادَةُ الْفَيْلَسُوفِ
وَالشَّاعِرِ الْأَلْمَانِيِّ « جوتيه » مُفَرَّرًا أَنَّهُ: « إِنَّا أَهْلُ أُورُوبَا بِجَمِيعِ مَفَاهِمِنَا، لَمْ
نَصِلْ بَعْدُ إِلَى مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ، وَسَوْفَ لَا يَتَقَدَّمُ عَلَيْهِ أَحَدٌ فَحَتَّى يَوْمِنَا
هَذَا: لَا يُوجَدُ رَجُلٌ يُمَكِّنُ مُقَارَنَتَهُ بِمُحَمَّدٍ»^(٢٧٣)!

(٢٧١) الْكَلَامُ لِـ« فريدريك نيتشه»- نُقْلًا عَنْ: محمد الغزالي- ظلام من الغرب- دار

الاعتصام- القاهرة- ص ١٤٠.

(٢٧٢) جوستاف لوبون- حَضَارَةُ الْعَرَبِ- ت: عادل زعيتر- الهيئة المصرية العامة

للكتاب- القاهرة- ٢٠٠١م- ص ص ٢٦، ٢٧٦، ٥٦٦.

(٢٧٣) جوتيه- الديوان الشرقي في الديوان الشرقي- ترجمة: عبد الرحمن بدوي-

المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت- ١٩٨٢م- ص ٣١.

وَيَقُولُ الْمُسْتَشْرِقُ «دراير» : «يُبَغِي أَنْ أُنْعِي عَلَى الطَّرِيقَةِ الَّتِي تَحَايَلُ بِهَا
 الْأَدَبُ الْأُورُوبِيُّ لِيُخْفِيَ مَاتِرَ الْمُسْلِمِينَ الْعِلْمِيَّةَ عَنْ أَنْظَارِنَا!! إِنَّ الْجُورَ الْمَبْنِيَّ
 عَلَى الْحِقْدِ الدِّينِيِّ، وَالْعُرُورَ الْوَطْنِيَّ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَسْتَمِرَّ إِلَى الْأَبَدِ»^(٢٧٤). فَقَدْ
 كَانَ « مَفْهُومُ شُعْرَاءِ الْعُصُورِ الْوَسْطَى عَنِ الْإِسْلَامِ مُسْتَنَدًا عَلَى الْمَصَادِرِ
 الْكَنْسِيَّةِ الَّتِي كَانَ مِنْ هَمِّهَا أَنْ تُشَوِّهَ مُعْتَقَدَاتِهِ»^(٢٧٥). وَيُضِيفُ «توماس
 كارلايل» : أَنَّهُ « مِنْ أَكْبَرِ الْعَارِ : أَنْ يَصْغَى أَيُّ إِنْسَانٍ مُتَمَدِّنٍ مِنْ أَبْنَاءِ هَذَا
 الْجَلِيلِ إِلَى وَهْمِ الْفَائِلِينَ بِأَنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ كَذِبٌ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَكُنْ عَلَى حَقٍّ.
 وَقَدْ آتَيْنَا أَنْ نُحَارِبَ مَا يُشَاعُ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الْأَقْوَالِ السَّخِيفَةِ الْمُخْجَلَةِ»^(٢٧٦).

وَيَقُولُ الْكَاتِبُ الْفَرَنْسِيُّ «أناتول فرانس» : إِنَّ « أَسْوَأَ يَوْمٍ فِي التَّارِيخِ
 هُوَ: يَوْمُ مَعْرَكَةِ « بُوَاتِييه»، عِنْدَمَا تَرَاوَجَعَ الْعِلْمُ وَالْفَنُّ وَالْحَضَارَةُ الْعَرَبِيَّةُ أَمَامَ
 بَرَبْرِيَّةِ الْفَرَنْجِيَّةِ، أَلَا لَيْتَ « شارل مارتل» قَطَعَتْ يَدَهُ وَلَمْ يَنْتَصِرْ عَلَى الْقَائِدِ
 الْإِسْلَامِيِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْغَافِقِيِّ»^(٢٧٧).

٢٧٤) عماد الدين خليل- حَوْلُ إِعَادَةِ تَشْكَيلِ الْعَقْلِ الْمُسْلِمِ- الدُّوْحَةُ- سِلْسِلَةُ كِتَابِ
 الْأُمَّةِ- ص ٩٤.

275) Meredith Jones, The conventional Saracen of the Songs of Geste, Speculum, 17 (1942), 203.

٢٧٦) توماس كارلايل- الأبطال- ت : محمد السباعي- مكتبة مصر- القاهرة-
 ١٩٩٤م- ص ٥٣.

٢٧٧) أناتول فرانس- الحياة الجميلة- نُقِلَ عَنْ: رِيحَتْ مُحَمَّدًا وَلَمْ أَحْسِرْ الْمَسِيحَ- نُقِلَ
 عَنْ : <http://saaaid.net/Doat/dali/6.htm>

وَيَقُولُ «رِينان»: « ما يُدْرِينا أَنْ يَعُودَ الْعَقْلُ الْإِسْلَامِيُّ الْحَصِيبُ إِلَى
إِبْداعِ الْمَدِينَةِ مِنْ جَدِيدٍ؟ إِنَّ حِقَبَ الْأَزْدِهَارِ وَالْأَنْجِدَارِ مَرَّتْ عَلَى جَمِيعِ الْأُمَمِ
بِما فِيها أوروبًا الْمُتَعَجِّرِفَةً»^(٢٧٨).

وَلَقَدْ تَحَدَّثَ الْمُسْتَشْرِقُ الْفَرَنْسِيُّ « جاك بيريك » (١٩١٠ - ١٩٩٥ م) عَنْ
مَوْقِفِ الْغَرْبِ مِنَ الْإِسْلَامِ : « إِنَّ الْإِسْلَامَ الَّذِي هُوَ آخِرُ الدِّياناتِ السَّماويَّةِ
الثَّلاثِ، وَالَّذِي يَدِينُ بِهِ أَزِيدُ مِنْ مِليارِ نَسَمَةٍ فِي الْعالَمِ، وَالَّذِي هُوَ قَرِيبٌ مِنْ
الْغَرْبِ جُغرافيًّا، وَتاريخيًّا. وَحَتَّى مِنْ ناحِيَةِ الْفَيْمِ وَالْمَفاهِيمِ.. قَدْ ظَلَّ
الْإِسْلَامُ، وَيَظَلُّ حَتَّى هَذِهِ السَّاعَةِ، بِالنَّسْبَةِ لِلْغَرْبِ : ابْنُ الْعَمِّ الْمَجْهُولِ،
وَالأَخَ الْمَرْفُوضِ.. وَالْمُنْكَرِ الْأَبْديِّ.. وَالْمُبْعَدِ الْأَبْديِّ.. وَالْمُتَهَمِ الْأَبْديِّ..
وَالْمُشْتَبَةِ فِيهِ الْأَبْديِّ»^(٢٧٩).

إِنَّ هَذِهِ الشَّهادَاتِ وَعَغيرَها مِمَّا يَصْعُبُ حَضْرُهُ، كَانَتْ قائِمَةً مِنْ حَيْثُ
الْمَبْدَأُ مَنْطِقِ الْعَقْلِ النَّزِيهِ وَعَلَى عَدالَةِ الرُّؤْيَةِ إِلَى حَدِّ كَبيرٍ؛ وَلَقَدْ دَرَسَ
أَصْحابُها وَعَكَفُوا عَلَى نَقْدِ المَرِاجِعِ وَالْمِصادرِ مِنْ كُلِّ المَدارسِ وَالانْتِجاهاتِ...
فَتَجَلَّتْ لَهُمْ حَقائِقٌ مُخْتَلِفَةٌ عَمَّا أَلْفَوْهُ مُنْدرِجًا فِي التُّراثِ الأوروبِيِّ عَنِ الْإِسْلَامِ
مِنْ زُيُوفٍ وَأَباطيلٍ... وَيُلَخِّصُ «بُولِ هازار» النَتِيجَةَ النَّهايَةَ لِذَلِكَ الحِراكِ
العِلْمِيِّ الْمُتَحَرِّرِ مِنْ قِيودِ الهوى وَسَطوَةِ الحِقْدِ... فَيَقُولُ : « أَشارَ هؤِلاءِ

^(٢٧٨) نُقِلَ عَنْ : <http://saaaid.net/Doat/dali/6.htm>

^(٢٧٩) نُقِلَ عَنْ : حديث جاك بيريك مع حسونة المصباحي حول « العرب والإسلام في نظر
المستشرق الفرنسي جاك بيريك»، وَذَلِكَ بتاريخِ ٢٧/٦/١٩٩٥م - وقد نُشِرَ الحِوارُ
بِصَحيفَةِ الشَّرْقِ الأوسَطِ - لَنَدِنِ فِي ١/١١/٢٠٠١م.

الْعُلَمَاءُ إِلَى أَنَّهُ : مَا كَانَ لِإِذِينَ بِيَتْلِكَ الدَّرَجَةَ مِنَ الفَجَاجَةِ وَالسَّدَاجَةِ - كَمَا كَانَ يُشَاعُ عَنْهُ : أَنْ يُبْدِي تِلْكَ الدَّرَجَةَ مِنَ الحَيَوِيَّةِ وَيُحْرِزُ مِثْلَ ذَلِكَ التَّقَدُّمَ . وَكَوَأَنَّ النَّاسَ بَدَلًا مِنْ أَنْ يُشِيعُوا أَكْذَبَ القِصَصِ وَأَبْعَدَهَا عَنِ الحَقِيقَةِ ... لَوْ أَنَّهُمْ ذَهَبُوا إِلَى العَرَبِ أَنفُسِهِمْ مِنْ أَجْلِ مَعْرِفَةِ الحَقِيقَةِ : لَوَجَدُوا أَنَّ مُحَمَّدًا وَأَتْبَاعَهُ كَانُوا يَتَمَتَّعُونَ بِصِفَاتٍ فِي القَلْبِ وَالعَقْلِ تَجْعَلُهُمْ لَا يَقْلُونَ قَيْدَ انْمِلَةِ عَنْ عَظَمِ الأَبْطَالِ عِنْدَ أَيِّ مِنْ أَجْناسِ العَالَمِ الأُخْرَى .. وَالوَاقِعُ ، أَنَّهُ كَانَ فِي دِينِهِمْ مِنَ النَّاسِ بِقَدْرِ مَا فِيهِ مِنَ السَّمُوِّ وَالجَمَالِ . وَعِنْدَمَا اجْتَا حَتَّ البَرَبْرِيَّةَ وَجَهَ البَسِيطَةَ : مَنْ هُوَ الَّذِي حَمَلَ لِيَاءَ العَقْلِ وَحَضَارَتِهِ؟ إِنَّهُمْ العَرَبُ ..» (٢٨٠) .

وَقَبْلَ أَنْ نُنْهِيَ هَذَا السِّيَاقَ ، يُحْسِنُ بِنَا الأَسْتِخَاعِ لِذَلِكَ النَّدَاءِ الَّذِي أَطْلَقَهُ مَدِيرُ جَامِعَةِ بَرَلِينَ الأَلْمَانِيَّةِ البرُوفِسُورُ «غَرِيسِب» حَيْثُ يَقُولُ : «أَيُّهَا المُسْلِمُونَ مَا دَامَ كِتَابُكُمْ المُقَدَّسُ عُنْوَانُ مَهْضَتِكُمْ مُوجُودًا بَيْنَكُمْ ، وَتَعَالِيمُ نَبِيِّكُمْ مَحْفُوظَةً عِنْدَكُمْ ، فَارْجِعُوا إِلَى المَاضِي لِتَوْسُّسُوا المُسْتَقْبَلَ» (٢٨١) . كَمَا أَنَّهُ اسْتِنَادًا لِمَا نَطَوِيهِ مِنْ يَقِينٍ بِوُجُودِ عَقَلِيَّاتٍ مُحْتَرَمَةٍ وَمُنْصَفَةٍ فِي العَرَبِ ... فَإِنَّا نَتَطَلَّعُ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الضُّغُوطِ الَّتِي يُبَارِسُهَا كُلُّ مَنْ أَيْقَنَ بِسَلَامَةِ المَقَاصِدِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي إِصْلَاحِ هَذَا الوُجُودِ .

280) Paul Hazard, The European Mind : 1680- 1715, trans. J. Lewis May (Harmondsworth penguin Books, 1964), p. 32.

(٢٨١) نُقْلًا عَنْ : حَسَّانِ شَمْسِي بَاشَا - هَكَذَا كَانُوا ... يَوْمَ كُنَّا - ص ٩ -

أبيض

الفصل الخامس

وماذا بعد...؟!

إِنِّي حِينَ أَكْتُبُ هَذِهِ السُّطُورَ بِطُولِهَا، فَإِنَّمَا أَكْتُبُهَا بِدَافِعٍ مِنَ الرَّغْبَةِ فِي تَجْمِيعِ الْجُهُودِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِتَقْنِينَ رُؤْيَا دَقِيقَةً لِلتَّعَامُلِ مَعَ الْعَرَبِ بِمَنْهَجِيَّةٍ وَحَيَوِيَّةٍ إِزَاءَ تِلْكَ الرُّعُونَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْعَبَثِ وَالِاسْتِفْزَازِ الْمُبْنِيِّ تَارَةً عَلَى الْجَهْلِ، وَتَارَةً عَلَى سُوءِ التَّقْدِيرِ، وَتَارَةً أُخْرَى عَلَى سُوءِ النِّيَّةِ وَخُبْثِ الطَّوِيَّةِ وَالْمُعَانَدَةِ وَالِاسْتِكْبَارِ فِي الْأَرْضِ بِعَيْرِ حَقٍّ...! وَذَلِكَ بَعِيدًا عَنِ الْمَغَالَاةِ وَالرُّعُونَةِ وَرُدُودِ الْفِعْلِ الْمُبْنِيَّةِ عَلَى مُجَرَّدِ الْعَاطِفَةِ الَّتِي قَدْ تَضَرَّرَ بِقَضَايَانَا الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْعَرَبِ أَكْثَرِمًا تَنْفَعَهَا...!

وَإِنِّي مِنْ مُنْطَلَقِ هَذِهِ الرَّغْبَةِ أَرَى أَنَّنَا مُطَالِبُونَ ابْتِدَاءً بِتَبْيِيدِ مَخَافِ الْغَرِيبِينَ مِنَّا وَمِنْ دِينِنَا الْحَنِيفِ بِصُورَةٍ إِيْجَابِيَّةٍ وَمُؤَثِّرَةٍ فِي عُمُقِ الْوَعْيِ الْغَرِيبِيِّ؛ فَلَمْ تَعُدْ مُبَارَاةُ التَّخْوِيفِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُنْأَسَّاتِ الْغَرِيبَةِ الْمَعْنِيَّةِ بِتَضْيِيعِ وَإِنْتِاجِ وَتَسْوِيقِ الْخَوْفِ مِنَ الْإِسْلَامِ فَحَسْبُ، بَلْ أَصْبَحَتْ الْمَشْكِلَةُ مُرَكَّبَةً بَعْدَمَا أَصَابَ هَذَا الْخَوْفُ الْمَرْضِيَّ قِطَاعَاتٍ عَرِيضَةً مِنَ الْمُجْتَمَعَاتِ الْغَرِيبَةِ...! بَلْ وَأَخَذَتْ عَدْوَى «الْإِسْلَامِ فُؤِيًّا» تَنْتَشِرَ بَيْنَ مَجْمَعَاتِ النَّحْبَةِ؛! فَإِنَّ صَحِيفَةَ «الْجَارْدِيَانِ» مِثْلًا- الَّتِي تُوصَفُ بِأَنَّهَا «جَرِيدَةُ النَّحْبَةِ الْمُتَّقِفَةِ أَوْ الطَّبَقَةِ الْوَسْطَى الْمُتَعَلِّمَةِ فِي بَرِيْطَانِيَا»- كَانَتْ تُدَافِعُ فِيهَا مَضَى عَنِ الْإِسْلَامِ وَعَنِ قَضَايَا الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَتْ حَرِيصَةً عَلَى إِظْهَارِ مَا يُوصَفُ بِ«الْوَجْهِ الْعَقْلَانِيَّ

للإسلام» و« وَالْوَجْهِ الْمُسْتَنْكَرِ لِلْعُنْفِ وَالْإِرْهَابِ »؛ هَذِهِ الصَّحِيفَةُ، أَصْبَحَتْ
الآن ساحةً فسيحةً لِشُؤْبِهِ الإسلامِ وَالْمُسْلِمِينَ...! وَهَذَا فِي الْوَاقِعِ أَمْرٌ غَرِيبٌ
بَيْنَ مُجْتَمَعَاتٍ لَا تُقَادُ بِسَهْوَةٍ إِلَى هَذَا الْمُنْحَدَرِ الْفِكْرِيِّ وَالْخُلُقِيِّ وَالْمَنْهَجِيِّ إِلَّا
تَحْتَ ظُرُوفٍ غَيْرِ عَادِيَةٍ...! وَهُوَ مَا يَعْكُسُ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ مَدَى خُطُورَةِ
الْقَضِيَّةِ مُسْتَقْبَلًا فِي الْأَوْسَاطِ الْغَرِيبَةِ...! الْأَمْرُ الَّذِي سَيَعْسُرُ مِنْ مَهَمَّتِنَا..
وَقَدْ سَيَعْتُرُ ذَلِكَ أَيَّ جُهُودٍ عَلَى هَذَا الطَّرِيقِ... بَلْ يَتَطَلَّبُ طَاقَةً دَعْوِيَّةً
وَعِلْمِيَّةً، وَوَعْيًا سِيَاسِيًّا بِطَبِيعَةِ الْمَرْحَلَةِ وَفَقْهِ الْوَاقِعِ الْعَالَمِيِّ وَمُتَطَلَّبَاتِهِ فِي
الْمَنْظُورِ الْإِسْلَامِيِّ....!

وَالْمُلَاحَظَةُ، أَنَّ نَمَّةَ حَالَةٍ مِنَ التَّرَاجُعِ وَالْخُمُوسِ وَالذَّبُوبِ... تَتَنَابُ
الْوَاقِعَ الْعَرَبِيَّ وَالْإِسْلَامِيَّ، بِحَيْثُ أَصْبَحَتْ قُدْرَتُهُ مَحْدُودَةً فِي دَفْعِ مَا يُكَالُ
لَهُ مِنْ تَهْمٍ وَتُرْهَاتٍ وَأَكَاذِيبٍ وَأَفْتِرَاءاتٍ...؟! وَهُوَ مَا يُكْرَسُ الْقَنَاعَاتِ الَّتِي
تَرَى فِي الْإِسْلَامِ عَدُوًّا نَجِبٌ مُقَاوَمَتُهُ...! وَكُلَّ ذَلِكَ تُعَزِّزُهُ «التَّدَاعِيَاتُ
الْعَرَبِيَّةُ وَالْإِسْلَامِيَّةُ» أَمَامَ لُغَةِ التَّهْدِيدِ الَّتِي يُطْلِقُهَا الْعَرَبُ عَلَيْهِ مِنَ «إِرْهَابِ..
وَتَطْرُفٍ.. وَأُصُولِيَّةٍ..» - عَلَى حَدِّ مَا تُصَوِّرُهُ وَسَائِلِ إِعْلَامِهِ الْعَامَّةِ وَمُؤَسَّسَاتِهِ
الْمُبْرَجَّةِ عَلَى أَيْدِيُولُوجِيَّةٍ فِي كُلِّ مَكَانٍ^(٢٨٦).

وَمِنَ الْمَهْمِ الْأَنْبِيَاءِ إِلَى مَدَى عَيْبِ وَخَطُورَةِ الْأَنْطِلَاقِ التَّنْظِيرِيِّ
وَالدَّعْوِيِّ الْإِسْلَامِيِّ مِنْ مُجَرَّدِ كَوْنِنَا مُتَّهَمِينَ بِالْعُنْفِ وَالْإِرْهَابِ وَنَحْوِ ذَلِكَ
مِنَ افْتِرَاءاتِ وَزَيُوفِ وَدَعَاوَى كَاذِبَةٍ وَأَبَاطِيلٍ...! لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ

(٢٨٦) زكي الميلاد، تركي الربيعو - الإسلام والغرب - مرجع سابق - ص ٣١.

يَجْعَلُ مِنْ تَنْظِيرَاتِنَا الْعَقْدِيَّةِ وَمَطْرُوحَاتِنَا الْفَلْسَفِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ وَالْاِسْتِرَاتِيَجِيَّةِ -
فَضْلًا عَنْ مَوَاقِفِنَا السِّيَاسِيَّةِ- مُجَرَّدَ رَدُودِ اَفْعَالٍ لَا يُمَكِّنُ فِي عَمْرَاتِ مَدَّهَا
وَجَذْرُهَا أَنْ نَتَمَوَّعُ فِي بُؤْرَةِ الْوَسْطِيَّةِ الْاِسْلَامِيَّةِ... الَّتِي نُحَقِّقُ ذَاتِيَّتِنَا
الْحَضَارِيَّةَ! بَلْ إِنْ ذَلِكَ قَدْ يُفْقِدُنَا ظِلَّنَا دُونَ أَنْ نَلْوِيَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا نَصُبُو إِلَيْهِ
إِنْ كُنَّا صَادِقِينَ فِي تَوَجُّهِنَا!

وَمِنْ نَمٍّ، فَلَا يَنْبَغِي بِحَالٍ وَنَحْنُ بِصَدَدٍ مُوَاجِهَةٍ تَحْدِيَّاتِ «الْاِسْلَامِ
فُؤِيًّا» أَنْ نُفَرِّطَ فِي شَيْءٍ مِنْ ثَوَابِتِنَا الَّتِي أَكَّدَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَلَيْهَا... وَلَا أَنْ
نَتَرَخَّصَ فِي أَمْرٍ مَعْلُومٍ بِالضَّرُورَةِ مِنْ دِينِ اللَّهِ ﷻ، بِدَعْوَى التَّبْرِيرِ وَالتَّنْذُرِ
بِتَهْيِئَةِ أَجْوَاءِ التَّفَاهُمِ وَالْحَوَارِ...! فَفِي أَيِّ مِنْ ذَلِكَ : انْحِرَافٌ بِأَلْيَاتِ تَلِكِ
الْمُوَاجِهَةِ عَنْ مَسَارِهَا الْاِنْسَانِيَّ الْجَادِّ الصَّحِيحِ، وَذَهُولٌ عَنْ ثَمَرَتِهَا الْحَقِيقِيَّةِ
الَّتِي لَا تُرْتَجَى إِلَّا فِي سِيَاقِ التَّصَوُّرِ الشَّامِلِ لِعَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ الْاِسْلَامِيَّةِ! يَقُولُ
تَعَالَى: ﴿ فَاسْتَقِمُّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *
وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ ثُمَّ
لَا تُنصَرُونَ * وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ
السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ * وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾
هود / ١١٢ - ١١٥ .

وَأَرَى مِنَ الصَّرْوَرَةِ أَنْ أُشِيرَ إِلَى تِلْكَ الْحَالَةِ الَّتِي أُلْحَ إِلَيْهَا أَحَدُ
الأكاديميين^(٥)، والتي بدأت أعراضها تظهرُ في الأوساطِ الأكاديميةِ الغربيَّةِ
حَوْلَ تَصَوُّرٍ جَدِيدٍ لـ «الإسلامِ فُوبِيَا» يُسَمَّى بِـ «New islam phobia» وَهُوَ
تَصَوُّرٌ فِيمَا يَبْدُو بِدِيلًا تَلْفِيظِيًّا «يَعْتَمِدُ فِي مُسْتَوَى التَّحْلِيلِ عَلَى عِلْمِ الاجْتِمَاعِ
السِّيَاسِيِّ، وَأَنَّ هَذَا الْمُسْتَوَى مِنَ التَّحْلِيلِ يَجْمَعُ فِي آنٍ وَاحِدٍ بَيْنَ حُبِّهِ الْعَرَبِ
وَكْرَاهِيَةِ الْإِسْلَامِ»^(٦). وَهَذَا أَمْرٌ يَبْدُو غَيْرَ مَعْقُولٍ بِالنَّظَرِ إِلَى تَلَازِمِ الْعَلَاقَةِ
بَيْنَ الْعُرُوبَةِ وَالْإِسْلَامِ، فَمَا سِرُّ هَذَا التَّوَجُّهِ الْمُبْتَدِعِ الْعَجِيبِ حَقًّا...؟!
وَفِي تَصَوُّرِي، أَنَّ شَيْوَعَ ظَاهِرَةَ «الإسلامِ فُوبِيَا» فِي الْعَرَبِ: قَدْ تَسَبَّبَتْ
فِي حُصُولِ حَالَةٍ مِنَ الْحَرَجِ السِّيَاسِيِّ لَدَى الْعَرَبِيِّينَ - أَفْرَادًا وَمُؤَسَّسَاتٍ وَنُظُمًا
وَحُكُومَاتٍ - فِي سِيَاقِ عِلَاقَاتِهِمُ السِّيَاسِيَّةِ وَتَعَامُلَاتِهِمُ الْاِقْتِصَادِيَّةِ
وَتَوَاصُلَاتِهِمُ الْاِيْدِيُولُوجِيَّةِ مَعَ الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ... الْأَمْرُ الَّذِي أَضَرَ
بِالْمَصَالِحِ الْغَرْبِيَّةِ فِي بِلْدَانِنَا بِصُورَةٍ مَا...! فَكَانَ لِرِزَامًا أَنْ تَنْشَأَ حَالَةٌ ذَرَائِعِيَّةٌ
بِدِيلَةٍ تُخَفِّفُ مِنْ ذَلِكَ الْحَرَجِ بِمَا يُحَقِّقُ مَصْلَحَةَ الْعَرَبِ، فَكَانَتْ بِدَعَةً «نِيُو
إِسْلَامِ فُوبِيَا»! وَهِيَ حَالَةٌ اِعْتِدَارِيَّةٌ خَبِيثَةٌ أَفْبَحُ مِنْ ذَنْبِ «الإسلامِ فُوبِيَا»!

(٥) هُوَ: سعيد بن سعيد العلوي - عميدُ كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد
الخامس بالرباط - المغرب - وذلك في مُحاضَرَةٍ لَهُ حَوْلَ «مستقبل الإسلام في ضوء
التحديات المعاصرة»: ألقاها بالمركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر -
يوم الأربعاء ١٣ / ١٠ / ٢٠٠٤ م.
(٦) نقلًا عن: سعيد بن سعيد العلوي - مستقبل الإسلام في ضوء التحديات المعاصرة -
المرجع السابق.

وَذَلِكَ لِما تَعَكِسُهُ مِنْ رُؤْيَى تَفَكُّيْكِيَّةٍ مِنْ شَأْنِها تَكْرِيسُ حَالَةِ الفُرْقَةِ وَالانْفِسامِ فِي الصَّفِّ العَرَبِيِّ وَالإِسْلامِيِّ... بِها تَخْلُقُهُ مِنْ تِيَّارٍ يَعتَمِدُ فِي عَلاقَتِهِ مَعَ الأَخرِ مَصالِحُهُ - مَصالِحُهُ وَحَسَبِ، دُونَ الأَعتبارِ بِالمَصلِحَةِ الحَضارِيَّةِ العُلْيا الَّتِي تُقدَّرُ فِيها الحُدُودُ الشَّرْعِيَّةُ، وَتُقَدَّسُ فِيها الثَّوابُ العَقَدِيَّةُ، وَتُقاسُ فِيها مُجمَلاتُ الأُمُورِ فِي ضِوءِ القِيمِ الإِسْلامِيَّةِ الأَصِيلَةِ دُونَ اِعْتِدادِ بِالمَصالِحِ الخَاصَّةِ وَالأَهْواءِ المَنفَعِيَّةِ وَالْمَساوِماتِ السِّياسِيَّةِ الرَّخِصَةِ...!!

وَمِمَّا يَنْبَغِي الأَّ يَغيبَ عَنَّا، أَنَّ العَرَبَ فِي الحَقِيقَةِ، لَمْ يَعدْ لَدَيْهِ أَيُّ شَكْلِ مِنْ أَشْكالِ الاِسْتِغناءِ عَنِ النُّفطِ العَرَبِيِّ، ذَلِكَ النُّفطُ الَّذِي يَنْبَغِي الأَّ يَتَدَيَّنَ بِالإِسْلامِ!، لِكَيْلا يُشْكَلَ عَقَبَةٌ فِي طَرِيقِ تَدْفُفِهِ إِلى العَرَبِ بِانْسِبابِيَّةٍ وَأمانٍ مُطلقينَ...! وَمِنْ نَمَّ لا بُدَّ مِنْ تَوافُرِ النُّفطِ تَحْتَ أَيِّدي أَصْداقِ عَرَبِ إِما عالَمائينَ أَوْ مُسْلِمِينَ غَيرِ مُتَدَيِّنينَ أَوْ مُسْلِمِينَ لا يُحِبُّونَ إِفحامَ الإِسْلامِ وَالخَلْفِيَّاتِ الإِسْلامِيَّةِ فِي العَلاقَاتِ الاِقْتِصادِيَّةِ، أَوْ مُسْلِمِينَ لَدَيْهِمْ قابِلِيَّةٌ لِلأُذْجَةِ بِصُورَةٍ أَوْ بِأَخرى... وَعَلَى نَحْوِ يُحَقِّقُ لَدَى العَرَبِ مُعادَلَةَ النُّفاقِ الصَّعْبَةَ « حُبَّةُ العَرَبِ وَكَراهِيَةُ الإِسْلامِ! »؛ وَظَنِّي أَنَّ هَذا لَنْ يَنْحَقِّقَ لِلعَرَبِ، وَلَنْ يُحَقِّقَ فِي بِلَدٍ فَلَنْ يَنْحَقِّقَ فِي الأَخرِ بِإِذْنِ اللهِ ﷻ!

إِذا، نَحْنُ عَلَى آيَةِ حَالٍ أَمامَ نَحْدِ حَقِيقِيٍّ، ما لَمْ نَتَصَدَّ لَهُ كافَةٌ بِوَعْيٍ وَبِجِدِّ وَذأبٍ وَإِخْلاصٍ... فَلَنْ نَجْزِي إِلاَّ مَزِيدًا مِنَ التَّمَتُّتِ وَالصَّعْفِ وَالتَّصْغُصِ وَالرَّاجِعِ وَالتَّخْلُفِ عَنِ بُلُوغِ غاياتنا الرِّبائِيَّةِ وَأَهدافنا الحَضارِيَّةِ...!

وَالْحَقِيقَةُ - مِنْ وَجْهَةِ نَظْرِي - أَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى مُوَاجَهَةِ مَخَاطِرِ «الْإِسْلَامِ
فُونِيَا» إِلَّا بِعِدَّةِ أُمُورٍ :

أولاً : كَشْفُ أَوْرَاقِ الْعَرَبِ فِيهَا يَتَعَلَّقُ بِحَقَائِقِ وَطَبِيعَةِ عِلَاقَتِهِ بِالْآخَرِ
فِي صُورَةِ عَمَلٍ أَكَادِيمِيٍّ وَمَشَارِعٍ لِلتَّفَاعُلِ السِّيَاسِيِّ، وَذَلِكَ لِكَيْ نُنْضِجَ عَلَى
بَيِّنَةٍ مِنَ الْأَمْرِ وَوُجُودًا إِلَى الْهَدَفِ النَّهَائِيِّ الَّذِي يَكْشِفُ عَمَّنْ أَجْدَرَ أَنْ يُخْشَى
مِنْهُ بِمَنْطِقِ الْوَاقِعِ وَالتَّارِيخِ.

ثانياً : لِتَحْقِيقِ أَكْبَرَ قَدْرِ مُمَكِّنٍ مِنَ اطْمِئْنَانِ الْآخِرِ لَنَا، وَإِزَالَةِ مَخَافِهِ
مِنَّا.. وَتَقْدِيرِهِ وَاحْتِرَامِهِ إِيَّانَا : لَيْسَ إِلَّا بِاحْتِرَامِنَا لِذَاتِيَّتِنَا الْمُؤْمِنَةِ.. وَبِالْعَصْ
عَلَى عَقِيدَتِنَا وَوَقِيمِ حَضَارَتِنَا بِنَوَاجِدِنَا فَحَسْبُ، بَلْ بِالْعَمَلِ الْجَادِّ الْمُخْلِصِ عَلَى
إِعَادَةِ إِنتَاجِ الْفِعْلِ الْحَضَارِيِّ الْإِسْلَامِيِّ فِي صَدَى الْإِشْرَاقَاتِ الرُّوحِيَّةِ
وَالْمَادِّيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ لِتَرَانَا الْإِسْلَامِيِّ الْحَيِّ الْعَرِيقِ...! كَذَلِكَ بِنَبْدِ احْتِقَارِ الْآخَرِ
وَأَزْدِرَائِهِ بِالشَّكْلِ الَّذِي يَضُرُّ بِقَضَايَانَا وَمَصَالِحِنَا بِاعْتِبَارِ هَذَا الْعَرَبِ - فِي
أَسْوَأِ الْفُرُوضِ - مَجَالًا وَأَقْفًا مُتَّسِعًا لِحَرَكَةِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ...
وَمِنَ الْحِكْمَةِ : اسْتِغْلَالُ مَدَى مَا تُبَيِّحُهُ الْقَوَانِينُ الْعَرَبِيَّةُ مِنْ فُسْحَةٍ أَمَامَ تِلْكَ
الْحَرَكَةِ...! فَالْحَقِيقَةُ، أَنَّنَا أَحْيَانًا قَدْ نُوْخِذُ بِالْغَيْرَةِ وَالْحَمِيَّةِ الْإِيْمَانِيَّةِ إِزَاءَ مَا
يَتَخَذُهُ الْعَرَبِيُّونَ مِنْ مَوَاقِفَ فِيهَا مَا فِيهَا مِنَ التَّعَنُّتِ وَالتَّعَصُّبِ وَالْإِلْحَادِ...
وَمَا يُظْهِرُوهُ مِنْ مَعَانِي الْحِقْدِ الدَّفِينِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ.. وَمِنْ
التَّخْوِيفِ الْاسْتِفْزَازِيِّ الْحَبِيثِ مِنَ الْإِسْلَامِ... بِمَا يَكْفِي لاسْتِفْزَازِ كُلِّ مُخْلِصٍ
لِدِينِهِ غَيْرٍ عَلَى عَقِيدَتِهِ...! وَإِنَّ هَوَسَ الْعَرَبِ بِ«الْإِسْلَامِ فُونِيَا» يَأْتِي فِي

غَالِبِ الْأَحْوَالِ مُتَجَاوِزًا حُدُودَ الْخَوْفِ الْمَجْرَدِ إِلَى الْمُبَادَرَةِ بِالضَّرْبِ الْاِسْتِيفَائِيِّ
الغادرِ فِي عَمَلِنَا الْاِسْتِرَاتِيجِيِّ وَالْحَضَارِيِّ بِصُورَةٍ بِالِغَةِ الْاِسْتِيفَازِ!... وَقَدْ
تَأْتِي رَدَّةُ فِعْلِ الْبَعْضِ إِزَاءَ ذَلِكَ : غَضَبًا وَعُلوًّا وَتَعْصَبًا وَانْكَفَاءً عَلَى مُمَارَسَةِ
نَوْعٍ مِنَ الْعُنْفِ السِّيَاسِيِّ فِي بَعْضِ الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ أَوْ الْمُسْلِمَةِ الْمُوَالِيَةِ حُكُومَاتِهَا
سِيَاسِيًّا لِلْغَرْبِ!... فَتَقَعُ فِتْنَةٌ أُخْرَى تَحْتَ « عُنْوَانِ مُقَاوَمَةِ الْمُوَالِيْنَ
لِلْغَرْبِ »!... لَكِنَّ الْحِكْمَةَ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ : أَوْلَى وَأَجْدَى ، بَلْ أَجْدَرُ أَنْ تَكُونَ
بَيْنَ يَدَيْ مُعْضَلَةٍ « الْاِسْلَامِ فُويَا »! .

إِنَّ مَسْلَكًا خَارِجًا عَنِ مُقْتَضَى الْحِكْمَةِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْوَعْيِ بِمَصَالِحِ
الدَّعْوَةِ دَاخِلِيًّا وَخَارِجِيًّا... مِنْ سَأْنِهِ أَنْ يُذْهِلَ عَنِ التَّهْيُؤِ الْاِسْتِرَاتِيجِيِّ
التَّرْبَوِيِّ وَالْعِلْمِيِّ لِصَوْنِ أَمَانَةِ اللَّهِ ﷻ لَدَيْنَا وَنَشْرِ رِسَالَتِهِ وَسِيَادَةِ قِيَمِهِ
وَإِشَاعَةِ مَبَادِيئِهِ وَحِيهِ فِي دُنْيَا النَّاسِ أَجْمَعِينَ - وَلاَسِيْمَا فِي الْغَرْبِ الَّذِي يَبْدُو
لِكُلِّ وَاِعٍ حَصِيْفٍ أَكْثَرَ تَعْطُشًا لِقِيَمِ الْاِسْلَامِ - وَكَيْنَهُ غَائِبٌ الْآنَ أَوْ مُعَيَّبٌ
عَنْ وَعْيِهِ بِهَذِهِ الْحَقِيْقَةِ الَّتِي لَا مِرَاءَ فِيهَا بَيْنَ الْعُدُولِ وَالْمُنْصِفِينَ...!!

وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ حَلَّ الْقَضِيَّةِ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ يَنْبَغِي أَلَّا يُخْرَجَ عَنْ إِطَارِ
النَّظَرِ الْبَعِيدِ لِلْمَصْلَحَةِ الْاِسْلَامِيَّةِ الَّتِي يُقَرَّرُهَا عُلَمَاءُ الْأُمَّةِ وَالْخُبْرَاءُ بِمِثْلِ هَذِهِ
الْقَضَايَا مِنْ الْمُتَخَصِّصِينَ وَأَهْلِ الرَّأْيِ وَالْمُسَوِّرَةِ الْاِسْتِرَاتِيجِيَّةِ الدَّعْوِيَّةِ... وَبِمَا
يَعُودُ عَلَى الدَّعْوَةِ بِفَائِدَةٍ حَقِيْقِيَّةٍ؛ فَمَنْ يَدْرِي؟ فَلَرْبَمَا أَشْرَفَتْ سَمْسُ الصَّحْوَةِ
الْاِسْلَامِيَّةِ بِنُورِ الْهُدَايَةِ الْاِنْسَانِيَّةِ وَالنَّهْضَةِ الْحَضَارِيَّةِ مِنْ جِهَةِ هَذَا الْآخِرِ يَوْمًا
مِنَ الْاَيَّامِ - لَمْ لَا وَقَدْ بَشَّرَ رَسُوْلُ اللَّهِ ﷺ بِفَتْحِ رُومًا!..

ولهذا، قد لا يُجدي الأفعال شيئاً في سياق الإصرار الغربي على إخراج المشهد الإسلامي من طور الوسيطية... حتى يصدق الغربيون على ما يتوارد عليهم من الإعلام الموجه بالافتراءات والزُيُوف والأكاذيب عن الإسلام والمسلمين...! ومن ثمَّ فإنَّ ردَّ الفعل المناسب ينبغي أن ينطلق ابتداءً من القناعة بأنَّ العُزْب - سواء الكنيسته أو العالمانية - لطلماً يكره الإسلام كراهيةً تقليديةً، ولكنَّ الجديد فيها : أمَّا تأتي في ظروف تشهد تكثيفاً غربياً للتخويف من الإسلام، في محاولة لاستغلال الأحداث وتداعياتها في كَسْب جولة جديدة من الصراع الحضاري. ولكنَّ على الجانب الآخر نجد أنه من الإنصاف أن نعرِّف بهامش الحرّية النسبية المتاح لحرّكة الدعوة الإسلامية في مجمل الأوساط الغربيّة، إذ القوانين الغربيّة في مجملها لا تُجرِّم الدعوة الإسلاميّة - وإن كانت تضايقها في بعض الأحيان...!

وعلى الرَّغم من أن العُزْب لم يُقدِّم للعالم سوى الاستعمار والصِّراعات والحروب الأكثر دموية في التاريخ البشري؟!... وإنَّ ما امتنَّ اللهُ ﷻ به على الغربيين من أسباب المدنيّة المعاصرة لم يُوظَّف في غالبيته سوى في المعاجزة التقنيّة والتعجيز السياسيّ والحجر الاقتصاديّ وفرض الوصاية الحضاريّة علينا بغير سبب ودون اعتداد بقيم أو اعتبار بأخلاق أو إيمان بالتعددية والحوار المتكافئ والشراكة النزيهة!... على الرَّغم من كلِّ ذلك، فمن حكمة الدعوة إلى الله، ومن شيم العاملين لدين الله ﷻ : التريث في رفض الآخر بعجزه وبجبره... وعدم التصريح بكرهيته وسبه والإسراف في ازدراؤه... لما

فِي ذَلِكَ مِنْ قَطْعٍ لِسُبُلِ دَعْوَتِنَا هُنَاكَ مِنْ نَاحِيَةٍ، وَقَطْعٍ لِلتَّوَاصِلِ مَعَ إِخْوَانِ عَقِيدَتِنَا فِي الْعَرَبِ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى... وَلِإِمْكَانِ تَحْقِيقِ أَقْصَى فَائِدَةٍ مِنْ آيَةِ انْفِرَاجَاتِ قَانُونِيَّةِ عَرَبِيَّةٍ فِي نُصْرَةِ مَا يُمَكِّنُ تَوْصِيفُهُ بِـ « الْمَسْأَلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْعَرَبِ » مِنْ نَاحِيَةٍ ثَالِثَةٍ! فَالْمُسْلِمُ الْحَقُّ - عَلَى آيَةِ حَالٍ يَعْرِفُ لِلنَّاسِ أَقْدَارَهُمْ، وَيَحْتَرِمُ الْآخَرَ - وَإِنْ لَمْ يُؤَادِهِ أَوْ يُوَالِهِ.. ثُمَّ إِنَّ الْعَرَبَ، وَخَاصَّةً فِي عُقُودِهِ الْأَخِيرَةِ، قَدْ فَارَضَ نَفْسَهُ كَحَقِيقَةٍ لَيْسَ لِمَنْ يُرِيدُ التَّعَاشِشَ مَعَهَا أَنْ يُنْكِرَهَا أَوْ يَتَجَاهَلَهَا - وَلَا سِيَّما أَنَّهَا فِي وَضْعٍ مَدْيِيٍّ وَتَقْيِيٍّ مُتَمَيِّزٍ عَلَيْنَا فِي هَذَا الْجَانِبِ. كَمَا طَرَحَ الْعَرَبُ رُؤْيًى وَنَظَرِيَّاتٍ، وَإِنْ لَمْ تَنْفَقْ مَعَهَا بِجُمْلَتِهَا، فَلَا يُنْفَعُ إِغْفَالُهَا...! وَعَلَى الْعَاقِلِ الْحَصِيفِ أَنْ يَتَلَمَّسَ أَسْبَابَ التَّفَاهُمِ مَعَ الْعَرَبِ مِنْ خِلَالِ إِقَامَةِ حِوَارٍ « مَعَ الْعُقْلَاءِ هُنَاكَ.. وَأَنْ يُمَيِّزَ فِي سِيَاقِ هَذَا الْحِوَارِ بَيْنَ الْمُعْتَقَدِ الَّذِي لَا نَقْبَلُ الْمَسَاسَ بِهِ، وَبَيْنَ أَوْجِهِ الْمَعَاشِ الَّتِي نَحْتَرِمُ مَا أَصَلَّهُ الْعَرَبُ فِي مِيدَانِهَا »^(٢٨٤). بَلْ إِنَّا نَتَطَلَّعُ إِلَى أَنْ يُبْدِيَ الْعَرَبُ تَفْهَمًا أَعْمَقَ لِعَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فَكُرْبَمَا تَرَاجَعَ عَنِ الْمُضِيِّ فِي نَفَقِ الْكِرَاهِيَّةِ الْمُظْلِمَةِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ فِي خِصْمِهِ أَنْ نَسْتَشْرِفَ أَيَّ أَمَلٍ فِي سَعَادَةِ الْبَشَرِيَّةِ وَهَنَائِهَا!.

إِنَّا نَتَوَقَّعُ وَنَشُوقُ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَبَادِيِ الْإِسْلَامِ وَالْمُنَاصِرِينَ لِقَضَايَاهُ - وَإِنْ كَانُوا مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ دَاخِلِ النَّسِيجِ الْعَرَبِيِّ، فَهُنَاكَ « جُونِ اسبوزيتو » و « بول فندلي » و « جورج جالوي » وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْمُفَكِّرِينَ الَّذِينَ

(٢٨٤) عبد العزيز السويل - الحوار مع الاخر - مقال - مجلة الحرس الوطني - السعودية -

يُمْكِنُ يُقَدِّمُوا شَيْئًا لِلْإِسْلَامِ، وَهَذَا لَيْسَ عَلَى أَوْلَى التَّجَرُّدِ وَالنَّزَاهَةِ
وَالِاسْتِقَامَةِ الْعِلْمِيَّةِ بِكَبِيرٍ وَلَا بَعِيدٍ، وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ ﷻ بَعَزِيزٌ!

وَعَلَى جَانِبٍ آخَرَ، فَإِنَّا نَتَطَلَّعُ إِلَى جُهُودِ عَرَبِيَّةٍ وَإِسْلَامِيَّةٍ مِنْ خِلَالِ
مُنْظَمَتِي الْجَامِعَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَمُنْظَمَةِ الْمُؤْتَمَرِ الْإِسْلَامِيِّ وَاهْيئَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ
لِلتَّعْلِيمِ التَّابِعَةِ لِرَابِطَةِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ: أَنْ تُعْنَى بِصِيَاغَةِ تَصَوُّرَاتِ
وَأُسُسِ لِمَنَاهِجِ تَعْلِيمِيَّةِ ذَاتِ رُؤْيَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ مُتَمَيِّزَةٍ لِكُلِّ مَنْ الْكَوْنِ وَالْحَيَاةِ
وَالْإِنْسَانِ فِي إِطَارِ مَفَاهِمِ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَفِي ضَوْءِ النَّوَامِيسِ الْإِلَهِيَّةِ
وَالْقَوَانِينِ وَالسُّنَنِ الرَّبَّانِيَّةِ اللَّازِمَةِ لِتَنْظِيمِ وَجْهِ الْحَيَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ عَلَى وَجْهِ
الْأَرْضِ وَفَقْ مُرَادِ اللَّهِ ﷻ!؛ مَعَ تَوْفِيرِ الْكَوَادِرِ الْفَنِيَّةِ وَالخُبْرَاتِ الْعِلْمِيَّةِ
اللَّازِمَةِ لِإِنجَازِ هَذَا الْمَشْرُوعِ الْحَضَارِيِّ، الَّذِي يُعَدُّ مِنْ أَفْضَلِ الْقُرْبَاتِ إِلَى
اللَّهِ ﷻ!، وَمَنْ الْفُرُوضِ الْعِبَادِيَّةِ لِتِلْكَ الْمَرْحَلَةِ الْحَرَجِيَّةِ وَالْأَشَدِّ
خُطُورَةٍ فِي مَسِيرَتِنَا الْحَضَارِيَّةِ عَبْرَ التَّارِيخِ!...

إِنَّ الْعَمَلَ عَلَى تَخْلِيْقِ قَنَوَاتٍ لِلتَّوَاصُلِ الْمُوَسَّسِيِّ فِي الْمَجَالَاتِ الْمُمْكِنَةِ
لِلْحُوَارِ مَعَ الْعَرَبِ، وَبِالْمَنْهَجِ وَالطَّرِيقَةِ الَّتِي تَتَحَقَّقُ بِهَا مَصْلَحَةُ الدَّعْوَةِ
الْإِسْلَامِيَّةِ، وَتَنْفَتِحُ بِهِ آفَاقٌ أَوْسَعُ لِإثْبَاتِ وَتَأْكِيدِ الذَّائِيَّةِ الْمُؤْمِنَةِ وَالتَّمَكُّنِ
لِكُلِّ جَهْدٍ يَكْشِفُ عَنِ الْمَعْدِنِ الْأَصِيلِ وَمَوَاطِنِ الْعِظَمَةِ وَالْجَادِبِيَّةِ الرَّوْحِيَّةِ
وَالْقِيَمِيَّةِ وَالْحَضَارِيَّةِ لِرِسَالَةِ الْإِسْلَامِ فِي الْأَوْسَاطِ الْعَرَبِيَّةِ بَعِيدًا عَنِ صَحْبِ
المُهَرِّجِينَ فِي سِيرِكِ الـ C. I. A وَفَتْنِ حُوَاةِ الْمُسْتَشْرِقِينَ وَمَقَامَرَاتِ السَّاسَةِ

بَادِي الرَّأْيِ!... إِنَّ الْعَمَلَ عَلَى إِيجَادِ كُلِّ ذَلِكَ : هُوَ مِنَ الْوُجُوبِ بِمَكَانٍ
كَبِيرٍ، وَهُوَ أَمَانَةٌ فِي عُنُقِ كُلِّ مُؤْمِنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ!.

إِنَّ الْمُجْتَمَعَ الْإِنْسَانِيَّ - بِمَا فِيهِ الْعَرَبُ خَاصَّةً : مُطَالِبُ الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ
وَقْتٍ مَضَى لَوْضِعِ حَدِّ عَاجِلٍ وَفَوْرِيٍّ لِلْحَرْبِ الْمُسْتَمِرَّةِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَرَسُولِهِ
الْكَرِيمِ - رَسُولِ الرَّحْمَةِ... حِفَاطًا عَلَى الْأَمْنِ وَالسَّلَامِ الدَّوْلِيِّينَ، وَكَفَّ لِسَانَ
التَّطَاوُلِ وَالتَّجْرِيحِ عَنْ رَمَزِ الْمَحَبَّةِ وَالْمَوَدَّةِ وَالسَّلَامِ وَالرَّحْمَةِ وَالسَّعَادَةِ الْبَشَرِيَّةِ
بِصُورَةٍ قَاطِعَةٍ!؛ وَإِلَّا فَلَنْ يَهْنَأَ الْعَالَمُ بِسَلَامٍ طَالَمَا هُوَ يُعْمِنُ فِي مُجَافَةِ مَنْطِقِ
الرَّحْمَةِ وَالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَيُنَابِذُ رَسُولَ اللَّهِ إِلَى الْعَالَمِينَ... فَأَيُّ عَاقِلٍ فِي هَذَا
الْعَالَمِ يَخْتَوِيهِ صَمِيرٌ إِنْسَانِيٌّ حَيٌّ بِالْإِيمَانِ يُمَكِّنُ أَنْ يُمَرَّرَ هَذَا التَّشْوِيهِ وَأَنْ يَقْبَلَ
تِلْكَ الْمُعَالَطَاتِ الظَّالِمَةِ وَالْإِنْطِبَاعَاتِ الظَّلَامِيَّةِ غَيْرِ الْمُبَرَّرَةِ عَنِ الْإِسْلَامِ
وَرَسُولِ الْإِسْلَامِ ﷺ!...

إِنَّ الْعَرَبَ وَكُلَّ كَارِهِ لِعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِ وَلِرَسُولِهِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ
مُدْرِكًا لِحُطُورَةِ تَشْوِيهِهِ رُمُوزِ الْعَدَالَةِ الْإِلَهِيَّةِ فِي عَالَمٍ تَسْتَبِدُّ بِشُؤْنِهِ طَغْمَةٌ مِنَ
الْمُفْسِدِينَ وَالضَّالِّينَ وَالْمُفْتَرِينَ الْكَاذِبِينَ... وَتَعَبَتْ بِإِرَادَةِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِيهِ
قُوَى الْبَغْيِ وَالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ... وَلَا يُعْقَلُ أَنْ يَكُونَ عَلَى وَعْيٍ بِمَصَالِحِهِ
الْحَقِيقِيَّةِ إِنْ كَانَ حَقًّا يُحِبُّ الْحَيَاةَ!...

وَأخِيرًا، نُفَرِّدُ بِإِنَّ هَذَا الْخُوفَ الْإِسْلَامِيَّ الَّذِي يَتِمُّ إِنتَاجُهُ وَتَسْلِيْعُهُ
وَتَسْوِيقُهُ الْآنَ فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ بِأَبْوَابِ الدَّعَايَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالصَّهْبُونِيَّةِ الْحَيَّةَةِ... مَا
هُوَ - فِي الْوَاقِعِ إِلَّا مَحْضٌ وَهْمٌ. وَإِنَّ الْحَقَائِقَ فِي مَنْطِقِ التَّجْرِيدِ بَعِيدًا عَنِ

الزائدات- تَنْطِقُ بِأَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ الْأَمَلُ الَّذِي تَتَعَلَّقُ عَلَيْهِ أَمَانِيُّ الْبَسْرِيَّةِ
 التَّائِهَةِ الْمُتَلَهِّفَةِ إِلَى اسْتِعَادَةِ قَدْرِ مُعْتَبَرٍ مِنْ ذَاتِيهَا الرُّوحِيَّةِ الْمُؤَمِّمَةِ الْفَاضِلَةِ..
 فَتَتَلَفَى بِهِ كَثِيرًا مِمَّا يَعْرِضُ حَيَاتَهَا الْمَشْحُونَةَ بِالْفَلَقِ وَالْاضْطْرَابِ وَالتَّوْثُرِ...
 وَالْمُسْتَعْرَةَ بِالْقِيَمِ الْمَادِّيَةِ الْمُتَعَوِّلَةَ وَبِالصَّرَاعِ...! إِنَّ الَّذِينَ يَرَوُّجُونَ لِ« الْإِسْلَامِ
 فُؤِيًّا » هُمْ أَعْدَاءُ الْحَيَاةِ الْحَقِيقِيِّونَ...!

كَمَا أَنَّ هَذِهِ الدَّرَاسَةَ : دَعْوَةٌ لِكُلِّ مُوحِّدٍ فِي هَذَا الْكَوْنِ : إِنَّ لَمْ نَفْعُقْ هَذِهِ
 التَّحَرُّشَاتِ الْحَضَارِيَّةِ غَيْرِ الْمَسْبُوقَةِ فِي بُهَائِهَا وَافْتِرَائِهَا وَخَسَّتِهَا وَقَلَّةِ أَدَبِهَا
 وَعَدَمِ حَيَاتِهَا... فَلَسَوْفَ نَصِيرُ مَسْحَرَةَ اللَّئَامِ.. وَمَأْدُبَاتِ لِضَارِيَةِ الذَّنَابِ...!
 وَإِنِّي لِأَقُولُهَا عَلَى اسْتِحْيَاءٍ، مُعَبَّرًا عَمَّا يَجِيئُ بِصَدْرِي مِنْ أُمْنِيَّاتٍ
 غَالِيَّاتٍ : مَتَى يَجِيئُ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي نُصْبِحُ فِيهِ مِنَ الْقُوَّةِ الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ...
 وَمِنَ الْمَنْعَةِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْاِقْتِصَادِيَّةِ... وَمِنَ الْمَانَعَةِ الْحَضَارِيَّةِ... مَا يَكُونُ كَفِيْلًا
 بِاخْتِرَامِ دِينِنَا، وَتَوْقِيرِ نَبِيِّنَا، وَتَقْدِيرِ مَكَانَتِنَا، وَحِفْظِ حُقُوقِنَا وَحَمْدِ سِيرَتِنَا،
 وَرَهْبَةِ جَانِبِنَا... فَلَا يَجْرُؤُ أَحَدٌ عَلَى مُقَارَبَةِ هِمَانَا أَوْ التَّحَرُّشِ بِنَا...!

وَإِلَى أَنْ يَهْلَ ذَلِكَ الْيَوْمَ، يَنْبَغِي أَنْ نَفْعَلَ كُلَّ طَاقَةٍ، وَنُؤَلِّفَ كُلَّ جَهْدٍ
 مُمَكِّنٍ لِاسْتِصْدَارِ قَانُونٍ دَوِيٍّ يُجَرِّمُ الْمَسَاسَ بِالذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ وَيُجَرِّمُ
 الْإِسَاءَةَ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ؛ فَهُمْ رَمُزُ التَّوْحِيدِ، وَمَطْنَةُ الْاجْتِمَاعِ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ ﷻ لَنْ
 أَرَادَ الْاِهْتِدَاءَ إِلَى سِوَاءِ السَّبِيلِ، وَابْتَعَى وَجْهَ اللَّهِ بِحَقِّ وَحَقِيقِي مِنَ الْبَسْرِ!...

وَأَنَا هُنَا لَنْ أَقُولَ بِتَشْرِيعِ يُجَرِّمُ الْمَسَاسَ بِمَا يُسَمَّى « الْأَدْيَانِ » وَالرَّسَالَاتِ
 وَالْكَتُبِ الْأُخْرَى... فَمَا اعْتَرَى هَذِهِ الْأَخِيرَةَ مِنْ شُبُهٍ وَأَبَاطِيلٍ وَأَقَاوِيلٍ

وَأَفْتِرَاءَاتٍ عَلَى اللَّهِ ﷻ وَرُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ بِغَيْرِ حَقٍّ... قَدْ يَدْفَعُ الدُّعَاءَ وَالْعُلَمَاءَ
الْعَيُورِينَ وَالْأُمَنَاءَ عَلَى التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ إِلَى نَقْدِ هَذِهِ الْمِلَلِ وَتِلْكَ النَّحْلِ
الْمُنْحَرِفَةِ... وَتَفْنِيدِ الْكُتُبِ الْمَحْرَفَةِ، وَإِظْهَارِ مَا وَقَعَ فِيهَا مِنْ تَحْرِيفٍ وَمَا
التَّبَسُّهُ مِنْ تَزْيِيفٍ وَتَحْرِيفٍ... فَتَكُونُ بِذَلِكَ النَّقْضِ وَفَقًا لِمَا يُزْمَعُ سُنُّهُ مِنْ
قَوَانِينِ وَتَشْرِيعَاتٍ دَوْلِيَّةٍ : أَوَّلَ الْخَارِقِينَ لِتِلْكَ الْقَوَانِينِ، فَنَضَحَى وَاقِعِينَ
تَحْتَ طَائِلَةِ الْعُقُوبَاتِ الدَّوْلِيَّةِ... وَهَدَفًا لِرُغْوَةِ الْغَاوِينَ.. وَمَرَمَى لِسَهَامِ
الْجَهْلَةِ الْمُبْطِلِينَ الظَّالِمِينَ مِنْ سَدَنَةِ الْإِثْمِ وَالْبَغْيِ وَالْعَشَمِ الْعَرَبِيِّ... الَّذِي
يُعَالِجُ الْحُجَّةَ بِالضَّجَّةِ... وَالْحِكْمَةَ بِاللَّكْمَةِ... وَالنَّقْدَ بِالنَّقْضِ... وَالْحَسَنَةَ
بِالسَّيِّئَةِ!... فَيَضِيعُ الْحَقُّ وَيَطْهَرُ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادُ!...

أبيض

الخاتمة

وَمَا أَوْدُ قَوْلُهُ آخِرًا، أَنَّ الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةَ وَأُورُوبَا تَضْغَطَانِ بِكُلِّ قُوَّةٍ
إِعْلَامِيَّةٍ وَدِعَائِيَّةٍ وَسِيَاسِيَّةٍ وَعَسْكَرِيَّةٍ عَلَى الْعَصْبَيْنِ الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ
لِتَخْلِيْقٍ وَتَعْمِيقِ إِحْسَاسِ وَشُعُورِ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ بِذَنْبِ لَمْ يَقْتَرِفُوهُ، وَبِجُرْمِ
لَمْ يَزْتَكِبُوهُ، وَسَفَاهَاتٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا... فَتَحَوَّلَ أَحْدَاثُ أَيْلُولِ ٢٠٠١ م فِي
الْلاشْعُورِ الْمُعَاصِرِ وَفِي الْوَعْيِ التَّارِيخِيِّ وَالْحَبْرَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ إِلَى عُقْدَةٍ
هُوْلُوكُوتِيَّةٍ!... فَتَصِيرُ وَسِيلَةً حَيَوِيَّةً لِتَحْقِيقِ أَفْصَى قَدْرِ مِنَ الْمَكَاسِبِ
الْإِسْتِرَاتِيْجِيَّةِ وَالْإِمْتِيَازَاتِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْإِنْتِزَازَاتِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ
وَالْحَضَارِيَّةِ وَحَتَّى التَّبَشِيرِيَّةِ الدِّيْنِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْمَدَى الْبَعِيدِ أَوْ الْقَرِيبِ عَلَى
السَّوَاءِ!... وَقَدْ تَظَلَّ الْأَجْيَالُ الْعَرَبِيَّةُ وَالْمُسْلِمَةُ تَنْوُءُ بِهَذَا الْإِرْثِ الْإِفْكِجِيِّ
الْمَرْكُومِ وَتَبْوُءُ بِذَلِكَ الْإِثْمِ الْمُوْهُومِ!... وَلَا يُسْتَبَعَدُ مَنْ يَأْتِي مُسْتَقْبَلًا فَيَطَالِبُ
هَذِهِ الْأَجْيَالُ بِالْاِعْتِدَارِ عَنْ تِلْكَ الْكَذْبَةِ الْكُبْرَى، وَيُنْسَى حَقْنَا فِي التَّعْوِيضِ
عَنْ حُرُوبِهِمُ الصَّلِيْبِيَّةِ الَّتِي لَمْ وَلَنْ تَنْتَهِيَ فِيهَا يَبْدُو!!!....

وَقَدْ لَا يَدْرِكُ الْعَرَبُ النَّتِيْجَةَ النَّهَائِيَّةَ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ تَتَرْتَبَ عَلَى تِلْكَ
الضُّغُوطِ الْعُنْفَوَانِيَّةِ الْاِبْتِزَازِيَّةِ الْمَيْسِرِيَّةِ الْحَسِيْسَةِ!... الَّتِي تَدْفَعُ وَتَسْتَدْفَعُ
الْعَرَبَ إِلَى تَبْنِي أَيْدِيُولُوجِيَّاتٍ صِرَاعِيَّةٍ سَرْمَدِيَّةٍ عَلَى الْمُسْتَوَى الْحَارِجِيِّ...
وَالْاِنْخِرَاطِ فِي مَزِيدٍ مِنَ الْعُنْفِ التَّبْرِيرِيِّ الْأَمْحَقِ الَّذِي لَا يَسْتَنْدُ إِلَى قَرِيْنَةٍ
صَادِقَةٍ!... وَيَبْدُو أَنَّ الْعَرَبَ فِي ظِلِّ اسْتِمْرَارِهِ فِي الْاِسْتِهْزَاءِ بِوُجُودِ الْعَرَبِ

والمسلمين والاستخفاف بعقولهم ومحاولة التعمية عليهم... لن تُؤدِّي إلا إلى
الزيد والمزيد من الكراهية المبررة... التي تُغلي بالانتقام في صدر كل غيور مع
تصاعد موجات هذا الاستفزاز الذرائعي الاستعماري الغربي الحثيث
لمجتمعات العرب والمسلمين!...

وإذا كان مقدراً أن نحيا البشرية دورة جديدة للحياة في ظلال الولاية
الأوروأمريكية المعاقبة حضارياً وأخلاقياً وسلوكياً...! فهل ستصحى هكذا
طبيعة الحياة: ميداناً حافلاً بمتواليات الصراع العنيف، والقتال المحتدم،
والعراك المستمر... والفتن التي لا تنطفئ لها نار ولا يهدأ لها أواز ولا يكف
عنها الأشرار...!! كيف تستقيم مسيرة البشرية فتستعيد مسوحها
المثرى بدعوة السلام والتعاضد والتعاون والحوار والجوار الكريم... متى
يفيئ الغرب إلى منطق العدل والحكمة والرحمة والتسامح والمساواة في
الحقوق والواجبات.. متى...!؟

متى ذلك، وقد أصبح منأخ الحديث- مع كل أسف! :! ملاماً حول
تصادم الحضارات ومهابة التاريخ، وراجت تلك المقولات الشريرة التي
تثور بين حين وآخر حول إمكانيات استدعاء تاريخ الصليبيات إلى الواقع
العالمي المأزوم؟!... وأصبحت تداعيات هذا الحديث خرقاً للمواثيق..
وتجاوزاً للأعراف.. واحتلالاً للأراضي.. وسفكاً للدماء.. وغضباً للحقوق
والممتلكات وانتهاكاً للأعراض.. وسلباً للخُصوصيات الحضارية والثقافية..
وَضْرَبًا بالعقائد الدينية والقيم الأخلاقية الإنسانية عُرْض الحائط...!؟

لَقَدْ اعْتَدَرَتْ أُرُوبًا عَنِ خُرَافَةِ الْمَحَارِقِ النَّازِيَّةِ، بَلْ وَحَصَلَتْ حَالَةٌ مِنْ
التَّسَامُحِ مَعَ الْآخِرِ سِوَاءِ دَاخِلِ النَّسَقِ الْعَرَبِيِّ أَوْ خَارِجِهِ بِقَلِيلٍ... وَنَحْنُ لَا
نَكْرَهُ ذَلِكَ عُمُومًا؛ وَلَكِنْ مِنْ حَقِّنَا أَيْضًا أَنْ يُعْتَدَرَ إِلَيْنَا فَيْرُدُّ اعْتِبَارُنَا، وَأَنْ
نُوقِفَ حُقُوقَنَا السَّلْبِيَّةَ... وَأَنْ تُحْتَرَمَ عَقَائِدُنَا وَتُصَانَ مُقَدَّسَاتُنَا وَأَنْ يُحْفَظَ مَقَامُ
نَبِيِّنَا ﷺ... إِنَّنَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَيْسَ لَدَيْنَا شَيْءٌ نَعْتَدِرُ عَنْهُ؛ بَلْ إِنَّا لَنَنْتَظِرُ ذَلِكَ
الْيَوْمَ الَّذِي تَتَحَلَّى فِيهِ أُرُوبًا وَأَمْرِيكَ بِالنِّزَاهَةِ وَالشَّجَاعَةِ الْأَدْبِيَّةِ فَتُعْلِنُ
اعْتِدَارَهَا إِلَى الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ عَمَّا أَرْتَكِبُهُ الْعَرَبُ بِحَقِّهِمْ مِنْ مَظَالِمٍ وَبَشَاعَاتٍ
اسْتِعْمَارِيَّةٍ... مَا يَجْدُرُ أَنْ تَكُونَ هُوْلُوكُوسْتًا عَرَبِيًّا إِسْلَامِيًّا!... نُنَادِي فِي ظِلِّهِ
بِحُقُوقِنَا التَّارِيخِيَّةِ - الْمَادِيَّةِ وَالْأَدْبِيَّةِ!؟...

كَمَا إِنَّا نَحْلُمُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي نَفِيءُ فِيهِ حُكُومَاتُ الْعَالَمِ
الإِسْلَامِيِّ إِلَى اللَّهِ بِتَوْبَةٍ نَادِمٍ عَلَى ذَلِكَ التَّقْصِيرِ الْمَعِيْبِ فِي حُقُوقِنَا
الْحَضَارِيَّةِ الضَّائِعَةِ... وَعَلَى التَّهَاوُنِ إِزَاءَ الشَّعْبِ الْعَرَبِيِّ عَلَى هَوِيَّتِنَا
وَتُرَاثِنَا الْمَغْضُوبِ وَهَيْبَتِنَا الْمُهْدَرَةِ وَكَرَامَتِنَا الَّتِي صَارَتْ بِلَا اعْتِبَارٍ لَدَى
كُلِّ طَامِعٍ خَسِيسٍ لَا يَرْجُو اللَّهَ ﷻ وَقَارًا!...

إِنَّ مَزِيدًا مِنَ السَّلْبِيَّةِ وَمَزِيدًا مِنَ الْإِنْفِعَالِ وَالتَّشْنِجِ وَالغَضَبِ غَيْرِ الْمُثْمِرِ
وَرَدَّاتِ الْأَفْعَالِ غَيْرِ الْعَمَلِيَّةِ لَنْ يَزِيدَ قَضَايَانَا إِلَّا خَبَالًا وَتَعْقِيدًا!... إِنَّا نَقْدُرُ
الْمُظَاهَرَاتِ وَالتَّعْبِيرِ عَنِ الرَّفْضِ وَالغَضَبِ... وَلَكِنْ لَنْ يَكُونَ لِذَلِكَ جَدْوَى
مَا لَمْ يَكُنْ مُتَوَجِّعًا بِالِاسْتِمَاتَةِ السِّيَاسِيَّةِ فِي اسْتِصْدَارِ قَانُونٍ دَوْلِيٍّ يُجْرِمُ التَّعَرُّضَ
لِلرُّسْلِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَلِالعَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ بِمَا لَا يَلِيْقُ بِرُمُوزِ الرَّحْمَةِ وَالهَدَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ

لِلْعَالَمِينَ!... إِنَّ الْمَقَاتِعَةَ النَّفْسِيَّةَ وَالْاِقْتِصَادِيَّةَ تَعْبِيرُ حَضَارِيَّ عَنِ الْعَضْبِ،
وَكُونُ مِنْ أَلْوَانِ الْمَقَاوِمَةِ الْمُشْرُوعَةِ الْبَعِيدَةِ عَنْ مُزَايِدَاتِ الْحَاقِدِينَ وَالْجَهْلَةِ
الْمُبْطِلِينَ!... وَلَا سِيَّمًا أَنَّنَا رَأَيْنَا كُمْ هِيَ الْمَقَاتِعَةُ مُوجِعَةٌ لِأَوْلَئِكَ الَّذِينَ لَا دِينَ
لَهُمْ إِلَّا « الْيُورُو » وَ« الدُّولَارُ » وَلَا إِلَهَ لَهُمْ إِلَّا الْمَسِيحُ الدَّجَالُ!.

وَالِي جَانِبِ الْمَقَاتِعَةِ، نَتَطَلَّعُ إِلَى أَنْ تَعَكِسَ الْحُكُومَاتُ الْعَرَبِيَّةُ
وَالْإِسْلَامِيَّةُ مَشَاعِرَ شُعُوبِهَا وَعَوَاطِفَهَا الدِّيْنِيَّةَ بِطَرِيقَةٍ تَدْعُمُ مُصْدَافِيَّةَ حُسْنِ
ظَنُّنَا بِتِلْكَ الْحُكُومَاتِ!؛ فَإِنَّ تَسْيِسَ الْمَوَاقِفِ وَالْقَضَايَا الْمُتَعَلِّقَةَ بِالَّذِينَ
وَالْعَقِيدَةَ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَضُرَّ بِمَصَالِحِنَا وَبِمُقَدَّسَاتِنَا وَبِدَعْوَتِنَا الْعَالَمِيَّةِ إِلَى
التَّوْحِيدِ وَالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ الْبَرِّ وَالْمَعْرُوفِ... بَلْ مِنْ شَأْنِ ذَلِكَ أَنْ يَحْرَقَ
أوراقَ مَشْرُوعِنَا الْحَضَارِيِّ الْإِسْلَامِيِّ بِرُمَّتِهَا!...

فَلأَبَدًا إِذَا مِنْ تَدْشِينَ مَرَّصِدٍ لـ « الْإِسْلَامِ فُوبِيَا » يُعْنَى بِتَخْلِيْقِ وَتَفْعِيلِ
أَسْبَابِ الْحِمَايَةِ الذِّكِّيَّةِ لِلْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَلِلَّذِينَ الْحَقُّ وَلِقَامِ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ﷺ...
وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ تَقْصِي جُذُورِ الْكِرَاهِيَّةِ وَالنُّفُورِ الْعَرَبِيِّ مِنَ الْإِسْلَامِ
وَالْمُسْلِمِينَ وَتَحْرِيِ الْأَسْبَابِ الْمَوْضُوعِيَّةِ وَعَبْرِ الْمَوْضُوعِيَّةِ الْكَامِنَةِ وَرَاءَ مَظَاهِرِ
التَّمْيِيزِ الْعُنْصُرِيِّ ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ؟! وَتَرْتِيبِ هَيْئَاتِ ذَاتِ عِنَايَةٍ وَاحْتِصَاصِ
بِفُنُونِ الصَّغْطِ الْمُنْظَمِ وَمُمَارَسَةِ دُورِ « اللُّوْبِيِّ » فِي مُوَاجَهَةِ مَسَاعِيِ التَّشْوِيهِ
وَالتَّضْيِيقِ وَالتَّخْوِيفِ الْعَرَبِيِّ مِنَ الْإِسْلَامِ وَالْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ أَوْ تَسْعَى
لِتَهْمِيشِ الْإِسْلَامِ مِنَ الْحَيَاةِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ الْمَدْنِيَّةِ
لِلْمُسْلِمِينَ، وَالْعَمَلَ عَلَى صِيَاغَةِ آلِيَّةٍ وَثَاقِيَّةٍ ذَاتِ أَجْهَرَةٍ تَثْقِيفِيَّةٍ حَيَوِيَّةٍ لِتَبْيَانِ

مَوْقِفِ الْإِسْلَامِ مِنَ الْقَضَايَا الْإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي يُشَكِّلُ الْإِسْلَامُ وَالْمُسْلِمُونَ طَرَفًا مُبَاشِرًا أَوْ غَيْرَ مُبَاشِرٍ فِيهَا. وَلَيْكُنْ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ هَيْئَةٍ عَالِمِيَّةٍ ذَاتِ نَفُوذٍ دَوْلِيٍّ مُنْبَيْتَةٍ عَنْ جِهَةٍ مَوْثُوقٍ بِهَا، كَرَابِطَةِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ مَثَلًا.

وَإِنِّي هُنَا أَقْتَرِحُ أَنْ يُوَاجَهَ هَذَا الظُّلْمُ الْبَيِّنُ وَذَلِكَ التَّشْوِيهُ الْعَيْنُ: بِرَدِّ فِي حُدُودِ طَاقَاتِنَا وَبِطَرِيقَةِ الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ الَّتِي عَلَّمَنَا إِيَّاهَا اللهُ ﷻ وَرَسُولُهُ ﷺ! ... لِأَنَّنا لَحَظْنَا بَعْضَ رَدَّاتِ الْفِعْلِ فِي بَعْضِ الْبُلْدَانِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ حَرَقٍ وَتَدْمِيرٍ لِلْسَّفَارَاتِ وَبَعْضِ الْمُنْشآتِ الدِّينِيَّةِ غَيْرِ الْإِسْلَامِيَّةِ... وَالَّتِي بَدَأَ مِنْ أَحْدَائِهَا أَنْ هُنَاكَ يَدَا حَفِيَّةٍ مَدْسُوسَةٍ وَسَطَ الْجُمُوعِ الْمُسْلِمَةِ الْغَاضِبَةِ...؟ حَيْثُ تَسْهَلُ نَسْبَةُ كُلِّ فِعْلٍ سَيِّئٍ لِلْمُسْلِمِينَ بَعِيرٍ حَقٍّ أَوْ قَرِينَةٍ أَوْ بَيْتَةٍ... مَا أَظْهَرَ الْمُسْلِمِينَ فِي حَالٍ قَدْ طَيَّرَتْهَا وَسَائِلُ الْإِعْلَامِ الْمُغْرَضِ فِي أَنْحَاءِ الْعَالَمِ... يُقَالُ بِأَنَّ هَؤُلَاءِ هُمُ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ لَطَمْنَا حَدَثْنَاكُمْ عَنْ «هَمْجِيَّتِهِمْ» وَ«خَطَرِهِمْ» وَ«وَحْشِيَّتِهِمْ» إلخ!!... الْأَمْرُ الَّذِي يُوطِّدُ الْاِعْتِقَادَ بِالصُّورَةِ الذَّهْنِيَّةِ وَالْفِكْرَةَ الْمَشُوَّهَةَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ!، وَهُوَ مَا يُكْرَسُ الْاِنْتِهَازِيَّةَ الْغَرِيبَةَ لِلِإِمْعَانِ فِي الْإِسَاءَةِ وَالْبَدْءَةِ وَالتَّشْوِيهِ الْحَاقِدِ لِلرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ وَلِلْإِسْلَامِ وَلِلْمُسْلِمِينَ كَافَّةً عَلَى نَحْوِ مَا رَأَيْنَا جَمِيعًا!... فَاللهُ ﷻ يَقُولُ: ﴿ اَتَّعِ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ * وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ

أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنَنَّ بِهَا قُلُوبُهُمْ إِنَّهَا آيَاتُ اللَّهِ وَمَا يَشْعُرُكُمْ أَنَّمَا إِذَا
جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَتَقَلَّبُ أَفْتِدَتُهُمْ وَابْصَارُهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿ المائدة / ١٠٦ - ١١٠ .

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

- (١) القرآن الكريم.
- (٢) كُتُبُ السُّنَّةِ....
- (٣) العهد القديم.
- (٤) العهد الجديد.

المراجع العربيَّة:

- (٥) أحمد بن محمد النيسابوري الميداني- مجمع الأمثال- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم- دار الفكر- بيروت- ١٩٧٢م- ط: ٣.
- (٦) أحمد القديدي- الإسلام وصراع الحضارات- سِلْسِلَةٌ كتاب الأُمَّة- الدوحة- ١٩٩٦م.
- (٧) إدوارد سعيد- الاِسْتِشْرَاقُ وَالْمُسْتَشْرِقُونَ- ترجمة: محمد عَنانِي- درار رؤية للنشر- القاهرة- ٢٠٠٥م.
- (٨) أس ترتون- أهل الذمة في الإسلام- ترجمة: حسن حبشي- دار المعارف- مصر- ١٩٦٧- ط ٢.
- (٩) أسعد طه- آذربيجان- المختار الإسلامي- القاهرة- د.ت.
- (١٠) أنتوني ناتنج- العرب تاريخ وحضارة- دار الهلال- مصر- ١٩٨٠م.
- (١١) أنور الجُنْدِيّ- أخطر ما تواصى به المسلمون عبر الأجيال- دار الاعتصام- القاهرة- د.ت.
- (١٢) أنور الجُنْدِيّ- مُقَدِّمَاتُ العُلُومِ وَالْمَنَاهِجِ- دارُ الأنصار- القاهرة- د.ت.
- (١٣) إيزاك م. ماركس- التعايش مع الخَوْفِ فهم القلق ومكافحته- ترجمة بإشراف: محمد عثمان نجاتي- دار الشروق- القاهرة- ٢٠٠٠م.

- (١٤) إيمانويل كانط- مشروع السلام الدائم- ترجمة : عثمان أمين- مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة- ١٩٧٦- ط : ٢ .
- (١٥) بول كولز- العثمانيون في أوروبّا- ت عبد الرحمن عبد الله الشيخ- الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٣ م.
- (١٦) ت. كويلرنج- الشرق الأدنى.. مجتمعه وثقافته - ت: عبد الرحمن محمد أيوب- دار النشر المتّحدة- مصر- د.ت سلسلة الألف كتاب.
- (١٧) جريس هالسيل- النبوءة والسياسة- الناشر للطباعة - بيروت - ١٩٩٠ م - ط : ٣.
- (١٨) جمال حمدان- استراتيجية الاستعمار والتحرير- دار الهلال- مصر- ١٩٦٨ م.
- (١٩) جوته- الديوان الشرقي في الدّيون الشرقي- ترجمة : عبد الرحمن بدوي- المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت- ١٩٨٢ م.
- (٢٠) جوستاف لوبون- حضارة العرب- ت : عادل زعيتر- الهيئة المصرية العامّة للكتاب- ٢٠٠١ م.
- (٢١) جون أسبوزيتو - التّهديد الإسلاميّ.. حقيقة أم أسطورة؟- ترجمة : عادل المعلم- دار الشّروق- القاهرة- ١٩٩٥ م.
- (٢٢) حلمي خضر ساري- صورة العرب في الصحافة البريطانية- ت: عطا عبد الوهاب- مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت- ١٩٨٨ م.
- (٢٣) ر. جارودي- مِنْ أَجْلِ حِوَارِ بَيْنَ الْحَضَارَاتِ- تعريب : ذوقان قرقوط- دار النفاثس- بيروت - ١٩٩٠ م.
- (٢٤) روم لاندو- الإسلام والعرب- ترجمته : منير البعلبكي- دار العلم للملايين- بيروت- ١٩٧٧ م- ط : ٢ .
- (٢٥) روني مارشان- فرنسا سَحَتْ خطر الإسلام بَيْنَ الجِهَادِ وإِعادة الفتح- لوزان- لاج دولوم- سلسلّة «دوافع جيوسياسية»- ٢٠٠٢ م.
- (٢٦) زكي الميلاد، تركي الرّبيّعو- الإسلام والعرب، الحاضر والمستقبل - دار الفکر- دمشق- ٢٠٠٠ م.
- (٢٧) زيغريد هونكه- الله ليس كذلك- ترجمة : غريب محمد غريب- مؤسسة بافاريا الألمانية، دار الشروق المصرية، مجلة النور الكويتية- ١٤١٦ هـ.

- (٢٨) زيغريد هُونِكَه - شَمْسُ اللَّهِ تَسْطُعُ عَلَى الْعَرَبِ - ترجمة: فاروق بيضون - المكتب التجاري للطباعة - بيروت - د.ت.
- (٢٩) س. م. بُورا - التَّجْرِيبَةُ الْيُونَانِيَّةُ - ترجمة: أحمد سلامة محمد السيد - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٨٩م - سلسلة الألف كتاب الثاني (٦٧).
- (٣٠) سامي مسلم - صورة العرب في صحافة ألمانيا الاتحادية - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - ١٩٨٦ - ط٢.
- (٣١) سعيد حَوِّي - جُنْدُ اللَّهِ تَخْطِيطًا - مكتبة وهبة - القاهرة - ١٩٨٣
- (٣٢) شاخت وبوزورث - تراث الإسلام - ترجمة: محمد زهير السمهوري وآخرين - سلسلة عالم المعرفة (٨) - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت - ١٤٠٨هـ.
- (٣٣) صمويل ب. هنتينجتون - صدام الحضارات - ترجمة: مالك عبيد أبو شهيو، محمود محمد خَلْف - الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع - ليبيا - ١٩٩٩م.
- (٣٤) عباس العقاد - عبقرية الصديق - دار المعارف - مصر - د.ت - ط١٥.
- (٣٥) عبد الفتاح عبد المقصود - صليبية إلى الأبد - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٧٥م.
- (٣٦) عبد القادر طاش - أمريكا والإسلام - كتاب الشَّرْق الأوسط - ١٩٩٤م.
- (٣٧) عبد الله التَّل - جذور البلاء - المكتب الإسلامي - بيروت - ١٩٨٧م - ط٢
- (٣٨) عبد الملك بن هشام - السيرة النبوية - تحقيق: عمر تدمري - دار الريان - مصر - ١٤٠٧هـ.
- (٣٩) عَبْدُ الْمُنعِمِ النَّمِرُ - الإسلامُ وَالْمَبَادِئُ الْمُسْتَوْرَدَةُ - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٨٤م.
- (٤٠) عَطِيَّةُ فَتْحِي الْوَيْثِي - حوار الحضارات - مكتبة المنار الإسلامية - الكويت - ٢٠٠١م.
- (٤١) عَطِيَّةُ الْوَيْثِي - الْخَوْفُ مِنَ الْإِسْلَامِ - دار نهضة مصر - القاهرة - ٢٠٠٦م.
- (٤٢) عَطِيَّةُ الْوَيْثِي - الصَّرَاعُ فِي الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ - دار نهضة مصر - القاهرة - ٢٠٠٧م.

- (٤٣) عمر فَرْوُخ، مصطفى خالدي- التبشير والاستعمار في البلاد العربية- المكتبة
العصرية- بيروت- ١٩٨٦ م
- (٤٤) فرانسيس فوكوياما - نهاية التاريخ - ترجمة حسين الشيخ - دار العلوم
العربية بيروت - ١٩٩٣ م
- (٤٥) كافين رايلي- الغرب والعالم- ت : عبد الوهاب المسيري وآخر- سلسلة عالم
المعرفة- الكويت- ١٤٠٥ هـ.
- (٤٦) كرين برنتن- أفكار ورجال- ترجمة: محمود محمود- مؤسسة فرانكلين
للطباعة والنشر- نيويورك- ١٩٦٥ م .
- (٤٧) لجنة التاريخ في المدارس الحكومية الدينية- من جيل إلى جيل: دروس في
التاريخ- وزارة المعارف- تل أبيب- ١٩٩٤ م.
- (٤٨) ليو تولستوي- حكم النبي محمد- ترجمة : سليم قبعين- مصرية للنشر
والتوزيع- القاهرة- ١٩٨٧ م.
- (٤٩) مجموعة من الباحثين- صورة العرب والإسلام في المناهج الدراسية حول
العالم - سلسلة كتاب المعرفة (١٢)- السعودية- ١٤٢٤ هـ.
- (٥٠) مجموعة من الخبراء الصهاينة بعنوان : العودة إلى الصحراء- ترجمة : محمد
حزة غنايم- مركز أوغاريت للنشر والترجمة- القدس- ٢٠٠٤ م.
- (٥١) محمد أسد- الإسلام على مفترق الطرق - دار العلم للملايين - بيروت -
١٩٨٤ م.
- (٥٢) محمد بن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك- تحقيق: محمد أبو الفضل
إبراهيم- ط : دار المعارف- مصر- د.ت.
- (٥٣) محمد البهي- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي- مكتبة
وهبة- القاهرة- ١٩٨٥ م .
- (٥٤) محمد رضا محرم- تحديث العقل السياسي الإسلامي- دار الفكر للدراسات
والنشر- القاهرة- ١٩٩٨ م.
- (٥٥) محمد سعيد رمضان البوطي- هذه مشكلاتنا- دار الفارابي- دمشق- د. ت.
- (٥٦) محمد عرفة- الخطر النووي- مطابع دار الكتاب العربي- مصر- ١٣٨٢ هـ.
- (٥٧) محمد عمارة- الإسلام في عيون غربية: بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء-
دار الشروق- القاهرة- ٢٠٠٥ م.

- (٥٨) محمد محمد حسين- الاتجاهات الوطنشئفة فف الأءب المعاصر - مكتبة الآءاب- القاهرة- ١٩٥٦ م.
- (٥٩) مراد هوفان- الإسلام كبءل- دار الشروق - مصر - ١٩٩٢ م.
- (٦٠) مصطفى حلمف - الفءر الإسلامف فف مؤاءهة الغزو الثقافف - دار الدعوة - الإسكندرفة - ١٩٩٦ م.
- (٦١) منفر شففق - قضافا التنمة والاسءقلال فف الصراع الحضارف - دار الناشر- بفروت - ١٩٩٢ م - ط٢.
- (٦٢) نجفب الكفلاف - الإسلامفة والقوى المضاءة - مؤسسه الرساله- بفروت- ١٩٨٦ م.
- (٦٣) نسمة أءمء البءرفق - التلفزيون والمءءمع والهوفة الثقاففة- الهفئة المصرفة العامة للءاب - ١٩٩٩ م.
- (٦٤) نءوم ءشومسكف - ءقوق الإنسان والسفاسة الءارءفة الأمريكية- ءرءمة : عمرف الأفوفف - مؤسسه الأباءء العربفة - بفروت - ١٩٨٤ م
- (٦٥) هانس بفءر مارتفن، وهارلء شومان- فء العوفة- ء : عءنان عباس عف - سفلسلة عالم المعرفة- الكوفء- ١٤١٩ هـ.
- (٦٦) هنرف كفسنءر- العقفة الإسءراءففة الأمريكية وءبلوماسفة الولافاء المءءة- ءرءمة: ءازم طالب مشءاق- بعءاء- دار واسط- ١٩٨٧ م.
- (٦٧) و. ء برف - نمو الحضارة - ء: لوفس اسكندر ، مؤرءعة : عف أءهم- سفلسلة الألف ءاب(٣٣٥) - مؤسسه روز الفوسف- القاهرة- ١٩٦١ م.

المراجع الأءنبفة

- (68) Bernard Lewis, « communism and Islam»in: Walter Zeev Laqueur, ed., the Midle east in Transition: studies in Contemporary History (New York : Free port, 1971, p. 311
- (69) Francois THUAL, Repores geopolitiques, Documentation, Frncaise, 1995
- (70) Kissinger H. Nuclear Weapons and Foreign policy. N.Y., 1957.
- (71) Laurence E. Browne, The prospects of Islam, London, 1944.
- (72) Military Intelligence Division. war Department, D. C. Islam : A threat to world stability. Washington, On 26 January 1946.

- (73) Peter Malcolm holt, Studies in the History of the Near East, London : Frank Cass, 1973.
- (74) Sari J. Nasir, The Arabs and the English, London : Longman, 1976.
- (75) W . Montgomery Watt, The influence of Islam on medieval Europe, Edina 6 uR 9h, 1972.
- (76) W. Montgomery Watt, L'influence de l'Islam sur l'Europe medievale, Ed. Librairie orientaliste Paul Genthner, Paris, 1974.
- (77) Zahra Dickson Freeth and H. V. F Winstone, Explorers of Arabia from the Renaissance to the End of Victorian Era, London; Boston: Allen and Unwin; New York : Holmes and Meier, 1978.

الدوريات العربية

- (٧٨) جريدة الوطن - السعودية.
- (٧٩) جريدة الاتحاد الإماراتية .
- (٨٠) جريدة الأهرام القاهرية.
- (٨١) جريدة البيان الإماراتية .
- (٨٢) جريدة الحياة اللندنية.
- (٨٣) جريدة الرائد الهندية.
- (٨٤) جريدة السفير اللبنانية.
- (٨٥) جريدة الطليعة البحرينية.
- (٨٦) جريدة العالم الإسلامي.
- (٨٧) صحيفة التجديد المغربية.
- (٨٨) صحيفة الجيل المصرية.

- (٨٩) صحيفة الحوار المتمدن.
- (٩٠) صحيفة الدستور الأردنية.
- (٩١) صحيفة النهار اللبنانية.
- (٩٢) صَحِيفَةُ الْوَطَنِ السَّعُودِيَّةِ.
- (٩٣) مجلة الأزهر المصرية.
- (٩٤) مَجَلَّةُ الْبَيَانِ اللَّندِنِيَّةِ - العدد ١٩٦.
- (٩٥) مَجَلَّةُ الْفِيصَلِ.
- (٩٦) مَجَلَّةُ الْمُجْتَمَعِ الْكُوَيْتِيَّةِ.
- (٩٧) مَجَلَّةُ الْمُسْتَقْبَلِ الْعَرَبِيِّ - العدد: ٢٩٥
- (٩٨) مجلة النبأ - بيروت .
- (٩٩) مجلة الوسط اللندنية.
- (١٠٠) مَجَلَّةُ الْوَسْطِ - اللندنية.
- (١٠١) مجلة أهلاً وسهلاً - العدد ٤٣.
- (١٠٢) مجلة كلية الدعوة الإسلامية- ليبيا.
- (١٠٣) مجلة مستقبل العالم الإسلامي - مالطا.
- (١٠٤) مَنَبَرُ الْإِسْلَامِ - الْمِصْرِيَّةِ - عَدَدُ أْبْرِيْلِ ١٩٧٣ م.
- (١٠٥) نشرة: المقتطف الثقافي - المركز الاستشاري للدراسات - بيروت.
- (١٠٦) نِيُويُورِكِ صَنَ - الْأَمْرِيكِيَّةِ - ١١/٥/٢٠٠٤ م.

- (107) <http://ar.danielpipes.org>
- (108) <http://dk.danielpipes.org>
- (109) <http://nosra.islammemo.cc>
- (110) <http://thawra.alwehda.gov.sy>
- (111) <http://www.albiladnewspaper.com>
- (112) <http://www.aljaml.com>
- (113) <http://www.aljazeera.net>
- (114) <http://www.al-moharer.net>
- (115) <http://www.almotamar.com>
- (116) <http://www.amin.org>
- (117) <http://www.egypty.com>
- (118) <http://www.madinacenter.com>
- (119) <http://www.masyaf.com>
- (120) <http://www.nysol.se/Arabic>
- (121) <http://www.shrooq2.com>
- (122) <http://www.swissinfo.org/ara>
- (123) trif.nashiri.net
- (124) www.alali.net
- (125) www.alarabnews.com
- (126) www.almostaqbal.com
- (127) www.almostaqbal.com
- (128) www.alwelayah.net
- (129) www.bbcarabic.com
- (130) www.darislam.com
- (131) www.ebaa.net
- (132) www.icsfp.com
- (133) www.islamonline.net
- (134) www.islamonline.net
- (135) www.islamtoday.net
- (136) www.jeel-libya.com
- (137) www.kantakji.com
- (138) www.kefaya.org
- (139) www.knntv.net/arabic
- (140) www.mondiploar.com
- (141) www.montada.showthread
- (142) www.pollingreport.com
- (143) www.pollingreport.com
- (144) www.qudsway.net

- (145) www.rassid.com
(146) www.tharwaproject.com
(147) www.w3.org

ندوات ومؤتمرات :

(١٤٨) مؤتمر «حوار الحضارات»، انعقد في العاصمة اليمنية « صنعاء » في منتصف عام ٢٠٠٤م.

مَراجِعُ أُخَرى :

(١٤٩) قناة الجزيرة الفضائية القطرية - بتاريخ السبت ٧/١٠/١٤٢٢هـ الموافق ٢٢/١٢/٢٠٠١م.

(١٥٠) قناة الجزيرة - قطر - ٣/١/١٤٢٤هـ. الموافق ٦/٣/٢٠٠٣.

(١٥١) قناة « العربية » الفضائية-حلقة من برنامج: مَشَاهِدُ وآراء- ٢٢/١٠/٢٠٠٤.

(١٥٢) قناة فوكس الإخبارية Fox Newss - آب أغسطس ٢٠٠٢م.

أبيض

سيرة ذاتية للمؤلف

- الاسم / عطية فتحي عطية رزق الويشي .
- الشهرة / عطية الويشي .
- النشأة والإقامة / دفرية - م . م كفر الشيخ .
- تاريخ الميلاد / ٢٥ / ٧ / ١٩٦٤م .
- كاتب وأحد المُتَغَلِّين بِهُمُومِ الْفِكْرِ الْإِسْلَامِيِّ وَمُشْكِلَاتِ الْحَضَارَةِ وَقَضَايَا فِلْسَفَةِ التَّارِيخِ .
- باحث أكاديمي بقسم التاريخ والحضارة كلية الآداب - جامعة بنها .
- صاحبُ إسهاماتٍ تَأْسِيسِيَّةٍ فِي التَّنْظِيرِ لِلْمَشْرُوعِ الْحَضَارِيِّ الْإِسْلَامِيِّ... وَهُوَ بِصَدَدِ إِنْجَازِ مَشْرُوعِ فِكْرِيٍّ يَدُورُ مَوْضُوعُهُ حَوْلَ « فِقْهِ التَّدَاوُعِ » .

المؤلفات

- حوار الحضارات - مكتبة المنار الإسلامية - الكويت - ٢٠٠١ .
- أحكام الوقف .. وحركة التقنين في دول العالم الإسلامي - الأمانة العامة للأوقاف - الكويت - ٢٠٠٢ .
- واقعنا بين العالمية وتصادم الحضارات - دار نهضة مصر - سلسلة التنوير الإسلامي - ٢٠٠٣ .
- الخوف من الإسلام - دار نهضة مصر - القاهرة - ٢٠٠٦م .
- التَّطَوُّرُ الْمُؤَسَّسِيُّ لِقِطَاعِ الْأَوْقَافِ فِي الْبِلْدَانِ الْإِسْلَامِيَّةِ - الأمانة العامة للأوقاف - الكويت - ٢٠٠٦ .
- الصِّرَاعُ فِي الْفِكْرِ الْغَرْبِيِّ - دار نهضة مصر - القاهرة - ٢٠٠٧م .
- الإخوان فويبا... سطور في النقد الذاتي للحركة الإسلامية - نهضة مصر - ٢٠٠٧م
- الْمُعْجَمُ الْمَوْسُوعِيُّ لِصُطَلَحَاتِ الْعَمَلِ الْخَيْرِيِّ - مخطوط .
- تَرْنِيمَةُ الْغُرَبَاءِ - مِلْحَمَةٌ شَعْرِيَّةٌ .
- التَّغْرِيبَةُ الْعَرَبِيَّةُ (ديوان شعر بالفصحى) . (مخطوط) .

فهرست الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
١١	الفصل الأول : الحَوْفُ الغَرَبِيُّ مِنَ الآخِرِ - أمراضُ تاريخيةً.. وأوهامٌ لا تزول
١٦	• لمحات تاريخية عن «الإسلام فوبيا»
٣٤	• عودٌ على بدء
٣٧	الفصل الثاني : التَّخْوِيفُ الغَرَبِيُّ مِنَ الإسلامِ - محاور... وترتيبات
٤٢	• الكينيسة الغريبة... كراهية موروثه ونسوية حقود لا ينتهي
٥٨	• « وَجَعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ »
٦٧	• الجيل الاستشراقي الجديد... ومنطق الاستفزاز
٩١	• ثانيًا: ساسة أم مقامرُونَ...!؟
١١٤	• الفنون... وعولمة «الإسلام فوبيا»!..
١٣١	• إطلاقة من النافذة الإعلامية على الإسلام فوبيا!
١٤٥	• أزمة رسوم أم أزمة قيم ومفاهيم!؟...!
١٥٧	• بين تعليم الحوف وتعلمه

١٦٥	• التَّخْوِيفُ مِنَ الْإِسْلَامِ بِتَفْخِيخِ الْأَوْضَاعِ السِّيَاسِيَّةِ
١٧١	الفصل الثالث: قِرَاءَةٌ فِي مُعَادَلَةِ «الْإِسْلَامِ فُوبِيَا»
١٧٣	• أسبابٌ ومُبرراتُ الإسلامِ فوبيا»
١٨٩	• آثارٌ ونتائجُ التَّخْوِيفِ مِنَ الْإِسْلَامِ
٢٠٨	• علاجاتُ «الْإِسْلَامِ فُوبِيَا» !..
٢٢١	الفصلُ الرابعُ: وَشَهِدْ شَاهِدًا مِنْ أَهْلِهِمْ
٢٣٧	الفصل الخامس: وَمَاذَا بَعْدَ؟!
٢٥	الخاتمة
٢٥٧	قائمة بِأهمِّ المَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ
٢٦٩	فهرست الموضوعات

هذا الكتاب

على الرغم من أن مسألة التخويف من الإسلام قديمة نسبياً - من حيث ظروفها وملابساتها... بيد أنها لم تشحن في العقلية الغربية بصورة مركزة ومكثفة على هذا النحو الأسوأ من نوعه في التاريخ إلا في أواخر القرن العشرين؛ فلقد كانت ثلة من المعنيين بالشؤون الإستراتيجية في الغرب والولايات المتحدة الأمريكية، ولاسيما المفكرون والفلاسفة غير الحزبيين، غير مبهتجة بنهاية «الحرب الباردة»، كما أنهم لم يحفلوا كثيراً باطروحات الكتاب التي تدلل على مدى الزهو والانتشاء الساذج نتيجة الإحساس الغامر ببلوغ العالم نهاية التاريخ على متن الليبرالية الحرة...! فراحوا يبحثون عن عدو جديد تكتمل به ثانية حلقات مسلسل الصراع في الفكر الغربي. ولعله من الملاحظ أن هناك إصراراً عجيباً - من جانب غالبية الساسة والمفكرين والكتاب والصحفيين ورجال الكنيسة... على تعميق القناعات الغربية بأن الإسلام دين تطرف وعنف وإرهاب... دين غير قادر على التلاقي والتعايش والتسامح والحوار، وغير ذلك من الافتراءات التي أعانهم عليها قوم من بني جلدتنا مع كل أسف ومرارة!... فأي شكل يمكن أن يفيدته الغرب من تلك الهجمة التخويفية الشرسة المنظمة على دين أحوج ما تكون الإنسانية إلى قيمه الروحية وإشعاعاته الحضارية... بعيداً عن دورة التعصب والأنانية التي يتقلب في حماتها العالم الغربي المعاصر...!

ردمدم ٢٤٣٤ - ١٣١٩ ISSN